١ بسم الله الرحمن الرحيم

/٢ اللهم يسر يا كريم يا حليم! قال الشيخ الإمام العالم العامل العلامة، الحبر البحر الفهامة، المتقن الحافظ الضابط، المجاهد فى سبيل الله المرابط، برهان الدين لسان المتكلمين حجة المناظرين سيبويه هذا الحين أبو الحسن إبراهيم البقاعى الشافعى - بلّغه الله من الأولى و الأخرى مايتمناه، و جعل الفردوس مقره و مأواه بمحمد و آله[٢]! . /٢ ٥

سورة المائدة[٣]

[و تسمى سورة العقود و سورة الأحبار - [٤]]

مقصودها الوفاء بما هدى إليه الكتاب، و دل عليه ميثاق العقل من توحيد[٥] الخالق و رحمة الخلائق شكرا لنعمه[٦] و استدفاعا لنقمه[٧]، ١٠ و قصة المائدة[٨] أدل ما فيها على ذلك، فان مضمونها أن من زاغ عن

(١) كتب فوقه فى الأصل «الجزء الثانى من المناسبات فى التفسير»، و من هنا إلى آخر سورة الأنعام لم تتيسر لنا نسخة مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٣) و هى مدنية فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة، و قال أبو جعفر بن بشر و الشعبي: إنها مدنية إلا قوله تعالى «اليوم اكملت لكم دينكم» فانه نزل بمكة، و عدة آيها مائة وعشرون عند الكوفيين، وثلاث وعشرون عند البصريين و اثنان وعشرون عند غيرهم - راجع روح المعانى ٢ / ٢٣٩ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) فى ظ: توجيه (٦) فى ظ: للنعمة (٧) فى ظ: للنقمة.
(٨) سقط من ظ.

الطمأنينة بعد الكشف الشافي و الإنعام الوافي نوقش الحساب فأخذه العذاب ، و تسميتها بالعقود أوضح دليل على ما ذكرتُ من مقصودها و كذا الأحبار .

﴿ بسم الله ﴾ [أي -[1]] الذى تمت كلماته فصدقت وعوده[2] و عمت مكرماته ﴿ الرحمٰن ﴾ الذى عم بالدعاء إلى الوفاء فى حقوقه و حقوق مخلوقاته ﴿ الرحيم ﴾ الذى نظر إلى القلوب فثبت منها على الصدق ما جبّله على التخلق بصفاته .

لما أخبر تعالى فى آخر [سورة - [1]] النساء أن اليهود لما نقضوا المواثيق التى[3] أخذها عليهم ، حرم عليهم طيبات أحلت لهم من[4] كثير من بهيمة الأنعام المشار إليها بقوله " و على الذين هادوا حرمنا كل [ذى - [5]] ظفر "- الآية ، و استمر تعالى فى هتك أستارهم و بيان عوارهم[6] إلى أن ختم بآية فى الإرث الذى افتتح آياته بالإيصاء و ختمها بأنه شامل العلم ، ناسب افتتاح هذه بأمر المؤمنين الذين اشتد تحذيره لهم منهم[7] بالوفاء الذى جُلّ مبناه[8] القلب الذى هو عيب ، فقال مشيرا إلى أن الناس الذين خوطبوا أول تلك تأهلوا[9] لأول أسنان الإيمان و وصفوا بما هم محتاجون إليه ، و تخصيصُهم مشير إلى أن مَنْ فوقهم من الأسنان عنده من الرسوخ ما يغنيه عن الحمل بالأمر ، و ذلك أبعث له على التدبر و الامتثال[10] :

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : دعوته (٣) فى ظ : الذى (٤) من ظ ، و فى الأصل : منها (٥) زيد من ظ والقرآن الكريم سورة ٦ آية ١٤٦ . (٦) فى ظ : اعوارهم (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : مشناه - كذا (٩) فى ظ : باهل . (١٠) فى ظ : الامثال .

يايها

﴿ يٰأيها الذين ءامنوآ ﴾ أى ادعوا ذلك بألسنتهم ﴿ اوفوا ﴾ أى صدقوا ذلك بأن توفوا ﴿ بالعقود ﴾ أى العهود الموثقة المحكمة، و هى تعم جميع أحكامه سبحانه فيما أحل أو حرم[1] أو ندب على سبيل الفرض أو غيره[2]، التى من جملتها الفرائض التى افتتحها بلفظ الإيصاء الذى هو من أعظم العهود، و تعم سائر ما بين الناس من ذلك، حتى ما كان فى الجاهلية من عقد ٥ يدعو إلى بر[3]، و أما غير ذلك فليس بعقد، بل حل بيد الشرع القوية، تذكيرا[4] بما أشار إليه قوله تعالى فى حق أولئك "اذكروا نعمتى - و اوفوا بعهدى اوف بعهدكم و اياى فارهبون[5]" و إخبارا لهم[6] بأنه أحل لهم ما حرم على أولئك، فقال على سبيل التعليل مشيرا إلى أن المقصود من النعمة كونها، لا بقيد فاعل مخصوص، و إلى أن المخاطبين يعلمون[7] ١٠ أنه لا منعم غيره سبحانه: ﴿ احلت لكم ﴾ و الإحلال من أجل العقود ﴿ بهيمة ﴾ [و بينها بقوله -[8]]: ﴿ الانعام ﴾ أى أوفوا لأنه أحل لكم بشامل علمه و كامل قدرته لطفا بكم و رحمة لكم ما حرم على من قبلكم من الإبل و البقر و الغنم باحلال أكلها و الانتفاع بجلودها و أصوافها و أوبارها و أشعارها و غير ذلك من شأنها، فاحذروا أن تنقضوا كما ١٥ نقضوا، فيحرم عليكم ما حرم عليهم، و يعد لكم من العقاب ما أعد لهم، و لا تعترضوا على نبيكم، و لا تتعنتوا [9]كما اعترضوا و تعنتوا[9]، فان ربكم

(١) فى ظ: جزم (٢) من ظ، و فى الأصل: غيرها (٣) فى ظ: ما ير - كذا. (٤) من ظ، وفى الأصل: تذكير (٥) سورة ٢ آية ٤٠ (٦) من ظ، وفى الأصل: اليهم (٧) فى ظ: لا يعلمونه (٨) زيد من ظ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ.

٣/ لا يسئل عما يفعل، [١]و سيأتى[١] فى قوله / " لا تسئلوا عن أشياء[٢] " ما يؤيد هذا.
و لما كانوا ربما فهموا[٣] من هذا الإحلال ما ألفوا من الميتات و نحوها
قال مستثنيا من نفس البهيمة ، و هى فى الأصل كل حى لا يميز[٤] ، مخبرا
أن من أعظم العقود ما قدم تحريمه من ذلك فى البقرة : ﴿الا ما يتلى عليكم﴾
٥ أي فى[٥] بهيمة الأنعام أنه محرم ، فانه لم يحل لكم ، و نصبُ[٦] ﴿ غير محلى
الصيد ﴾ على الحال أدل[٧] دليل على أن هذا السياق - و إن كان صريحه
مذكرا[٨] بالنعمة لتشكر[٩] - فهو مشار به إلى التهديد إن كُفِرَت ، أى أحل
لكم ذلك فى هذه الحال ، فان تركتموها انتفى الإحلال ، و هذه مشيرة
إلى تكذيب من حرم من ذلك ما أشير إليه بقوله تعالى فى التى قبلها
١٠ حكاية عن الشيطان " و لأمرنهم فليبتكن آذان الانعام و لأمرنهم
فليغيرن خلق الله[١٠] " من[٤] السائبة و ما معها مما كانوا اتخذوه دينا، و فصّلوا
فيه تفاصيل - كما سيأتى صريحا فى آخر هذه السورة[٤] بقوله تعالى " ما جعل
الله من بحيرة و لا سائبة[١١] " - الآية ، وكذا فى آخر الأنعام ، و فى الأمر
بالوفاء بالعقود بعد الإخبار بأنه بكل شيء عليم غاية التحذير من تعمد
١٥ الإخلال بشيء من ذلك و إن دق ، و[٤] فى افتتاح هذه المسماة بالمائدة بذكر
الأطعمة عقب[١٢] سورة النساء - التى من أعظم مقاصدها النكاح و الإرث ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) آية ١٠١ (٣) فى ظ : افهموا (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : من (٦) فى ظ : تصيب - كذا (٧) فى ظ : ام - كذا .
(٨) من ظ ، و فى الأصل : مذكر (٩) فى ظ : ليشكر (١٠) آية ١١٩ (١١) آية ١٠٣ (١٢) فى ظ : عقيب .

المتضمن للموت المشروع فيهما الولائم و المآتم[1] - أتم مناسبة ، [و -[2]] قال ابن الزبير : لما بين تعالى حال أهل الصراط المستقيم ، و من[3] تنكب عن[3] نهجهم ، و مآل الفريقين من المغضوب عليهم و الضالين ، و بين لعباده[4] المتقين ما فيه هداهم و به[5] خلاصهم أخذا و تركا[6] ، و جعل طي[7] ذلك الأسهم الثمانية الواردة في حديث حذيفة رضي الله عنه من قوله : الإسلام ٥ ثمانية أسهم : [الإسلام سهم ، و -[8]] الشهادة سهم ، و الصلاة سهم ، و الزكاة سهم ، و الصوم سهم ، و الحج سهم ، و الأمر بالمعروف سهم ، و النهي عن المنكر سهم ، و قد خاب من لا سهم له . قلت : و هذا الحديث أخرجه البزار عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : الإسلام ثمانية أسهم : الإسلام سهم ، و الصلاة سهم - فذكره ، و صحح الدارقطني ١٠ وقفه ، و رواه أبو يعلى الموصلي عن علي رضي الله عنه مرفوعا و الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : الإسلام عشرة أسهم ، و قد خاب من لا سهم له : شهادة أن لا إله إلا الله سهم و هي الملة ، و الثانية : الصلاة و هي الفطرة ، و الثالثة : الزكاة و هي الطهور ، و الرابعة : الصوم و هي الجنة ، و الخامسة : الحج ١٥ و هي الشريعة ، و السادسة : الجهاد و هي الغزوة[9] ، و السابعة : الأمر بالمعروف

---

(١) في ظ : المسايم - كذا (٢) زيدت الواو من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) في ظ : العباد (٥) في ظ : فيه (٦) من ظ ، و في الأصل : برا - كذا.
(٧) في ظ : ظن (٨) زيد من مجمع الزوائد ١/٣٨ ، إلا أن هناك تقديما و تأخيرا.
(٩) من مجمع الزوائد ١/٣٧ ، و في الأصل و ظ : العروة .

و [هو الوفاء ، و الثامنة - [1]] : النهى عن المنكر و هى الحجة ، و التاسعة : الجماعة و هى الألفة ، و العاشرة : الطاعة و هى العصمة ؛ و فى سنده من[2] ينظر فى حاله ؛ قال ابن الزبير : و قال [النبى - [3]] صلى الله عليه و سلم : بنى الإسلام على خمس ، أى فى الحديث الذى أخرجه الشيخان و غيرهما ٥ عن ابن عمر و غير واحد من الصحابة رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، و أن محمدا رسول الله ، و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و الحج و صوم رمضان . قال ابن الزبير : و قد تحصلت - أى الأسهم الثمانية و الدعائم الخمس - فيما مضى ، و تحصل مما تقدم[4] أن [5] أسوأ حال[5] المخالفين حال من ١٠ غضب الله عليه و لعنه ، [6] و أن ذلك[6] بغيهم و عداوتهم و نقضهم العهود " فبما / نقضهم ميثاقهم لعنٰهم " و كان النقض كل مخالفة ، قال الله تعالى /٤ لعباده المؤمنين " يٰايها الذين اٰمنوا اوفوا بالعقود " لأن اليهود و النصارى إنما أتى عليهم من عدم الوفاء و نقض العهود ، فحذر المؤمنين - انتهى. و المراد بالأنعام الأزواج الثمانية المذكورة فى الأنعام و ما شابهها من ١٥ حيوان البر ، و[7] لكون الصيد مراد الدخول فى بهيمة الأنعام[8] استثنى بعض أحواله فقال : ﴿ و انتم حرم ﴾ أى أحلت البهيمة مطلقا إلا ما يتلى عليكم

(١) زيد من المجمع (٢) فى ظ : ممن (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ . (٥ - ٥) من ظ ، و فى الأصل : استوا حالة - كذا (٦ - ٦) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل (٧) سقطت الواو من ظ (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، فحذفناها كى تستقيم العبارة .

من

من ميتاتها و غيرها فى غير حال الدخول فى الإحرام [1]بالحج أو العمرة[1] أو دخول الحرم، و أما فى حال الإحرام فلا يحل الصيد أكلا و لا فعلا .

و لما كان مدار هـذه السورة على الزجر و الإحجام عن أشياء اشتد ألفهم لها و التفاتهم إليها، و عظمت فيها رغباتهم من الميتات[2] و ما معها، و الأزلام و الذبح على النصب، و أخذ الإنسان بجريمة الغير، ٥ و الفساد فى الأرض، و السرقة و الخمر و السوائب و البحائر - إلى غير ذلك؛ ذكّر فى أولها بالعهود التى عقدوها على أنفسهم ليلة العقبة حين تواثقوا على الإسلام من السمع و الطاعة فى المنشط و المكره و العسر و اليسر فيما أحبوا و كرهوا، و ختم الآية بقوله معللا: ﴿ان الله﴾ أى ملك الملوك ﴿يحكم ما يريده﴾ أى من تحليل و تحريم و غيرهما ١٠ على سبيل الإطلاق كالأنعام، و فى حال دون حال كما شابهها[3] من الصيد، فلا يسئل عن تخصيص و لا عن[4] تفضيل و لا غيره، [5]فما فهمتم[5] حكمته فذاك، [6]و ما لا فكلوه إليه، و ارغبوا فى أن يلهمكم حكمته[6]؛ قال الإمام - و هذا هو الذى يقوله أصحابنا -: إن علة حسن التكليف هو الربوبية و العبودية، [7]لا ما[7] يقوله المعتزلة من رعاية المصلحة. ١٥

و لما استثنى بعض ما أحل على سبيل الإبهام شرع فى بيانه، و لما كان منه ما نهى عن التعرض له لا مطلقا، بل ما يبلـغ محله، بدأ به

(١-١) فى ظ: حجج او عمرة (٢) فى ظ: الميتة (٣) من ظ، و فى الأصل: شابهها (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ: لما فهمتهم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧-٧) فى ظ: لما.

لكونه فى ذلك كالصيد ، و قدم على ذلك عموم النهى عن انتهاك معالم الحج المنبه عليه بالإحرام ، أوعن كل محرم فى كل مكان و زمان ، فقال مكررا[1] لندائهم تنويها بشأنهم و تنبيها لعزائمهم و تذكيرا لهم بما ألزموه أنفسهم: ﴿ يٰأيها الذين اٰمنوا ﴾ أى دخلوا فى هذا الدين طائعين
٥ ﴿ لا تحلوا شعآئر الله ﴾ أى معالم حج بيت الملك الأعظم الحرام ، أو حدوده فى جميع الدين ، و شعائر الحج أدخل فى ذلك ، و الاصطياد أولاها .

و لما ذكر ما عممه فى الحرم أو مطلقا ، أتبعه [2]ما عممه[2] فى الزمان فقال: ﴿ و لا الشهر الحرام ﴾ أى فان ذلك لم يزل معاقدا على احترامه
١٠ فى الجاهلية و الإسلام ، و لعله وحده و المراد الجمع[3] إشارة إلى أن الأشهر الحرم كلها فى [الحرمة - [4]] سواء .

و لما ذكر الحرم و الأشهر الحرم ذكر ما يهدى للحرم فقال: ﴿ و لا الهدى ﴾ و خص منه أشرفه فقال: ﴿ و لا القلآئد ﴾ أى صاحب القلائد من الهدى ، و عبر بها مبالغة فى تحريمه ؛ و لما أكد فى
١٥ احترام ما قصد به الحرم من البهائم رقى[5] الخطاب إلى من قصده من العقلاء ، فانه مماثل لما تقدمه فى أن قصد البيت الحرام حام له و زاجر عنه ، مع[6] ما زاد به من شرف العقل فقال: ﴿ و لآ اٰمّين ﴾ أى و لا تحلوا التعرض لناس قاصدين ﴿ البيت الحرام ﴾ لأن من قصد بيت الملك كان محترما باحترام ما قصده .

---

(١) فى ظ : مكرا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : الجميع .
(٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : ق - كذا (٦) سقط من ظ .

و لما كان المراد القصد بالزيارة بينه بقوله: ﴿ يبتغون ﴾ أى حال كونهم يطلبون على سبيل الاجتهاد ﴿ فضلا من ربهم ﴾ أى المحسن إليهم شكرا لإحسانه، / بأن يثيبهم على ذلك، لأن ثوابه لا يكون [على - ١] وجه الاستحقاق الحقيق أصلا ؛ و لما كان الثواب قد يكون مع السخط قال: ﴿ و رضوانا[1] ﴾ و هذا ظاهر فى المسلم، و يجوز أن يراد ٥ به أيضا الكافر، لأن قصده البيت [الحرام - ١] على هذا الوجه يرق قلبه[2] فيهيئه للإسلام، و على هذا فهى منسوخة.

و لما كان التقدير: فان لم يكونوا كذلك[3] - أى فى أصل[4] القصد [5]و لا فى وصفه - فهم حل لكم و إن لم تكونوا أنتم حرما، و الصيد حلال لكم، عطف عليه التصريح بما أفهمه التقييد فيما سبق بالإحرام فقال[5]: ١٠ ﴿ و اذا حللتم ﴾ أى من الإحرام بقضاء المناسك و الإحصار ﴿ فاصطادوا[4] ﴾ و ترك الشهر [الحرام - ١] إذ[6] كان الحرام فيه حراما فى غيره، و إنما صرح به تنويها بقدره و تعظيما لحرمته، ثم أكد تحريم[7] قاصد المسجد الحرام و إن كان كافرا، و إن كان على سبيل المجازات بقوله: ﴿ و لا يجرمنكم ﴾ أى يحملنكم ﴿ شنئان قوم ﴾ أى شدة بغضهم. ١٥

و لما ذكر البغض أتبعه سببه فقال: ﴿ ان ﴾ على سبيل الاشتراط الذى يفهم تعبير الحكم[8] به أنه سيقع، هذا فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو[9]،

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: القلب (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: الاصل (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ: اذا. (٧) فى ظ: تحريمه (٨) فى ظ: الحكيم (٩) فى الأصل و ظ: ابى عمر - كذا.

و التقدير فى قراءة الباقين بالفتح : لأجل أن ﴿ صدوكم ﴾ أى فى عام الحديبية أو غيره ﴿عن المسجد الحرام﴾ أى على ﴿ان تعتدوا﴾ أى يشتد عدوكم عليهم بأن تصدوهم عنه[1] أو بغير ذلك ، فان المسلم من لم يزده تعدى[4] عدوه فيه حدودَ الشرع إلا وقوفا عند حدوده ، و هذا قبل نزول ٥ "انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام[2]" سنة تسع .

و لما نهاهم عن ذلك ، و كان الانتهاء عن الحظوظ[3] شديدا على النفوس ، و كان لذلك لا بد فى الغالب من منتهٍ و آبٍ ، أمر بالتعاون فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فقال : ﴿و تعاونوا على البر﴾ و هو ما اتسع و طاب من حلال الخير ﴿ و التقوى ﴾ و هى كل ما يحمل على الخوف من الله ، فانه ١٠ الحامل على البر ، فان كان[4] منكم من اعتدى فتعاونوا على رده ، و إلا فازدادوا بالمعاونة خيرا .

و لما كان المعين على الخير قد يعين على الشر قال تنبيها على [الملازمة فى -[5]] المعاونة على الخير ، ناهيا أن يغضب الإنسان لغضب أحد من صديق أو قريب إلا إذا كان الغضب له داعيا إلى بر و تقوى : ١٥ ﴿ولا تعاونوا على الاثم﴾ أى الذنب الذى[6] يستلزم الضيق ﴿و العدوان﴾ أى المبالغة فى مجاوزة الحدود و الانتقام و التشفى و غير ذلك . و كرر[7] الأمر بالتقوى إشارة إلى أنها الحاملة على كل خير فقال : ﴿ و اتقوا الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال لذاته فلا تعدوا[8] شيئا من حدوده ؛ و لما كان

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : منه (٢) سورة ٩ آية ٢٨ (٣) من ظ ، و فى الأصل : الحدود (٤) زيد بعده فى ظ : كل (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : كر (٨) فى ظ : لا يعتدوا .

كف

كف النفس عن الانتقام و زجرها عن شفاء داء الغيظ و تبريد غلة الإحن في غاية العسر، ختم الآية بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ شديد العقاب ﴾ .

و لما أتم الكلام على احترام أعظم المكان و أكرم الزمان و ما لابسهما، فهذب[1] النفوس بالنهى عن حظوظها ، و أمر[2] بعد تخليتها ٥ عن كل شر[2] بتحليتها بكل خير ، عدّد على سبيل الاستئناف ما وعد بتلاوته عليهم مما حرم مطلقا إلا في حال الضرورة فقال: ﴿ حرمت ﴾ بانيا الفعل للفعول لأن الخطاب لمن يعلم أنه لا محرم إلا الله ، و إشعارا بأن هذه الأشياء لشدة قذارتها[3] كأنها محرمة بنفسها ﴿ عليكم الميتة ﴾ و هى ما فقد الروح / بغير ذكاة شرعية ، فان دم كل ما مات حتف أنفه يحبس ١٠ ٦/ في عروقه و يتعفن و يفسد ، فيضر أكله البدن بهذا الضرر الظاهر ، و الدين بما يعلمه أهل البصائر ﴿ و الدم ﴾ أى المسفوح ، و هو المتبادر إلى الذهن عند الإطلاق ﴿ ولحم الخنزير ﴾ خصه بعد دخوله في الميتة لاتخاذ النصارى أكله[4] كالدين ﴿ و مآ اهل ﴾ و لما كان القصد في هذه السورة إلى حفظ محكم العهود المذكر بجلاله الباهر[5] ، قدم المفعول له فقال : ١٥ ﴿ لغير الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ به ﴾ أى ذبح على اسم غيره من صنم أو غيره على وجه التقرب عبادة لذلك الشيء ، و الإهلال : رفع الصوت.

و لما كان من الميتات ما لا تعافه النفوس عيافتها لغيره ، نص عليه

---

(١) في ظ : و هذب (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) في ظ : تقذراتها .
(٤) سقط من ظ (٥) في ظ : القاهر - كذا .

فقال: ﴿ والمنخنقة ﴾ أي بحبل و نحوه، سواء خنقها خانق أو لا ﴿و الموقوذة﴾ أي المضروبة بمثقل، من[١]: وقذه - إذا ضربه ﴿و المتردية﴾ أي الساقطة من عال، المضطربة غالبا في سقوطها ﴿و النطيحة﴾ أي التي نطحها شيء فماتت ﴿و ما اكل السبع﴾ أي[٢] كالذئب و النسر و نحوهما .

٥ و لما كان كل واحدة من هذه قد تدرك حية فتذكى، استثنى فقال: ﴿ الا ما ذكيتم ﴾ أي من ذلك كله بأن أدركتموه و فيه حياة مستقرة، بأن اشتد اضطرابه و انفجر منه الدم؛ و لما حرم الميتات و عد في جملتها ما ذكر عليه اسم غير الله عبادة، ذكر ما ذبح على الحجارة التي كانوا ينصبونها للذبح عندها[٢] تدينا و إن لم يذكر[٣] اسم شيء عليها

١٠ [فقال - ٤]: ﴿ و ما ذبح على النصب ﴾ و هو واحد الأنصاب، و هي حجارة كانت حول الكعبة تنصب، فيهل عليها و يذبح عندها تقربا إليها و تعظيما لها ﴿ و ان تستقسموا ﴾ أي تطلبوا على ما قسم لكم ﴿ بالازلام ﴾ أي القداح التي لا ريش لها و لا نصل، واحدها بوزن قلم [و عمر - ٤] و كانت ثلاثة، على واحد: أمرني ربي، و على آخر:

١٥ نهاني ربي، و الآخر[٥] غفل، فان خرج الآمر فعل، أو الناهي ترك، أو الغفل أجيلت ثانية، فهو دخول[٦] في علم الغيب و افتراء على الله بادعاء أمره و نهيه، و إن أراد[٧] المنسوب إلى الصنم فهو الكفر الصريح[٨]، و قال

(١) في ظ : ما (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : لم تدرك (٤) زيد من ظ ، إلا أن فيه : عمرو (٥) من ظ ، و في الأصل : لاخر - كذا (٦) في ظ : ذاقول - كذا (٧) في الأصل : الافراد - كذا ، و سقط هذا اللفظ من ظ مع اللفظين بعده. (٨) في ظ : الصراح .

صاحب كتاب الزينة : يقال : إنه كانت عندهم سبعة قداح مستوية من شوحط[1] ، و كانت بيد السادن ، مكتوب عليها « نعم » ، « لا » ، « منكم » ، « من غيركم » ، « ملصق » ، « العقل » ، « فضل العقل » ، فكانوا إذا اختلفوا فى نسب الرجل جاءوا إلى[2] السادن بمائة درهم ، ثم قالوا للصنم : يا إلٰهنا ! قد تمارينا فى نسب فلان ، فأخرج علينا الحق فيه ، فتجال[3] القداح [4]فان خرج القدح[4] ٥ الذى عليه « منكم » كان أوسطهم نسبا ، و إن خرج [5] الذى عليه « من غيركم » كان حليفا ، و إن خرج « ملصق » كان على منزلته لا [5] نسب له و لا حلف ، و إذا أرادوا سفرا أو حاجة جاءوا بمائة فقالوا : يا إلٰهنا ! أردنا كذا ، فان خرج « نعم » فعلوا ، و إن خرج « لا » لم يفعلوا ، و إن[6] جنى أحدهم جناية ، فاختلفوا فيمن يحمل العقل جاءوا بمائة فقالوا : يا إلٰهنا ! ١٠ فلان جنى[7] عليه ، [أخرج الحق - [8]] ، فان خرج القدح الذى عليه « العقل » لزم من ضرب عليه و برئ الآخرون ، و إن خرج غيره كان على الآخرين العقل ، و كانوا إذا عقلوا[9] العقل ففضل الشيء منه تداروا فيمن يحمله ، فضربوا عليه ؛ فان خرج القدح الذى عليه « فضل العقل » / للذى ضرب عليه لزمه ، و إلا كان على الآخرين الذين لم يضرب عليهم ، ١٥ ٧/ فهذا الاستقسام الذى حرمه[10] الله لأنه يكون عند الأصنام و يطلبون

---

(١) و هو شجر تتخذ منه القسى ، و فى ظ : سواحط - كذا (٢) زيد بعده فى ظ : سارق (٣) فى ظ : لتحال (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : اذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : مجنى - كذا (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ : عقل (١٠) من ظ ، و فى الأصل : حرم .

ذلك منها، و يظنون[١] أن الذى أخرج لهم ذلك هو الصنم، و أما إجالة[٢] السهام لا على هذا الوجه فهو جائز، هو و تساهم[٣] و اقتراع[٤] لا استقسام[٤].
و[٥] قال أبو عبيدة: واحد الأزلام زلم - بفتح الزاء، و قال بعضهم بالضم[٦]، و هو القدح لا ريش له و لا نصل، فاذا كان مريشا فهو السهم - و الله
٥ أعلم؛ و يجوز أن يراد مع هذا ما كانوا يفعلونه فى الميسر - على ما مضى فى البقرة، فانه طلب معرفة ما قسم من الجزور، و يلتحق بالأول كل كهانة و تنجيم[٧]، و كل طيرة يتطيرها الناس الآن[٦] من التشاؤم ببعض الأيام و بعض الأماكن و الأحوال، فاياك أن تعرج على شيء من الطيرة، فتكون على شعبة جاهلية، ثم إياك!

١٠ و لما كانت هذه الأشياء شديدة الخبث أشار إلى تعظيم النهى عنها بأداة البعد و ميم الجمع فقال: ﴿ ذلكم ﴾ أى الذى ذكرت لكم تحريمه ﴿ فسق ﴾ أى فعله خروج من الدين.

و لما كانت هذه المنهيات معظم دين أهل الجاهلية، و كان سبحانه قد نهاهم قبلها عن[٨] إحلال شعائر الله و الشهر الحرام و قاصدى المسجد الحرام
١٥ [٩]بعد أن كان أباح لهم ذلك فى بعض الأحوال و الأوقات بقوله "و اخرجوهم من حيث اخرجوكم - و لا تقتلوهم عند المسجد الحرام[٩] حتى يقتلوكم فيه[١٠]"، "الشهر الحرام بالشهر الحرام[١١]"، "و اقتلوهم حيث

---

(١) فى ظ: يطلبون (٢) فى ظ: احاله (٣) فى ظ: تسليم (٤ - ٤) فى ظ: الاستقسام (٥) من ظ، و فى الأصل: قال (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ سخم (٨) من ظ، و فى الاصل: من (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(١٠) سورة ٢ آية ١٩١ (١١) سورة ٢ آية ١٩٣.

ثقفتموهم

تقفتموهم[1] " علم[2] أن الأمر بالكف عن انتهاز الفرص إنما هو للأمن[3] من الفوت، و ذلك لا يكون إلا[4] من[5] تمام القدرة، و هو لا يكون إلا بعد كمال الدين و إظهاره على كل دين - كما حصل به الوعد الصادق، و كذا الانتهاء عن جميع هذه المحارم إنما يكون لمن رسخ فى الدين قدمه، و تمكنت فيه عزائمه و هممه، فلا التفات له إلى غيره و لا همه إلى سواه، و لا مطمع ٥ لمخالفه فيه، فعقب[6] سبحانه النهى عن هذه المناهى كلها بقوله على سبيل النتيجة و التعليل: ﴿ اليوم ﴾ أى وقت[7] نزول هذه الآية ﴿ يئس الذين كفروا ﴾ أى لابسوا الكفر سواء كانوا راسخين فيه أو لا ﴿ من دينكم ﴾ أى لم يبق لكم و لا لأحد منكم عذر فى شيء من إظهار الموافقة لهم[4] أو التستر من أحد منهم، كما فعل حاطب بن أبى بلتعة رضى الله ١٠ عنه حين[4] كاتبهم ليحمى بذلك ذوى رحمه، لأن الله تعالى قد كثركم بعد القلة، و أعزكم بعد الذلة، و أحيى بكم منار الشرع، و طمس معالم [شرع - [8]] الجهل، و هدّ منار الضلال، فأنا أخبركم - و أنتم عالمون بسعة علمى - أن الكفار قد اضمحلت قواهم، و ماتت[9] هممهم، و ذلت نخوتهم، و ضعفت عزائمهم، فانقطع رجاؤهم عن أن يغلبوكم[10] أو يستميلوكم ١٥ إلى دينهم بنوع استمالة، فانهم رأوا دينكم قد قامت منائره، و علت فى المجامع منابره، و ضرب محرابه، و برّك[11] بقواعده و أركانه، و لهذا سبب

---

(١) سورة ٢ آية ١٩١ (٢) فى ظ : اعلم (٣) فى ظ : للابن (٤) سقط من ظ.
(٥) فى ظ : عن (٦) فى ظ : فعقبه (٧) من ظ، و فى الأصل « و » (٨) زيد من ظ (٩) من ظ، و فى الأصل : مات (١٠) فى ظ : يعلنوكم (١١) فى ظ : ترك.

عما مضى قوله: ﴿ فلا تخشوهم ﴾ أى أصلا ﴿ و اخشون[4] ﴾ أى و امحضوا الخشية لى وحدى، فان دينكم قد أكمل بدره، و جل عن المحاق محله و قدره، و رضى به الآمر، و مكنه على رغم أنف الأعداء. وهو قادر /[1]على ذلك[1]، [و ذلك -[2]] قوله تعالى مسوقا[3] مساق التعليل: ﴿ اليوم ٨/

٥ اكملت لكم دينكم ﴾ أى الذى أرسلت[4] إليكم به أكمل[5] خلق لتدينوا به و تدانوا، و إكماله بانزال كل ما يحتاج إليه من أصل و فرع، نصا على[6] البعض، و بيانا لطريق القياس فى الباقى، و ذلك بيان لجميع الأحكام، و أما قبل ذلك اليوم فهو و إن كان كاملا لكنه بغير هذا المعنى، بل إلى حين، ثم يزيد فيه سبحانه ما يشاء، فيكون به كاملا أيضا و أكمل مما مضى،

١٠ و هكذا إلى هذه النهاية، و كان هذا[7] هو المراد من قوله: ﴿ و اتممت عليكم نعمتى ﴾ أى التى قسمتها فى القدم من هذا الدين على لسان هذا الرسول، بأن جمعت عليه كلمة العرب الذين قضيت فى القدم باظهارهم على من ناواهم من جميع أهل الملل، ليظهر بهم الدين، و تنكسر شوكة المفسدين، من غير حاجة فى ذلك إلى غيرهم و إن كانوا بالنسبة إلى المخالفين كالشعرة

١٥ البيضاء فى جلد الثور[8] الأسود ﴿ و رضيت لكم الاسلام ﴾ أى الذى هو الشهادة لله بما شهد به لنفسه من الوحدانية التى لمن[7] يتبع الإذعان لها[9] الإذعان لكل طاعة ﴿ دينا[4] ﴾ تتجازون[10] به فيما بينكم، و يجازيكم به ربكم؛

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: لسوق - كذا (٤) من ظ، و فى الأصل: ارسلنا (٥) فى ظ: كل (٦) فى ظ: عن (٧) سقط من ظ (٨) من ظ، وفى الأصل: النور (٩) فى ظ: بها. (١٠) فى ظ: يتجاوزون.

روى البخارى فى المغازى وغيره، ومسلم فى آخر الكتاب، والترمذى فى التفسير، والنسائى فى الحج عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين! آية فى كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود [نزلت - [1]] لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، قال: [2]أى آية؟ قال[2]: "اليوم اكملت لكم دينكم" فقال عمر رضى الله عنه: قد[3] عرفنا ذلك اليوم ٥ والمكان الذى نزلت فيه على النبى صلى الله عليه وسلم، نزلت وهو قائم بعرفة يوم جمعة؛ وفى التفسير من البخارى عن طارق بن شهاب، قالت اليهود لعمر: إنكم تقرؤن آية لو نزلت فينا لاتخذناها[4] عيدا، فقال عمر: إنى لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت وأين[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم حين[5] أنزلت، وقال البغوى: قال ابن عباس رضى الله عنهما: كان ذلك ١٠ اليوم خمسة أعياد[6]: جمعة وعرفة وعيد اليهود وعيد النصارى والمجوس، ولم تجتمع[7] أعياد أهل الملل فى يوم قبله ولا بعده، قلت: ويوم الجمعة هو اليوم الذى أتم الله فيه خلق هذه الموجودات بخلق آدم عليه السلام بعد عصره، وهو حين نزول هذه الآية إن شاء الله تعالى، فكانت تلك الساعة من[8] ذلك اليوم تماما ابتداءه، وروى هارون بن[9] عنترة عن أبيه قال: لما ١٥ نزلت هذه الآية بكى عمر رضى الله عنه فقال له[3] النبى صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك يا عمر؟ فقال: أبكانى أنا كنا فى زيادة من ديننا، فاذا كمل

(١) زيد من ظ والمراجع الأربعة (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٣) سقط من ظ (٤) من صحيح البخارى، وفى الأصل: لاتخذنا، وفى ظ: لا تخذها (٥) فى ظ ونسخة من الصحيح: حيث (٦) زيدت الواو بعده فى ظ (٧) فى ظ: لم تجمع (٨) فى ظ: فى (٩) وقع فى ظ: عن - خطأ.

فانه لم يكمل شيء إلا نقص، قال: صدقت! فكانت هذه الآية نعى رسول الله صلى الله عليه و سلم، عاش بعدها إحدى و ثمانين يوما، و قد روى أنه كان هجّيرى[1] النبي صلى الله عليه و سلم يوم عرفة من العصر إلى الغروب " شهد الله انه لا اله الا هو[2] " - الآية، و كأن ذلك كان ٥ جوابا[3] منه صلى الله عليه و سلم لهذه الآية، لفهمه صلى الله عليه و سلم أن إنزال [آية -[4]] عمران سر الإسلام و أعظمه و أكمله، و هذه الآية من المعجزات، لأنها إخبار بمغيب صدقها فيه الواقع.

و لما تمت هذه الجمل[5] الاعتراضية التى صار [ما -[4]] بينها و بين / ما قبلها و[6] ما بعدها باحكام الرصف و إتقان[7] الربط من الامتزاج أشد ١٠ مما بين الروح و الجسد، المشيرة إلى أن هذه المحرمات هى التى تحقق بها أهل الكفر كمال المخالفة، فأيسوا معها من المواصلة و المؤالفة؛ رجع [إلى -[4]] تتمات لتلك المحظورات، فقال مسببا عن الرضى بالإسلام الذى هو الحنيفية السمحة المحرمة لهذه الخبائث لإضرارها بالبدن و الدين: ﴿فمن اضطر﴾ أى ألجئ إلجاء عظيما - من أى شيء كان - إلى تناول شيء مما مضى أنه حرم، ١٥ بحيث[8] لا يمكنه [معه -[4]] الكف عنه ﴿فى مخمصة﴾ أى مجاعة [عظيمة -[4]] ﴿غير متجانف﴾ أى متعمد ميــلا ﴿ لاثم[9] ﴾ أى بالأكل على غير[3] سد الرمق، أو بالبغى على مضطر آخر بنوع مكر أو العدو عليه

/٩

(١) من ظ، أى دأبه و شأنه صلى الله عليه و سلم، و فى الأصل: يتحرى - كذا.
(٢) سورة ٣ آية ١٨ (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: الجملة (٦) زيد بعده فى ظ: بين (٧) فى ظ: ايثاق (٨) من ظ، و فى الأصل: اى.

بضرب

بضرب قهر، و زاد بعد هذا التقييد[1] تخويفا بقوله: ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله[2] ﴿ غفور رحيم ﴾ أى يمحو عنه إثم ارتكابه للنهى و لايعاقبه عليه [و لا يعاتبه - [3]] و يكرمه، بأن يوسع عليه من فضله، و [4]لا يضطره مرة[4] أخرى - إلى غير ذلك من الإكرام و ضروب الإنعام.

٥ و لما تقدم إحلال الصيد و تحريم الميتة، و ختم ذلك بهذه الرخصة، و كان النبي[5] صلى الله عليه و سلم قد أمر بقتل الكلاب، و كان الصيد ربما مات فى يد الجارح قبل إدراك ذكاته، سأل بعضهم عما يحل من الكلاب، و بعضهم عما يحل من ميتة الصيد إحلالا مطلقا لا بقيد الرخصة، إذ[6] كان الحال يقتضى هذا السؤال؛ روى الواحدى فى أسباب النزول بسنده

١٠ عن أبى رافع رضى الله عنه قال: أمرنى رسول الله صلى الله عليه و سلم بقتل الكلاب، فقال الناس: يا رسول الله! ما أحل لنا من هذه الأمة التى أمرت بقتلها؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ يسئلونك ﴾.

و لما كان هذا إخبارا[7] عن غائب قال: ﴿ ما ذآ احل لهم ﴾ دون «لنا»، قال الواحدى: [8]أى من إمساك الكلاب و أكل الصيود

١٥ و غيرها[8]، أى من المطاعم، ثم قال الواحدى: رواه الحاكم أبو عبد الله فى صحيحه، و ذكر المفسرون شرح هذه القصة، قال: قال أبو رافع رضى الله عنه: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه و سلم فاستأذن عليه، فأذن له فلم يدخل، فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: قد أذنا

(١) فى ظ: القيد (٢) من ظ، و فى الأصل: لملكه (٣) زيد من ظ.
(٤-٤) فى ظ: يضرمن (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: اذا (٧) فى ظ: اخبار.
(٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ.

لك ! قال : أجل يا رسول الله ! و لكنا لا ندخل بيتا فيه صورة و لا كلب ، فنظر فاذا فى بعض بيوتهم جرو[1] ، قال أبو رافع : فأمرنى أن لا أدع بالمدينة كلبا إلا قتلته ، حتى بلغت العوالى فاذا امرأة عندها كلب يحرسها فرحمتها فتركته ، فأتيت النبى صلى الله عليه و سلم فأمرنى بقتله ، فرجعت إلى الكلب ٥ فقتلته ، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بأمر الكلاب جاء أناس[2] فقالوا : يا رسول الله ! ما ذا يحل لنا من هذه الأمة التى أمرت بقتلها ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه و سلم فأنزل الله هذه الآية ، فلما نزلت أذن رسول الله صلى الله عليه و سلم فى اقتناء الكلاب التى ينتفع[3] بها ، و نهى عن إمساك ما لا نفع فيه ، و أمر بقتل الكلاب [4] الكلِب و[4] العقور ١٠ و ما يضر و يؤذى ، و رفع القتل عما سواها مما لا ضرر فيه ، و قال سعيد ابن جبير : نزلت هذه الآية فى عدى[5] بن حاتم و زيد بن المهلهل الطائيين رضى الله عنهما ، و هو زيد الخيل الذى سماه / رسول الله صلى الله عليه و سلم زيد الخير ، و ذلك أنهما جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالا[6] : يا رسول الله ! إنا قوم نصيد بالكلاب و البزاة ، و إن كلاب ١٥ [7]آل درع[7] و آل أبى حورية[8] تأخذ البقر و الحمر و الظباء و الضب ، فمنه [9]ما ندرك[9] ذكاته ، و منه ما[10] [يقتل -[11]] فلا ندرك[12] ذكاته ، و قد حرم الله

/١٠

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) فى ظ : الناس (٣) فى ظ : تنتفع (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : فقالوا (٧-٧) فى ظ : الزرع (٨) من البحر المحيط ٣ / ٤٢٨ ، و فى الأصل و ظ : ابى جويرية (٩-٩) فى ظ : من يدرك (١٠) فى ظ : من (١١) زيد من ظ و البحر المحيط (١٢) من ظ و البحر ، و فى الأصل : لاندرك .

الميتة ، فما ذا يحل لنا منها ؟ فنزلت : " يسئلونك " ـ الآية " الطيبات " يعني الذبائح ، و " الجوارح " الكواسب من الكلاب و سباع الطير - انتهى . فاذا أريد كون الكلام[١] على وجه يعم قيل : ﴿ قل ﴾ لهم في جواب من سأل ﴿احل﴾ [و بناه للمفعول طبق سؤالهم و لأن المقصود لا كونه من معين -[٢]] ﴿لكم الطيبٰت﴾ أي الكاملة الطيب، فلا خبث ٥ فيها بنوع تحريم و لا تقذر[٣]، من ذوي الطباع السليمة[٤] مما لم يرد[٥] به نص و لا صح فيه قياس ، و هذا يشمل كل ما ذبح و هو مأذون في ذبحه مما كانوا يحرمونه على أنفسهم من السائبة و ما معها ، و كل ما أذن فيه من غير ذبح كحيوان البحر[٦] و ما أذن [٧]فيه من[٧] غير انطاعم[٨] ﴿ و ما ﴾ و هو على حذف مضاف للعلم به، فالمعنى : و صيد[٩] ما ﴿علمتم ١٠ من الجوارح﴾ أي[٦] التي من شأنها أن تجرح ، أو تكون[١٠] سببا للجرح و هو الذبح ، أو من الجرح بمعنى الكسب " و يعلم ما جرحتم بالنهار[١١] " و هو كواسب الصيد من[١٢] السباع و الطير ، فأحل إمساكها للقنية و صيدها و شرط فيه التعليم ، قال الشافعي : و الكلب لا يصير معلما إلا عند أمور : إذا أشلي استشلى ، و إذا زجر انزجر و حبس و لم يأكل ، و إذا دعي أجاب، ١٥ و إذا أراده لم يفر منه ، فاذا فعل ذلك مرات فهو معلم ، و لم يذكر حدا

---

(١) في ظ : الكلاب ـ كذا (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : بقدر (٤) في ظ : السليم (٥) من ظ ، و في الأصل : لا يرد (٦) سقط من ظ (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) في ظ : الطامع (٩) زيدت الواو بعده في ظ (١٠) في ظ : يكون (١١) سورة ٦ آية ٦٠ (١٢) من ظ ، و في الأصل « و » .

لأن الاسم إذا لم يكن معلوما من نص و لا إجماع وجب الرجوع فيه إلى العرف[1] ، و بنى الحال من الكلاب و إن كان المراد العموم ، لأن التأديب فيها أكثر فقال : ﴿ مكلبين ﴾ أى حال كونكم متكلفين تعليم [هذه -[2]] الكواسب و مبالغين فى ذلك ، قالوا : و فائدة هذه الحال ٥ [3]أن يكون المعلم[3] نحريرا فى علمه[4] موصوفا به ، و أكد ذلك بحال أخرى أو استئناف فقال : ﴿ تعلمونهن ﴾ وحوشا كن أو طيورا ﴿ مما علمكم الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال من علم التكليب ، فأفاد ذلك أن[5] على كل طالب لشىء أن [6]لا يأخذه[6] إلا من أجلّ العلماء به و أشدهم دراية له و أغوصهم على لطائفه و حقائقه و إن احتاج إلى أن يضرب إليه[5] أكباد الإبل ، فكم ١٠ من آخذ من غير متقن قد ضيع أيامه ، و عض عند لقاء النحارير إبهامه ! [ثم -[2]] سبب عن ذلك قوله : ﴿ فكلوا[7] ﴾ .

و لما كان فى الصيد من العظم و غيره ما لا يؤكل قال : ﴿ مما امسكن ﴾ أى الجوارح مستقرا[8] إمساكها ﴿ عليكم ﴾ أى على تعليمكم ، لا على جبلتها و طبيعتها دون تعليمكم ، و ذلك هو الذى لم يأكلن منه ١٥ و إن مات قبل إدراك ذكاته ، و أما ما أمسك الجارح على أيّ مستقرا[8] على جبلته و طبعه ، ناظرا فيه إلى نفاسة نفسه[5] فلا يحل ﴿ و اذكروا اسم الله ﴾ أى الذى له كل شىء و لا كفوء له ﴿ عليه ﴾ أى [على -[2]] ما أمسكن عند إرسال الجارح أو عند الذبح إن أدركت ذكاته ، لتخالفوا سنة الجاهلية

(١) فى ظ : الخوف (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : مسله - كذا (٥) سقط من ظ (٦-٦) من ظ ، و فى الأصل : يأخذه (٧) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : كلوا (٨) فى ظ : مستقر .

و تأخذوه من مالكه ، و قد صارت نسبة هذه الجملة - كما ترى - إلى "حرمت عليكم الميتة" نسبة[1] المستثنى إلى المستثنى منه، و إلى مفهوم "غير محلى الصيد و انتم حرم" نسبة الشرح .

و لما كان تعليم الجوارح أمرا خارجا عن العادة [2]فى نفسه و إن كان قد كثر ، حتى صار / مألوفا ، وكان الصيد بها أمرا تُعجب شرعتُه ٥ /١١ و تهز النفوس كيفيتُه ، ختم الآية بما هو خارج عن عادة البشر[2] و طرقها[3] من سرعة الحساب و لطف العلم بمقدار الاستحقاق من الثواب و العقاب ، فقال محذرا من إهمال شيء مما رسمه : ﴿ و اتقوا ﴾ أى حاسبوا أنفسكم و اتقوا ﴿ الله ﴾ أى عالم الغيب و الشهادة القادر على كل شيء فيما أدركتم ذكاته و ما لم تدركوها ، و ما أمسكه الجارح عليكم و ما أمسكه ١٠ على نفسه - إلى غير ذلك من أمور الصيد التى لا يقف عندها إلا من غلبت عليه مهابة الله و استشعر خوفه ، فاتقاه فيما أحل و ما حرم ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الجامع لمجامع العظمة ﴿ سريع الحساب ﴾ أى عالم بكل شيء و قادر عليه فى كل وقت ، فهو قادر على كل جزاء[4] يريده ، لا يشغله أحد عن أحد و لا شأن عن شأن . ١٥

و لما كان قد تقدم النهى عن نكاح المشركات ، و المنافرة لجميع أصناف[5] الكفار ، و بيان بغضهم و عداوتهم ، و الحث على طردهم و منابذتهم "هاانتم اولاء تحبونهم[6]" و نحوها لضعف[7] الأمر إذ ذاك و شدة الحاجة إلى

(١) من ظ ، و فى الأصل : نسبته (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : طروقها (٤) فى ظ : خيرا (٥) سقط من ظ (٦) سورة ٣ آية ١١٩ (٧) فى ظ : الضعف .

إظهار الفظاظة[1] و الغلظة لهم لتعظيم دين الله، حتى كانت خلطتهم من أمارات النفاق - كما سيأتى فى كثير من آيات هذه السورة، و كان [الدين -[2]] وصل عند نزولها من العظمة إلى حد لا يحتاج فيه إلى تعظيم معظم، وكانت مخالطة أهل الكتاب لا بد منها عند فتوح البلاد التى ٥ وعد الصادق بها، و سبق فى الأزل علمها، فكانت[3] الفتنة فى مخالطتهم قد صارت فى حد الأمن[4]؛ وسّع الأمر بحل طعامهم و نسائهم، فقال تعالى مكررا ذكر الوقت الذى أنزل فيه هذه الآيات، تنبيها على عظم النعمة فيه بتذكر ما هم فيه من الكثرة و الأمن و الجمع و الألفة، و تذكر ما كانوا فيه قبل ذلك من القلة و الخوف و الفرقة، فقال معيدا لصدر ١٠ الآية التى قبلها إعلاما بعظم النعمة فيه[5]، و مفيدا بذكر وقت الإحلال أنه إحلال مقصود به الثبات، لكونه يوم إتمام النعمة فهو غير الأول: ﴿ اليوم ﴾ .

و لما كان القصد إنما هو الحل، لا كونه من محل[6] معين، مع أن المخاطبين بهذه الآيات يعلمون أنه لا محل إلا الله، بنى الفعل[7] للمجهول ١٥ [فقال -[2]]: ﴿ احل ﴾ أى ثبت الإحلال فلا ينسخ أبدا ﴿ لكم ﴾ أى أيها المؤمنون ﴿ الطيبٰت ﴾ أى التى تقدم فى البقرة وصفها بالحل لزوال الإثم و ملاءمة الطبع، فهى الكاملة فى الطيب .

(١) فى ظ : الفاظه - كذا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل : و كانت. (٤) زيد بعده فى الأصل : من، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : حل (٧) من ظ، و فى الأصل : المفعول .

و لما كانت الطيبات أعم من المآكل قال: ﴿ و طعام الذين ﴾ و لما كان سبب الحل الكتاب، و لم يتعلق بذكر مؤتيه غرض، بنى الفعل للجهول فقال: ﴿ اوتوا الكتب ﴾ [أى - [1]] مما يصنعونه أو يذبحونه، و عبر بالطعام الشامل لما ذبح و غيره و إن كان المقصود المذبوح، [2]لا غيره[2]، و لا يختلف حاله من كتابى و لا غيره تصريحا بالمقصود ٥ ﴿ حل لكم [3] ص ﴾ أى تناوله لحاجتكم، أى مخالطتهم للإذن فى إقرارهم على دينهم بالجزية؛ و لما كان هذا مشعرا بابقائهم[4] على ما اختاروا لأنفسهم زاده تأكيدا بقوله: ﴿ و طعامكم حل لهم ز ﴾ أى فلا عليكم فى بذله لهم و لا عليهم فى تناوله.

و لما كانت الطيبات أعم من المطاعم[5] و غيرها، و كانت الحاجة ١٠ إلى المناكح بعد الحاجة إلى المطاعم، و كانت المطاعم حلالا من الجانبين و المناكح من جانب واحد/ قال: ﴿ و المحصنت ﴾ أى[6] الحرائر /١٢ ﴿ من المؤمنت ﴾ ثم أكد الإشارة إلى إقرار أهل الكتاب فقال: ﴿ و المحصنت ﴾ أى الحرائر ﴿ من الذين اوتوا الكتب ﴾ و بنى الفعل للفعول للعلم بمؤتيه مع أنه لم يتعلق بالتصريح به غرض[7]. ١٥

و لما كان إيتاؤهم الكتاب لم يستغرق[8] الزمن الماضى، أثبت الجار فقال: ﴿ من قبلكم ﴾ أى و هم اليهود و النصارى، و عبر عن العقد بالصداق

---

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) فى ظ: لأن (٣) زيد من ظ و القرآن الكريم.
(٤) من ظ، و فى الأصل: باتقائهم (٥) زيد بعده فى ظ: و كانت المطاعم.
(٦) زيد بعده فى ظ: من (٧) فى ظ: عوض (٨) فى ظ: يستغرق.

للابسة فقال مخرجا للأمة لأنها لاتعطى الأجر و هو الصداق[١]، لأنها لاتملكه بل يعطاه[٢] سيدها : ﴿اذا آتيتموهن اجورهن﴾ أى عقدتم لهن[٣]، و دل مساق الشرط على تأكد وجوب الصداق ، و أن من تزوج و عزم على عدم الإعطاء ، كان فى صورة الزانى ، و ورد فيه حديث ، و تسميته ٥ بالأجر تدل[٤] على أنه لا حد لأقله .

و لما كان المراد بالأجر المهر ، و كان فى اللغة يطلق على ما يعطاه[٥] الزانية أيضا ، بينه بقوله : ﴿محصنين﴾ أى قاصدين الإعفاف و العفاف ﴿غير مسفحين﴾ أى قاصدين صب الماء لمجرد الشهوة جهارا ﴿و لا متخذى اخدان﴾ أى صدائق لذلك فى السر ، جمع خدن ، ١٠ و هو يقع على الذكر و الأنثى ، فكانت هذه الآية مخصصة لقوله تعالى "و لا تنكحوا المشركت حتى يومن[٦]" فبقى على التحريم مما تضمنته تلك ماعدا الكتابيات من الوثنيات و غيرهن من جميع المشركات حتى المنتقلة من الكتابيات من دينها إلى غير دين الإسلام ، و صرح هنا[٧] بالمؤمنات المقتضى لهن قوله تعالى فى النساء "و احل لكم ما وراء ذلكم[٨]" و قوله ١٥ "[٩] و من[٩] لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنت المؤمنت" ، و لعل

---

(١) العبارة من هنا إلى « يعطاه سيدها » تكررت فى ظ بعد « وجوب الصداق » (٢) فى ظ : يعطاها (٣) فى ظ : بهن (٤) فى ظ : يدل (٥) من ظ ، و فى الأصل : تعطاه (٦) سورة ٢ آية ٢٢١ (٧) فى ظ : هناك (٨) من ظ و القرآن الكريم ـ آية ٢٤ ، و فى الأصل : ذلك (٩-٩) من القرآن الكريم ـ آية ٢٥ . و فى الأصل وظ : فن .

ذكر

ذكر وصف الإحصان الواقع على العفة للتنبيه على أنه لا يقصد المتصفة بغيره لمجرد الشهوة إلا من سلب[1] الصفات البشرية، و أخلد إلى مجرد الحيوانية، فصار فى عداد البهائم، بل أدنى، مع أن التعليق بذلك الوصف لا يفهم الحرمة عند فقده، بل الحل من باب الأولى، لأن من حكم مشروعية النكاح الإعفاف، فاذا شرع إعفاف العفائف كان شرع إعفاف غيرهن ٥ أولى، لأن زناها إما لشهوة أو حاجة[2]، وكلاهما للنكاح مدخل عظيم فى نفيه - و الله أعلم.

و لما كان السر فى النهى عن نكاح المشركات فى الأصل ما يخشى من الفتنة، وكانت الفتنة - و إن علا الدين و رسخ الإيمان و التمين - لم تنزل عن درجة الإمكان، وكانت الصلاة تسمى إيمانا لأنها من أعظم ١٠ شرائعه "و ما كان الله ليضيع ايمانكم[3]" أى صلاتكم، و روى الطبرانى فى الأوسط عن عبد الله بن قرط رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فان صلحت صلح سائر عمله، و إن فسدت فسد سائر عمله، و له فى الأوسط أيضا بسند ضعيف عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله ١٥ عليه و سلم: أول ما يحاسب به العبد[4] يوم القيامة ينظر فى صلاته، فان صلحت فقد أفلح، و إن فسدت فقد خاب و خسر. و كانت مخالطة الأزواج مظنة للتكاسل عنها، و لهذا أنزلت آية/ "حفظوا على الصلوٰت[5]" ١٣ /

(١) فى ظ: سبب (٢) من ظ، و فى الأصل: اباحة (٣) سورة ٢ آية ١٤٣.
(٤) سقط من ظ (٥) سورة ٢ آية ٢٣٨.

كما[1] مضى بالمحل الذى هى[2] به؛ لما كان ذلك كذلك ختمت هذه
الآية بقوله تعالى منفرا من نكاحهن بعد إحلاله، إشارة إلى أن الورع
ابتعد[3] عنه، امتثالا للآيات الناهية عن موادة المحاد لئلا يحصل ميل
فيدعو إلى المتابعة، أو يحصل ولد، فتستميله[4] لدينها: ﴿ ومن ﴾ أى
٥ أحل لكم ذلك و الحال أنه من ﴿ يكفر ﴾ أى يوجد و يجدد الكفر
على وجه طمأنينة القلب به[2] و الاستمرار عليه إلى الموت ﴿ بالايمان ﴾
أى بسبب التصديق القلبى بكل ما جاءت به الرسل و أنزلت به الكتب،
الذى منه حل الكتابيات، [5]فيدعوه ذلك[5] إلى نكاحهن، فتحمله الخلطة
على اتباع دينهن، فيكفر بسبب ذلك التصديق فيكفر[6] بالصلاة التى
١٠ يلزم[7] من[8] الكفر بها الكفر[9] به، فاطلاقه عليها[10] تعظيم لها " و ما كان الله
ليضيع ايمانكم[11] " أى صلاتكم ﴿ فقد حبط ﴾ أى فسد ﴿ عمله ﴾ أى
إذا اتصل ذلك بالموت بدليل قوله: ﴿ و هو فى الأخرة من الخسرين ﴾
و الآية من أدلة إمامنا الشافعى على استعمال اللفظ الواحد فى حقيقته
و مجازه، فحيث قصد التحذير من الكفر حقيقة [فالإيمان حقيقة - [12]]،
١٥ و حيث أريد الترهيب من إضاعة الصلاة فهو مجاز، و مما يؤيد[13] ذلك
أن فى السفر الثانى من التوراة: لا تعاهدن[14] سكان الأرض لكيلا تضلوا

(١) من ظ، و فى الأصل: لما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: ابدع (٤) فى ظ: فتستجليه (٥-٥) فى ظ: فيدعوا بذلك (٦) فى ظ: و يكفر (٧) فى ظ: لم يلزم. (٨) من ظ، و فى الأصل: فى (٩) تكرر فى ظ (١٠) من ظ، و فى الأصل: عليه (١١) سورة ٢ آية ١٤٣ (١٢) زيد من ظ (١٣) فى ظ: يوكد (١٤) من نص التوراة، و فى الأصل و ظ: لا تعاهدون.

بأوثانهم، و تذبحوا لآلهتهم، أو يدعوك فتأكل من ذبائحهم، و تزوج بنيك[١] من بناتهم و بناتك من بنيهم، فتضل[٢] بناتك خلف آلهتهم[٣] و يضل بنوك بآلهتهم؛ و قال فى الخامس منها: و إذا أدخلكم الله ربنا الأرض التى تدخلونها لترثوها، و أهلك[٤] شعوبا كثيرة من بين أيديكم: حتانيين و جرجسانيين[٥] و أمورانيين و كنعانيين [و فرزانيين - [٦]] و حاوانيين ٥ و يابسانيين - سبعة[٧] شعوب أكثر و أقوى منكم، و يدفعهم الله ربكم فى أيديكم فاضربوهم و اقتلوهم و انفوهم و حرموهم، و لا تعاهدوهم عهدا[٨] و لا ترحموهم، و تحاشوهم[٩] و لا تزوجوا بناتكم من بنيهم، [و لا تزوجوا بنيكم من بناتهم - [١٠]] لئلا يغوين بنيكم عن عبادتى، و يخدعنهم فيعبدوا آلهة أخرى، و يشتد غضب الرب عليكم و يهلككم سريعا، و لكن اصنعوا بهم ١٠ هذا الصنيع: استأصلوا مذابحهم، و[١١]كسروا أنصابهم[١١]، و حطموا أصنامهم المصبوغة، و أحرقوا أوثانهم المنحوتة، لأنكم شعب طاهر لله ربكم - انتهى.

و إذا تأملت [جميع - [١٢]] ذلك، و أمعنت[١٣] فيه النظر لاح لك سرّ تعقيبها بقوله تعالى فى سياق مشير إلى البشارة بأن هذه الأمة تطيع و لا تعصى فتؤمن و لا تكفر، لما خص به كتابها من البيان الأتم فى النظم المعجز ١٥

---

(١) فى ظ: ابنك (٢) فى ظ: فيضل (٣) فى ظ: الهم (٤) من ظ، و فى الأصل: اهل (٥) من ظ و التوراة، و فى الأصل: جرسنانيين (٦) زيد من نص التوراة (٧) من ظ و التوراة، و فى الأصل: شعبة (٨) فى ظ: عبدا (٩) فى ظ: تحاسوهم (١٠) زيد من ظ و التوراة (١١-١١) فى ظ: نشروا الصبائهم- كذا (١٢) زيد من ظ (١٣) من ظ، و فى الأصل: معنت

مع[1] شرف التذكير بما أفاضه من [شرف-[2]] جليل الأيادي، فافتتح هذه السورة بالأمر بالوفاء بحق الربوبية، و أتبعه التذكير بما وفى به سبحانه من حق الربوبية من نوع المنافع فى لذة المطعم و توابعه و لذة المنكح و توابعه، و قدم المطعم لأن الحاجة إليه فوق الحاجة إلى ٥ المنكح، فلما أتم ما ألزمه نفسه الأقدس من عهد الربوبية فضلا منه، أتبعه الأمر بالوفاء بعهد العبودية، و قدم منه[3] الصلاة لأنها أشرفه بعد الإيمان، و قدم الوضوء لأنه شرطها فقال: ﴿ يٰٓايها الذين ءامنوآ ﴾ أى أقروا به[3] صدقوه [بأنكم-[2]] ﴿ اذا ﴾ عبر بأداة التحقيق [بشارة-[2]] بأن الأمة مطيعة ﴿ قمتم ﴾ / أى بالقوة، و هى العزم الثابت على القيام ١٤ / ١٠ الذى هو سبب القيام ﴿ الى الصلوٰة ﴾ أى جنسها محدثين، لما بينه النبى صلى الله عليه و سلم بجمعه[4] بعده [صلوات بوضوء واحد و إن كان التجديد أكمل، و خصت الصلاة و مس المصحف من بين الأعمال بالأمر بالوضوء تشريفا لهما-[2]] و يزيد حمل[3] الإيمان على الصلاة حسنا تقدمُ قوله تعالى "اليوم اكملت لكم دينكم" الثابت أنها نزلت على النبى ١٥ صلى الله عليه و سلم بعد عصر يوم عرفة و النبى صلى الله عليه و سلم على ناقته يخطب، و كان من خطبته فى ذلك الوقت أو[5] فى يوم النحر أو[5] فى كليهما: ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب[3]، و لكن فى التحريش بينهم - رواه أحمد و مسلم فى صفة القيامة

---

(١) فى ظ: من (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: بجميعه (٥) من ظ، و فى الأصل «و».

و الترمذى

و الترمذى عن جابر رضى الله عنه ، فقوله « المصلون » إشارة إلى أن الماحى للشرك هو الصلاة ، فما دامت قائمة فهو زائل ، و متى زالت - و العياذ بالله - رجع ، و إلى ذلك يشير ما رواه مسلم فى صحيحه و أصحاب السنن الأربعة عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: بين العبد و الكفر ترك الصلاة ، و للأربعة و ابن حبان فى صحيحه و الحاكم ٥ عن بريدة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : الذى[1] بيننا و بينهم الصلاة ، فمن تركها فقد[1] كفر[2] ، و لأبى يعلى بسند ضعيف عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن أول ما افترض الله على الناس من دينهم الصلاة ، و آخر ما يبقى الصلاة .

و لما كان الوضوء فى سورة النساء إنما هو على سبيل الإشارة ١٠ إجمالا ، صرح به هنا على سبيل الأمر و فصله ، فقال مجيبا للشرط إعلاما بان الأمر بالوضوء تبع للأمر بالصلاة ، لأن[3] المعلق على الشيء بحرف الشرط يعدم عند عدم الشرط : ﴿ فاغسلوا ﴾ أى لأجل إرادة الصلاة ، و من هنا يعلم[4] وجوب النية ، لأن فعل العاقل لا يكون إلا مقصودا ، و فعل المأمور به لأجل الأمر هو النية ﴿ وجوهكم ﴾ [5]و حدّ الوجه ١٥ منابت شعر الرأس و منتهى الذقن طولا و ما بين الأذنين عرضا ، و ليس منه داخل العين و إن كان مأخوذا من المواجهة ، لأنه من الحرج ،

---

(١) سقط من ظ (٢) تكرر بعده فى ظ : فمن تركها فقد كفر (٣) من ظ ، و فى الأصل : لا (٤) من ظ ، و فى الأصل : تعلم (٥) العبارة من هنا إلى « الخفيف فيجب » تأخرت فى الأصل عن « ملتقى العظمين » .

و كذا إيصال الماء إلى البشرة إذا كثفت اللحية خفف للحرج و اكتفى عنه[1] بظاهر اللحية ، و أما العنفقة و نحوها من الشعر الخفيف فيجب ﴿و ايديكم﴾.

و لما كانت اليد تطلق على ما بين المنكب و رؤس الأصابع ، قال مبينا أن ابتداء الغسل يكون من الكفين ، لأنهما لعظم النفع أولى بالاسم : ﴿ الى المرافق﴾ أى آخرها ، أخذا من بيان النبي صلى الله عليه و سلم بفعله ، فانه كان يدير الماء على مرفقيه ، و إنما كان[2] الاعتماد على[2] البيان لأن الغاية تارة تدخل كقوله[3] تعالى "من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى[4]" و تارة لا تدخل كقوله[3] تعالى "ثم اتموا الصيام الى اليل[5]" و المرفق ملتقى العظمين ، و عفى عما فوق ذلك تخفيفا ﴿ و امسحوا ﴾ و لما عدل عن تعدية الفعل إلى الرأس ، فلم يفعل كما فعل فى الغسل مع الوجه ، بل أتى بالباء فقال : ﴿ برءوسكم ﴾ علم أن المراد إيجاد ما يسمى مسحا فى أى موضع كان من الرأس ، دون خصوص التعميم و هو معنى قول الكشاف : المراد إلصاق المسح بالرأس ، و ماسح بعضه و مستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح .

و لما كان غسل الرجل مظنة الإسراف فكان مأمورا بالاقتصاد فيه ، و كان المسح على الخف سائغا كافيا ، قرئ : ﴿ و ارجلكم ﴾ بالجر على المجاورة[6] إشارة إلى ذلك [أو لأن الغاسل يدلك فى الأغلب ،

---

(١) سقط من ظ (٢ - ٢) فى ظ : على اعتماد (٣) فى ظ : لقوله (٤) سورة ١٧ آية ١ (٥) سورة ٢ آية ١٨٧ (٦) فى ظ : المجاوزة .

قال فى القاموس : المسح كالمنع : إمرار اليد على الشيء السائل . فيكون فى ذلك إشارة أيضا إلى استحباب الدلك ، و القرينة الدالة على استعمال هذا المشترك فى أحد المعنيين قراءة النصب و بيان النبي صلى الله عليه و سلم ، و مر استعماله فيه -[1]] و [فيه الإشارة إلى الرفق -[1]] بالنصب على الأصل . ٥

/ و لما كانت الرجل من موضع الانشعاب[2] من الأسفل إلى آخرها، /١٥ خص بقوله دالا بالغاية على أن المراد الغسل - كما مضى فى المرافق ، لأن المسح[3] لم يرد فيه غاية فى الشريعة ، و[4] على [أن -[1]] ابتداء الغسل يكون من رؤس الأصابع ، لأن القدم بعظم[5] نفعه أولى باسم الرجل: ﴿ الى[6] الكعبين[6] ﴾ و هما العظمان الناتيان عند مفصل الساق و القدم ، ١٠ و ثنى إشارة إلى أن لكل رجل كعبين ، و لو قيل : إلى الكعاب ، لفهم أن الواجب كعب واحد من كل رجل - كما ذكره الزركشى فى مقابلة الجمع بالجمع من حرف الميم من قواعده ، و الفصل بالمسح بين[4] المغسولات معلم بوجوب الترتيب ، لأن عادة العرب - كما نقله الشيخ محيي الدين النووى فى شرح المهذب عن الأصحاب - أنها لا تفعل ذلك إلا للاعلام بالترتيب ، و قال ١٥ غيره معللا لما ألزمته العرب : ترك التميز بين النوعين بذكر كل منهما على حدته مستهجن[7] فى الكلام البليغ لغير فائدة ، فوجب تنزيه كلام الله

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : اشعاب (٣) فى ظ : المراد .
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : العظم (٦) زيد من ظ و القرآن الكريم (٧) فى ظ : مهجين - كذا .

عنه أيضا ، فدلالة الآية على وجوب البداءة بالوجه مما لا مدفع له لترتيبها
له[١] بالحرامة على الشرط بالفاء[١] ، و ذلك مقتض لوجوب الترتيب فى الباقى
إذ لا قائل بالوجوب بالبعض دون البعض ، و لعل تكرير الأمر بالغسل
و التيمم للاهتمام بهما ، و للتذكير[٢] بالنعمة فى التوسعة بالتيمم ، و أن
٥ حكمه باق عند أمنهم و سعتهم كراهة أن يظن[٣] أنه إنما كان عند خوفهم
و قلتهم و ضيق التبسط[٤] فى الأرض ، لظهور الكفار و غلبتهم ، كما كانت
المتعة تباح تارة و تمنع أخرى نظرا إلى الحاجة و فقدها ، و للاشارة إلى
أنه من خصائص هذه الأمة ، و الإعلام بأنه لم يُرِد به و لا بشىء من
المأمورات و المنهيات قبله الحرجَ ، و إنما أراد طهارة الباطن و الظاهر من
١٠ أدناس الذنوب و أوضار الخلائق السالفة[٥] ، فقال تعالى معبرا بأداة الشك
إشارة إلى أنه قد يقع و [٦]قد لا يقع[٦] و هو نادر[٧] على تقدير[٨] وقوعه ،
عاطفا على ما تقديره : هذا إن كنتم محدثين حدثا أصغر: ﴿ و ان كنتم ﴾
[٩]أى حال القصد للصلاة ﴿ جنبا ﴾ أى ممنين باحتلام أو غيره ﴿ فاطهروا[٩] ﴾
أى بالغسل إن كنتم خالين عن عذر لجميع البدن ، لأنه أطلق و لم يخص
١٥ بعض الأعضاء كما فى الوضوء .

و لما أتم أمر الطهارة عزيمـــة بالماء من الغسل و الوضوء ، و بدأ
بالوضوء لعمومه ، ذكر الطهارة رخصة بالتراب ، فقال معبرا بأداة الشك
إشارة إلى أن الرخاء أكثر من الشدة : ﴿ و ان كنتم[٩] مرضىً ﴾ أى

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : التذكير (٣) فى ظ : تظن (٤) فى ظ : البسط .
(٥) فى ظ : السافلة (٦-٦) فى ظ : قد يقع (٧) فى ظ : قادر (٨) فى ظ : تقديره ،
و العبارة من بعده إلى «ما تقديره» ساقطة منه (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

بجراح

بجراح أو غيره ، فلم تجدوا ماء حسا أو[1] معنى بعدم القدرة على استعماله وأنتم جنب[2] ﴿ او على سفر ﴾ طويل أو قصير كذلك ، [ولما ذكر الأكبر أتبعه الأصغر فقال - [3]] : ﴿ او جآء احد منكم ﴾ وهو غير جنب ﴿ من الغآئط ﴾ أى الموضع المطمئن من الأرض وهو [أىّ - [3]] مكان التخلى ، أى قضيتم حاجة الإنسان التى لا بد له[4] منها ، وينزه الكتاب ٥ عن التصريح بها لأنها من النقائص المذكِّرة[5] له بشديد عجزه وعظيم ضرورته[6] وفقره[7] ليكف من إعجابه وكبره وترفعه وفجره - كما ورد أن بعض الأمراء لقى[8] بعض البله فى طريق[9] فلم يفسح له ، فغضب / وقال : ١٦/ كأنك ما تعرفنى ؟ فقال : بلى والله ! إنى لأعرفك ، أولك[10] نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة ، وأنت فيما بين[4] ذلك تحمل العذِرة[11] . ١٠

ولما ذكر ما يخص الأصغر ذكر ما[12] يعم الأكبر فقال : ﴿ او لمستم النسآء ﴾ أى بالذكر أو غيره أمنيتم أو لا ﴿ فلم تجدوا مآء ﴾ أى حسا أو معنى بالعجز عن[13] استعماله للمرض[14] بجرح أو غيره ﴿ فتيمموا ﴾ أى اقصدوا[4] قصدا متعمدا ﴿ صعيدا ﴾ أى ترابا ﴿ طيبا ﴾ أى طهورا خالصا ﴿ فامسحوا ﴾ .

---

(١) من ظ ، وفى الأصل « و » (٢) فى ظ : جنبا (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى الأصل و ظ : المذكورة (٦) فى ظ : سورته (٧) من ظ ، وفى الأصل : فقر (٨) فى ظ : التقى (٩) فى ظ : الطريق (١٠) فى ظ : تلك .
(١١) هى الغائط وأردأ ما يخرج من الطعام (١٢) فى ظ : بما (١٣) من ظ ، وفى الأصل : من (١٤) فى ظ : للمريض .

و لما كان التراب لكثافته لا يصل إلى ما يصل إليه الماء بلطافته، قصر الفعل و عدّاه بالحرف إشارة إلى الاكتفاء بمرة و العفو عن المبالغة، و بينت السنة[1] أن المراد جميع العضو، فقال: ﴿ بوجوهكم و ايديكم منه ﴾ أى حال النية التى هى القصد الذى هو التيمم، ثم أشار
٥ لهم إلى حكمته سبحانه فى هذه الرخصة فقال مستأنفا: ﴿ ما يريد الله ﴾ أى الغنى[2] الغنى المطلق ﴿ ليجعل عليكم ﴾ [3]و أغرق[3] فى النفى بقوله: ﴿ من حرج ﴾ أى ضيق علما منه بضعفكم، فسهل عليكم ما كان عسره على من [كان - [4]] قبلكم، و إكراما لكم لأجل نبيكم صلى الله عليه وسلم، فلم يأمركم إلا بما يسهل عليكم ليقل عاصيكم ﴿ و لكن يريد ليطهركم ﴾
١٠ أى ظاهرا و باطنا بالماء و التراب و بامتثال الأمر على [ما - [4]] شرعه سبحانه، عقلتم معناه أو لا، مع تسهيل الأوامر و النواهى [5]لكيلا يوقعكم التشديد[5] فى المعصية التى هى رجس الباطن ﴿ و ليتم نعمته ﴾ أى فى التخفيف فى[6] العزائم ثم فى الرخص، و فى وعدكم بالأجور على ما شرع لكم من الأفعال ﴿ عليكم ﴾ لأجل تسهيلها، ليكون فعلكم لها
١٥ و استحقاقكم لما رتب عليها من الأجر مقطوعا به، إلا لمن لج طبعه فى العوج، و تمادى فى الغواية و الجهل و البطر ﴿ لعلكم[7] تشكرون ﴾ أى و[2] فعل ذلك كله - هذا[8] التسهيل و غيره - ليكون حالكم لما سهل

(١) من ظ، و فى الأصل: بالسنة (٢) سقط من ظ (٣-٣) فى ظ: اوعرف. (٤) زيد من ظ (٥-٥) فى ظ: ليلا يوقعكم الشديد (٦) فى ظ «و» (٧) فى الأصل و ظ: و لعلكم، و التصحيح من القرآن الكريم (٨) فى ظ: ف.

عليكم حال من يرجى صرفه لنعم ربه عليه[1] فى طاعته [2]المسهلة له[2] المحببة إليه؛ روى البخارى فى التفسير وغيره عن عائشة رضى الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [3]فى بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لى، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء ٥ وليس معهم ماء - وفى رواية: سقطت قلادة لى بالبيداء ونحن داخلون[4] المدينة، فأناخ النبى صلى الله عليه وسلم ونزل، فثنى رأسه فى حجرى راقدا - فأتى الناس إلى أبى بكر فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ فجاء أبو بكر[5] فلكزنى لكزة شديدة وقال: حبست النبى صلى الله عليه وسلم فى قلادة، فبى[6] الموت لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ١٠ أوجعنى، ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت "يايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوٰة" - الآية، وفى رواية: فأنزل الله آية التيمم "فتيمموا" فقال أسيد بن حضير[7]: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبى بكر! [3]ما أنتم إلا بركة لهم، وفى رواية: ما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر[3]، قالت: فبعثنا[8] البعير الذى ١٥

(١) فى ظ: عليكم (٢ - ٢) فى ظ: يشتمله - كذا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد فى ظ: فى (٥) من ظ، وفى الأصل: ابا بكر (٦) من صحيح البخارى، وفى الأصل: فهى، وفى ظ: فتى (٧) من الصحيح، وفى الأصل وظ: الحضير (٨) فى ظ: فبعث.

١٧ / كنت عليه فاذا العقد تحته[١]، و فى رواية له / عنها فى النكاح أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم ناسا[٢] من أصحابه فى طلبها ، فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء ، فلما أتوا النبى صلى الله عليه و سلم شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم ، فقال أسيد ٥ ابن حضير : جزاك الله خيرا ! فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجا ، و جعل للمسلمين[٣] فيه بركة . و هذا الحديث يدل على أن هذه الآية نزلت قبل آية النساء ، فكانت تلك نزلت بعد ذلك لتأكيد هذا الحكم و مزيد الامتنان به ، لما فيه من عظيم اليسر و ليحصل فى التيمم من الجنابة نص خاص ، فيكون ذلك أفخم لشأنها و أدل على ١٠ الاهتمام [بها - [٤]] .

و لما كان فى هذه المأمورات و المنهيات خروج عن المألوفات ، و كانت الصلاة أوثق عرى الدين ، و كان قد عبر عنها بالإيمان الذى هو أصل الدين و أساس الأعمال ، عطف عليها قوله تذكيرا[٥] بما يوجب القبول و الانقياد : ﴿ و اذكروا ﴾ أى ذكر اتعاظ و تأمل و اعتبار .

١٥ و لما كان المقصود من الإنعام غايته قال : ﴿ نعمة الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ عليكم ﴾ أى فى هدايته لكم إلى الإسلام بعد أن كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، و فى غير ذلك من جميع النعم ، و إنما

---

(١) من الصحيح ، و فى الأصل : بحجته ، و فى ظ : بمنه - كذا (٢) من ظ والصحيح ، وفى الأصل : ناس (٣) من ظ والصحيح ، و فى الأصل : للمسكين .
(٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : تذكير .

لم تجمع

لم تجمع[١] لئلا يظن أن المقصود تعداد النعم، لا الندب إلى الشكر بتأمل أن هذا الجنس لا يقدر عليه غيره سبحانه، وعظّم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يستحقه بجعل فعله سبحانه فعله صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿وميثاقه﴾ أي عقده الوثيق ﴿الذى واثقكم بهٓ لا﴾ أي بواسطة رسوله صلى الله عليه وسلم حين بايعكم ليلة العقبة على السمع والطاعة في العسر ٥ واليسر والمنشط والمكره ﴿اذ﴾ أي حين ﴿قلتم سمعنا واطعنا ز﴾ وفي ذلك تحذير من مثل ما أراد بهم[٢] شاس بن قيس، وتذكير[٣] بما أوجب له صلى الله عليه وسلم عليهم من الشكر بهدايته لهم إلى الإسلام المثمر لالتزام تلك العهود ليلة العقبة الموجبة للوفاء الموعود عليه الجنة، والتفات[٤] إلى قوله أول السورة "اوفوا بالعقود" وحديث إسباغ ١٠ الوضوء على المكاره مبيّنٌ لحسن هذا التناسب.

ولما كان أمر الوفاء بالعهد صعبا، لا يقوم به إلا من صدقت عريقته[٥] وصلحت سريرته، وإنما يحمل عليه مخافة الله قال: ﴿واتقوا الله ط﴾ أي اجعلوا بينكم وبين ما يغضب الملك الأعظم - الذى يفعل ما يشاء - من نقض العهد وقاية من حسن القيام، لتكونوا في أعلى[٦] درجات وعيه[٦]، ١٥ ثم علل ذلك مرغبا مرهبا بقوله: ﴿ان الله﴾ أي الذى له صفات الكمال ﴿عليم﴾ أي بالغ العلم ﴿بذات الصدور ه﴾ أي أحوالها من سرائرها[٧]

(١) في ظ: لم يجمع (٢) في ظ: به (٣) من ظ، وفي الأصل: تذكيرا (٤) في الأصل وظ: التفاتا (٥) في ظ: عزيمته (٦ - ٦) في ظ: الدرجات رعيه (٧) في ظ: سائرها.

و إن كان صاحبها لم يعلمها لكونها لم تبرز[1] إلى الوجود ، و علانيتها و إن كان صاحبها قد نسيها[2] .

و لما تقدم القيام إلى الصلاة ، و تقدم ذكر الأزواج المأمور فيهن بالعدل فى أول النساء و أثنائها ، و كان فى الأزواج المذكورات ٥ هنا الكافرات ، ناسب تعقيب ذلك بعد الأمر بالتقوى بقوله تعالى: ﴿ يٰأيها الذين اٰمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان ، و لما كان العدل فى غاية الصعوبة على الإنسان ، فكان لذلك يحتاج المتخلق به إلى تدريب /١٨ كبير ليصير صفة راسخة ، عبر بالكون فقال تعالى: ﴿ كونوا قوّٰمين ﴾ أى مجتهدين فى القيام على النساء اللاتى أخذتموهن بعهد الله ، و استحللتم فروجهن ١٠ بكلمة الله ، و على غيرهن فى الصلاة و غيرها من جميع الطاعات التى[3] عاهدتم على الوفاء بها .

و لما كان مبنى السورة على الوفاء بالعهد الوثيق ، و كان الوفاء بذلك إنما يخف[4] على النفوس ، و يصح النشاط فيه ، و يعظم العزم عليه بالتذكر[5] بجلالة موثقه و عدم انتهاك حرمته ، لأن[6] المعاهد إنما يكون ١٥ باسمه و لحفظ حده و رسمه ، قدم قوله : ﴿ لله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شيء - بخلاف ما مضى فى النساء .

و لما كان من جملة المعاقد[7] عليه ليلة العقبة - ليلة تواثقوا على الإسلام - أن يقولوا بالحق حيث ما كانوا ، لا يخافون فى الله لومة لائم ،

---

(١) من ظ ، وفى الأصل : لم تبرزه (٢) فى ظ : كسبها (٣) فى ظ : اللاتى (٤) فى ظ : يخفى (٥) فى ظ : بالتذكير (٦) من ظ ، و فى الأصل : إنما (٧) فى ظ : المعاقدين .

قال : ﴿ شهدآء ﴾ أى متيقظين محضرين أفهامكم غاية الإحضار[١] بحيث لايسد عنها شيء مما تريدون[٢] الشهادة به ﴿ بالقسط ﴾ أى العدل ، و قال الإمام أبوحيان فى نهره : إن التى [جاءت - [٣]] فى سورة النساء جاءت فى معرض الاعتراف على نفسه و على الوالدين و الأقربين ، فبدأ[٤] فيها بالقسط الذى هو العدل [٥]و السواء[٥] من غير محاباة نفس و لا والد[٦] و لا قرابة ، و هنا ٥ جاءت فى معرض ترك العداوات و الأحن ، فبدئ[٧] فيها بالقيام لله إذ كان الأمر بالقيام لله أولا أردع للمؤمنين[٨] ، ثم أردف بالشهادة بالعدل ، فالتى فى معرض المحبة و المحاباة بدئ فيها بما هو آكد و هو القسط ، و[١] التى فى معرض العداوة والشنآن بدئ[٩] فيها بالقيام لله ، فناسب كل معرض ما جيء به إليه ، و أيضا فتقدم هناك حديث النشوز و الإعراض و قوله "و لن تستطيعوا ١٠ ان تعدلوا[١٠] " و قوله " فلا جناح عليهما ان يصالحا[١١] " فناسب [ذكر - [٣]] تقديم القسط ، و هنا تأخر ذكر العداوة فناسب أن يجاورها ذكر القسط - انتهى .

و لما كان[١] أمر بهذا الخبر ، نهى عما يجب[١٢] عنه فقال : ﴿ ولا يجرمنكم ﴾

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تريدوان - كذا (٣) زيد من النهر - راجع البحر المحيط ٣/٤٤٠ (٤) من النهر ، و فى الأصل وظ : فبدى (٥-٥) فى ظ : السواء ، و فى النهر : والسوال - كذا (٦) فى ظ : ولد (٧) من ظ والنهر ، و فى الأصل : فبدا (٨) من النهر ، و فى الأصل وظ : للومن (٩) من النهر ، و فى الأصل وظ : بدا (١٠) سورة ٤ آية ١٢٩ (١١) فى النهر : يصلحا - راجع سورة ٤ آية ١٢٨ . (١٢) فى ظ : يجب .

أى يحملنكم ﴿ شنآن قوم ﴾ [أى - [1]] شدة عداوة مَنْ لهم قوة على القيام فى الأمور من المشركين ، بحيث يخشى من إهمالهم ازدياد قوتهم ﴿ علىّ الا تعدلوا ﴾ أى [أن - [1]] تتركوا قصد العدل ، و هو يمكن أن يدخل فيه بعض أهل الزوجة الكافرة أو ازدراؤها [2] فى شيء من ٥ حقوقها لأجل خسة دينها ، فأمروا بالعدل حتى بين [هذه - [1]] المرأة الكافرة و ضرّاتها المسلمات ، و إذا [3] كان هذا شأن الأمر به فى الكافر فما الظن به فى المسلم ؟ ثم استأنف قوله آمرا بعد النهى تأكيدا [4] لأمر العدل : ﴿ اعدلوا ﴾ أى تحروا العدل و اقصدوه فى كل شيء حتى فى هذه الزوجات و فيمن يجاوز [5] فيكم الحدود ، فكلما عصوا الله فيكم ١٠ أطيعوه [6] فيهم ، فان الذى منعكم من التجاوز خوفه يريكم من النصرة و صلاح الحال ما يسركم .

و لما كان ترك [7] قصد العدل [7] قد يقع لصاحبه [8] العدل اتفاقا ، فيكون قريبا من التقوى ، قال مستأنفا و [9] معللا : ﴿ هو ﴾ أى قصد العدل ﴿ اقرب ﴾ أى من ترك قصده ﴿ للتقوى ﴾ و الإحسان الذى يتضمنه الصلح أقرب ١٥ من العدل إليها ، و تعدية " اقرب " باللام دون ' إلى ' المقتضية لنوع بُعد زيادة فى الترغيب - كما مر [10] /فى البقرة ؛ [و لما كان الشيء لا يكون /١٩ إلا بمقدماته ، و كان قد علم من هذا أن العدل مقدمة التقوى ، قال عاطفا

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل و ظ : هى (٣) فى ظ : ان (٤) من ظ ، و فى الأصل : بتاكيدا (٥) فى ظ : تجاوز (٦) فى ظ : اطيعوا الله (٧ - ٧) فى ظ : القول - كذا (٨) فى ظ :لمصاحبة (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : مضى .

على

على النهى أو على نحو: فاعدلوا -[1]]: ﴿ و اتقوا الله[4] ﴾ [2] أى اجعلوا[2] بينكم و بين غضب الملك الأعظم وقاية بالاحسان[3] فضلا عن العدل، و يؤيد كون الآية ناظرة إلى النكاح مع ما ذكر[4] ختام آية الشقاق التى فى أول النساء بقوله "[5]ان الله[5] كان عليما خبيرا[6]"، و ختام قوله تعالى فى أواخرها "و ان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا" بقوله ٥ " فان[7] الله كان بما تعملون خبيرا" و ختام هذه بقوله معللا [8]لما قبله[8]: ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ خبير بما تعملون ه ﴾ لأن ما بين الزوجين ربما دق علمه عن إدراك غير العليم الخبير؛ و قال أبو حيان: لما كان الشنآن محله القلب، و هو الحامل على ترك العدل، أمر بالتقوى و أتى بصفة "خبير" و معناها "عليم" ولكنها مما تختص[9] بما لطف إدراكه - ١٠ انتهى. "و شهداء" يمكن أن يكون من الشهادة [10]التى هى حضور القلب - كما تقدم من قوله " او القى السمع و هو شهيد[11]" و أن يكون من الشهادة المتعارفة، و يوضح المناسبة فيها مع تأييد إرادتها كونها بعد قوله " ان الله عليم بذات الصدور" و مع قوله تعالى " و من يكتمها

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢-٢) فى ظ : الذى جعل (٣) من ظ، و فى الأصل: الانسان - كذا (٤) فى ظ: ذكرنا (٥ - ٥) فى ظ: انه (٦) آية ٣٥. (٧) من القرآن الكريم آية ١٢٨، وفى الأصل و ظ: ان (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) من ظ و البحر المحيط ٣ / ٤٤١، و فى الأصل: يختص. (١٠) العبارة من هنا إلى « من الشهادة » سقطت من ظ (١١) سورة ٥٠ آية ٣٧.

فانه آثم قلبه[1]»، و ختام آية النساء التى فى الشهادة بقوله[2] "و ان تلوٗا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا[3]" كما ختمت هذه بمثل ذلك.

و لما أمر سبحانه و نهى[4]، بشر و حذر فقال: ﴿ وعد الله ﴾ أى الملك الذى له الكمال المطلق فله كل شيء ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى أقروا ٥ بالإيمان بألسنتهم ﴿ و عملوا ﴾ تصديقا لهذا الإقرار ﴿ الصّٰلحٰت لا ﴾ و ترك المفعول الثانى[5] أقعد فى باب البشارة[6]، فانه يحتمل كل خير، و تذهب النفس فى تحريزه[6] كل مذهب.

و لما كان الموعود شيئين: فضلا و إسقاط حق، قدم الإسقاط تأمينا للخوف، فقال واضعا له موضع الموعود فى صيغة دالة على الثبات ١٠ و الاختصاص: ﴿ لهم مغفرة ﴾ أى لما فرط منهم لما طبع الإنسان عليه من النقص نسيانا أو عمدا، بعمل الواجبات إن كان صغيرة، و بالتوبة إن كان كبيرة، و فيه إشارة إلى أنه لا يقدر[7] أحد أن يقدر[7] الله حق قدره؛ و لما أمنهم بالتجاوز أتبعه الجود بالعطاء فقال: ﴿ و اجر ﴾ أى على قدر درجاتهم من حسن العمل ﴿ عظيم ﴾ أى لا يدخل تفاوت ١٥ درجاته تحت الحصر.

و لما قدم الوعد لأنه فى سورة الذين آمنوا أتبعه الوعيد لأضدادهم، و هو أعظم وعد لأحبابه المؤمنين أيضا فقال: ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى غطوا ما اتضح لعقولهم من أدلة الوحدانية ﴿ و كذبوا ﴾ أى زيادة

(١) سورة ٢ آية ٢٨٣ (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٤ آية ١٣٥ (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: الابشارة - كذا (٦) فى ظ: تجويزه (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

على الستر بالعناد: ﴿ بـَٔايـٰتنا ﴾ على ما لها من العظمة فى أنفسها و باضافتها إلينا ﴿ اولـٰٓئك ﴾ أى البغضاء البعداء من الرحمة خاصة ﴿ اصحٰب الجحيم ﴾ أى النار التى اشتد توقدها فاشتد احمرارها، فلا يراها شىء إلا أجحم عنها، فهم يلقون[1] فيها بما أقدموا على ما هو أهل للاجحام عنه من التكذيب بما لا ينبغى[2] لأحد التكذيب به، ثم يلازمونها فلا ينفكون ٥ عنها كما هو شأن الصاحب.

و لما كان من الأجر ما يحصل من أسباب السعادة فى الدنيا، قال تعالى ذاكرا لهم بعض ذلك مذكرا ببعض ما خاطبهم به[3] ليقدموا على مباينة الكفرة و يقفوا / عند حدوده كائنة ما كانت: ﴿ يـٰٓايها الذين اٰمنوآ ﴾ ٢٠ / أى صدقوا بالله و رسوله و كتابه ﴿ اذكروا نعمت الله ﴾ أى الذى ١٠ أحاط بكل شىء قدرة و علما ﴿ عليكم ﴾ عظمها بابهامها، ثم زادها تعظيما بالتذكير بوقتها فقال: ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ همّ قوم ﴾ أى لهم قوة و منعة و قدرة على ما يقومون فيه ﴿ ان يبسطوآ اليكم ايديهم ﴾ أى بالقتال و القتل، و هو شامل - مع ذكر من أسباب نزوله - لما[4] اتفق صبيحة ليلة العقبة من أن قريشا تنطست[5] الخبر عن البيعة، فلما صح عندهم طلبوا ١٥ أهل البيعة ففاتوهم إلا أنهم أدركوا سعد بن عبادة بأذاخر، و المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة، و كلاهما كان نقيبا، فأما المنذر فأعجزهم، و أما سعد فأخذوه[6] فربطوه و أقبلوا يضربونه، حتى خلصه الله منهم بجبير بن مطعم

---

(١) فى ظ: يقولون (٢) فى ظ: ينبغى (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: بما (٥) أى تجسست و بحثت، و فى ظ: تنسطت - كذا (٦) من ظ، و فى الأصل: فاخذوا.

و الحارث بن حرب بن أمية بما كان بينه و بينهما من الجوار ، فكان فى سوق الآية بعد آية الميثاق الذى أعظمه ما كان ليلة العقبة أعظمَ مذكر بذلك ﴿ فكف ايديهم عنكم ج ﴾ أى مع قلتكم و كثرتهم[1] و ضعفكم و قوتهم، و لم يكن لكم[2] ناصر[3] إلا الذى[4] آمنتم به تلك الليلة و توكلتم عليه و بايعتم ٥ رسوله ، فكف ببعض[5] الأعداء عنكم أيدى بعض ، و لو شاء لسلطهم عليكم كما سلط ابن آدم على أخيه؛ و ينبغى [6]أن يعلم[6] أن القصة التى عُزيت فى بعض التفاسير هنا إلى بنى قريظة فى الاستعانة فى دية القتيلين إنما هى لبنى النضير ، و هى كانت سبب إجلائهم .

و لما أمرهم بذكر النعمة ، عطف على ذلك الأمر الأمرَ[7] بالخوف ١٠ من المنعم أن[7] يبدل نعمته بنقمة فقال: ﴿ و اتقوا الله ط ﴾ أى الملك الذى لا يطاق انتقامه لأنه لا كفوء له ، حذرا من أن يسلط عليكم أعداءكم و[7] من غير ذلك من سطواته .

و لما كان التقدير: على[8] الله وحده فى كل حالة فتوكلوا ، فانه جدير بنصر من انقطع إليه و لم يعتمد إلا عليه ، عطف على ذلك قوله تعميما ١٥ و تعليقا للحكم بالوصف: ﴿ و على الله ﴾ أى وحده لكونه لا مثل له ﴿ فليتوكل المؤمنون ع ﴾ أى فى كل وقت فانه يمنعهم إذا شاء كهذا المنع و إن اشتد الخطب و تعاظم الأمر. فتوكلوا و لا تنكلوا عن[9] أعدائكم الذين وعدكم الله أرضهم و ديارهم و أبناءهم و تهابوا جموعهم كما هاب[10]

(١) فى ظ : كثرتكم (٢) فى ظ : لهم (٣) فى الأصل و ظ : ناصرا (٤) فى ظ : الذين. (٥) فى ظ : بعض (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : فعلى (٩) فى ظ : على (١٠) فى ظ : هابوا .

بنو إسرائيل - كما سيقص عليكم، و قوله هنا " المؤمنون " و[1] فى قصة بنى إسرائيل " ان كنتم مؤمنين[2] " شديد التآخى[3]، معلم بمقامى الفريقين، و حينئذ حسن كل الحسن تعقيبها مع ما تقدم من أمر العقبة و أمر بنى النضير فى نقضهم عهدهم و غدرهم، بما هموا به من قتل النبي صلى الله عليه و سلم بالقاء الرحى عليه من سطح البيت الذى أجلسوه إلى جانبه، بقوله ٥ إشارة إلى أن اليهود ما زالوا على النقض قديما، تحذيرا للمؤمنين من أن يكونوا مثلهم فى النقض لئلا يحل بهم ما حل بهم من الصغار، و إعلاما بأن عادته سبحانه فى الإلزام بالتكاليف قديمة غير مخصوصة بهم، بل هى عامة لعباده و قد كلف أهل الكتاب، تشريفا لهم بمثل ما كلفهم به، و رغبهم و رهبهم ليسابقوهم فى الطاعة، فان الأمر إذا عم هان[4]، ١٠ و الإنسان إذا سابق اجتهد فى أخذ الرهان[5]، و أكد الخبر بذلك لئلا يظن لشدة انهماكهم فى النفس[6] أنه لم يسبق لهم عهد [7]قبل ذلك[7] فقال تعالى/ : ﴿ و لقد اخذ الله ﴾ أى بما له من جميع الجلال و العظمة و الكمال ٢١/ ﴿ ميثاق بنىٓ اسرآءيل ج ﴾ أى العهد الموثق بما أخذ عليكم من السمع و الطاعة ﴿ و بعثنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ منهم اثنى عشر نقيبا ﴾ ١٥ أى شاهدا، على كل سبط نقيب يكفلهم[8] بالوفاء بما عليهم من[1] الوفاء به - كما بعثنا منكم ليلة العقبة [9]اثنى عشر نقيبا[9] و أخذنا منكم الميثاق على

(١) سقط من ظ (٢) آية ٢٣ (٣) فى ظ : التاجى (٤) فى ظ : هناك - كذا (٥) من ظ، وفى الأصل : البراهين (٦) فى ظ : الفسق (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٨) فى ظ : يكلفهم (٩-٩) تكرر فى ظ بعد « منكم الميثاق ».

ما أحاله[1] الإسلام - كما قال كعب بن مالك رضى الله عنه فى تخلفه عن تبوك : و لقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام ، و أما تفصيله فمذكور فى السير ، و النقيب : الذى ينقب عن أحوال القوم كما قيل : عريف ، لأنه يتعرفها ، و من ذلك المناقب
٥ و هى الفضائل ، لأنها لا تظهر إلا بالتنقيب عنها ﴿ و قال الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما لبنى إسرائيل ، و أكد[2] لتكرر[3] جزعهم و تقلبهم فقال : ﴿ انى معكم[4] ﴾ و هو كناية عن الكفاية لأن القادر إذا كان مع أحد كان كذلك[4] إذا لم يغضبه .

و لما أنهى[5] الترغيب بالمعية استأنف[6] بيان [شرط - [7]] ذلك بقوله
١٠ مؤكدا لمثل ما مضى : ﴿ لئن اقمتم ﴾ أى أنشأتم[8] ﴿ الصلوٰة ﴾ أى التى هى صلة ما بين العبد و الخالق ، بجميع شروطها و أركانها ؛ [و لما كان - [7]] المقصود من الإنفاق المؤاساة بالإيتاء قال : ﴿ و اٰتيتم الزكوٰة ﴾ أى التى هى بين [9] الحق و الخلائق[9] .

و لما كان الخطاب مع من آمن بموسى عليه السلام ، و كانوا [فى - [7]]
١٥ كل قليل يتردعون عن اتباعه أو كمال اتباعه ، و كان سبحانه عالما بأن ميلهم بعده يكون أكثر ، فرتب فى الأزل أنه تواتر إليهم بعده الرسل يحفظونهم عن الزيغ و يقوّمون منهم الميل قال[10] : ﴿ و اٰمنتم برسلى ﴾ أى

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : اعاله (٢) من ظ ، و فى الأصل : ذاكرا - كذا (٣) فى ظ : ليكرر (٤) فى ظ : لذلك (٥) فى ظ : انتهى (٦) تقدم فى الأصل على «انهى الترغيب» ، و زيد بعده فى الأصل : شرطا ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : استام - كذا (٩-٩) فى ظ : الخلق و الخالق (١٠) سقط من ظ .

أدمتم الإيمان بموسى عليه السلام، و جددتم الإيمان بمن يأتى بعده، فصدقتموهم[1] فى جميع ما يأمرونكم به[2] ﴿و عزرتموهم﴾ أى ذببتم عنهم و نصرتموهم و منعتموهم أشد المنع، و التعزير و التأزير من باب واحد.

و لما كان من أعظم المصدق للإيمان و نصر الرسل بذل المال فهو البرهان قال: ﴿و اقرضتم الله﴾ أى الجامع لكل وصف جميل ٥ ﴿قرضا حسنا﴾ أى بالإنفاق فى جميع سبل الخير، و أعظمها الجهاد و الإعانة فيه للضعفاء.

و لما كان الإنسان محل النقصان، فهو لا ينفك عن زلل أو تقصير و إن اجتهد فى صالح العمل، قال سادّا - بجواب القسم الذى وطّأت له اللام الداخلة على الشرط - مسدّ جواب الشرط: ﴿لا كفرن﴾ أى ١٠ لأسترن ﴿عنكم سياتكم﴾ أى فعلكم لما من شأنه أن يسوء ﴿و لادخلنكم﴾ أى فضلا منى ﴿جنت تجرى﴾ و لما كان الماء لا يحسن إلا بقربه و انكشافه عن بعض الأرض قال: ﴿من تحتها الانهر﴾ أى [من -[3]] شدة الرىّ ﴿فمن كفر﴾ [و لما -[3]] كان الله[4] سبحانه لا يعذب حتى يبعث رسولا، و كان المهلك من المعاصى بعد الإرسال ما اتصل بالموت فأحبط ١٥ ماقبله، نزع الجار فقال: ﴿بعد ذلك﴾ أى [الشرط المؤكد -[3]] بالأمر[4] العظيم الشأن ﴿منكم﴾ [أى بعد ما رأى من الآيات و أقرّ به من المواثيق -[3]] ﴿فقد ضل﴾ أى ترك و ضيّع، يُستعمل قاصرا بمعنى: حارَ[5]، و متعديا كما هنا ﴿سوآء﴾ أى وسط و عدل[6] ﴿السبيل ه﴾

---

(١) فى ظ: فصدقتموه (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: الامر (٥) فى ظ: جار (٦) فى ظ: عده.

أى[1] لأن ذلك كفر بعد البيان العظيم فهو أعظم من غيره ، و فى هذا تحذير شديد لهذه الأمة ، لأن المعنى : فان نقضتم[2] الميثاق - كما نقضوا - بمثل استدراج شاس بن قيس و غيره[3] ، صنعنا / بكم ما صنعنا بهم حين نقضوا ، من إلزامهم الذلة و المسكنة و [غير -[4]] ذلك من آثار الغضب ، ٢٢ /

٥ و إن وفيتم بالعقود آتيناكم أعظم مما آتيناهم من فتح البلاد و الظهور[5] على سائر العباد ؛ قال ابن الزبير : و لهذا الغرض و الله أعلم - أى غرض[3] التحذير من نقض العهد - ذكر هنا العهد المشار إليه فى قوله تعالى "و اوفوا بعهدى[6]" فقال تعالى "و لقد اخذ الله[1] ميثاق بنى اسراءيل - إلى قوله - فقد ضل سواء السبيل" ثم بين نقضهم و بنى[7] اللعنة و كل

١٠ محنة ابتلوا بها عليه فقال "فبما نقضهم ميثاقهم" و ذكر تعالى عهد الآخرين فقال "و من الذين قالوا انا نصرى اخذنا ميثاقهم" - الآية ، ثم فصل تعالى للمؤمنين أفعال الفريقين ليتبين[8] لهم ما نقضوا فيه من ادعائهم فى المسيح ما ادعوا ، و قولهم[8] نحن أبناء الله و أحباؤه ، و كفهم عن فتح الأرض المقدسة ، و إسرافهم فى القتل و غيره ، و تغييرهم أحكام التوراة - إلى غير

١٥ ذلك مما ذكره فى هذه السورة ، ثم بين تفاوتهم فى البعد عن الاستجابة فقال تعالى "لتجدن اشد الناس عداوة[8] للذين امنوا[8]" - الآية - انتهى . و ينبغى ذكر النقباء من هذه الفرق الثلاث بأسمائهم و ما دعى إلى ذلك تحقيقا

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : نقضهم (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) زيد من ظ (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٦) سورة ٢ آية ٤٠ . (٧) فى ظ : بين (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

للأمر

للأمر و زيادة تبصرة[1]، أما اليهود فكان [2]فيهم ذلك[2] مرتين: الأولى: قال فى السفر الرابع من التوراة: إن الرب تبارك اسمه كلم موسى النبى فى جبل سينا و فى قبة الأمد فى أول يوم من الشهر الثانى فى السنة الثانية لخروج بنى إسرائيل من مصر و قال الله: أحص عدد جماعة بنى إسرائيل كلها فى قبائلهم،كل ذكر من أبناء عشرين سنة إلى فوق،كل من يخرج فى الحرب، ٥ و أحصهم أنت [3]و أخوك هارون[3]، و ليكن معكما من كل سبط[4] رجل، و يكون الرجل رئيسا فى[5] بيته، ثم بين بعد ذلك أن كل رجل منهم يكون قائد جماعته، ينزلون بنزوله[6] حول قبة الزمان و يرحلون برحيله، و يطيعونه فيما يأمر به، ففعل[7] موسى و هارون ما أمرهما الله به و انتدبوا اثنى عشر رجلا كما أمر الله، فمن سبط روبيل: إليصور بن شداور، و من ١٠ سبط شمعون: [8]سلوميل بن صوريشدى[8]، و من سبط يهودا: نحسون[9] ابن عميناذاب، و من سبط إيشاخار: نتنائيل بن ضوغر[10]، و من سبط زابلون: أليب بن حيلون[11]، و من سبط يوسف من آل[12] إفرائيم: إليسمع ابن عميهوذ، و من سبط منشا: جمليال بن فداهصور[13] - قلت: و منشا هو

(١) فى ظ: تنصرة (٢ - ٢) فى ظ: ذلك فيهم (٣ - ٣) فى ظ: و هارون اخوك.
(٤) زيد بعده فى ظ: من (٥) فى ظ: من (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: بفعل.
(٨ - ٨) من ظ و التوراة، وفى الأصل: شلوميل بن صوشدى - كذا (٩) من التوراة، و فى الأصل وظ: نحشون (١٠) من التوراة، و فى الأصل: صوعر، و فى ظ: ضوعر - كذا (١١) من ظ و التوراة، وفى الأصل: علون (١٢) فى ظ: اول (١٣) من التوراة، وفى الأصل: يصور، و فى ظ: برصور - كذا.

ابن يوسف وهو أخو إفرائيم - ومن سبط بنيامين: أبيذان بن جدعونى، ومن سبط دان[1]: [2]أخيعزر بن عميشدى[2]، ومن سبط آشير: فجعائيل بن عخرن[3]، ومن سبط جاد: إلياساف[4] بن دعوائيل[5]، ومن سبط نفتالى[6]: أخيراع ابن عينان[7]؛ وسبط لاوى هم سبط موسى وهارون عليهما السلام [لم يذكروا ٥ لأنهم - [8]] كانوا لحفظ قبة الزمان، فموسى وهارون عليهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم على قومه - كما سيأتى، والمرة الثانية كانت ليجسّوا[9] أمر بيت المقدس، قال فى أثناء هذا السفر: وكلم الرب موسى و[10] قال له: أرسل قوما[11] يجسون الأرض التى أعطى بنى إسرائيل، وليكون[12] الذين ترسل[13] رجلا من [كل - [8]] سبط من رؤساء آبائهم، فأرسلهم موسى ١٠ من برية فاران عن قول الرب، رجالا[14] من رؤساء بنى إسرائيل، / وهذه أسماؤهم من سبط روبيل: ساموع بن ذكور، ومن سبط شمعون: ٢٣ / سافاط بن حورى، ومن سبط يهودا: كالاب بن يوفنا[15]، ومن سبط إيشاخار: إجال[16] بن يوسف، ومن سبط إفرائيم[17]: هوساع بن نون،

(١) فى ظ: ذان (٢ - ٢) فى ظ: هيغون ابن واما عميهمرى - كذا (٣) فى ظ: عجرن (٤) فى ظ: اليساق - كذا (٥) من التوراة، وفى الأصل: رعوايل، وفى ظ: زعوايل - كذا (٦) من التوراة، وفى الأصل وظ: نفتال (٧) من التوراة، وفى الأصل: عير، وفى ظ: عين - كذا (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ: ليحسو - كذا (١٠) سقطت الواو من ظ (١١) فى ظ: قومك (١٢) فى ظ: يكون. (١٣) فى ظ: يرسل (١٤) فى ظ: رجلا (١٥) فى ظ: موقنا (١٦) من التوراة، وفى الأصل وظ: بغائل - كذا (١٧) من التوراة، وفى الأصل وظ: افرام - كذا.

و من سبط بنيامين: فلطى[1] بن رافو، و من سبط زابلون: جدى إيل[2] ابن سودى، و من سبط [3] يوسف من سبط منشا: جدى بن سوسى، و من سبط دان[3]: عميال بن جملى، و من سبط آشير: ساتور[4] بن ميخائيل، و من سبط [5] نفتالى: نحى بن وفسى[5]، و من سبط جاد[6]: جوائل[7] بن ماخى؛ هؤلاء الذين أرسلهم[6] و تقدم إليهم بالوصية . و أما النصارى[6] ففى ٥ إنجيل متى ما نصه: و دعا - يعنى عيسى عليه السلام - تلاميذه الاثنى عشر، و أعطاهم سلطانا على جميع الأرواح النجسة لكى يخرجوها و يشفوا كل الأمراض؛ و فى إنجيل مرقس: و صعد إلى الجبل و دعا الذين أحبهم فأتوا إليه . و تخب اثنى عشر ليكونوا معه، و لكى يرسلهم ليكرزوا[8]، و أعطاهم سلطانا على شفاء الأمراض و إخراج الشياطين؛ و فى إنجيل ١٠ لوقا: و دعا الاثنى عشر الرسل و أعطاهم قوة و سلطانا على جميع الشياطين و إشفاء المرضى[9]. و أرسلهم يكرزون بملكوت الله و يشفون الأوجاع، و هذه أسماؤهم: شمعون[10] المسمى بطرس، و أندراوس أخوه، و يعقوب بن زبدى[11]، و يوحنا أخوه - و قال فى إنجيل[12] مرقس: وسماهما

---

(١) من التوراة، و فى الأصل: باطى . و فى ظ: ممطر - كذا (٢) من ظ و التوراة، و فى الأصل: جدى (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و التوراة، و فى الأصل: سابور (٥ - ٥) من التوراة، و فى الأصل: نفتال نجى بن وقيسى، و فى ظ: بقتال يحيى بن وقس - كذا (٦) سقط من ظ. (٧) فى ظ: عوامل - كذا (٨) من ظ، و فى الأصل: ليركزوا (٩) زيد بعده فى الأصل: و اعطاهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و الإنجيل فحذفناها (١٠) من الإنجيل، و فى الأصل و ظ: سمعان (١١) فى ظ: زندى (١٢) من ظ. و فى الأصل: الانجيل.

باسم[1] بوانرجس[2] اللذين هما ابنا الرعد - و فيلبس[3]، و برتولوماوى، [و توما - [4]]، و متى العَشّار، و يعقوب بن حلفا، و ليا الذى يدعى بداوس، و قد اختلفت الأناجيل فى هذا، فى إنجيل مرقس بدله: تدى، و فى إنجيل لوقا: يهودا بن يعقوب، ثم اتفقوا: و شمعون[5] القانانى - و فى
٥ إنجيل لوقا[6]: المدعو الغيور[7] - و يهودا الإسخريوطى الذى أسلمه. و أما نقباء الإسلام فكانوا ليلة العقبة الأخيرة حين بايع النبى صلى الله عليه و سلم الأنصار رضى الله عنهم على الحرب و أن يمنعوه إذا وصل إلى بلدهم، و قال لهم صلى الله عليه و سلم: أخرجوا إلىّ منكم[8] اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم كما اختار موسى من قومه، و أخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا:
١٠ تسعة من الخزرج و ثلاثة من الأوس، فقال لهم: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، و أنا كفيل على قومى، قالوا: نعم، و هذه أسماؤهم من الخزرج: أبو أمامة أسعد بن زرارة، و سعد بن الربيع، و سعد بن عبادة، و عبد الله بن رواحة، و رافع بن مالك بن العجلان، و البراء بن معرور[9]، و عبد الله بن عمرو بن حرام[10] أبو جابر،
١٥ و عبادة بن الصامت، و المنذر بن عمرو؛ و من[8] الأوس: أسيد بن حضير[11]، و سعد بن خيثمة، و رفاعة بن عبد المنذر، و أبو الهيثم بن[8] التيهان، قال

---

(١) من ظ، و فى الأصل: باسماء (٢) من الإنجيل، و فى الأصل: يوابرجس، و فى ظ: يوابرجس - كذا (٣) من ظ و الإنجيل. و فى الأصل: فسيليس - كذا.
(٤) زيد من ظ و الإنجيل (٥) من الإنجيل، و فى الأصل و ظ: سمعان.
(٦) زيد بعده فى ظ: يهودا (٧) فى ظ: لغيور (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ: معاور (١٠) من سيرة ابن هشام ١/١٥٥ و التهذيب، و فى الأصل و ظ: حزام.
(١١) من السيرة ١/١٥٦، و فى الأصل و ظ: الحضير.

ابن

ابن هشام : وقال كعب بن مالك يذكرهم فيما أنشدنى أبو زيد الأنصارى و ذكر أبا الهيثم بن التيهان و لم يذكر رفاعة فقال:

أبلغ أبيّا أنه قال[1] رأيه ... و حان غداة الشعب و الحين واقع

أبى الله[2] ما منّتك[3] نفسك إنه ... بمرصاد[4] أمر الناس راء و سامع

و أبلغ أبا سفيان أن قد بدا لنا ... بأحمد نور من هدى[5] الله ساطع ٥

/ فلا ترغبنّ فى حشد أمر تريده ... و ألب و جمع كل ما أنت جامع / ٢٤

و دونك فاعلم أن نقض عهودنا ... أباه عليك الرهط حين تبايعوا[6]

أباه البراء [و - [7]] ابن عمرو كلاهما ... و أسعد يأباه عليك و رافع

و سعد أباه الساعدى و منذر ... لأنفك إن حاولت ذلك[8] جادع[9]

و ما ابن ربيع إن تناولت عهده ... بمسلمه[10] لا يطمعنْ ثَمّ طامع ١٠

و أيضا فلا يعطيكه ابن رواحة ... و إخفاره[11] من دونه السم ناقع[12]

وفاء به و القوقلىّ بن صامت ... [13]بمندوحة عما تحاول[13] يافع[14]

أبو هيثم أيضا وفىّ بمثلها ... وفاء بما أعطى من العهد خانع

و ما ابن حضير إن أردت بمطمع ... فهل أنت عن[15] أحموقة الغى نازع[16]

---

(١) من نسخة من السيرة ، و فى الأصل و ظ و السيرة : قال (٢) من السيرة ، و فى الأصل و ظ : لله (٣) فى ظ : فيك (٤) فى ظ : مرصاد (٥) من ظ و السيرة ، و فى الأصل : يدى (٦) من ظ و السيرة ، و فى الأصل : تتابعوا . (٧) زيدت الواو من السيرة (٨) فى ظ : ذاك (٩) من السيرة ، و فى الأصل : خادع ، وفى ظ : جازع - كذا (١٠) من السيرة ، وفى الأصل : بمسلمة ، و فى ظ : بسلمة (١١) من السيرة ، و فى الأصل و ظ : اخفاوه (١٢) فى ظ : نامع . (١٣ - ١٣) فى ظ : بمندرج عما تحتاول - كذا (١٤) من السيرة ، و فى الأصل و ظ : نافع (١٥) سقط من ظ (١٦) فى ظ : منازع .

و سعد أخو عمرو بن عوف فانه ضروح لما حاولت ملأ مر[1] مانع
أولاك[2] نجوم لا يغبّك[3] منهم عليك بنحس فى دجى الليل طالع

فأما نقباء اليهود فى[4] جسّ[5] الأرض فلم يوف منهم إلا اثنان - كما سيأتى قريبا عن بعض التوراة التى[6] بين أيديهم ، و أما نقباء النصارى[7] فنقض ٥ منهم واحد - كما مضى عند قوله تعالى "و ما قتلوه و ما صلبوه[8] " و سيأتى إن شاء الله تعالى فى الأنعام عند قوله تعالى "لانذركم به و من بلغ[9] "، و أما نقباؤنا فكلهم وفى و برّ بتوفيق الله و عونه فله[10] أتم الحمد .

و لما ذكر سبحانه ما أخذ على اليهود من الميثاق و وعيده لهم إن كفروا بعد ذلك ، ذكر[11] أنهم نقضوا مرة بعد مرة - كما تقدم فى ١٠ سورة البقرة و غيرها كثير[12] منه عن[13] نص ما عندهم من التوراة - فاستحقوا ما هم فيه من الخزى ، فقال تعالى مسببا عما مضى[14] مؤكدا بما النافية لضد ما أثبته الكلام[15]: ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم ﴾ [أى - [16]] بتكذيب الرسل الآتين من بعد موسى عليه السلام ، و قتلهم الأنبياء ، و نبذهم كتاب الله وراء ظهورهم فى كتمانهم أمر محمد صلى الله عليه و سلم و غير ذلك ،

(١) من ظ و السيرة ، أى من الأمر ، و فى الأصل : ما الامر - كذا (٢) فى ظ : اولا - كذا (٣) من السيرة ، و فى الأصل : لا يغتبك ، و فى ظ : لا ينفك . (٤) من ظ ، و فى الأصل : ففى (٥) فى ظ : خميس - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : بالتى (٧) فى ظ : الانصار (٨) سورة ٤ آية ١٥٧ (٩) آية ١٩ . (١٠) فى ظ : كلمة - كذا (١١) من ظ ، و فى الأصل : اذكر (١٢) من ظ ، و فى الأصل : كثيرة (١٣) فى ظ : على (١٤) زيد بعده فى ظ : مسببا (١٥) فى ظ : بالكلام (١٦) زيد من ظ .

[لا بغير ذلك -[1]] كما نقض بنو النضير[2] فسلطكم الله عليهم بما أشار إليهم في سورة الحشر ﴿ لعنّهم ﴾ أى أبعدناهم بعد أنا وعدناهم القرب بالكون معهم إن وفوا .

و لما كان البعيد قد يكون رقيق القلب ، متأسفا[3] على بعده ، ساعيا في أسباب قربه ، باقيا[4] على عافية ربه ، فيرجى بذلك له[5] [6] الغفران ٥ لذنبه[6]، أخبر أنهم على غير ذلك بقوله : ﴿ و جعلنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ قلوبهم قٰسية ج ﴾ أى صلبة عاسية[7] بالغش[8] فهى غير قابلة للنصيحة ، لأن الذهب الخالص يكون لينا ، و المغشوش يكون فيه يبس و صلابة ، و كل لين قابل للصلاح بسهولة ، ثم بين قساوتها بما دل على نقضهم بقوله : ﴿ يحرفون الكلم ﴾ أى يجددون[9] كل وقت تحريفه ﴿ عن مواضعه لا ﴾ فانهم كلما ١٠ وجدوا شيئا من كلام الله يشهد بضلالهم حرفوه إلى شهواتهم ، و أولوه التأويل الباطل بأهوائهم ، فهم يحرفون الكلم و معانيها .

و لما كانوا قد تركوا أصلا و رأسا ما لا يقدرون لصراحته على تحريفه ، قال معبرا بالماضى إعلاما بجرمهم بالبراءة من ذلك : ﴿ و نسوا حظا ﴾ أى نصيبا نافعا / معليا لهم ﴿ مما ذكروا به ج ﴾ أى من التوراة على ألسنة أنبيائهم ١٥ / ٢٥ عيسى و من قبله عليهم السلام ، تركوه ترك الناسى للشيء لقلة مبالاته

---

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : بني النضير (٣) في ظ : متشقا (٤) من ظ ، و في الأصل : باكيا (٥) تقدم في ظ على «بذلك» (٦-٦) في ظ : غفران ذنبه (٧) في ظ : عاسية (٨) من ظ ، و في الأصل : بالغشى (٩) في ظ : متجددون .

به[1] بحيث لم يكن لهم رجوع إليه[2]، و عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه[1] قال: قد[1] ينسى المرء بعض العلم [بالمعصية - [3]]- و تلا هذه الآية .

و لما ذكر سبحانه ما يفعلونه فى حقه فى كلامه الذى هو صفته، أتبعه ما يعم حقه و حق نبيه صلى الله عليه و سلم على وجه معلم أن الخيانة ديدنهم[4]، تسلية له صلى الله عليه و سلم فقال[1]: ﴿ و لا تزال ﴾ أى بما نطلعك[5] عليه يا أكرم الخلق ! ﴿ تطلع ﴾ أى تظهر ظهورا بليغا ﴿ على خآئنة ﴾ أى خيانة عظيمة تستحق أن تسمى [6]فاعلها الخؤون[6] لشدتها ﴿ منهم ﴾ أى فى حقك بقصد الأذى، وفى حق الله تعالى باخفاء بعض ما شرعه لهم[7] ﴿ الا قليلا منهم ﴾ فانهم يكونون على نهج ١٠ الاستقامة إما بالإيمان، و إما بالوفاء و هم متمسكون بالكفر . ثم سبب عن هذا الذى فى حقه صلى الله عليه و سلم قوله : ﴿ فاعف عنهم ﴾ أى امح ذنبهم ذلك الذى اجترحوه، و هو دون النقض و التحريف، فلا تعاقبهم عليه .

و لما كان العفو لا يمنع المعاتبة قال[1] : ﴿ و اصفح ﴾ أى و أعرض ١٥ عن ذلك أصلا و رأسا. فلا تعاتبهم عليه كما لم تعاقبهم، فان ذلك إحسان منك ، و إذا أحسنت أحبك[8] الله ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ يحب المحسنين ۝ ﴾ و ذلك - كما روى الشيخان و غيرهما عن عائشة رضى الله عنها - أن النبى صلى الله عليه و سلم سحره رجل من

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : عنه (٣) زيد من ظ (٤) من ظ . و فى الأصل : دينهم (٥) فى ظ : يطلعك (٦-٦) فى ظ : فاعله للخوف - كذا (٧) فى ظ : بهم .
(٨) فى ظ : احب .

اليهود يقال له لبيد بن الأعصم - و فى رواية للبخارى: أنه[1] رجل من
بنى زريق حليف ليهود[2] و كان منافقا - حتى كان[3] يخيل إليه أنه يأتى
النساء و لا يأتيهن، و ذلك أشد السحر، ثم إن الله تعالى شفاه و أعلمه
أن السحر فى بئر ذروان، فقالت له[3] عائشة رضى الله عنها: أفلا أخرجته؟
فقال: لا، أما أنا فقد عافانى الله و كرهت أن أثير[4] [5]على الناس[5] شرا، ٥
فأمر[6] بها فدفنت، و هو فى معجم الطبرانى الكبير - و هذا لفظه - و مسند
أبى يعلى الموصلى و سنن النسائى الكبرى[7] و مسند عبد بن حميد و أبى بكر
ابن أبى شيبة و أحمد بن منيع عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال: كان
رجل[8] يدخل على النبى صلى الله عليه و سلم. فعقد له عقدا فجعله فى بئر
رجل من الأنصار، فأتاه ملكان يعودانه فقعد أحدهما عند رأسه ١٠
و الآخر عند رجليه، فقال أحدهما: أ تدرى ما وجعه؟ قال: فلان الذى[9]
يدخل عليه عقد له عقدا فألقاه فى بئر فلان الأنصارى، فلو أرسل
[إليه -[10]] رجلا[9] لوجد الماء أصفر، فبعث رجلا فأخذ العقد فحلها[11]
فبرأ، فكان الرجل بعد ذلك يدخل على النبى صلى الله عليه و سلم فلم يذكر
[له -[12]] شيئا منه و لم يعاتبه[13]. و للشيخين عن أنس رضى الله عنه أن ١٥

---

(١) فى ظ: ان (٢) فى ظ: اليهود (٣) سقط من ظ (٤) من صحيح البخارى - كتاب الطب، و فى الأصل: اشير، و فى ظ: اسير (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من الصحيح، و فى الأصل و ظ: فامرت (٧) فى ظ: الكبير.
(٨) فى ظ: برجل (٩) سقط من مجمع الزوائد ٦/٢٨٠ (١٠) زيد من المجمع.
(١١) فى ظ: فجعلها (١٢) زيد من ظ و المجمع (١٣) فى ظ: لا يعاتبه.

امرأة يهودية أتت النبي صلى الله عليه و سلم بشاة مسمومة فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فسألها عن ذلك فقالت: أردت لأقتلك، قال: ما كان الله ليسلطك[1] على ذلك - أو قال: علي - قالوا: فلا تقتلها؟ قال: لا، قال: فما زلت أعرفها في لهوات النبي صلى الله عليه

٥ و سلم. و في رواية: إنها كانت سبب موت النبي صلى الله عليه و سلم بانقطاع أبهره الشريف منها [بعد - [2]] سنين[3]. و في سنن أبي داود من وجه مرسل أنه قتل اليهودية، و الأول هو الصحيح، و سيأتي لهذا الحديث / ذكر[4] في هذه السورة عند "و الله يعصمك من الناس"، ‎/٢٦

فهذا غاية العفو و الإحسان امتثالا [5]لأمر الله[5] سبحانه.

١٠ و لما دخل النصارى فيما مضى لأنهم من بني إسرائيل، خصهم بالذكر لأن كفرهم أشد و أسمج فقال: ﴿ و من الذين قالوآ ﴾ أي مسمين أنفسهم ملزمين لها النصرة لله، مؤكدين قولهم ردا على من يرتاب فيه: ﴿ انا نصٰرىٓ ﴾ أي مبالغون في [نصرة - [2]] الحق، فالتعبير بذلك دون 'و من النصارى' تنبيه على أنهم تسموا بما لم يفوا به ﴿ اخذنا ﴾ أي

١٥ بما لنا من العظمة ﴿ ميثاقهم ﴾ أي كما أخذ على [الذين - [2]] من قبلهم. و لما كان كفرهم في غاية الظهور [و الجلاء - [2]]، لم ينسبهم إلى غير[6] الترك فقال: ﴿ فنسوا ﴾ أي تركوا ترك الناسي ﴿ حظا ﴾ أي

---

(١) زيد بعده في الأصل: الله، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٢) من ظ، و موضعه في الأصل بياض (٣) من ظ، و في الأصل: سنيان - كذا (٤) في ظ: ذكره (٥-٥) في ظ: لامره (٦) في ظ: غيرك.

نصيبا [عظيما - [1]] يتنافس [2] فى مثله ﴿ مما ذكروا به ص ﴾ أى فى الإنجيل مما سبق لهم ذكره فى التوراة من أوصاف [3] نبيه [4] صلى الله عليه و سلم و غير ذلك من الحق .

و لما أدى ذلك إلى تشعبهم فرقا ، فأنتج تشاحنهم و تقاطعهم و تدابرهم ، سبب عنه قوله : ﴿ فاغرينا ﴾ أى ألصقنا بعظمتنا إلصاق ما هو بالغراء [5] ٥ لا ينفك بل يصير كجزء الشيء ﴿ بينهم ﴾ أى النصارى بعد أن جعلناهم فرقا متباينين [بتفريق - [1]] الدين ، وكذا بينهم و بين اليهود ﴿ العداوة ﴾ و لما كانت العداوة [6] قد تكون [6] عن بغى [و نحوه ، إذا - [1]] زال [7] زالت أو خفّت ، قال معلما أنها لأمر باطنى نشأ من تزيين الهوى ، فهو ثابت [غير منفك - [1]] : ﴿ و البغضآء ﴾ بالأهواء المختلفة ﴿ الى يوم القيٰمة ط ﴾ ١٠

و لما أخبر بنكدهم [8] فى الدنيا ، أعقبه [9] ما [لهم فى - [1]] [6] الأخرى فقال : ﴿ و سوف ينبئهم ﴾ أى يخبرهم ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعلى المحيط بكل شيء قدرة و علما إخبارا بعظيم الشأن بما فيه من عظم التقريع و التوبيخ فى [6] الآخرة بوعيد لا خلف فيه ؛ و لما كانت خيانتهم قد صارت لهم [[10] فيها ملكات بما لازموا منها حتى ضربوا بها و تدربوا [11] عليها ، حتى ١٥

---

(١) من ظ ، وموضعه فى الأصل بياض (٢) من ظ ، و فى الأصل : تنافس .

(٣) فى ظ : اوف - كذا (٤) فى ظ : محمد (٥) فى الأصل : بالعسا ، وفى ظ : بالغر - كذا (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ : زالت (٨) فى ظ : بتكذيبهم (٩) فى ظ : اتبعه (١٠) زيد ما بين الحاجزين من ظ (١١) فى ظ : تدبوا - كذا .

صارت لهم] أحوالا لأنفسهم و أخلاقا[1] لقلوبهم[2]، سماها [صنائع -[3]] فقال: ﴿ بما كانوا يصنعون ﴾ أى دربوا أنفسهم [عليه -[4]] حتى صار كالصنعة[5]، فيجازيهم عليه بما يقيم عليهم من الحجة .

و لما علم بذلك كله أحوال الفريقين، أقبل عليهم واعظا مناديا[6]
٥ متلطفا[7] [مستعطفا -[3]] مرغبا مرهبا فقال: ﴿ يأهل الكتب ﴾ أى عامة ﴿ قد جآءكم رسولنا ﴾ أى الذى أرسلناه بما لنا [8]من العظمة[8]، فليظهرن بذلك على من [ناواه - [4]] ﴿ يبين[9] لكم ﴾ أى يوضح إيضاحا شافيا ﴿ كثيرا مما كنتم ﴾ أى بما لكم من جبلة الشر و الكذب و الخيانة ﴿ تخفون من الكتب ﴾ أى العظيم المنزل عليكم، من صفة
١٠ محمد صلى الله عليه و سلم و حكم الزنا و غيرهما، لإحياء سنة و إماتة[10] بدعة - كما مضى منه ما شاء الله فى سورة البقرة، و ذلك دال بلا شبهة على صحة رسالته ﴿ و يعفوا عن كثير ﴾ أى فلا يفضحكم بإظهاره امتثالا لأمرنا له بذلك - كما تقدم أنه إحسان [منه - [4]] صلى الله عليه و سلم إليكم، لأنه لا فائدة فى إظهاره إلا فضيحتكم .

١٥ و لما أخبر عن فصله للخفايا، و كان التفصيل لا يكون إلا بالنور، اقتضى الحال توقع الإخبار بأنه نور، فقال مفتتحا بحرف التوقع و التحقيق:

(١) من ظ ، و فى الأصل : اختلافا (٢) فى ظ : اقوتهم (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) من ظ ، و موضعه فى الأصل بياض (٥) فى ظ : كالضيعة (٦) فى الأصل : منا ، و فى ظ : مادا - كذا (٧) سقط من ظ (٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) فى ظ : تبين (١٠) من ظ ، و فى الأصل : اقامة .

﴿ قد جآءكم ﴾ و عظمه بقوله معبرا بالاسم الأعظم : ﴿ من الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ نور ﴾ أى واضح النورية ، و هو محمد صلى الله عليه و سلم الذى كشف ظلمات الشك [1] و الشرك [1] ، و دل على جمعه مع فرقه [2] بقوله : ﴿ و كتب ﴾ أى جامع ﴿ مبين لا ﴾ أى بين فى نفسه ، مبين لما كان خافيا على الناس من / الحق .   ٥   / ٢٧

و لما كانت هدايته مشروطة بشرط صلاح الجبلة ، بين ذلك بقوله واصفا له : ﴿ يهدى به ﴾ أى الكتاب ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم القادر على التصرف فى البواطن و الظواهر ﴿ من اتبع ﴾ أى كلف نفسه و أجهدها فى الخلاص من أسر الهوى [1] بأن تبع [1] ﴿ رضوانه ﴾ أى غاية ما رضيه من الإيمان و العمل الصالح ، و معلوم أن ذلك لا يكون إلا بتوفيقه ، ١٠ ثم ذكر مفعول " يهدى " فقال : ﴿ سبل ﴾ أى طرق [3] ﴿ السلم ﴾ أى الله ، باتباع شرائع دينه و العافية و السلامة من كل مكروه ﴿ و يخرجهم من الظلمت ﴾ أى كدورات النفوس و الأهواء و الوساوس الشيطانية ﴿ الى النور ﴾ أى الذى دعا إليه العقل [4] ، فيصيروا عاملين بأحسن الأعمال كما يقتضيه اختيارُ من هو فى النور ﴿ باذنه ﴾ أى بتمكينه .   ١٥

و لما كان من [4] فى النور قد يغيب عنه غرضه الأعظم فلا ينظره [5] لغيبته عنه ببعده منه ، و تكثر [6] عليه الأسباب فلا يدرى أيها يوصل أو يقرب إيصاله و يسهل أمره ، قال كافلا لهم بالنور مريحا من تعب

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : قربه (٣) من ظ ، و فى الأصل : طريق (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : فلا ينظر (٦) فى ظ : يكثر .

السير : ﴿ و يهديهم ﴾ أى بما له من إحاطة العلم و القدرة ﴿ الى صراط مستقيم ه ﴾ أى طريق موصل إلى الغرض من غير عوج أصلا . و هو الدين الحق ، و ذلك مقتض للتقرب[1] المستلزم لسرعة الوصول .

و لما تم ذلك موضحا لأن من لم يتبع الكتاب الموصوف كان ٥ كافرا . و عن الطريق[2] الأمم جائرا[3] حائرا ، وكان محصل حال اليهود - كما رأيت فيما تقدم و يأتى من نصوص التوراة - أنهم لا يعتقدون على كثرة ما يرون[4] من الآيات أن الله مع نبيهم دائما ، و كان أنسب الأشياء بعد الوعظ أن يذكر حال النصارى فى نبيهم ، فانه مباين لحال اليهود من كل وجه ، فأولئك على شك فى أنه معه ، و هؤلاء اعتقدوا أنه هو ، ١٠ فقال تعالى مبينا أنهم فى أظلم الظلام و أعمى العمى : ﴿ لقد ﴾ أو يقال : إن اليهود لما فرطوا فكفروا ، أفهم ذلك أن النصارى لما أفرطوا كفروا ، فصار حالهم كالنتيجة لما مضى فقال : لقد ﴿ كفر الذين قالوآ ﴾ مؤكدين لبعد ما قالوه من العقل فهو فى غاية الإنكار ﴿ ان الله ﴾ أى على ما له من جميع صفات الكمال التى لا يجهلها من له أدنى تأمل إذا ترجى الهدى ١٥ و انخلع من أسر الهوى ﴿ هو المسيح ﴾ أى عينه ، و هو أقطع الكفر و أبينه بطلانا ، و وصفه بما هو فى غاية الوضوح فى بطلان قولهم لبعده عن رتبة الألوهية فى الحاجة إلى امرأة فقال : ﴿ ابن مريم ﴾ فهو محتاج إلى كفالتها بما لها من الأمومة .

و لما بطل مدعاهم على أتقن منهاج و أخصره ، و كان ربما دق

(١) فى ظ : للقرب (٢) فى ظ : طريق (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : يريدون .

على بعض الأفهام، أوضحه بقوله: ﴿ قل ﴾ دالا[1] على أن المسيح عليه السلام عبد مملوك لله، مسببا عن كفرهم ﴿ فمن يملك من الله ﴾ أى الملك الذى له الأمر كله ﴿ شيئا ﴾ أى من الأشياء التى يتوهم أنها قد تمنعه مما[2] يريد، بحيث يصير ذلك[3] المملوك أحق به منه و لا ينفذ له[4] فيه تصرف ﴿ ان اراد ﴾ أى الله سبحانه ﴿ ان يهلك المسيح ﴾ و كرر ٥ وصفه بالبنوة إيضاحا للمراد فقال: ﴿ ابن مريم ﴾ و أزال الشبهة جدا بقوله: ﴿ و امه ﴾ و لما خصها دليلا على ضعفها المستلزم [للمراد، عم دلالة على عموم القدرة المستلزم - ٥] لتمام القهر لكل من يماثلها[6] المستلزم لعجز الكل المبعد / من رتبة الإلهية، فقال موضحا[7] للدليل بتسويتها ببقية /٢٨ المخلوقات: ﴿ و من فى الارض جميعا ﴾ أى فمن يملك[8] منعه من ذلك. ١٠

و لما كان التقدير: فان ذلك كله لله، يهلكه كيف شاء [9]متى شاء[9]، عطف عليه ما هو أعم منه، فقال معلما بأنه - مع كونه مالكا مَلِكا[10] - له تمام التصرف: ﴿ و لله ﴾ أى الملك الأعلى الذى [لا شريك - ٥] له ﴿ ملك السموٰت ﴾ أى التى بها قيام الأرض ﴿ و الارض و ما بينهما ﴾ أى ما بين النوعين و بين أفرادهما، بما[11] به تمام أمرهما؛ ثم استأنف قوله ١٥ دليلا على ما قبله و نتيجة له: ﴿ يخلق ما يشآء ﴾ على أى كيفية أراد

---

(١) من ظ، و فى الأصل: دال (٢) من ظ، و فى الأصل: بما (٣) من ظ، و فى الأصل: بذلك (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: لصايلها - كذا (٧) من ظ، و فى الأصل: يوضحا - كذا (٨) فى ظ: يملكه (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) فى ظ: ملك (١١) من ظ: و فى الأصل: ما.

- كما تقدم أن له أن يعدم ما يشاء كذلك، فلا عجب فى خلقه بشرا من أنثى فقط، لا بواسطة[1] ذكر، حتى يكون سببا[2] فى ضلال من ضل به[3]؛ و لما دل ذلك على تمام القدرة على المذكور عم[3] فقال: ﴿و الله﴾ أى ذو الجلال و الإكرام ﴿على كل شىء﴾ أى من ذلك و غيره ﴿قدير ٥﴾.

٥ و لما عم سبحانه فى ذكر فضائح بنى إسرائيل تارة[3]، و خص أخرى، عم بذكر طامة من طوامهم[4]، حملهم عليها العجب و البطر بما أنعم الله به عليهم، فقال: ﴿و قالت اليهود و النصرٰى﴾ أى كل طائفة قالت ذلك على حدتها خاصة لنفسها دون الخلق أجمعين ﴿نحن ابنٰٓؤا الله﴾ أى بما هو ناظر إلينا به من جميع صفات الكمال ﴿و احبآؤه[1]﴾ أى غريقون

١٠ فى كل من الوصفين - كما يدل عليه العطف بالواو، ثم شرع ينقض هذه الدعوى نقضا بعد نقض على تقدير كون البنوة على حقيقتها أو مجازها، و[3] الذى أورثهم هذه الشبهة[5] - إن لم يكونوا قالوا ذلك عنادا - أن[3] فى موضع من التوراة عن قول الله تعالى لموسى عليه السلام: شعبى بكرى[6]، و قال [7]فى أول[7] نبوة موسى عليه السلام[8] - كما ذكرته [فى

١٥ الأعراف -[9]]: و قل لفرعون: هكذا[10] يقول الرب: ابنى بكرى[6] إسرائيل أرسل[3] ليعبدنى، فان أبيت أن ترسل ابنى فانى أقتل ابنك بكرك - و نحو هذا؛ و فى كثير مما بين أيديهم من الإنجيل عن قول عيسى عليه السلام:

(١) من ظ، و فى الأصل: بواسط (٢) فى ظ: سبيلا (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: طوابهم (٥) فى ظ: الشبة - كذا (٦) من ظ، و فى الأصل: بكر (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ: هذا.

افعلوا كذا لتكونوا بنى أبيكم الذى فى السماء - و نحو ذلك ، و قد بينت معناه على تقدير صحته بما يوجب رده إلى المحكم بلا شبهة فى أول سورة آل عمران ؛ قال البيضاوى فى أول سورة الكهف : إنهم كانوا يطلقون الأب و الابن فى تلك الأديان بمعنى المؤثر و الأثر ، و قال فى البقرة فى تفسير " بديع السموٰت[1] " أنهم كانوا يطلقون الأب[2] على الله باعتبار أنه ٥ السبب الأصلى ، ثم ظنت الجهلة منهم أن المراد به معنى الولادة ، فلذلك[3] كفر قائله و منع منه منعا مطلقا [انتهى -[4]] . فأول نقض نقض به سبحانه و تعالى هذه الدعوى بيان أنه يعذبهم فقال : ﴿ قل فلم يعذبكم ﴾ أى إن كنتم جامعين بين كونكم أبناء و أحباء [5]بين عطف البنوة و حنو المحبة[5] ﴿ بذنوبكم[4] ﴾ و عذابهم مذكور فى نص توراتهم فى غير مواطن[6] و مشهور ١٠ فى تواريخهم بجعلهم قردة و خنازير و غير ذلك ، أى فان كان المراد بالبنوة الحقيقة[7] فابن[8] الإله لا يكون له [ذنب -[9]] فضلا عن أن يعذب به ، لأن الابن لا يكون إلا من جنس الأب[10] - تعالى الله عن النوعية و الجنسية و الصاحبة و الولد علوا كبيرا ! و إن [كان -[9]] المراد المجاز ، أى بكونه يكرمكم إكرام الولد و الحبيب ، كان ذلك مانعا من التعذيب . ١٥ و لما كان معنى ذلك أنه يعذبكم [11]لأنكم لستم[11] أبناء و لا [12] أحباء ،

(١) آية ١١٧ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الابن (٣) فى ظ : و لذلك (٤) زيد من ظ ، و زيد بعده أيضا : قال (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : موطن (٧) فى الأصل : الحقيقية ، وفى ظ : والحقيقية (٨) من ظ ، وفى الأصل : فان (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ : الابن - كذا (١١-١١) فى ظ : انكم لست . (١٢) سقط من ظ .

/ ٢٩ عطف عليه نقضا آخر أوضح من الأول / فقال : ﴿ بل انتم بشر ممن خلق ط ﴾ و ذلك أمر مشاهد ، و المشاهدات من أوضح الدلائل ، فأنتم مساوون لغيركم فى البشرية و الحدوث ، لا مزية لأحد منكم على غيره فى الخلق و البشرية ، و هما يمنعان البنوة ، فان القديم لا يلد بشرا ، و الأب ٥ لا يخلق ابنه ، فامتنع بهذين الوصفين البنوة ، و امتنع بتعذيبهم أن يكونوا أحباء الله ؛ فبطل الوصفان اللذان ادعوهما[1] .

و لما كان التقدير : يفعل بكم ما يفعل بسائر خلقه ، وصل به قوله جوابا لمن يقول : و[2] ما هو فاعل بمن خلق ؟ : ﴿ يغفر لمن يشآء ﴾ أى من خلقه منكم و من غيركم فضلا منه تعالى ﴿ و يعذب من يشآء ط ﴾ عدلا ١٠ كما تشاهدونه[3] يكرم ناسا منكم فى هذه الدار و يهين آخرين .

و لما كان التقدير : لأنه مالك خلقه و ملكهم لا اعتراض عليه فى شيء من أمره[4] ، عطف عليه قوله نقضا[5] ثالثا بما هو أعم مما قبله فقال : ﴿ و لله ﴾ أى الذى له الأمر كله ، فلا كفوء له ﴿ ملك السمٰوٰت ﴾ و قدمها لشرفها دلالة على ملك غيرها من باب أولى ، و صرح بقوله : ١٥ ﴿ و الارض و ما بينهما ز ﴾ أى و أنتم مما بينهما ، و قد اجتمع بذلك مع المَلكِ و الإبداعِ المِلْكُ و التصريف و[2] التصرف التام ، و ذلك هو الغنى المطلق ، و من كان كذلك لم يكن محتاجا إلى شيء من ولد و لا غيره ، و لا يكون لأحد عليه حق ، و لا يسوغ عليه اعتراض .

و لما كان التقدير : فنه وحده[2] الابتداء ، عطف عليه قوله :

(١) فى ظ : ادعاهما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : يشاهدونه ـ كذا (٤) من ظ ، وفى الأصل : امرهم (٥) فى ظ : بقضا ـ كذا .

﴿ و إليه ﴾ أى وحده ﴿ المصير ﴾ أى الصيرورة و الرجوع و زمان ذلك و مكانه معنى فى الدنيا بأنه لا يخرج شىء عن مراده ، و حسّا فى الآخرة، فيحكم بين مصنوعاته على غاية العدل - كما هو مقتضى الحكمة و شأن كل ملك فى إقامة ملكه بانصاف بعض عبيده من بعض، لا يجوز عنده ٥ فى موجب السياسة إطلاق قويّهم على ضعيفهم، فان ذلك يؤدى إلى خراب الملك [و ضعف الملك - [1]]، فاذا كان هذا شأن الملوك فى[2] العبيد الناقصين فما ظنك[3] بأحكم الحاكمين! فاذا[4] عاملهم كلهم بالعدل أسبغ على من يريد ملابس[5] الفضل .

و لما دحضت حجتهم،[6]و وضحت أكذوبتهم[6]، اقتضى ذلك الالتفات ١٠ إلى وعظهم على وجه الامتنان عليهم و إبطال ما عساهم يظنونه[8] حجة، فقال تعالى: ﴿ يٰأهل الكتٰب ﴾ أى من الفريقين؛ و لما كان ما حصل لهم من الضلال بتضييع ما عندهم من البينات و تغييرها ما[8] لا يتوقع معه الإرسال، قال معبرا بحرف التوقع: ﴿قد جآءكم رسولنا ﴾ أى الذى عظمته من عظمتنا ، فاعظامه و إجلاله واجب لذلك، ثم بين حاله مقدما له ١٥ على متعلق "جاء" بيانا لأنه أهم ما إلى الرسل إليهم إرشادا إلى قبول كل ما جاء به بقوله: ﴿ يبين لكم ﴾ أى يوقع لكم البيان فى كل ما ينفعكم بيانا شافيا لما تقدم و غيره .

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : من (٣) فى ظ : ظنكم (٤) فى ظ : و إذا (٥) فى ظ : تلابس (٦ - ٦) فى ظ : و الدر وبتهم - كذا (٧) فى ظ : يظنون (٨) من ظ ، و فى الأصل : كما .

و لما [كان - [1]] مجيئه ملتبسا ببيانه و ظرفا [2] له غير منفك عنه، و كان بيانا مستعليا على وقت مجيئه و ما مضى قبله و [3] ما يأتى بعده ببقاء كتابه، محفوظا لعموم [4] دعوته و ختامه و تفرده، فلا نبى بعده، قال معلقا بجاء: ﴿على فترة﴾ أى طويلة بالنسبة إلى ما كان يكون بين النبيّين من بنى إسرائيل،

٥ مبتدئة تلك الفترة ﴿من الرسل﴾ أى انقطاع من مجيئهم، شُبّه [5] فقدهم و بُعد العهد بهم و نسيان أخبارهم، و بلاء رسومهم و آثارهم، و انطماس معالمهم و أنوارهم بشىء [6] كان يفنى ففتر [6]، لم يبق من وصفه المقصود منه إلا [7] أثر خاف [7] و رسم دارس، يقال: فتر الشىء - إذا سكنت [8] /حدته ٣٠/

و صار أقل مما كان عليه، [و - [9]] ذلك لأنه كان بين عيسى و بين النبى

١٠ صلى الله عليه و سلم ستمائة سنة فسد فيها أمر الناس، و لعله عبر بالمضارع فى "يبين" إشارة إلى أن دينه و بيانه لا ينقطع أصلا بحفظ [10] كتابه، فكلما درست سنة منح الله بعالم يرد الناس إليها بالكتاب المعجز القائم أبدا، فلذلك لا يحتاج الأمر إلى نبى مجدد إلا عند الفتنة التى لا يطيقها العلماء، و هى فتنة الدجال و يأجوج و مأجوج، ثم [11] علل ذلك بقوله:

١٥ ﴿ ان ﴾ أى كراهة [12] أن ﴿ تقولوا ﴾ أى إذا حشرتم [13] و سئلتم عن

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: طرحا - كذا (٣) فى ظ: قد.
(٤) من ظ، و فى الأصل: عمومه (٥) من ظ. و فى الأصل: سببه - كذا (٦-٦) فى ظ: كما يعلى فقير - كذا (٧-٧) فى ظ: امر حان - كذا (٨) من ظ، و فى الأصل: سكت (٩) زيدت الواو من ظ (١٠) فى ظ: لحفظ (١١) من ظ، و فى الأصل «و» (١٢) زيد بعده فى ظ: يقولوا (١٣) فى ظ: حسرتم.

أعمالكم

أعمالكم ﴿ ما جآءنا ﴾ و لتأكيد النفي قيل: ﴿ من بشير ﴾ أى يبشرنا لنرغب فنعمل بما يسعدنا فنفوز ﴿ و لا نذير ﴾ أى [1]يحذرنا لنرهب[1] فنترك ما يشقينا فنسلم، لأن الإنسان موزّع النقصان بين الرغبة و الرهبة، و قد كان اختلط فى تلك الفترة الحق بالباطل فالتبس الأمر و جهل الحال، لكنه لم يجهل[2] جهلا يحصل به عذر فى الشرك، و سأبينه فى أول ص ٥ .

و لما كان المعنى: فلا تقولوا [ذلك - [3]]، سبب عنه قوله: ﴿ [4]فقد جآءكم[4] ﴾ [أى من هو متصف بالوصفين[5] معا فهو - [3]] ﴿ بشير و نذير[4] ﴾ أى كامل[6] فى كل من الوصفين و إن تباينا؛ و لما كان ربما كان[7] توهم أحد من ترك الإرسال زمن[8] الفترة، و من ترك التعذيب بغير حجة الإرسال، [10]و بالعدول[9] عن بنى إسرائيل [10]إلى بنى إسماعيل[10] ١٠ شيئا فى القدرة، قال كاشفا لتلك الغمة[11]: ﴿ و الله ﴾ أى جاءكم و الحال أن الملك الذى له الكمال كله ﴿ على كل شيء ﴾ أى من أن يرسل فى كل وقت و أن يترك ذلك، و أن يهدى بالبيان و أن يضل، و من أن يعذب و لا يقبل عذرا و أن يغفر كل شيء و غير ذلك ﴿ قدير ﴾ و فى الختم بوصف القدرة و إتباعه تذكيرهم ما صاروا إليه من العز بالنبوة و الملك ١٥ بعد ما كانوا فيه من الذل بالعبودية و الجهل إشارة إلى أن إنكارهم

(١-١) من ظ، و فى الأصل: ليحذرنا فنرهب (٢) فى الأصل: لم يجعل، و فى ظ: لم يحصل - كذا (٣) زيد من ظ (٤-٤) من ظ و القرآن الكريم، و قد سقط من الأصل (٥) فى ظ: بالوصف - كذا (٦) من ظ، و فى الأصل: الكامل (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: من (٩) فى ظ: بالعدل (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) فى ظ: النعمة.

لأن يكون من ولد إسماعيل عليه السلام نبي يلزم منه إنكارهم[1] للقدرة .

و لما ذكر سعة مملكته و تمام علمه و شمول قدرته أتبع ذلك الدلالة عليه بقصة[2] بنى إسرائيل فى[3] استنقاذهم من أسر العبودية و الرق و إعلاء شأنهم و إيراثهم أرض الجبارين[4] بعد إهلاك فرعون و جنوده ٥ و غير ذلك مما تضمنته القصة ، إظهارا[5] - بعدم ردهم إلى مصر التى باد أهلها - لتمام القدرة و سعة الملك و نفوذ الأمر ، و هى مع ذلك دالة على نقضهم الميثاق و قساوتهم و نقض ما ادعوه[6] من بنوتهم و محبتهم ، و ذلك أنها ناطقة بتعذيبهم و تفسيقهم و تبرئهم من الله ، و لا شيء من ذلك فعل حبيب و لا ولد ، فقال عاطفا[7] على "نعمة" فى "و اذكروا ١٠ نعمة الله عليكم" تذكيرا لهذه الأمة بنعمة التوثيق للسمع و الطاعة التى أباها بنو إسرائيل بعد ما رأوا من الآيات ، و بما كف عنهم على ضعفهم و شجع به قلوبهم ، و ألزمهم الطاعة و كره إليهم المعصية بضد ما فعل ببنى إسرائيل - و غير ذلك مما يرشد إليه إنعام النظر فى القصة : ﴿ و اذ ﴾ أى و اذكروا[2] حين ﴿ قال موسى لقومه ﴾ أى من اليهود ١٥ ﴿ يٰقوم اذكروا[2] ﴾ أى بالقلب و اللسان ، أى[2] ذكر اعتبار و اتعاظ بما لكم من [قوة - [8]] القيام بما تحاولونه ، ليقع منكم الشكر ﴿ نعمة الله ﴾ أى إنعام الملك الأعظم الذى له الإحاطة بالجلال و الإكرام ، و عبر عن

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : انذارهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل: من (٤) فى ظ : الجبابرة (٥) من ظ ، و فى الأصل : اظهار (٦) فى ظ : ادعوا . (٧) من ظ ، و فى الأصل : عطفا (٨) زيد من ظ .

الإنعام بالغاية لأنها المقصود ﴿عليكم﴾ وعظم ذلك التذكير بالاسم الأعظم، /و نبه بذكر ظرفها على أجل النعم ، و هى النبوة المنقذة لهم من النار فقال: ٣١/
﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ جعل فيكم ﴾ و بشرهم بمن يأتى بعده من الأنبياء من بنى إسرائيل لجمع جمع الكثرة فى قوله : ﴿ انبيآء ﴾ أى يحفظونكم من المهالك الدائمة ، ففعل معكم - بذلك و غيره من النعم التى فضلكم ٥
بها على العالمين فى تلك الأزمان - فعل المحب مع حبيبه و الوالد مع ولده ، و مع ذلك عاقبكم حين عصيتم ، و غضب عليكم إذ أبيتم ، فعلم أن الإكرام و[1] الإهانة دائران بعد[1] مشيئته[2] على الطاعة و المعصية .

و لما نقلهم من الحيثية التى كانوا فيها عبيدا لفرعون ، لا يصلحون معها للملك[3] ، و لا تحدثهم أنفسهم به ، إلى حيثية الحرية القابلة[4] لأن يكون ١٠
[5]كل منهم[5] معها ملكا[1] بعد أن أرسل فيهم رسولا و بشر بأنه[6] يتبعه من الأنبياء ما لم يكن فى أمة من الأمم غيرهم ، قال: ﴿و جعلكم ملوكا ق‍ صلے ﴾ أى فكما[7] جعلكم كذلك بعد ما كنتم غير طامعين فى شىء منه ، فقد نقله منكم و جعله فى غيركم بتلك القدرة التى أنعم عليكم بها ، و ذلك لكفركم بالنعم و إيثاركم الجهل على العلم ، فانكاركم لذالك[8] و تخصيص[9] النعم بكم ١٥
تحكم و ترجيح بلا مرجح ، و يوضح ذلك أن كفر النعمة سبب لزوالها[10] ، و قد كانوا يهددون فى التوراة و غيرها بما هم فيه الآن من ضرب الذلة

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : سنته - كذا (٣) فى ظ : الملك (٤) فى ظ : القائلة .
(٥-٥) فى ظ : كلهم (٦) من ظ ، و فى الأصل : نابه - كذا (٧) فى ظ : فما .
(٨) فى ظ : كذلك (٩) زيد بعده فى ظ : و غيرها (١٠) فى ظ : زوالها .

و المسكنة التى لا يصلحون معها لملك إن هم كفروا - كما سيأتى بعض ذلك فى هذه السورة .

و لما ذكرهم تعالى بما[1] ذكرهم به[2] من النعم العامة ، أتبعه التذكير بنعمة خاصة فقال : ﴿ و اٰتٰكم ما لم يؤت ﴾ أى فى زمانكم و لا فيما ٥ قبله من سالف الزمان - كما اقتضاه التعبير [بلم - [3]] ﴿ احدا من العٰلمين ﴾ من الآيات التى أظهرها على يد موسى عليه السلام ، فأخرجكم بها من الظلمات إلى النور ، و الكتاب الذى جعله تبيانا لكل شىء ؛ [ثم - [4]] أتبعه ما يقيد به هذه النعم من الشكر بامتثال الأمر فى جهاد الأعداء فى سياق مؤذن بالنصر معلم بأنه نعمة أخرى يجب ١٠ شكرها ، فلذلك[5] وصله بما قبله وصل [6]المعلول بالعلة[6] فقال : ﴿ يٰقوم ادخلوا ﴾ [عن أمر الله الذى أعلمكم بما صنع من الآيات أنه غالب على جميع أمره - [3]] ﴿ الارض المقدسة ﴾ أى المطهرة المباركة التى حكم الله أن يطهرها بأنبيائه و رسله من نجس الشرك و وضر المعاصى و الإفك ، و يبارك فيها ، [ثم - [3]] وصفها بما يوجب للؤمن الإقدام ١٥ لتحققه النصر فقال : ﴿ التى كتب الله ﴾ أى الذى له الأمر كله فلا مانع لما أعطى ﴿ لكم ﴾ أى بأن تجاهدوا أعداءه فترثوا أرضهم التى لا مثل لها ، فتحوزوا سعادة الدارين ، و هى بيت المقدس التى وعد[7]

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : ما (٢) فى ظ : آية - كذا (٣) زيد من ظ (٤) زيد كى تستقيم العبارة ، والعبارة من بعده إلى « معلم بأنه » سقطت من ظ (٥) فى ظ : و لذلك (٦ - ٦) من ظ ، و فى الأصل : المفعول بالصلة (٧) من ظ ، و فى الأصل : وعدا .

أباكم

أباكم إبراهيم عليه السلام أن تكون[1] ميراثا لولده بعد أن جعلها مهاجرة .

و لما أمرهم بذلك نهاهم عن التقاعد عنه ، فقال مشيرا إلى أن مخالفة أمر الله لا تكون إلا[2] بمعالجة للفطرة الأولى: ﴿ و لا ترتدوا ﴾ [3]أى تكلفوا أنفسكم الرجوع عن أخذها ، و صوّر لهم الفتور عن أخذها بما يستحي من له همة من ذكره فقال[3]: ﴿ علٰى ادباركم ﴾ و لما جمع ٥ بين الأمر و النهى ، خوفهم عواقب العصيان معلما بأن ارتدادهم سبب لهلاكهم بغير شك ، فقال [معبرا بصيغة الانفعال -[4]]: ﴿ فتنقلبوا ﴾ أى من عند أنفسكم من غير قالب يسلط عليكم ﴿ خسرين ﴾ أى بخزى المعصية عند الله و عار الجبن عند / الناس و خيبة السعى من خيرى الدارين . / ٣٢

و لما كان هذا السياق محركا للنفس إلى معرفة جوابهم عنه ، أورده ١٠ على تقدير سؤال من كأنه قال: إن هذا لترغيب[5] مشوق و ترهيب مقلق، فما قالوا فى جوابه[6]؟ فقال: ﴿ قالوا ﴾ معرضين عن ذلك كله بهمم سافلة و أحوال نازلة، مخاطبين له باسمه جفاء و جلافة و قلة أدب ﴿ يموسىٰ ﴾ و أكدوا قولهم تأكيد من هو محيط العلم ، فقالوا مخاطبين بجرأة و قلة حياء لأعلم أهل زمانه: ﴿ ان فيها ﴾ أى دون غيرها ﴿ قوما جبارين ﴾ ١٥ أى عتاة قاهرين لغيرهم[7] مكرهين له على ما يريدون ﴿ و انا لن ندخلها ﴾ خوفا منهم ﴿ حتى يخرجوا منها ﴾ ثم صرحوا بالإتيان بالجملة الاسمية المؤكدة

---

(١) فى الأصل: تكونوا ، و فى ظ: يكون (٢) سقط من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ (٥) فى الأصل و ظ: الترغيب (٦) من ظ ، و فى الأصل: جوابهم (٧) فى ظ: لغيركم .

بتهالكهم على الدخول وأنه لا مانع لهم[١] إلا الجبن فقالوا : ﴿فان يخرجوا منها﴾ أى بأى وجه كان ، وعبروا بأداة الشك مع إعلام الله لهم باهلاكهم على أيديهم جلافة منهم و عراقة طبع فى التكذيب ﴿ فانا دٰخلون ﴾ فكأنه قيل[٢] : إن هذه لسقطة ما مثلها ، فما اتفق لهم بعدها ؟ فقيل : ﴿قال رجلٰن﴾

٥ و أشار إلى كونهما من بنى إسرائيل بقوله ذما لمن تقاعس عن الأمر منهم : ﴿من الذين يخافون ﴾ أى يوجد منهم الخوف من الجبارين ، و مع ذلك فلم يخافا وثوقا منهما بوعد الله ، و لما كان بنو إسرائيل أهلا لأن يخافهم من يقصدونهم[٣] بالحرب لأن الله معهم بعونه و نصره ، قرئ : يخافون - مبنيا للفعول ﴿ انعم الله ﴾ أى بما له من صفات الكمال ﴿ عليهما ﴾ أى بالتثبيت

١٠ على العمل بحق النقابة ، و هما يوشع بن نون و كالاب بن يوفنا ـ كما أنعم عليكم أيها العرب و خصوصا النقباء بالثبات فى كل موطن ﴿ ادخلوا عليهم الباب ﴾ أى باب قريتهم امتثالا لأمر الله و إيقانا بوعده .

و لما كانا يعلمان أنه لا بد من دخولهم عليهم و إن تقاعسوا[٤] و إن طال المدى ، لأن الله وعد بنصرهم عليهم و وعده حق ، عبرا[٥] بأداة التحقيق

١٥ خلاف ما مضى لجماهيرهم فقالا[٦] : ﴿فاذا دخلتموه﴾ ثم أكدا[٧] خبرهما إيقانا بوعد الله فقالا[٦] : ﴿ فانكم غٰلبون ﴾ أى لأن الملك معكم دونهم ﴿و على الله﴾ أى الملك الأعظم الذى وعدكم بارثها وحده ﴿ فتوكلوا ﴾ أى لا على عُدة منكم و لا عِدة و لا حول و لا قوة .

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : قل (٣) فى الأصل وظ : يقصدونه.
(٤) فى ظ : تقاسعوا ـ كذا (٥) فى ظ : عبر (٦) فى ظ : فقال (٧) فى الأصل : اكدوا ، و فى ظ : اكد .

و لما كان الإخلاص يلزمه التوكل و عدم الخوف من غير الله، ألهمهم بقوله: ﴿ان كنتم﴾ أى جبلة و طبعا ﴿مؤمنين ه﴾ أى عريقين فى الإيمان بنبيكم صلى الله عليه و سلم و التصديق بجميع ما أتى به، فكأنه قيل: لقد نصحا لهم و برّا، و اجتهدا[1] فى إصلاح الدين و الدنيا فما خدعا و لا غرّا، فما قالوا؟ فقيل: لم يزدهم ذلك ٥ [إلا - [2]] نفارا و استضعافا لأنفسهم لإعراضهم عن الله و استصغارا لأنهم ﴿قالوا﴾ معرضين عمن خاطباهم غير عادين[3] لهما[4] ﴿يٰموسىٰ﴾ و أكدوا نفيهم للاقدام عليهم بقولهم: ﴿انا﴾ و عظموا تأكيدهم بقولهم[5]: ﴿لن ندخلهآ﴾ و زادوه تأكيدا بقولهم: ﴿ابدا﴾ و قيدوا ذلك بقولهم: ﴿ما داموا﴾ أى الجبابرة ﴿فيها﴾ أى لهم اليد عليها، ثم اتبعوه بما يدل على أنهم[6] فى ١٠ غاية الجهل بالله الفعال لما يريد، / الغنى عن جميع العبيد، فقالوا مسببين /٣٣ عن نفيهم ذلك قولهم: ﴿فاذهب انت و ربك﴾ أى المحسن إليك، فلم يذكروا أنه احسن إليهم كثافة[7] طباع و غلظ أكباد، بل[8] خصوه بالإحسان، و هذا القول [إن - [2]] لم يكن قائلوه يعتقدون التجسيم[9] فهم مشارفون له، و كذلك [10]أمثاله، و[10] كان اليهود الآن عريقين فى التجسيم، ١٥ ثم[11] سببوا عن الذهاب قولهم: ﴿فقاتلآ﴾ ثم استأنفوا قولهم مؤكدين لأن من له طبع سليم و عقل مستقيم لا يصدق أن أحدا يتخلف عن

---

(١) فى ظ: اجتهد (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: عادلين (٤) فى الأصل و ظ: لهم (٥) فى ظ: بقوله (٦) فى ظ: انه (٧) فى ظ: كافة - كذا (٨) سقط من ظ.
(٩) العبارة من هنا إلى «فى التجسيم» سقطت من ظ (١٠ - ١٠) فى الأصل: و امثاله - كذا (١١) من ظ، و فى الأصل «و».

أمر الله لا سيما إن كان بمشافهة الرسول : ﴿ انا ههنا ﴾ أى خاصة ﴿ قعدون ﴾ أى لا نذهب معكما ، فكان فعلهم فعل من يريد السعادة بمجرد ادعاء الإيمان من غير تصديق له بامتحان بفعل [ما - [1]] يدل على الإيقان؛ روى البخارى فى المغازى و التفسير عن عبد الله بن مسعود

٥ رضى الله عنه قال: قال المقداد بن عمرو يوم بدر : يا رسول الله! لا نقول كما قال قوم[2] موسى " اذهب انت و ربك فقاتلا انا ههنا قعدون " و لكن[3] امض [4]و نحن[4] معك ، نقاتل عن يمينك و عن شمالك [و بين يديك - [5]] و خلفك ، فرأيت النبى صلى الله عليه و سلم أشرق وجهه و سرّه . فكأنه قيل: فما قال موسى عليه السلام ؟ فقيل[6] : ﴿ قال ﴾ لما

١٠ أيس منهم معرضا عنهم شاكيا إلى الله تعالى[6] ﴿ رب ﴾ أى أيها المحسن إلىّ .

و لما كان من حق الرسول أن يقيه كل أحد بنفسه و ولده فكيف بما دون ذلك ، فكان لا يصدق أحد[7] أن أتباعه لا يطيعونه ، جرى على طبع البشر و إن كان يخاطب علام الغيوب فقال مؤكدا : ﴿ انى ﴾ و لما

١٥ فهم من أمر الرجلين لهم بالدخول أنهما قيدا دخولهما بدخول الجماعة ، خص فى قوله : ﴿ لآ أملك الا نفسى و اخى ﴾ أى و نحن مطيعان لما تأمر به ﴿ فافرق بيننا ﴾ أى [8]أنا و أخى[8] ﴿ و بين القوم الفسقين ﴾ أى الخارجين

---

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ وصحيح البخارى، وفى الأصل: لكنا، و زيد بعده فيه : نقول ، و لم تكن الزيادة فى ظ و الصحيح فحذفناها . (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ و الصحيح (٦) زيد بعده فى ظ : قال (٧) فى ظ : احدا (٨-٨) فى ظ : مع اى اخ لنا - كذا .

عن

عن الطاعة قولا و فعلا ، و لا تجمعنا معهم فى بين[1] واحد ، فى فعل و لا جزاء ﴿ قال فانها ﴾ أى الأرض المقدسة ﴿ محرمة عليهم ﴾ أى بسبب أقوالهم هذه و أفعالهم ، لا يدخلها ممن قال هذه المقالة أو رضيها أحد ، بل يمكثون ﴿ اربعين سنة ج ﴾ ثم استأنف جوابا لمن تشعب[2] فكره فى تعرف حالهم فى هذه الأربعين و محلهم من الأرض قوله : ﴿ يتيهون ﴾ أى يسيرون ٥ متحيرين[3] ﴿ فى الارض ط ﴾ حتى يهلكوا كلهم ، و التيه : المفازة التى يحير سالكها فيضل عن وجه مقصده ، روى أنهم أقاموا[4] هذه المدة فى ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين ، ثم يمشون فى الموضع[5] الذى ساروا منه ، ثم سبب عن إخباره بعقوبتهم قوله : ﴿ فلا تاس ﴾ أى تحزن حزنا مؤيسا[6] ﴿ على القوم ﴾ أى الأقوياء الأبدان الضعفاء القلوب ١٠ ﴿ الفسقين ع ﴾ أى الخارجين من قيد الطاعات ، ثم بعد هلاكهم أدخلها بنيهم الذين نشأوا فى التيه لسلامتهم من اعوجاج[7] طباعهم التى ألبستهم إياها بلاد الفراعنة ، فانى كتبتها لبنى إسرائيل ، و لم أخبر بتعيينهم - و إن كانوا معينين فى علمى - كما اقتضت ذلك حكمتى ؛ و فى هذه القصة أوضح دليل على [8]نقضهم للعهود[8] التى بنيت السورة على طلب الوفاء بها و افتتحت ١٥ بها ، و صرح بأخذها عليهم فى قوله " و لقد اخذ الله ميثاق بنى اسراءيل -

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : نفر - كذا (٢) فى ظ : يتشعب (٣) زيد بعده فى الأصل : فى الأرض ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ : قاموا . (٥) فى ظ : المواضع (٦) من ظ ، و فى الأصل : موتا - كذا (٧) فى ظ : الاعوجاج (٨-٨) فى ظ : بعضهم للعهد .

/٣٤ إلى أن قال: و آمنتم/ برسلى و عزرتموهم" و فى ذلك تسلية للنبى صلى الله عليه و سلم فيما يفعلونه [1]معه، و تذكير[1] له بالنعمة على قومه بالتوفيق، و ترغيب لمن أطاع منهم و ترهيب لمن عصى، و مات فى تلك الاربعين كل من قال ذلك القول أو رضيه حتى النقباء العشرة، و كان ٥ الغمام يظلهم من حر الشمس، و يكون لهم عمود من نور بالليل يضيء [2]ههنا[2] عليهم - و غير هذا من النعم، لأن المنع[3] بالتيه كان تأديبا لهم لا غضبا فانهم تابوا.

شرحُ هذه القصة مما بين أيديهم من التوراة و ذكرُ بعض ما عذبهم[4] فيه بذنوبهم، قال فى السفر الرابع منها: و كلم الرب موسى و قال له[2]: ١٠ أرسل قوما يجسّون الأرض التى أعطى بنى إسرائيل، فأرسلهم موسى من برية فاران رجالا[5] من رؤساء بنى إسرائيل - اثنى عشر رجلا - فيهم كالاب بن يوفنا و هوساع بن نون، و دعا موسى هوساع بن نون يوشع، و أرسلهم[2] ليستخبروا أرض كنعان و قال لهم: اعرفوا خبر الشعب الذى بها، أقوى هو أم ضعيف؟ أكثير هو أم قليل؟ و ما خبر الأرض التى ١٥ هم فيها، أمخصبة أم لا؟ أفيها شجر أم لا؟ و فى نسخة: و ما المدن التى يسكنونها؟ و أن كانت محوّطا عليها أم لا؟ و تقووا[6] و خذوا من ثمار الأرض؛ فصعدوا فاستخبروا الأرض، و أخذوا من برية[7] صين حتى

(١-١) فى ظ: معهم و تذكيرا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: النعم.
(٤) فى ظ: عدتهم (٥) فى ظ: رجلا (٦) فى ظ: يقووا (٧) فى ظ: تربه - كذا.

انتهوا إلى راحوب[١] التي في مدخل حمات[٢]، و صعدوا إلى التيمن فأتوا حبران - و في نسخة: حبرون[٣] - و كان بها بنو الجبابرة، ثم أتوا[٤] وادي العنقود و قطعوا[٥] قضيبا من الكرم فيه عنقود عنب، فحمله رجلان بأسطار[٦]، و دعوا اسم ذلك الموضع وادي العنقود من أجل ذلك، و أخذوا من الرمان و التين أيضا، و رجعوا إلى موسى بعد أربعين ليلة إلى برية ٥ فاران إلى رقيم، و أخبروا موسى و الجماعة كلها خبر الأرض و قالوا: انطلقنا فاذا الأرض تغل[٧] اللبن[٨] و العسل و هذه ثمارها، و لكن الشعب الذي في الأرض عزيز قوي، و قراهم كبار مشيدة، و رأينا ثمّ بني الجبابرة، [ثم - ٩] ذكر أن الكنعانيين[١٠] على ساحل البحر إلى نهر الأردن، قالوا: و كنا عندهم مثل الجراد، كذلك[١١] رأينا أنفسنا، فضجت الجماعة ١٠ كلها و رفعوا أصواتهم بالبكاء، و بكوا في تلك الليلة بكاء شديدا، و تذمر جميع بني إسرائيل على موسى و هارون في ذلك اليوم و ضجوا عليهما، و قال لهما محافل بني إسرائيل كلها: يا ليتنا! متنا بأرض مصر على يدي الرب، و ليتنا متنا في هذه البرية و لا يدخلنا الرب إلى الأرض التي نصرع[١٢] فيها قتلا! و تنتهب مواشينا و أهلونا! كان المنون[١٣] بأرض مصر خيرا لنا، و قال كل ١٥ امرئ منهم لأخيه: اجتمعوا حتى نصيّر[١٤] علينا رئيسا، و نرجع إلى أرض مصر،

---

(١) في ظ: خرب (٢) من التوراة، و في الأصل وظ: حماد (٣) من التوراة، و في الأصل: خبرون. و في ظ: خيرون - كذا (٤) في ظ: ادوا (٥) في ظ: قطفوا (٦) في ظ: بانتظار (٧) في ظ: فعسل - كذا (٨) من ظ و التوراة، و في الأصل: التين (٩) زيد من ظ (١٠) في ظ: النعاميين - كذا. (١١) في ظ: لذلك (١٢) في ظ: تضوع - كذا (١٣) في ظ: المنوى. (١٤) في ظ: يصير.

فخر موسى و هارون على وجوههما ساجدين بين [يدى - [1]] جماعة بنى إسرائيل كلها ، فأما يشوع بن نون و كالاب بن يوفنا اللذان[2] كانا من الجواسيس فقالا : الأرض مخصبة جدا ، فان شاء الرب دفعها إلينا ، فهى أرض [تغل - [1]] السمن و العسل ، فلا تعصوا[3] الرب ٥ ولا تفتتنوا[4] و لا تخافوا شعب هذه[5] الأرض ، لأن أهلها مبذولون لنا مثل الطعام للأكل ، واعلموا أن قويهم سيضعف و تزول عنهم شدتهم ، و نحن الغالبون لأن /٣٥ الرب معنا ، فلا تفرقوا منهم ، و ظهر مجد الرب بالسحابة فى قبة الزمان تجاه بنى إسرائيل ، وقال الرب لموسى : إلى متى يسخطنى[6] هذا الشعب ؟ و كم إلى كم لا يصدقوننى ؟ ألم يروا جميع الآيات ١٠ التى أتيتهم بها ؟ سأضربهم بالموت و أهلكهم ، و أصيرك الشعب[7] أعظم من هذا و أعزّ منهم ، فقال موسى[5] أمام الرب : يسمع أهل مصر الذين أخرجت [هذا الشعب من بينهم بقوتك ، و يقول لسكان هذه الأرض أيضا الذين سمعوا أنك رب - [1]] هذا الشعب ، فان أنت قتلت هذا الشعب [8]جميعا كرجل واحد تقول الشعوب التى بلغها خبرك : إن الرب لم يقدر ١٥ أن يدخل هذا الشعب[8] الأرض التى كان[5] وعد إياهم ، فلذلك قتلهم فى البرية ، فلتعظم قوتك الآن يا رب [كما وعدت[9] و قلت ! يا رب - [1]]

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : اللذين (٣) فى ظ : تغضبوا (٤) فى ظ : لا تفتنوا .
(٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : تسخطنى (٧) من ظ والتوراة ، وفى الأصل : لشعب (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) فى ظ : وجدت - كذا .

أنت

أنت ذو المودة و النعمة، تغفر الإثم[1] و الخطايا، و تزكى من ليس بمزكى، اغفر يا رب كما غفرت لهم مذ خرجوا من أرض مصر إلى الآن! فقال الرب لموسى: قد غفرت لهم لقولك[2] و لكنى حى قيوم، أقسم بذلك و بمجدى الذى امتلأت الأرض كلها منه أن جميع الرجال الذين عاينوا مجدى و الآيات التى أظهرت لهم بمصر و الفضاء، و جربونى عشر مرات و لم يطيعونى[3] ٥ و لم يقبلوا قولى، لا يعاينون الأرض التى أقسمت لآبائهم أنى أعطيهم، و لا يدخلها أحد من الذين أغضبونى[4]، فأقبلوا غدا و ارتحلوا إلى طريق بحر سوف؛ و قال الرب: إلى متى تـغـفـر هذه الجماعة الرديئة بين يدى؟ فبي أقسم أنكم[5] تصيرون إلى ما قلتم، و كما فكرتم[6] ذلك يصيبكم[6] فى هذه البرية، فتسقط جثثكم فيها و تبلى أجسادكم و يهلك كل عددكم و حسابكم ١٠ من ابن عشرين سنة إلى فوق، لأنكم تشوشتم و تذمرتم علىّ، لا تدخلوا الأرض التى رفعت يدى لأنزلكم فيها، و لا يدخلها إلا كالاب بن يوفنا و يوشع بن نون، و أما مواشيكم التى قلتم: إنها تنتهب، و بنوكم الذين لا يعلمون الخير من الشر فهم يدخلون الأرض و أصيّرهم إليها و أورثهم الأرض، فأما جيفكم فتسقط و تبلى فى هذه البرية. و تمكث بنوكم يترددون ١٥ فى هذه المفازة أربعين سنة. يعاقبون حتى تهلك جثثكم فى هذه البرية على عدد الأيام التى اجتس الجواسيس الأرض فيها، لكل يوم سنة،

(١) فى ظ: الذنب (٢) من نص التوراة، و فى الأصل و ظ: كقولك (٣) فى ظ: لم يطيعوا (٤) فى ظ: تنبيو-كذا، و العبارة من بعده إلى «متى تغفر» ساقطة منه (٥) سقط من ظ (٦-٦) فى ظ: لكم نصيبكم.

و تعاقبون بإثمكم[1]، لكل يوم سنة[2]، أربعين سنة لأربعين يوما ، فتعلمون أنى إنما فعلت ذلك لتذمركم[3] بين يدى ، أنا الرب قلت : كذلك أصنع بهذه الجماعة الرديئة التى اجتمعت بين يدى ، تهلك فى هذه البرية ، يموتون كلهم ، و القوم الذين أرسلهم موسى أن يجتسوا الأرض له فانقلبوا و شغبوا عليه
٥ و أفسدوا الجماعة كلها ، و ذلك أنهم أخبروا الشعب فى أمر الأرض خبرا رديئا ، و مات القوم الذين أخبروا الخبر السوء موت الفجاءة أمام الرب ، فأما يشوع و كالاب فنجوا من الموت ، و لم يهلكا مع الذين استخبروا الأرض ، فأخبر موسى بنى إسرائيل هذه الأقوال ، و جلسوا[4] فى حزن شديد و قالوا : نحن صاعدون إلى الموضع الذى أمر الرب و نقر بخطايانا ، قال لهم موسى :
١٠ اعلموا أنكم لا تنجحون[5] و لا يتم أمركم ، لا تصعدوا لأن الرب ليس معكم لئلا يهزمكم أعداؤكم ، فان صعدتم هزمتم و قتلتم ، لأنكم أغضبتم الرب و رجعتم عن / قوله ، فلذلك لا يكون الرب معكم ، فصعد القوم إلى رأس /٣٦ الجبل ، فأما تابوت عهد الرب و موسى النبى فلم يبرحا من العسكر ، و نزل العملقانيون الذين يسكنون ذلك الجبل و حاربوهم و هزموهم ، و قتلوا منهم
١٥ مقتلة عظيمة و طردوهم إلى حرما ؛ و كان ذكر قبل ذلك فى السفر الثانى و قبل معصيتهم فى أمر الجواسيس قتالهم فى رفيدين و رقيم لعماليق فقال ما نصه : و إن عماليق جاء ليقاتل بنى إسرائيل برفيدين[6] فقال موسى ليشوع[7] :

---

(١) فى ظ : بايمانكم (٢) زيد بعده فى ظ : و تعاتبون باسمكم لكل يوم - كذا . (٣) من ظ ، و فى الأصل : لتسوءكم - كذا (٤) من نص التوراة ، و فى الأصل و ظ : جلس (٥) فى ظ : لا تحجوابين - كذا (٦) زيد بعده فى ظ : و رقيم . (٧) فى ظ : لليسوع .

اختر رجلا من أهل الجلد و الشدة و اخرج بنا نقاتل [1]عماليق غدا[1]
و أنا واقف على رأس الأكمة، و قضيب[2] الله فى يدى ، فصنع يشوع كما
قال له[3] موسى فخرج إلى حرب عماليق، و صعد موسى و هارون و حور
إلى رأس الجبل ، و كان موسى إذا رفع يده قوى بنو إسرائيل ، و إذا
خفض يده قوى عماليق ، فأعيت يدُ موسى فأخذ حجارة فوضعها تحته ، ٥
ثم استوى عليها جالسا ، و كان هارون و حور [4]يدعمان يديه[4]، أحدهما
يمينا و الآخر شمالا حتى غربت الشمس ، فهزم يشوع عماليق و من معه
و قتلوهم بحد السيف ، فقال الرب لموسى : اكتب[5] هذا الأمر فى سفر
الكتاب و ضعه أمام يشوع بن نون ، لأنى أمحق و أبيد ذكر عماليق من
تحت[6] السماء ، فبنى للرب مذبحا ، [7]و دعا اسمه[7] " [8]الله علمى[8] " ، ثم قال : ١٠
و أرسل رسلا من رقيم إلى ملك أدوم[9] بأنهم نازلون فى رقيم - القرية
التى فى حد بلاده - و استأذنه فى الجواز فى بلاده ، فهددهم بالمقاتلة
فقالوا : لا نشرب لك ماء إلا بثمن ، فقال : لا تجوزوا فى[10] حدى ،
و خرج إليهم بجيش عظيم و سلاح شاك فصغا بنو إسرائيل عنه و ظعنوا

(١ - ١) فى ظ : عد - كذا (٢) فى ظ : قضيت (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) فى ظ : يدعمادتين بيديه - كذا (٥) فى ظ كيت (٦) زيد بعده فى ظ : اعداء . (٧ - ٧) فى ظ : اسم (٨ - ٨) من ترجمة التوراة المقدسة لأبى سعيد بن أبى الحسين السامرى ، و أسفار التوراة المقدسة المخطوطة سنة ٩٣٠ من الهجرة بقرية من يروشليم ، و فى الأصل و ظ : الله حرب ، و وقع فى تراجمها الأخرى : يهوواه نسّى - غير مترجم إلى العربية (٩) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : ازوم .
(١٠) فى ظ : الى .

من رقيم، و أتى جميع بنى إسرائيل إلى هور[1] الجبل حيث توفى هارون، ثم قال: و نزل موسى و إليعازر من الجبل، فرأت محافل بنى إسرائيل كلها أن هارون قد توفى، و بكى على هارون[2] جميع بنى إسرائيل ثلاثين يوما، و سمع الكنعانى ملك عراد[3] الذى كان يسكن التيمن[4] أن
٥ بنى إسرائيل قد نزلوا فى طريق الجواسيس لحاربهم[5] و سبى منهم قوما، فنذر بنو إسرائيل نذرا للرب و قالوا: إن أنت دفعت إلينا هذا الشعب يا رب و قويتنا عليه جعلنا قراهم حريمة للرب[6]، فسمع الرب أصوات بنى إسرائيل و دفع إليهم الكنعانيين و قوّاهم عليهم، و هزموهم و قتلوهم و جعلوا قراهم حريمة للرب و دعوا[7] اسم تلك البلاد حريمة، فظعن الشعب
١٠ من هور الجبل فى طريق بحرسوف ليدوروا حول[8] أرض أدوم، ففزعت[9] أنفس الشعب من شدة الطريق و كلّت، و تذمر[10] الشعب على الله و على موسى و قالوا: لِمَ أصعدتنا من مصر؟ لتميتنا فى موضع ليس فيه خبز و لا ماء، قد ضاقت أنفسنا من قلة الطعام، فسلط الله عليهم حيات فنهشت قوما من الشعب و مات منهم كثير، فاجتمعوا إلى موسى و قالوا:
١٥ قد[11] أخطأنا إذ تذمرنا على الله و عليك، صل أمام الرب لتنصرف عنا الحيات، فصلى موسى فقال الرب له: اتخذ حية من نحاس مثال الحية و ارفعها / على خشبة علامة، و من نهشته حية ينظر إلى الحية المعلقة[11] /٣٧

(١) فى ظ: هو (٢) زيدت الواو بعده فى ظ (٣) من التوراة، و فى الأصل و ظ: حدر - كذا (٤) فى ظ: التمس - كذا (٥) فى ظ: لحاربوهم (٦) زيد بعده فى ظ: و قالوا (٧) فى ظ: دنوا الى - كذا (٨) فى ظ: حوال (٩) فى ظ: نفرمت (١٠) فى ظ: تدبر (١١) سقط من ظ.

فيبرأ

فيبرأ ، ففعل ذلك ، فظعن[1] بنو إسرائيل فنزلوا أبوت[2] ، ثم ارتحلوا من أبوت[3] و نزلوا على عين العبرانيين التى فى البرية أمام أرض موآب فى الجانب الشرقى و حيث[4] مشارق الشمس ، ثم ظعنوا من هناك و نزلوا وادى زرود ، و ارتحلوا من هناك و نزلوا عبر أرنون فى البرية [أمام أرض موآب فى الجانبين - [5]] التى[6] تخرج من [حد - [5]] الأمورانيين[7] ٥ و هى فى حد الموآبيين ، و لذلك يقال فى كتاب حروب[8] الرب : [9]واهب فى سوفة و[9] وادى أرنون و مصب[10] الأوديه المائلة إلى سكان عار[11] التى تنتهى إلى [12]حد الموآبيين[12] ؛ ثم أرسل بنو إسرائيل رسلا إلى سيحون ملك الأمورانيين[7] [و - [5]] قالوا له : نجوز فى أرضك من غير أن نطأ[13] لك حقلا و لا كرما ، و لا نشرب[14] من ماء جناتك[15] ، و لكن نلزم الطريق ١٠ الأعظم حتى نجوز[16] أرضك ، فأبى سيحون و جمع جميع أجناده و خرج إلى البرية و حارب بنى إسرائيل ، فقتل بنو إسرائيل سيحون و أصحابه و ورثوا أرضه ، و صعدوا إلى أرض متنين ؛ [وخرج عوج ملك متنين - [5]]

(١) فى ظ : فظن (٢) فى ظ : العرب - كذا (٣) فى ظ : ابواب - كذا (٤) فى ظ : جنب (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : الامرانيين (٨) من نص التوراة ، و فى الأصل : حروف ، و فى ظ : حدود (٩-٩) من ترجمة التوراة التى طبعت بلندن سنة ١٨٧٢ م ، و فى الأصل و ظ : اللهب تعاصف فى - كذا . (١٠) من ترجمة التوراة ، و فى الأصل و ظ : اصلحت - كذا (١١) من ظ والتوراة ، و فى الأصل : عمار (١٢-١٢) فى ظ : احد الموانين - كذا (١٣) فى ظ : يطا (١٤) فى ظ : لايشرب (١٥) فى ظ : جنابك (١٦) فى ظ : لا نجوز .

إليهم هو و أجناده ليحاربهم فى أدرعى[1] ، و قال الرب لموسى : لا تخفه
لأنى[2] دافعه فى يدك و أصيّر جميع شعبه و أرضه فى يدك ، فاصنع[3] به
كما صنعت بسيحون ملك الأمورانيين ، فلما حاربوه قتل هو و بنوه
و جميع شعبه و لم يبق منهم أحد ، فظعن بنو إسرائيل و نزلوا عربات[4]
٥ موآب[5] التى عند أردن إريحا ؛ ثم ذكر قصة بلعام بن باعور[6] و غيرها
و[2] قال : ثم قال الرب لموسى : اصعد إلى هذا الجبل جبل العبرانيين ،
و انظر[7] إلى أرض كنعان[8] التى أعطى بنى إسرائيل ، فاذا نظرت إليها
اجتمع معك[9] شعبك ، و صر إلى ماصار إليه آباؤك كما صار [إليه - [10]]
هارون أخوك ، فتكلم موسى أمام الرب و قال : يأمر الله رجلا يريد
١٠ الجماعة و يدخل و يخرج أمامهم ، و يدخلهم و يخرجهم لكيلا تكون[11]
جماعة الرب كالغنم التى ليس لها راع ، فقال الرب لموسى : اعمد إلى يشوع[12]
ابن نون - رجل عليه من الروح نعمة - فضع يدك عليه ، و أقمه بين
يدى إليعازر الحبر أمام الجماعة كلها و من تجاههم قبلا ، و أعطه من المجد
الذى عليك ، فتطيعه جماعة بنى إسرائيل كلها ، و يقوم[13] بين يدى إليعازر
١٥ الحبر ليكون يسأل الرب عن حوائجه و سننه ، و يحفظ بنو إسرائيل[14] قوله ،

---

(١) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : اردعى (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : و اصنع (٤) من ترجمة التوراة ، و فى الأصل و ظ : عربى (٥) من ظ و التوراة ، و فى الأصل : موات (٦) فى ظ : بعور (٧) فى ظ : ارض (٨) فى ظ : الغان . (٩) من ظ ، و فى الأصل : مع (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ : يكون (١٢) فى ظ : يسوع (١٣) فى ظ : تقوم (١٤) فى ظ : بنى اسرائيل .

و عن قوله يخرجون و عن قوله يدخلون ، و فعل موسى كالذى أمره الله في يوشع و غيره - ثم ذكر أشياء[1] من القرابين[2] و الأعياد و فتح مدين و بقية قصة بلعام و غير ذلك [ثم - [3]] قال : و كثرت مواشى بنى رويبل[4] و بنى جاد جدا، و نظروا [إلى - [3]] يعزير و أرض جلعاد[5] أنه موضع يصلح للمواشى فقالوا لموسى: إن نحن ظفرنا منك برحمة و رأفة ٥ تعطى هذه الأرض لعبيدك ميراثا و لا تجزنا نهر الأردن ، فقال موسى: إخوتكم يخرجون إلى الحرب و أنتم تستقرون ههنا ؟ لِمَ تكسرون[6] قلوب إخوتكم أن لا يجوزوا[7] إلى الأرض التى يعطيهم[8] الرب ميراثا ! هكذا صنع أيضا آباؤكم فاشتد غضب الرب عليهم ، و أقسم أنه لا يعاين أحد منهم الأرض التى وعدت بها آباءهم ، لأنهم لم يتموا[9] قولى و لم يتبعوا ١٠ وصيتى ما خلا كالاب بن يوفنا / [10]القنزانى و يشوع[10] بن نون ، إنهما أتما /٣٨ قول الرب ، فاشتد غضب الرب على بنى إسرائيل و تَوَّهَهُم فى البرية أربعين سنة حتى هلك حقب الرجال الذين أسخطوا الرب ، و أنتم اليوم أيضا تريدون أن ينزل غضب الرب ببنى إسرائيل ، و إن[11] أنتم انقلبتم عن أمر الرب أيضا يعود أن يُتَوِّهَكم فى التيه ، فتفسدون[12] على جميع هذا الشعب، ١٥

(١) فى ظ : شيئا (٢) فى ظ : القرانين - كذا (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : بنى اسرائيل (٥) فى ظ : خلعاد (٦) فى ظ : يسكرون (٧) فى ظ : لا تجوزوا . (٨) من نص التوراة ، و فى الأصل : يعطيكم ، و فى ظ : تعطيهم (٩) فى ظ : يتموا (١٠-١٠) فى ظ : العبرانى و يسوع (١١) سقط من ظ (١٢) فى ظ : فيفسدون .

فدنا منـــه القوم و قالوا : نبنى ههنا[1] قرى[2] لعيالاتنا[3] و حظائر لأنعامنا، و نحن نتسلح أمام بنى إسرائيل حتى ندخلهم[4] إلى مواضعهم، و لا نرجع إلى بيوتنا حتى يرث بنو إسرائيل كل إنسان ميراثه، و لا نرث معهم من عبر الأردن و ما خلف ذلك، لأنا قد قبضنا ميراثنا
٥ فى مجاز الأردن فى مشارق الشمس، فقال لهم موسى: إذا أنتم فعلتم هذا الفعل و تسلحتم[5] أمام ربكم، حينئذ ترجعون و تستجلبون[6] أرضكم و يرضى[7] بنو إسرائيل عنكم، و تصير هذه الأرض لكم[8] ميراثا، و إن لم تفعلوا [هـــذا -[9]] تصيروا[10] أمام الرب خطأة[11]، و اعلموا أن خطاياكم تدرككم؛ ثم قال: و هذه خطأ عن بنى إسرائيل حيث
١٠ خرجوا من أرض مصر - فذكر ما تقدم فى البقرة، ثم قال[12]: و ارتحلوا من مقـــبرة الشهوة و نزلوا حضروت، [و ظعنوا من حضروت -[13]] و نزلوا رثما، و ارتحلوا من رثما و نزلوا رمّون[14] فرص، و ظعنوا[15] من رمّون[16] فرص و نزلوا لبنا - و فى نسخة: [17]لبونا -

(١) من ظ، و فى الأصل: هنا (٢) فى ظ: قريتنا (٣) فى الأصل: لعيالاينا، و فى ظ: لانسا - كذا (٤) فى ظ: يدخلهم (٥) فى ظ: سلحتم (٦) فى ظ: يستخلفون (٧) فى ظ: ترضى (٨) سقط من ظ (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ: يصيرو (١١) من ظ، و فى الأصل: خطاطا - كذا (١٢) فى ظ: قالوا (١٣) زيد من ظ، إلا أن لفظة «من» ساقطة منه (١٤) من ظ و التوراة، و فى الأصل: رمتون (١٥) فى ظ: نظعنوا (١٦) من التوراة، و فى الأصل: رمتن، و فى ظ: زمن - كذا (١٧) سقطت العبارة من هنا إلى «تهات و فى نسخة» من ظ.

و ارتحلوا

و ارتحلوا من لبنا و نزلوا أراسيا - و فى نسخة : رسا - و ظعنوا من أراسيا أو رسا و نزلوا قهات - و فى نسخة : بقهالات[1] - و ارتحلوا من قهات و نزلوا جبل شافار - [2]و فى نسخة[2] : شافر - و ارتحلوا من جبل شافار[3] و نزلوا حرادة[4] - و فى نسخة : حرذا - و ارتحلوا من حرادة[5] - و فى نسخة : حارذا - و نزلوا مقهلوث[6] - و فى نسخة : مهقلوث[7] - ٥
و ظعنوا من مقهلوث[8] [6] و نزلوا تحات ، و ارتحلوا من تحات و نزلوا ترح ، و ارتحلوا من ترح و نزلوا مثقا ، و ارتحلوا من مثقا و نزلوا حشمونا ، و ظعنوا من حشمونا و نزلوا مسروت . و ارتحلوا من مسروت[8] و نزلوا بحىّ بنى يعقان[9] ، [و ظعنوا من حىّ بنى يعقان -[10]] و نزلوا جبل جدجاد ، و ارتحلوا من جبل جدجاد و نزلوا يطبث[11] - و فى نسخة : يطباثا[12] - ١٠
و ظعنوا من يطبث و نزلوا عجرونا - و فى نسخة : عبرونا - و ارتحلوا من عجرونا ونزلوا [13]عصيون جابر[13] وهى قلزم ، و رحلوا من [14]عصيون جابر[14] و نزلوا برّ صين - و فى نسخة : برية صين المعروفة بقداش[15] - و هى رقيم ، و ظعنوا من قداش[16] و نزلوا هور الجبل الذى فى أقاصى

(١) فى ظ : تغهلات - كذا (٢-٢) تكرر فى الأصل و ظ (٣) فى ظ : شافر . (٤) من التوراة ، و فى الأصل : حدر ، و فى ظ : حدرو - كذا (٥) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : حدر (٦) فى ظ : مهلوث (٧) فى ظ : حعلوث . (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) فى نسخة من التوراة : بنى يلمقان . (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ : بطعث (١٢) فى ظ : بطشا (١٣-١٣) من التوراة ، و فى الأصل : عضينعبار ، و فى ظ : عضعار - كذا (١٤ - ١٤) من التوراة ، و فى الأصل : عضيعبار ، و فى ظ : عصنبغار - كذا (١٥) فى ظ : بقداس (١٦) فى ظ : قداس .

أرض أدوم - و فى نسخة : و ظعنوا من برية صين فنزلوا فى قفر[1] فاران
و هى القدس، و ارتحلوا من القدس فنزلوا فى جبل هور بحذاء أرض أدوم
و هى[2] الروم - و صعد هارون الحبر[3] عن قول الله إلى هور الجبل ، و توفى
هناك فى سنة أربعين بخروج بنى إسرائيل من أرض مصر فى الشهر الأول
٥ أول يوم منـــه ، وقد كان أتى على هارون[4] يوم توفى مائة و ثلاث
و عشرون سنة ، و بلغ الكنعانى ملك حديا الساكن بالتيمن فى أرض
كنعان - و فى نسخة : عراد[5] الساكن فى الداروم فى بلد ماءب[6] -
أن بنى إسرائيل [7]أتوا حده[7] ، و ظعنوا من هور الجبل و نزلوا صلمونا ،
و ارتحلوا / من صلمونا و نزلوا فينون ، و ظعنوا من فينون و نزلوا / ٣٩
١٠ أبوث[8] - و فى نسخة : أباث[9] - و ارتحلوا من أبوث[8] و نزلوا العين المعروفة
بالعبرانيين على حد موآب - و فى نسخة : و نزلوا عايا فى العين على تخوم
موآب[10] - و ارتحلوا من [11]عايا فنزلوا جاد - و فى نسخة : و رحلوا من
عين العبرانيين و نزلوا ديبون[11] قرية جاد - و ارتحلوا من قرية جاد[12]
و نزلوا علمون التى[13] دبلثيم - و فى نسخة : دبلاثيم[14] - و ظعنوا من

---

(١) زيد بعده فى ظ : فى (٢) فى ظ : هو (٣) فى ظ : الرب (٤) زيد فى ظ : اول (٥) من التوراة ، وفى الأصل : عبراد . وفى ظ : عبراذ - كذا (٦) فى ظ : مات (٧-٧) فى الأصل : اتوحده ، وفى ظ : بومن - كذا (٨) فى ظ : ايوب .
(٩) فى ظ : اباث (١٠) فى ظ : مورب (١١ - ١١) سقط مابين الرقمين من ظ .
(١٢) من ظ ، و فى الأصل : جازه (١٣) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (١٤) فى ظ : ديلاثهم - كذا .

علمون التى دبلثيم - و فى نسخة: دبلاثيم - فنزلوا جبل العبرانيين الذى أمام نابو، و ارتحلوا من جبل العبرانيين و نزلوا عربة موآب التى بأردن يريحا - و فى نسخة: و نزلوا مغارب موآب على الأردن [1] قبالة يريحا - و نزلوا على شاطئ الأردن [1] من عند أشيموث [2] إلى آبل [3] شاطيم التى عند عربة موآب - [1] و فى نسخة: قبالة مغارب موآب. ٥

و كلم الرب موسى على مغارب موآب [1] عند الأردن قبالة يريحا فقال: كلم بنى إسرائيل و قل لهم: أنتم جائزون الأردن إلى أرض كنعان لتهلكوا [4] جميع سكان الأرض، و تحرقوا بيوت أصنامهم المسبوكة، و تقلعوا [5] مذابحهم كلها، و تصير الأرض إليكم و ترثونها [6]. فاقسموها لعشائركم سهاما [7]، و صيروا الكثير على قدر [كثرتهم، و القليل على ١٠ قدر - [8]] قلتهم، وكل قبيلة على ما يرتفع السهم بها [9] و تصيبها [10] القرعة، و إن لم تهلكوا [11] سكان الأرض من بين أيديكم فالذين [12] يبقون منهم يكونون [13] أسنة فى أعينكم و سهاما فى [14] أصداغكم، و يضيّقون [14] عليكم فى الأرض التى [1] تسكنونها، و [1] كما رأيت أن أصنع بهم كذلك أصنع بكم، فهكذا اقسموا الأرض فى مواريثكم: أرض [9] كنعان بحدودها، ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: اشموت (٣) من التوراة، و فى الأصل وظ: ائل - كذا (٤) فى ظ: تهلكو - كذا (٥) فى ظ: تفعلو (٦) فى ظ: ترثوها (٧) فى ظ: منهاما - كذا (٨) زيد من ظ (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ: يصيبها (١١) فى ظ: لم يهلكوا (١٢) فى ظ: فان (١٣) فى ظ: يكون. (١٤-١٤) فى ظ: اصداعكم و يضيقوا.

فأما حد التيمن فيكون لكم من ساحل البحر الملح من ناحية المشرق، ويدور حدكم من التيمن إلى عقبة عقربيم[١] ويجوز إلى صين، وتكون[٢] مخارجه من التيمن إلى رقيم الجائى[٣]، ويخرج من هناك إلى حصر إدار - [٤]وفى نسخة: إلى رفح[٤] - ويجوز إلى عصمون إلى وادى مصر، وتكون[٢]
٥ مخارجه إلى ناحية البحر [٥]ويكون حد[٥] البحر حدكم والبحر الأعظم بحدوده، هذا حدكم من ناحية البحر، وأما حدكم مما يلى الجربيا - وفى نسخة: الشمال - فيكون من البحر الأعظم إلى هور الجبل، وحدود ذلك من الجبل إلى مدخل حماة، وتكون[٢] مخارج الجبل إلى صدد[٥]، ويخرج الحد إلى زفرون، وتكون[٢] مخارجه إلى حصر عينن، هذه حدودكم من ناحية الجربيا[٦]،
١٠ وأما حدودكم من ناحية المشرق فحدوده من [حصر-[٧]] عينن إلى شافم، وينزل الحد من شافم إلى ربلة[٨] إلى مشارق غاب[٩]، حتى ينتهى[١٠] إلى بحر كنرت - وفى نسخة: البحيرة الميتة[١١] - من مشارقه، ويدور حتى ينزل إلى حد الأردن، وتكون مخارجه إلى بحر الملح، هذه حدود الأرض التى ترثونها كما تدور؛ ثم ذكر القسمة وشيئا من الأحكام، ثم قال فى أول[١٢] السفر
١٥ الخامس: هذه الآيات والأقوال التى قال موسى لبنى إسرائيل عند مجاز الأردن فى البرية فى عرابا - وفى نسخة: البيداء وهو الجانب الغربى -

---

(١) من التوراة، وفى الأصل وظ: سفرديم (٢) فى ظ: يكون (٣) فى ظ: الجاوى (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من التوراة، وفى الأصل وظ: صدره (٦) فى ظ: الحربيا (٧) زيد من ظ والتوراة (٨) من التوراة، وفى الأصل وظ: دفلت - كذا (٩) فى ظ: عاب (١٠) فى ظ: تنتهى (١١) فى ظ: المستقية (١٢) سقط من ظ.

حيال سوف بين فاران و بين تفال[١] و لبان و حضروت و[٢]ذى ذهب[٢]
- و فى نسخة : و دار[٣] الذهب و هو [٤]إشارة إلى[٤] الموضع الذى عبدوا
فيه العجل - / مسير أحد عشر يوما من حوريب إلى ساعير و إلى رقام / ٤٠
الجائى . لما كان فى سنة أربعين من خروج بنى إسرائيل من مصر فى
الشهر الحادى عشر فى أول يوم منه كلم موسى بنى إسرائيل و أمرهم ٥
بعد قتلهم سيحون ملك الأمورانيين و عوج[٥] ملك متنين[٦] فى مجاز
الأردن فى أرض موآب[٧] ، قال: إن الله قال لنا فى حوريب : قد طال مكثكم
[فى - [٨]] هذا الجبل ، انهضوا [٤]فارتحلوا من[٤] ههنا و ادخلوا جبل الأمورانيين[٩]
و كل ما حوله إلى القرى و الجبل و[١٠] إلى ساحل[١١] البحر أسفل الجبال[١٢] ،
و التيمن أرض الكنعانيين ، و لبنان إلى النهر الكبير الذى هو الفرات ، ١٠
ادخلوا و رثوا الأرض التى وعد الله آباءكم إبراهيم و إسحاق و يعقوب أن
يعطيهم[١٣] ، و يورثها نسلهم من بعدهم ؛ ثم قال : و أمرتكم فى ذلك الزمان
بما [ينبغى أن - [١٤]] تصنعوا[١٥] ، و ارتحلنا من حوريب و سرنا[١٦] فى البرية
العظيمة المرهوبة كما أمرنا[١٧] الله ربنا ، و انتهينا [١٨]إلى رقيم الجائى ، و قلت لكم :

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : ثغال (٢-٢) من التوراة ، و فى الأصل : فدهاب ، و فى ظ : ذرلهرابى - كذا (٣) فى ظ : ردا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : جوج (٦) فى ظ : مسين - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : موارب (٨) زيد من ظ والتوراة (٩) زيد فى ظ : و لبنان . (١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ : سواحل (١٢) فى ظ : الجبل (١٣) فى ظ : يعطوهم (١٤) زيد من ظ (١٥) فى الأصل : يصنعوا ، وفى ظ : يصفوا - كذا . (١٦) فى ظ : امرنه - كذا (١٧) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : امرنى . (١٨) سقطت العبارة من هنا إلى « الله ربنا » من ظ .

قد انتهيتم إلى جبل الأمورانيين الذى أعطانا الله ربنا، اصعدوا و رثوا الأرض كما قال لكم الله[1] رب آبائكم، لا تخافوا و لا تفزعوا، و تقدمتم إلىّ بأجمعكم و قلتم: نرسل بين أيدينا رجالا يتجسسون[2] لنا الأرض و يخبروننا بخبرها و يدلّونا[3] على الطريق الذى نسير[4] فيه و القرى التى ندخلها؛
٥ فكان قولكم عندى حسنا، و عمدت إلى اثنى عشر رجلا منكم، من كل سبط [منكم - [5]] رجل، و أرسلتهم[6]، و صعدوا إلى الجبل حتى انتهوا إلى وادى العنقود، و استخبروا الأرض و أخذوا[7] من ثمار الأرض و أتوا به و أخبرونا و قالوا لنا: ما أخصب الأرض التى يعطينا الله ربنا[8]! و لم يعجبكم أن تصعدوا، [و - [5]] لكن اجتنبتم قول الله ربكم و أغضبتموه
١٠ و توشوشتم[9] فى خيمتكم[10] و قلتم: لبغض[11] الرب أخرجنا من أرض مصر ليدفعنا فى أيدى الأمورانيين ليهلكونا، إلى أين نصعد! إخوتنا كسروا قلوبنا و قالوا: الشعب أعظم و أعزّ منا و أقوى، و قراهم عظيمة مشيدة[12] إلى السماء، و رأينا هناك[13] أبناء جبابرة، و قلت لكم[1]: لا تخافوا و لا تفزعوا منهم. من أجل أن الله ربكم هو يسير أمامكم، و هو يجاهد عنكم كما
١٥ صنع بكم فى أرض مصر و فى البرية، كما رأيتم أنه فداكم كما يفدى الوالد ولده فى كل الأرض التى سلكتموها[14] حتى انتهيتم إلى هذه البلاد.

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : يحتسو - كذا! (٣) فى ظ : تدلونا (٤) فى ظ : يسير (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : ارسلتم (٧) من ظ ، و فى الأصل : اخذا (٨) فى ظ : ربكم (٩) فى ظ : شوشتم (١٠) فى ظ : خيمكم (١١) من ظ ، و فى الأصل : بغضكم (١٢) فى ظ : مسيدة (١٣) من ظ ، و فى الأصل : هنا (١٤) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : اسكنتموها.

و بهذا[١] القول لم تصدقوا أن الله ربكم يكمل لديكم[٢] أنه يسير أمامكم فى الطريق ليهيئ[٥] لكم موضعا تسكنون فيه ، أ ليس هو الذى أراكم[٣] طريقا تسلكون فيه بالليل بالنار ، و ستركم بالنهار من حر الشمس بالغمام ، و سمع الرب كلامكم و أصواتكم و غضب و أقسم و قال : لا يعاين أحد من هؤلاء القوم - أهل هذا الحقب الردىء - الأرض المخصبة التى أقسمت ٥ أن أعطى آباءهم غير كالاب بن يوفنا . إنى أدفع إليه الأرض التى مشى فيها[٤] و أورثها ولده ، لأنه أتم قول الرب و أكمل سنته[٥] ، و قال لى : و أنت أيضا لا تدخلها ، و لكن يشوع بن نون الذى يخدمك هو يدخل هناك ، إياه[٦] قوّ و أيد[٦] ، لأنه هو الذى يورث بنى إسرائيل الأرض المخصبة التى وعدت بها آباءهم أن أعطيهم ، و أما مواشيكم التى قلتم : إنها تنتهب ، و بنوكم الذين ١٠ لا يعلمون الخير من الشر ، فهم يدخلون هناك ، و إليهم أدفعها و هم يرثونها ، فأما أنتم فاقبلوا و ارتحلوا / إلى البرية فى طريق بحر سوف ، فرددتم علىّ /٤١ و قلتم : أسأنا و أجرمنا بين يدى الله ربنا ، نحن صاعدون و مجاهدون كما قال لنا ، و تسلح كل امرئ منكم بسلاحه ، و تهيأتم[٧] للصعود إلى الجبل ، و قال الرب [لى -[٨]] : أنذرهم و قل لهم : لا تصعدوا و لا تجاهدوا ، لأنى ١٥ لست بينكم ، لئلا يهزمكم أعداؤكم ، و قلت و لم تقبلوا[٩] ، اجتنبتم قول الرب و أغضبتموه و جسرتم و طلعتم[١٠] إلى الجبل ، [فخرج الأموريون الساكنون

---

(١) فى ظ : لهذا (٢) فى ظ : لكم لدينكم (٣) فى ظ : اركم (٤) من ظ ، و فى الأصل : فينا (٥) فى ظ : سننه (٦ - ٦) من نص التوراة ، و فى الأصل و ظ : اقوى و اويد (٧) فى ظ : بهاتم - كذا (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ : لم يقبلوا .
(١٠) فى ظ : صعدتم .

فی ذلك الجبل للقائكم - [1]] و طردوكم كما تطرد[2] الزنابير بالدخان، و دفعوكم [3]من ساعير[3] إلى [4]حرما، و جلستم[4] و بكيتم و لم يسمع الرب أصواتكم، فبكيتم أمام الرب فی رقام أياما[5] كثيرة ما مكثتم فيها، فأقبلنا[6] فارتحلنا فی البرية فی طريق بحر سوف كما قال الرب، و ترددنا[7] حول جبل ساعير أياما

٥ كثيرة، و قال لی الرب : قد طال ترددكم حول هذا الجبل، أقبلوا إلى الجانب الجرنی[8]، فتقدم إلى الشعب و قل لهم : أنتم تجوزون[9] فی حد إخوتكم بنی عاسو[10] - و فی نسخة : عيصو - الذين يسكنون ساعير، فاحفظوا أن [11]لا تولعوا بهم[11]. لأنی لست أعطيكم من أرضهم ميراثا و لا موضع قدم، ابتاعوا منهم طعاما لمأكلكم[12] و امتاروا منهم[13] ماء بفضة لمشربكم، ليبارك الله

١٠ ربكم عليكم و يبارك[14] لكم فی كل ما عملت[15] أيديكم، كما علم أن يسوسكم فی هذه البرية أربعين سنة، الله[16] ربكم ما دام معكم لا يعوز بكم شیء، و جزنا[17] طريق العربة[18] - و فی نسخة : البيداء - و أيلة، و أقبلنا و جزنا فی البرية إلى طريق موآب، و قال لی[13] الرب : لا تضيق على الموآبيين و لا تحاربهم[19]، لأنی لست أعطيك[20] من أرضهم ميراثا. بل قد[13] جعلت هذه

---

(١) زيد من التوراة (٢) فی ظ : طردوا (٣ - ٣) فی ظ : الى شاعير (٤ - ٤) فی ظ : حرمان و حبستم (٥) فی ظ : ايام (٦) فی ظ : لما قبلنا (٧) فی ظ : ردنا.
(٨) فی ظ : الغربی (٩) من ظ، و فی الأصل : يجوزون (١٠) فی ظ : عاشو.
(١١ - ١١) فی ظ : لا تركعوا (١٢) فی ظ : كلم - كذا (١٣) سقط من ظ.
(١٤) فی ظ : تبارك (١٥) من ظ، و فی الأصل : حملت (١٦) فی ظ : فئه (١٧) فی ظ : جوزنا (١٨) من التوراة، و فی الأصل : الغربی، و فی ظ : العربی.
(١٩) فی ظ : لاتجاربهم (٢٠) فی ظ : اعطيكم.

الأرض

الأرض ميراثا لبنى لوط هذه التى سكنها إمتى أولا ، شعبا كان عظيما، كان الموآبيون يسمونهم إمتى، فأما ساعير فكان سكانها الحورانيين[١] أولا و ورثها بنوعاسو[٢]، فقوموا الآن فجوزوا وادى زرد ، [٣]فجزنا وادى زرد[٣] حينئذ ، و كان عدد الأيام التى[٤] سرنا من رقيم إلى أن جزنا وادى زرد ثمانى و ثلاثين سنة ، حتى هلك[٥] جميع الرجال الأبطال أهل ذلك الحقب[٦] ٥ من عسكر بنى إسرائيل كما أقسم عليهم الرب ، لأن يد الرب كانت عليهم حتى هلكوا ، فلما ماتوا من الشعب كلمنى[٧] الرب و قال [لى -[٨]]: أنت جائز اليوم إلى[٥] حد موآب ، و تدنو من حد بنى عمون فلا تتعرض[٩] لهم، لست أعطيك ميراثا من أرض بنى عمون ، لأنى قد جعلتها ميراثا لبنى لوط ، فقم و ارتحل و جز وادى أرنون ، إنى قد دفعت إليك سيحون ١٠ ملك الأمورانيين لحاربه و[٥] أهلك أصحابه ، فانى أبدأ فألقى خوفك و فزعك على الناس منذ يومك هذا ، و على جميع الشعوب التى تحت السماء ، حتى إذا سمعوا بخبرك فرقوا و فزعوا منك ، و أرسلت رسلا من برية قدموت إلى سيحون ملك حجبون بكلام طيب و بالسلام، و قلت له : نجوز فى أرضك و نسير[١٠] فى الطريق الأعظم ، لا نميل[١١] يمنة[١٢] و لا يسرة نمتار ، منكم ١٥ طعاما بفضة [١٣]لمأكلنا ، و كذلك[١٣] نبتاع ماء لمشربنا بثمن[٥] ، فدعونا نجز[١٤]

(١) فى ظ : الحواريين (٢) فى ظ : بنى عاسو (٣ - ٣) موضع الرقمين فى ظ : « و » (٤) فى ظ : الذى (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : الاحقب (٧) فى ظ : مملين -كذا (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ : فلايتعرض (١٠) فى ظ : يسير (١١) فى ظ : لا يميل (١٢) من ظ ، و فى الأصل : يسرة (١٣-١٣) فى ظ : كلنا و لذلك . (١٤) من ظ ، وفى الأصل : نجوز .

سائرين فى الطريق كما صنع بنا بنو عاسو الذين فى ساعير، و الموآبيون الذين فى عار[1]، حتى بجوز فى الأردن إلى الأرض التى يعطينا الله ربنا، و لم يسرّ سيحون ملك حجبون أن نجوز فى حده، لأن الله ربكم قسّى قلبه و عظم روحه[2] ليدفعه فى أيديكم، و خرج إلينا هو و جميع أجناده ليحاربونا[3]

٥ فى ياهاص[4]، فدفعه الرب إلينا و قتلناه هو و جميع أجناده، و فتحنا قراه و أهلكنا كل من كان فى قراه، و لم يبق منهم أحد، و أهلكنا نساءهم و عيالاتهم، و لم يبق منهم أحد من حد عروعير التى[5] على حد وادى أرنون، و القرية التى فى الوادى و إلى جلعاد لم تفتنا[6] قرية ،/ بل دفعها الله ربنا فى /٤٢ أيدينا جميعا، فأما أرض بنى عمون فلم نقربها[7]. و كل ما كان على وادى

١٠ يبوق[8] و قرى الجبال أيضا، و كل ما أمرنا الله ربنا به. ثم أقبلنا و صعدنا إلى أرض متنين[9]، و خرج إلينا عوج [10]ملك متنين[10] هو و كل شيعته ليحاربنا فى أدرعى[11]، و قال لى الرب: لا تفرق فانى قد دفعته فى[12] يديك، و أسلمت إليك كل أجناده و أرضه، و قتلناهم و لم يبق منهم أحد[13]، و ظفرنا بكل قراه[14] فى ذلك الزمان، و لم تفتنا قرية إلا[12] أخذناها[15]

١٥ منهم ستين قرية، كل جبل أرجوب، كل القرى التى كانت أسوارها[16]

---

(١) من التوراة، و فى الأصل و ظ : عارة (٢) فى ظ : وجهه (٣) من ظ، و فى الأصل: ليحاربنا (٤) فى ظ : باهاض (٥) فى ظ : الذى (٦) فى ظ : لم يفتنا (٧) فى ظ : فلم يقربها (٨) من التوراة، وفى الأصل وظ : الق ـ كذا. (٩) فى ظ : مسين ـ كذا (١٠ - ١٠) فى ظ : مالك مبين (١١) من التوراة، وفى الأصل و ظ : ادرعى (١٢) سقط من ظ (١٣) من ظ : و فى الأصل: احدا (١٤) فى ظ:قرية (١٥) فى ظ : اخذنا (١٦) من ظ، وفى الأصل: سوراتها.

مشيدة محصنة بالأبواب الشديدة الموثقة ، و أحرمناهن[1] كما صنعنا بسيحون
و أخذنا الأرض فى ذلك الزمان من ملكى الأمورانيين اللذين كانا عند
مجاز الأردن من وادى أرنون إلى جبل حرمون ، فأما الصيدانيون
فكانوا يدعون حرمون سريون . و أما الأموارنيون[2] فكانوا يسمونها
سنير[3] ، و أخذنا كل القرى التى[4] كانت فى الصحراء و كل جلعاد و كل متنين[5] ٥
إلى [6]سلكة و أدرعى[6] . جميع قرى ملك عوج ، لأن عوجا كان الجبار الذى
بقى وحده من الجبابرة ، وكان سريره من حديد ، و فى [7]مدينة بنى عمون[7]
التى تسمى ربة ، طوله تسع أذرع و عرضه أربع[8] أذرع بذراع الجبابرة[9] ،
و ورثنا هذه الأرض فى ذلك الزمان ؛ ثم قال : [أمرت -[10]] يشوع[11]
فى ذلك الزمان و قلت : قد رأيت بعينيك[12] ما صنع الله ربكم [13]بملكى ١٠
الأمورانيين ، كذلك يصنع الرب بجميع المملكات التى تجوز[14] إليها ،
لأن الله ربكم هو يجاهد عنكم ، و تضرعت إلى الرب فى ذلك الزمان و قلت :
أطلب إليك يا ربى و إلهى أن تظهر لعبدك عظمتك بيدك المنيعة و بذراعك
العظيمة ، أىّ إلـه فى السماء أو فى الأرض يعمل مثل أعمالك وجرائحك ! أتأذن

(١) من نص التوراة ، و فى الأصل : اخرجناهن ، وفى ظ : اخرناهن (٢) من ظ ، و فى الأصل : الامرانيون (٣) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : ساعير . (٤) فى ظ : الذى (٥) فى ظ : مبين - كذ (٦-٦) من التوراة ، وفى الأصل وظ : ملكى و اردعى (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : مدينته بنوا عيون - كذا (٨) سقط من ظ (٩) فى التوراة : رجل (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ : يسوع (١٢) فى ظ : بعينك (١٣) العبارة من هنا إلى « الله ربكم » ساقطة من ظ (١٤) من نص التوراة ، وفى الأصل و ظ : يجوزون .

لى الآن فأعبر و أعاين الأرض المخصبة التى فى مجاز الأردن، هذا الجبل المخصب ولبنان، و لم يستجب لى و قال لى الرب : حسبك ! لا تعد أن تقول هذا القول بين يدى ، اصعد رأس الأكمة و ارفع عينيك إلى المغرب و المشرق و إلى الجربى و التيمن ، و انظر إليها نظرا[1] و لا تجز هذا الأردن ، و مر يشوع[2]

٥ و تقدم إليه و قوّه و أيده، لأنه هو الذى يجوز أمام هذا الشعب و هو الذى[3] يورثهم[4] الأرض التى تراها ، و نزلنا[5] الوادى حيال بيت فغور[6] : ثم قال : و أقسم - أى الرب - أنى لا أجوز هذا الأردن و لا أدخل إلى الأرض التى[3] أعطاكم الله ربكم ميراثا ، فأنا الآن[3] متوف فى هذه الأرض ، و لا أجوز هذا[7] الأردن ، فأما أنتم فتجوزون و ترثون هذه الأرض المخصبة ، احفظوا

١٠ لا تنسوا عهد الله ربكم الذى عاهدكم ، و لا تفسدوا و تتخذوا أصناما و أشباها ، [8]من أجل أن الله ربكم هو نار محرقة و هو إله غيور ، و إذا ولد لكم بنون و بنو بنين و عتقتم فى الأرض . و اتخذتم أصناما و أشباها[8] و ارتكبتم الشر[9] أمام الله ربكم و أغضبتموه قد أشهد[10] عليكم السماء و الأرض أنكم تهلكون سريعا من الأرض التى تجوزون لترثوها ، و لا تكاثر أيامكم[11]

١٥ فيها ، و يبددكم الرب من بين الشعوب و يبقى منكم[3] عدد قليل بين الشعوب

---

(١) فى ظ : نظر (٢) فى ظ : يسوع (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : يرثهم (٥) من نص التوراة ، و فى الأصل : نزلت ، و فى ظ : نزلوا . (٦) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : بعود ! (٧) من ظ ، و فى الأصل : هذه . (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) فى ظ : الشهر (١٠) من ظ ، وفى الأصل : اشهدت (١١) من ظ ، و فى الأصل : اباوكم - كذا .

التى

التى يفرقكم الرب فيها ، سلوا عن الأيام الأولى التى مضت قبلكم منذ
يوم خلق الله الناس على الأرض من أقصى السماء إلى أقطارها ، / هل كان ٤٣ /
مثل هذا الأمر العظيم أو سمع بمثله قط ؟ هل سمع شعب آخر صوت الله
يكلمه من النار كما سمعتم أنتم ، و جربوا الله الذى اتخذهم شعبا من الشعوب
بالبلايا و الآيات و الأعاجيب و الحروب و اليد المنيعة و الذراع العظيمة ٥
و بالمناظر العظيمة ، كما صنع الله بأهل مصر تجاهكم أنتم و عاينتم و علمتم أن
الله هو رب كل شيء و ليس إلٰه غيره ، أسمعكم صوته من السماء ليعلمكم
و أراكم ناره العظيمة ، و سمعتم أقاويله من النار ، و لحبه لآبائكم اختار نسلهم
من بعدهم ، و أخرجكم[1] بوجهه من مصر بقوته العظيمة ، ليهلك من بين
أيديكم شعوبا أعظم و أعزّ منكم ليدخلكم و يعطيكم[2] أرضهم ميراثا ، ١٠
لتعلموا يومكم هذا و تقبلوا بقلوبكم لأن الرب هو إلٰه فى السماء فوق و فى
الأرض أسفل ، و ليس إلٰه سواه . احفظوا سننه و وصاياه التى أمركم
بها يومكم هذا لينعم عليكم و على أبنائكم من بعدكم ، و يطول مكثكم[3]
فى الأرض التى يعطيكم الله ربكم طول الأيام . هذه الشهادات و الأحكام[4]
التى قص موسى على بنى إسرائيل حيث خرجوا من أرض مصر ، فانتهوا ١٥
إلى مجاز الأردن فى الوادى فى مشارق الشمس ، و إلى بحر العربة[5] إلى
سدود الفسجة[6] ؛ ثم قال بعد ذلك فى أواخر هذا السفر بعد أن قص عليهم

---

(١) فى ظ : اجدكم (٢) فى ظ : بعضكم (٣) فى ظ : ملتكم (٤) زيد بعده فى ظ : السنن (٥) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : العربى (٦) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : و فرجا .

أحكاما كثيرة و حِكَما عزيزة[١] : الرب يقبل بكم إلى الخير و يفرحكم كما فرح آبائكم ، و ذلك إن أنتم سمعتم قول الله ربكم و حفظتم سننه و وصاياه المكتوبة فى هذا الكتاب من كل قلوبكم و أنفسكم ، من أجل [أن -[٢]] هذه الوصية لم تخف عليكم و لم تغب[٣] ، و ليس هو بمستور فى السماء

٥ فتقولوا[٤] : من يصعد لنا إلى السماء و يأتينا بـه [٥]فنسمعه و نعمل[٥] به ! و ليس بغائب عنكم فى أقصى البحر فتقولوا[٤] : من ينزل لنا إلى البحر و يأتينا به فنسمعه و نعمل به ! و لكن القول قريب من فمك[٦] و قلبك فاعمل به ، و انظر أنى قد صيّرت بين يديك اليوم الحياة و الخير ، فأخبرتك[٧] بالموت و الشر ، و أنا آمرك اليـوم أن تحب الله ربك و تسلك[٨] فى

١٠ طرقه[٩] و تحفظ سننه و وصاياه و أحكامه ، لتحيى و تكـثر جدا ، و يبارك الله ربك عليك ، و ينميك فى الأرض [١٠]التى تدخلها[١٠] لترثها ، و إن مال قلبك و زاغ و لم تسمع و ضللت و تبعت الآلهة الأخرى و سجدت لها فقد بينت لكم اليوم أنكم تهلكون هلاكا ، و لا يطول مكثكم فى الأرض التى تجوزون الأردن لترثوها ، و أوعزت إليكم و ناشدتكم

١٥ السماء و الأرض و الحياة و الموت - و فى نسخة : [و -[١١]] أشهدت عليكم [١٢]السماء و[١٢] الأرض و جعلت بين يديكم الحياة و الموت - و تلوت

---

(١) فى ظ : عزيز (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : لم يغب (٤) فى ظ : فيقولوا . (٥ - ٥) فى ظ : فيسمعه و يعمل (٦) فى ظ : فيك (٧) فى ظ : نسرك (٨) فى ظ : يملك - كذا (٩) من ظ ، و فى الأصل : طريقه (١٠ - ١٠) فى ظ : الذى يدخلها (١١) زيدت الواو من ظ (١٢ - ١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

عليكم اللعن و الدعاء[1] ، فاختر[2] الحياة لتحيي أنت و نسلك إذا أحببت الله ربك و سمعت قوله و لحقت بعبادته ، لأنه حياتك و طول عمرك ، و تسكن فى الأرض التى أقسم الرب لآبائك و وعد إبراهيم و إسحاق و يعقوب أن يعطيك ؛ ثم انطلق موسى و كلم بنى إسرائيل و قص عليهم هذه الأقوال كلها [3]و قال لهم[3] : اليوم مائة وعشرون سنة. و لست أقدر على الدخول والخروج ٥ أيضا ، و الرب قال : إنك لا تجوز هذا الأردن ، فالله ربكم هو يجوز أمامكم ، و هو يهلك هذه الشعوب من بين أيديكم و ترثونهم[4] ، [5]و يشوع هو يجوز أمامكم كما قال الرب . و سيصنع بهم الرب كما صنع بسيحون[5] و عوج ملكى الأمورانيين[6] اللذين / أهلكهما ، و يهزمهم الله ربكم من بين أيديكم ، / ٤٤ فاصنعوا بهم حينئذ ما أمرتكم به ، فتقوّوا و اعتزوا و لا تخافوا و لا تفزعوا ، ١٠ و لا ترعب قلوبكم منهم ، لأن الله ربكم سائر أمامكم ، لا يخذلكم و لا يرفضكم ؛ و دعا موسى يشوع[7] بن نون و قال له بين يدى جماعة بنى إسرائيل : تقّو واعتز ، لأنك أنت الذى تدخل هذا الشعب الأرض التى أقسم[8] الله لآبائهم أن يعطيهم ، و أنت تورثها[9] أبناءهم ، و الرب هو يسير أمامكم و هو يكون معك و لا يخذلك و لا يرفضك ، فلا تخف و لا تفزع و لا يرعب قلبك ؛ و كتب موسى هذه[1] ١٥ التوراة و سننها[10] و دفعها إلى الأحبار بنى لاوى الذين[11] يحملون[12]

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : فاخترت (٣-٣) فى ظ : فى (٤) فى ظ : ترثوهم .
(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : الامرانيين (٧) فى ظ : يسوع .
(٨) فى ظ : انعم (٩) من ظ ، و فى الأصل : ترثها (١٠) فى ظ : سينها .
(١١) فى من ظ ، وفى الأصل : الذى (١٢) زيد بعده فى ظ : موسى .

تابوت عهد الرب و[1] إلى جميع أشياخ بنى إسرائيل ؛ ثم قال : وكلم الرب موسى فى ذلك اليوم و قال له : اصعد إلى جبل العبرانيين هذا جبل نابو[2] الذى فى أرض موآب حيال يريحا[3] ، و انظر إلى أرض كنعان التى أعطى بنى إسرائيل ميراثا ، و لتتوفّ هناك فى الجبل الذى تصعد[4] إليه و اجتمع إلى آبائك ، كما توفى أخوك هارون فى الجبل و صار إلى قومه ، [5]ثم قال فى آخر هذا[1] السفر و هو آخر التوراة : فطلع موسى من غربوب[6] - و فى نسخة : من بيداء موآب - إلى جبل نبو إلى رأس الأكمة التى قبالة[7] وجه إريحا ، و أراه[8] الله جميع [9]جلعد إلى دان[9] و جميع أرض نفتالى و جميع أرض إفرائيم[10] و منشا ، و جميع أرض يهودا إلى آخر البحر و البرية و ما حول بقعة بلد إريحا مدينة [11]النخل إلى صاغر[11] ، فقال الرب لموسى : إن هذه هى[1] الأرض التى أقسمت لإبراهيم و إسحاق و يعقوب و قلت : إنى لنسلكم أعطيها ، قد أريتكها بعينيك[12] ، فأما أنت فما تدخلها ، و قضى عبد الله موسى بأرض [موآب - [13]] بأمر الرب ، فدفن - يعنى فى أرض موآب - حذاء بيت فاغور[14] ، و لم يعرف

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : بابوا - كذا (٣) فى ظ : تريحا .
(٤) من ظ و التوراة ، و فى الأصل : تعصد (٥) كتب هنا بهامش الأصل : وفاة موسى عليه السلام (٦) فى ظ : عزبوب (٧) من ظ ، و فى الأصل : قباله.
(٨) فى ظ : اراد (٩-٩) فى ظ : ماجعله الى ذلك - كذا (١٠) من التوراة ، و فى الأصل و ظ :قرام (١١ - ١١) فى ظ : البحر الى ساعرا (١٢) فى ظ : بعينك .
(١٣) زيد من ظ والتوراة (١٤) فى ظ : فاغوذ .

أحد

أحد أين قضى إلى يومنا هذا، وكان موسى وقت قضى[١] ابن مائة و عشرين سنة، لم يضعف بصره ولم يشخ جدا؛ فناح بنو إسرائيل على موسى بعربوب - و فى نسخة: فى بيداء موآب - ثلاثين يوما، و تمت أيام بكاء مأتم موسى؛ و امتلأ يشوع[٢] بن نون روح الحكمة، لأن موسى وضع عليه يده، و أطاع له بنو إسرائيل و امتثلوا ما أمر الرب به موسى - ٥
انتهى ما أردته من أخبار التيه و ما يتصل بذلك من مساواتهم لجميع الناس فى العذاب بالمعاصى و الإلطاف بالطاعات، الهادم لكونهم أبناء و أحباء.

و فيه مما يحتاج إلى تفسير: الجربى، و هو نسبة إلى الجربياء[٣] - بكسر الجيم و الموحدة[٤]، بينهما مهملة ساكنة ثم تحتانية ممدودة، و هى جهة الشمال، و التيمن - بفتح الفوقانية و إسكان التحتانية وضم الميم، و هو أفق اليمن ١٠ الذى يقابل[٥] الشمال فالمراد الجنوب[٦]، و فيه قاصمة[٧] لهم من[٨] إنكار النسخ فى أمرهم بنص التوراة بالدخول إلى بيت المقدس ثم نهيهم[٩] عن ذلك لما عصوا، فانه قال: اصعدوا و رثوا الأرض[١] كما قال لكم الله رب[١٠] آبائكم، لا تخافوا و لا تفزعوا، و لما عصوا هذا الأمر و أعلمهم موسى عليه السلام بغضب[١١] الله عليهم و عقوبته[١٢] بالتيه أرادوا امتثال الأمر فى الصعود توبة، فقال لهم ١٥ موسى عليه السلام: وقال لى[١] الرب: أنذرهم و قل لهم: لا تصعدوا

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: يسوع (٣) من ظ، و فى الأصل: الجربا.
(٤) فى ظ: بالموحدة (٥) من ظ، و فى الأصل: قابل (٦) فى ظ: الحبوب.
(٧) فى ظ: قاصمه (٨) فى ظ: فى (٩) فى ظ: بينهم (١٠) فى ظ: ربه (١١) من ظ، و فى الأصل: فغضب (١٢) فى ظ: عقوبتهم.

و لا تجاهدوا لأنى لست بينكم، لئلا يهزمكم أعداؤكم - هذا نصه فراجعه .
و أما دخول أبنائهم إلى بلاد القدس و غلبتهم على أهلها و تبسطهم فى
/٤٥ أرضها / تصديقا لمواعد الله على [يد - [1]] يشوع [2] بن نون عليه السلام
فسيذكر إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى فى سورة يونس عليه السلام
٥ "و لقد بوانا بنى اسراءيل مبوأ صدق [3]"، و لكن أقدم هنا من أمر يوشع
بعد موسى عليهما السلام - و المعونة بالله - ما يبنى [4] عليه بعض مناسبات
الآية التى بعدها، قال البغوى: فتوجه - يعنى يوشع - ببنى إسرائيل إلى
إريحا و معه تابوت الميثاق، فأحاط بها ستة أشهر، ثم نفخوا فى القرون
و ضج الشعب ضجة واحدة، فسقط سور المدينة و دخلوا، فقاتلوا الجبارين
١٠ فقتلوهم، و كان القتال [فى - [1]] يوم الجمعة، فبقيت [5] منهم بقية و كادت
الشمس تغرب و تدخل ليلة السبت فقال: اللهم اردد الشمس علىّ! فردت
[عليه - [1]] و زيد فى النهار ساعة، ثم قتلهم أجمعين، و تبع ملوك الشام
و استباح منهم واحدا [6] و ثلاثين ملكا حتى غلب [7] على جميع أرض الشام
و فرق عماله فى نواحيها، و جمع الغنائم فلم تنزل النار، فأوحى الله إلى يوشع
١٥ أن فيها غلولا فرهم فليبايعوك، فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده [8]، فقال:
هلمّ ما عندك! فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل باليواقيت و الجواهر، فجعله
فى القربان و جعل الرجل معه، فجاءت النار فأكلت الرجل و القربان - انتهى.

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : يوشع (٣) آية ٩٣ (٤) من ظ ، و فى الأصل :
ينبغى (٥) فى ظ : فبثبت (٦) فى ظ : واحد (٧) فى ظ : علت (٨) من ظ ، و فى
الأصل : بيدك .

و رأيت أنا فى تاريخ نبوة يوشع بعد موت[1] موسى عليهما السلام ما ربما يخالف هذا فى الأشهر و البلد، أما الأشهر فجعلها سبعة أيام، و أما البلدة التى وقفت عندها[2] الشمس فجبعون لا إريحا، فانه قال ما نصه: قال الرب ليشوع[3]: انظر، إنى قد دفعت فى يدك إريحا و ملكها و كل أجنادها[4]، فليحط بالمدينة جميع الرجال المقاتلة، و دوروا حول المدينة فى اليوم مرة[5]، و افعلوا ٥ ذلك ستة أيام، و يحمل سبعة من[6] الكهنة سبعة أبواق و يهتفون أمام التابوت، حتى إذا كان اليوم السابع دوروا حول المدينة سبع مرات، و يهتف الكهنة بالقرون، و إذا هتفت الأبواق و سمعتم أصواتها يهتف جميع الشعب بأعلى أصواتهم صوتا شديدا، فيقع سور المدينة مكانه، و يصعد الشعب كل إنسان حياله - انتهى. ثم ذكر امتثالهم لأمر الله ١٠ و فتحهم لإريحا على ما قال الله. و أما [7]البلدة التى[7] ردت فيها الشمس فهى[8] جبعون، و ذلك أنه ذكر بعد فتح إريحا هذه أن سكان جبعون و هم الحاوانيون صالحوا يوشع بحيلة فعلوها، ثم قال: و هذه أسماء قراهم: جبعون و[9] الكفيرة و بيروت و يعاريم[9]، فلما سمع بذلك أدونصداق[10] ملك أورشليم فرق فرقا شديدا، لأن جبعون كانت مدينة عظيمة كمثل مدن ١٥ الملك، و كان أهلها رجالا جبابرة، فأرسل إلى هوهم[11] ملك حبران

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: عند (٣) فى ظ: ليوشع (٤) فى ظ: اخبارها.
(٥) تقدم فى ظ على «فى اليوم» (٦) فى ظ: فى (٧-٧) فى الأصل: البلد التى، و فى ظ: البلد الذى (٨) فى ظ: و هو (٩-٩) من تاريخ نبوة يشوع، و فى الأصل: احصرا و عيروث و بعران، و فى ظ: احتيرا و عيروث و بموان - كذا.
(١٠) فى ظ: ادىصداق (١١) من ظ، و فى الأصل: هزمهم.

ـ و فى موضع آخر : حبرون - و إلى فرآم[1] ملك يرموث ، و إلى يافع ملك لخيس ، و إلى دابير[2] ملك عقلون ـ و قال لى بعض اليهود : إن المراد بهذه عجلون - و قال لهم : اصعدوا لتعينونى على محاربة أهل جبعون ، لأنهم قد صالحوا يشوع ، فاجتمع الخمسة من ملوك الأمورانيين[3] و جميع عساكرهم
٥ فنزلوا على جبعون ، فأرسل أهل جبعون إلى يشوع[4] فصعد يشوع[4] من الجلجال هو و جميع أبطال الشعب ، فأوحى الرب إلى يشوع[4] : لا تخف و لا تفزع منهم ، لأنى قد أسلمتهم فى يدك ، فأتاهم بغتة ، لأنه صعد من الجلجال الليل أجمع ، فهزمهم الرب بين يدى آل إسرائيل و جرحوا منهم / جرحى كثيرة فى جبعون التى بحوران[5] ، و هربوا فى طريق عقبة / ٤٦
١٠ حوران و لم يزالوا يقتلون[6] منهم إلى [7]عزيقة و مقيدة[7] ، فلما هرب الذين بقوا[8] منهم و نزلوا عقبة حوران أمطر[9] الرب عليهم حجارة برد كبار من السماء إلى عزيقة[10] و ماتوا كلهم[11] ، فكان الذين ماتوا بحجارة البرد أكثر من الذين قتلوا ، ثم قام يشوع أمام الرب مصليا فى اليوم الذى دفع الرب الأمورانيين فى يدى بنى[11] إسرائيل و قال : أيتها الشمس !
١٥ امكثى[12] فى جبعون و لا تسيرى ، و أنت أيها القمر ! لا تبرح قاعَ أيلون ،

(١) من يشوع ، و فى الأصل : يزا ان ، و فى ظ : يزان ـ كذا (٢) زيد بعده فى ظ : ملك دانير (٣) فى ظ : الامرانيين (٤) فى ظ : يسوع (٥) من ظ ، و فى الأصل : بحران (٦) فى ظ : يقاتلون (٧ - ٧) من يشوع ، و فى الأصل و ظ : عاقار و مقار (٨) فى ظ : نعوا (٩) فى ظ : مطر (١٠) من يشوع ، و فى الأصل و ظ : عاقار ـ كذا (١١) سقط من ظ (١٢) فى ظ : امكثوا .

فثبتت الشمس و قام القمر حتى انتقم الشعب من أعدائهم ؛ فكتبت[١] هذه الأعجوبة فى سفر التسابيح ، لأن الشمس وقفت فى وسط السماء و لم تزل إلى الغروب ، و صار[٢] النهار يوما تاما ، و لم يكن مثل ذلك اليوم قبله و لا بعده - انتهى . و قد ذكر النبي صلى الله عليه و سلم هذه القصة ، روى الشيخان : البخارى فى الخمس و النكاح ، و مسلم فى المغازى ٥ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال[٣] النبي صلى الله عليه و سلم : غزا[٤] نبي من الأنبياء فقال لقومه : لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة و هو يريد أن يبنى بها و لمّا يبن[٥] بها ، و لا أحد[٦] بنى بيوتا و لم يرفع سقوفها ، و لا أحد[٦] اشترى غنما أو خلفات و هو ينتظر ولادها[٧] ، فغزا فدنا[٨] من القرية صلاةَ العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس : إنك مأمورة و أنا ١٠ مأمور ، اللهم احبسها علينا ! فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم ، فجاءت - يعنى النار - لتأكلها فلم تطعمها ، فقال : إن فيكم غلولا ، فليبايعنى من كل قبيلة رجل ، فلزقت يد رجل بيده ، فقال : فيكم الغلول فلتبايعنى[٩] قبيلتك ، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده ، فقال : فيكم الغلول ، فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب[١٠] فوضعوها ، فجاءت النار فأكلتها ، ١٥ ثم أحل الله لنا الغنائم ، رأى بعض[١١] ضعفنا و عجزنا فأحلها لنا . و فى

---

(١) فى ظ : فكتب (٢) فى ظ : صلى (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : عن (٥) من ظ وصحيح البخارى - الخمس ، و فى الأصل : لم يبن (٦) فى ظ : احدا (٧) من الصحيح ، و فى الأصل و ظ : اولادها (٨) فى ظ : ودنا (٩) فى ظ : فتبايعنى .
(١٠) العبارة من هنا إلى « لنا و فى » ساقطة من ظ (١١) ليس فى الصحيح .

رواية المسند للحافظ نور الدين الهيثمي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الشمس لم يحبس على بشر إلا ليوشع ليالى[1] سار إلى بيت المقدس ، قال : و هو فى الصحيح و لم أر فيه حصرا[2] كما هنا ؛ و فى سيرة ابن إسحاق ما ينقضه ، قال : حدثنا[3] يونس عن الأسباط ٥ ابن[4] نصر الهمدانى عن إسماعيل بن عبد الرحمن القرشى قال : لما أسرى برسول الله صلى الله عليه و سلم و أخبر قومه بالرفقة و العلامة عما فى العير قالوا : فتى تجيء[5] ؟ قال : يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون[6] و قد ولى النهار و لم تجئ ، فدعا النبى صلى الله عليه و سلم فزيد له فى النهار ساعة و حبست عليه الشمس ، و لم ترد الشمس على أحد ١٠ إلا على رسول الله صلى الله عليه و سلم و على يوشع بن نون حين قاتل الجبارين يوم الجمعة .

و لما كانت قصتهم هذه - فى أمرهم بالدخول إلى الأرض المقدسة لما فيها من نقض العهود[4] و التبرئ من الله و الحكم عليهم بالفسق و التعذيب - ناقضة لما ادعاه اليهود من البنوة ، كان ذلك كافيا فى إبطال مدعى النصارى ١٥ لذلك ، لأنهم أبناء اليهود ، و إذا[7] بطل كون أبيك ابنا لأحد بطل أن تكون[8] أنت ابنه ، لما كان ذلك كذلك[9] ناسب أن تعقب بقصة ابنى آدم لما يذكر ، فقال تعالى عاطفا على قوله " و اذ قال موسى ": ﴿ و اتل عليهم ﴾

(١) فى ظ : ليال (٢) فى ظ : حضر (٣) زيد بعده فى الأصل : احمد ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : نحن (٦) فى ظ : ينظرون.
(٧) فى ظ : اذ (٨) فى ظ : يكون (٩) فى ظ : لذلك .

أى على المدعوّين الذين من جملتهم اليهود تلاوة ، [و - [1]] هى من أعظم / الأدلة على نبوتك ، لأن ذلك لا علم لك[2] و لا لقومك بـه[2] إلا من جهة الوحى ﴿ نبأ[3] ابنى ادم ﴾ أى خبرهما الجليل العظيم ، تلاوة ملتبسة ﴿ بالحق ﴾ أى الخبر الذى يطابقه الواقع إذا تُعُرِّفَ من كتب الأولين و أخبار الماضين كائنا ذلك النبأ ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ قربا ﴾ أى ابنا آدم؛ و لما لم يتعلق الغرض فى هذا المقام ببيان أىّ نوع قربا منه، قال : ﴿ قربانا ﴾ أى بأن قرب [4]كل واحد منهما شيئا[4] من شأنه أن يقرِّبَ إلى المطلوب مقاربتُه[5] غاية القرب .

/ ٤٧

و لما كان المؤثر للحسد إنما هو عدم التقبل، [لا - [1]] بالنسبة إلى متقبل خاص ، بناه للفعول فقال : ﴿ فتُقبِّل ﴾ أى [قبل - [1]] قبولا عظيما ظاهرا لكل أحد ﴿ [6]من احدهما [6] ﴾ أبهمه [7]أيضا لعدم الاحتياج فى هذا السياق إلى تعيينه[7] ﴿ و لم يتقبل من الأخر ﴾ عَلِمَا ذلك[8] بعلامة كانت لهم فى ذلك ، إما أكل النار للقبول كما[9] قالوه أو[10] غير ذلك؛ و مناسبتها لما قبلها من حيث أنها أيضا ناقضة لدعواهم البنوة، لأن قابيل ممن ولد فى الجنة على[1] ما قيل، و مع ذلك فقد عذب لما نقض العهد، فانتفى أن يكون ابنا . و كان هو و غيره شرعا واحدا دائرا[11] أمرهم فى

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) تقدم فى ظ على « أى على » (٤-٤) تقدم ما بين الرقمين فى ظ على « به إلا » (٥) فى ظ : مقاربة (٦ - ٦) تقدم ما بين الرقمين فى ظ على « أى قبل » (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ : بذلك (٩) فى ظ : لما (١٠) فى ظ « و » (١١) فى ظ : دائر .

العذاب و الثواب على الوفاء و النقض، من وفى كان حبيبا وليا، و من نقض كان بغيضا عدوا، و إذا انتفت البنوة عن ولد لآدم صفى الله مع كونه لصلبه [لا -[1]] واسطة بينهما و مع كونه وُلِدَ فى الجنة دار الكرامة، فانتفاؤها[2] عمن هو أسفل منه من باب الأولى، و كذا المحبة؛ و من
٥ المناسبات أيضا أن كفر بنى إسرائيل بمحمد صلى الله عليه و سلم إنما هو للحسد، فنبهوا بقصة ابنى آدم على أن الحسد يجر[3] إلى ما لا يرضى الله[3] و إلى ما لا يرضاه عاقل و يكب[4] فى النار؛ و منها أن فى قصة بنى إسرائيل إحجامهم عن قتال أعداء الله البعداء منهم المأمورين بقتالهم الموعودين عليه بخيرى الدارين، و أن الله معهم فيه، و فى قصة ابنى آدم إقبال[5]
١٠ قابيل على قتل أخيه حبيب الله المنهى عن قتله المتوعد بأن الله يتبرأ منه إن قتله، ففى ذلك تأديب لهذه[6] الأمة عند كل إقدام و إحجام، و تذكير بالنعمة فى حفظهم من مثل ذلك، و[6] أن فيها أن موسى و هارون عليهما السلام أخوان فى غاية الطواعية فى أنفسهما و رحمة كل منهما للآخر و الطاعة لله، و قصة ابنى آدم بخلاف ذلك، و فى ذلك تحذير مما جر إليه
١٥ و هو الحسد، و أن فى قصة بنى إسرائيل أنهم لما[8] قدموا الغنائم للنار فلم تأكلها، عَلِمَ نبيهم صلى الله عليه و سلم أنها لم تقبل لغلول غَلّوه، فاستخرجه و وضعه فيها فأكلتها، ففى ذلك الاستدلال بعدم أكل النار على عدم القبول - كما

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : انتفوهما (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) فى الأصل : يكبر ، وفى ظ : نكب - كذا (٥) فى ظ : اقدام (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : هذه . (٨) فى ظ : كما .

فى

فى قصة[١] ابنى آدم ، و أن بنى إسرائيل عذبوا بالمنع من بيت المقدس بالتيه ،
و قابيل نفى من الأرض التى كان فيها مقتل[١] أخيه ، و أن بنى إسرائيل
تاهوا أربعين سنة[٢] على عدد[٣] الأيام التى غاب فيها نقباؤهم[٤] فى جسّ أخبار
الجبارة ، و أن قابيل حمل هابيل بعد أن قتله أربعين يوما - ذكره البغوى
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : و قصده[٥] السباع فحمله على ظهره ٥
أربعين يوما ، و كل هذه محسنات ، و العمدة هو الوجه الأول ، و أحسن
منه أن يكون الأمر لموسى عليه السلام عطفا على النهى فى " لا تاس[٦] " ،
و المعنى أن الأرض المقدسة مكتوبة لهم كما قَدِمْتَه أنت أول القصة
فى قولك " التى كتب [الله -[٧]] لكم " فأنا مورثها لا محالة لأبنائهم و أنت
متوفٍ قبل دخولها ، و قد أجريت سنتى فى بنى آدم بأنهم إذا / [٨]توطنوا ١٠ / ٤٨
و استراحوا[٨] تحاسدوا ، و إذا تحاسدوا تدابروا فقتل بعضهم بعضا ، فاتل
عليهم هذه القصة لتكون زاجرة لهم من أن يفعلوا ذلك إذا فرغوا من
الجبارة و أبادوهم و صفت لهم البلاد فتوطنوها ، و أخرجت[٩] لهم بركاتها
فأبطرتهم النعم ، و نسوا غوائل النقم ؛ و يكون ذلك وعظا لهذه الأمة
و مانعا من فعل مثل ذلك بعد إكمال دينهم و وفاة نبيهم و إظهارهم على الدين ١٥
كله ، كما تقدم به الوعد لهم فقهروا العباد و فتحوا البلاد و انتثلوا كنوزها

---

(١) فى ظ : يقتل (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : عدم (٤) فى ظ : لعناوهم - كذا (٥) فى ظ : قصيدة (٦) من ظ ، و فى الأصل : تاس . (٧) زيد من ظ و القرآن الكريم (٨-٨) فى ظ : تواطنوا و استرحوا (٩) فى ظ : خرجت .

و تحكموا فی أموالها، فنسوا ما كانوا فيه من القلة و الحاجـة[١] و الذلة فأبطرتهم النعم، و ارتكبوا أفعال الأمم، و أعرضوا عن غوائل النقم- كما قال النبي صلى الله عليه و سلم : دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد و البغضاء، ألا و البغضاء[٢] هى الحالقة، لا أقول[٢]: تحلق الشعر، و لكن تحلق
٥ الدين - أخرجه الترمذی و الإمام أحمد و أبو داود الطيالسى فى مسنديهما و البزار[٣] - قال المنذری : باسناد جيد - و البيهقى و قال : لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا - رواه الطبرانى و رواته ثقات، و ذكر الحافظ أبو الربيع ابن سالم الكلاعى فى القسم الثانى من سيرته فى فتح جلولاء[٤] من بلاد فارس أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لما أرسل الغنيمة إلى عمر
١٠ رضى الله عنه أقسم عمر رضى الله عنه : لا يجنأها[٥] سقف بيت حتى[٦] تقسم! فوضعت[٦] فى صحن المسجد، فبات[٧] عبد الرحمن بن عوف و عبد الله بن أرقم رضى الله عنهما يحرسانه، فلما جاء الناس كشف عنه فنظر عمر رضى الله عنه[٨] إلى ياقوته و زبرجدة و جوهرة فبكى، فقال عبد الرحمن رضى الله عنه[٨] : ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فوالله إن هذا إلا موطن
١٥ شكر! فقال عمر : و الله ما ذاك يبكينى، و تالله ما أعطى الله هذا قوما إلا تحاسدوا و تباغضوا، و لا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم .

شرح قصة ابنى[٩] آدم من التوراة، قال المترجم فى أولها بعد قصة أكل آدم

---

(١) فى ظ : الحجة (٢ - ٢) فى ظ : هل لمخالفة الاقوال - كذا (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) فى ظ : حلولا (٥) فى ظ : لا يحنها (٦-٦) فى ظ : يقسم فوقعت (٧) فى ظ : فبك (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) فى ظ : بنى .

عليه السلام من الشجرة ما نصه : فدعا آدم اسم امرأته حواء من أجل أنها
كانت أم كل حيّ، و صنع الرب لآدم و امرأته سرابيل من الجلود و ألبسهما،
فأرسله الله من جنة عدن ليحرث[1] الأرض التى منها أخذ، فأخرجه الله
ربنا، فجامع [آدم - [2]] امرأته حواء فحبلت[3] و ولدت قايين[4] و قالت :
لقد استفدت لله رجلا، و عادت فولدت أخاه هابيل، [5]فكان هابيل[5] ٥
راعى غنم، و كان قايين[4] يحرث الأرض. فلما كان بعد أيام جاء قايين[4]
من ثمر أرضه بقربان لله، و جاء هابيل أيضا من أبكار غنمه بقربان،
فسر الله بهابيل و قربانه ولم يسر بقايين[6] و قربانه، فساء ذلك قايين[4] جدا[7]
و همّ أن يسوءه و عبس وجهه، فقال الرب لقايين[8]: ما ساءك؟ و لِمَ كسف[9]
وجهك؟ إن أحسنت تقبلت منك، و إن لم تحسن فان الخطيئة رابضة على ١٠
الباب و أنت تقبل إليها و هى تتسلط عليك، فقال قايين[4] لهابيل أخيه:
تتمشى بنا فى البقعة، فبينما هما يتمشيان فى الحرث وثب قايين[4] على أخيه
هابيل فقتله، فقال الله لقايين[8]: أين هابيل أخوك؟ فقال: لا أدرى،
أرقيب أنا على أخى؟ قال الله: [10]ما ذا[10] فعلت! فان دم أخيك[11] ينادى
لى من الأرض، من الآن ملعون أنت من[12] الأرض التى فتحت[13] فاها ١٥

---

(١) فى ظ : ليخرب (٢) زيد من ظ و التوراة (٣) فى ظ : فحملت (٤) فى ظ : قابيل ، وما أثبتناه من الأصل هو ثابت فى تراجم التوراة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : بقابيل (٧) فى ظ : حسد (٨) فى ظ : لقابيل. (٩) فى ظ : كشف (١٠-١٠) فى ظ : ما (١١) زيدت الواو بعده فى ظ (١٢) من التوراة، و فى الأصل و ظ : ثم (١٣) العبارة من هنا إلى « فى الأرض » ساقطة من ظ .

فقبلت دم أخيك من يدك، فاذا أنت عملت فى الأرض فانها لا تعود تعطيك حراثها، و تكون فزعا تائها فى الأرض، فقال قايين[1] للرب: عظمت / خطيئتى من أن تغفرها، و قد أخرجتنى اليوم عن وجه الأرض، و أتوارى من قدامك و أكون فزعا تائها فى الأرض، و كل من وجدنى ٤٩ /

٥ يقتلنى، فقال[2] الله ربنا: كلا! و لكن كذلك[3] كل قاتل، و أما قايين[1] [4]فانه يجزى[4] بدل الواحد سبعة، فخرج قايين[1] من قدام الله فجلس فى أرض نود[5] شرقى عدن - انتهى. قال البغوى عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول: إن آدم كان يغشى حواء فى الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت فيها بقابيل و توأمته[6] - فذكر قصته فى النكاح و قتله لأخيه و شرب

١٠ الأرض لدمه [4]و قول قابيل لله - حين قال له: إنه قتله -: إن كنت قتلته فأين دمه[4]؟ فحرم الله على الأرض يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا - انتهى.

و لما أخبر الله[7] تعالى بأن أحدهما فعل معه من عدم القبول ما غاظه، كان كأنه قيل: فما فعل حين غضب؟ فقيل: ﴿ قال ﴾ أى لأخيه الذى قبل قربانه حسدا له[7] ﴿ لاقتلنك ط ﴾ [8]فكأنه قيل: بما[8] أجابه؟

(١) فى ظ: قابيل (٢) زيد بعده فى الأصل: الرب، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) فى ظ: لذلك (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ والتوراة، وفى الأصل: بود (٦) وقع فى ظ: توأميه - خطأ، و ذكر ابن حيان أن حواء كانت تلد فى كل بطن ذكرا و أنثى، و كان آدم يزوج ذكر هذا البطن أنثى ذلك البطن. وأنثى هذا ذكر ذلك، و لا يحل للذكر نكاح توأمته - راجع البحر المحيط ٣ / ٤٦١ (٧) سقط من ظ (٨ - ٨) فى ظ: وكانه تتل ثم - كذا.

فقيل: نبهه أولا على ما يصل به إلى رتبته ليزول حسده بأن ﴿ قال انما يتقبل الله ﴾ أي يقبل قبولا عظيما المحيط لكل شيء قدرة و علما الملك الذى له الكمال كله، فليس هو محتاجا[1] إلى شيء، و كل شيء محتاج[2] إليه ﴿ من المتقين ﴾ أى العريقين[3] فى وصف التقوى، فلا معصية لهم يصرون عليها بشرك و لا غيره، فعدم[4] تقبل قربانك من نفسك لا منى، فلم تقتلنى؟ ٥ فقتلك[5] لى مبعد[6] لك عما حسدتنى عليه.

و لما وعظه بما يمنعه من قتله و يقبل به[7] على خلاص نفسه، أعلمه ثانيا أن الخوف من الله مَنَعَه من أن يمانعه عن نفسه مليناً[8] لقلبه بما هو جدير أن يرده عنه خشية أن تجره الممانعة إلى تعدى الحد المأذون فيه، لأن أخاه كان عاصيا لا مشركا، فقال مؤكدا بالقسم لأن مثل ما يخبر به عظيم ١٠ لا يكاد يصدق: ﴿ لئن بسطت الىّ ﴾ أى خاصة ﴿ يدك لتقتلنى ﴾ أى لتوجد ذلك بأىّ وجه كان، ثم بالغ فى إعلامه بامتناعه من الممانعة فقال: ﴿ مآ انا ﴾ و أغرق فى النفى[9] فقال[10]: ﴿ بباسط ﴾ أى أصلا، و قدم المفعول به تعميما، ثم خص المتعلق لمناسبة الحال فقال: ﴿ يدى اليك لاقتلك ج ﴾ أى فى أىّ[10] وقت من الأوقات، و لعله[11] [أتى -[12]] بالجملة[13] ١٥ الاسمية[14] المفيدة لنفى الثبات و الدوام أدبا مع الله فى عدم الحكم على

(١) فى ظ: محتاج (٢) فى ظ: يحتاج (٣) فى ظ: الغريقين (٤) فى ظ: فتقدم.
(٥) فى ظ: و قتلك (٦) من ظ، و فى الأصل: بعد (٧) فى ظ: هو (٨) فى ظ: مبينا (٩) فى ظ: السبى - كذا (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ، و فى الأصل: لعل (١٢) زيد من ظ، أى بالجملة الفعلية (لاقتلك) (١٣) أى فى ضمن الجملة الاسمية، و فى الأصل: الجملة، و قد سقط من ظ (١٤) فى ظ: بالاسمية.

المستقبل، ثم علله بقوله: ﴿ انىّ اخاف الله ﴾ أى أستحضر جميع ما أقدر على استحضاره من كماله، ثم وصفه بالإحسان إلى خلقه ليكون ذلك مانعا له من الإساءة إلى أحد منهم فقال: ﴿ رب العٰلمين ﴾ أى الذى أنعم عليهم بنعمة الإيجاد ثم التربية، فأنا لا أريد أن أخرب ما بنى، ٥ وهذا كما فعل عثمان رضى الله عنه.

و لما كان من النهايات للواصلين إلى حضرات القدس و مواطن الأنس بالله، المتمكنين فى درجة الفناء عن غير الفاعل المختار أن لا يراد إلا ما يريد سبحانه، فان كان[1] طاعة أراده[2] العبد و رضيه، و إن كان معصية اراده[2] من حيث أنه مراد الله ولم يرضه[3] لكونه معصية، فيرضى ١٠ بالقضاء دون المقضى، وكأنه[4] من[5] الممكن القريب أن يكون هابيل قد كشف له عن أنه سبق فى علم الله أن أخاه يقتله، قال مرهبا له معللا بتعليل آخر صاد[6] له أيضا عن الإقدام على القتل: ﴿ انىّ اريد ﴾ أى بعدم[7] الممانعة لك ﴿ ان تبوأ ﴾ أى ترجع من قتلى إن قتلتنى ﴿ باثمى ﴾ أى الإثم الذى ينالك[8] من أجل قتلك لى، و بعقوبته / الذى من جملته أنه[9] يطرح عليك /٥٠ ١٥ من سيئاتى بمقدار ما عليك من حق إذا لم تجد ما ترضينى به من الحسنات ﴿ و اثمك ﴾ أى الذى [10]لا سبب لى فيه، و هو الذى كان سببا لرد قربانك و اجترائك علىّ و عدوانك، و أفوز أنا بأجرى و أجرك، أى

(١) فى ظ: كانت (٢) فى ظ: ارادة (٣) من ظ، وفى الأصل: لم يرضيه (٤) من ظ، وفى الأصل: كان (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: صادر (٧) فى ظ: بعد. (٨) من ظ، وفى الأصل: ينال (٩) فى ظ: ان (١٠) العبارة من هنا إلى «أجرى الذى» سقطت من ظ.

أجرى الذى لا سبب لك فيه و الآجر الذى أثمره[1] استسلامى لك و كف يدى عنك ﴿فتكون﴾ أى أنت بسبب ذلك ﴿من اصحٰب النار﴾[4] أى الخالدين فيها جزاء لك لظلمك[2] بوضعك القتل فى غير[3] موضعه ، ثم بين أن هذا يعم[4] كل من فعل هذا الفعل فقال: ﴿و ذٰلك جزٰٓؤا الظٰلمين ج﴾ أى الراسخين فى وصف الظلم كلهم ، و أكون أنا من أصحاب الجنة جزاء ٥ لى باحسانى فى إيثار حياتك على حياتى ، و ذلك جزاء المحسنين ، و هذا - مثل تمنى الشهادة سوءا - ليس بمستلزم لإرادة المعصية من حيث كونها معصية بارادة ظهور الكفار ، لما علم من[3] أن النصر بيد الله ، فهو قادر على نصر الباقى بعد استشهاد الشهيد .

و لما كان هذا الوعظ جديرا[5] بأن يكون سببا لطاعته و زاجرا له عن ١٠ معصيته ، بين تعالى أنه قسا قلبه فجعله سببا لإقدامه ، فقال - مبينا بصيغة التفعيل ، إذ القتل لما جعل[6] الله له من الحرمة وكساه من الهيبة لا يقدم عليه إلا بمعالجة كبيرة من النفس - : ﴿فطوعت له﴾ أى الذى لم يتقبل[7] منه ﴿نفسه قتل اخيه﴾ أى فعالجته[8] معالجة كبيرة و شجعته ، و سهلت له بما عندها من النفاسة على زعمها حتى غلبت على عقله فانطاع لها ١٥ و انقاد فأقدم عليه ؛ و تحقيق المعنى أن من تصور النهى[9] عن الذنب و العقاب عليه امتنع منه فكان فعله كالعاصى عليه ، و من استولت عليه نفسه بأنواع الشبه فى تزيينه صار فعله له[3] و إقدامه عليه كالمطيع له

---

(١) زيد بعده فى الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) فى ظ : بظلمك (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : نعم (٥) فى ظ : جدير (٦) فى ظ : جعله . (٧) فى ظ : لم يقتل (٨) فى ظ : فعالجه (٩) من ظ ، و فى الأصل : المنهى .

الممكن من نفسه بعد أن كان عاصيا عليه نافرا عنه ، ثم سبب عن هذا التطويع قولـه : ﴿ فقتله ﴾ و سبب عن القتل قوله : ﴿ فاصبح ﴾ أى فكان فى كل زمن ﴿ من الخسرين ﴾ أى العريقين[1] فى صفة الخسران بغضب الله عليه لاجترائه على إفساده[2] مصنوعَه ، و غضب أبناء جنسه عليه[3]

٥ لاجترائه على أحدهم ، و عبر بالإصباح و المراد جميع الأوقات ، لأن الصباح محل توقع الارتياح[4]، قيل : إنه لم يدر كيف يقتله ، [5]فتصور له إبليس فى يده[6] طائر فشدخ رأسه بحجر فقتله ، فاقتدى به قابيل ، فأتى هابيل و هو نائم فشدخ رأسه بحجر .

و لما كان التقدير : ثم إنه[3] لم يدر ما[7] يصنع به ، إذ[8] كان أول ميت

١٠ فلم يكن الدفن معروفا ، سبب عنه قولـه : ﴿ فبعث الله ﴾ [أى -[9]] الذى له كمال القدرة و العظمة و الحكمة ؛ و لما كان المعنى يحصل بالغراب الباحث فقط قال : ﴿ غرابا يبحث ﴾ أى يوجد البحث ، و هو التفتيش [10]فى التراب[10] بتليين ما تراصّ منه و إزاحته من مكانه ليبقى[11] مكانه حوزة[12] خالية .

---

(١) فى ظ : الغريقين (٢) فى ظ : افساد (٣) سقط من ظ (٤) فى الأصل : الارباح ، و فى ظ : الارساح - كذا ، و فى البحر المحيط ٣/٤٦٥ : قال ابن عطية : أقيم بعض الزمان مقام كله ، و خص الصباح بذلك لأنه بدء النهار و الانبعاث إلى الأمور و مظنة النشاط (٥) العبارة من هنا إلى « كان التقدير » ساقطة من ظ (٦) فى الأصل : يد - كذا (٧) فى ظ : لم (٨) فى ظ : اذا (٩) زيد من ظ . (١٠-١٠) من ظ ، و فى الأصل : بالتراب (١١) من ظ ، و فى الأصل : ليبتغى - كذا (١٢) فى ظ : جودة .

و لما

و لما كان البحث مطلق التفتيش ، دل على ما ذكرته بقوله : ﴿ فى الارض ﴾ ليوارى غرابا آخر مات؛ و لما كان الغراب سبب علم ابن آدم القاتل للدفن ، كان كأنه بحث لأجل تعليمه فقال تعالى : ﴿ ليريه ﴾ أى الغراب يُرى[1] ابن آدم ، و يجوز أن يكون الضمير المستتر لله تعالى ، و الأول أولى[1] لتوقيفه على عجزه و جهله بأن الغراب أعلم منه و أقرب إلى الخير ٥ ﴿ كيف يوارى ﴾ .

[2] و لما كانت[2] السوءة واجبة الستر ، وكان الميت يصير بعد موته كله سوءة ، قال منبها على ذلك و على أنها / السبب فى الدفن بالقصد الأول : /٥١ ﴿ سوءة ﴾ أى فضيحة ﴿ اخيه ﴾ أى أخى قابيل و هو هابيل المقتول ، و صيغة المفاعلة تفيد أن الجثة تريد أن يكون القاتل[3] وراءها ، و القاتل[3] ١٠ يريد كون الجثة وراءه[4] ، فيكونان بحيث لا يرى واحد منهما الآخر ، و لعل بعث[5] الغراب إشارة إلى غربة القاتل[3] باستيحاش[6] الناس منه و جعله مما ينفر عنه و يقتله كل من يقدر عليه ، و من ثَمّ سمى الغراب البين ، و تشاءم به من يراه .

و لما كان كأنه قيل : إن هذا لعجب[7] ، فما قال ؟ قيل : ﴿ قال ﴾ ١٥ الكلمة التى تستعمل عند الداهية العظيمة لما نبهه ذلك ، متعجبا[8] متحيرا متلهفا عالما أن الغراب أعلم منه و أشفق ، منكرا على نفسه ﴿ يٰويلتىٰ ﴾

---

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : القايل (٤) فى ظ : وراءها (٥) فى ظ : بحث (٦) فى ظ : باستيجاص - كذا (٧) فى ظ : العجب (٨) فى ظ : متفجعا .

أى احضُرنى [1]يا ويل! هذا[1] أوانك أن [2]لا يكون لى[2] نديم غيرك؛
و لما تفجع غاية الفجيعة و تأسف كل الأسف، أنكر على نفسه فقال:
﴿ أعجزت ﴾ أى مع ما جعل لى من القوة القاطعة ﴿ ان اكون ﴾
مع ما لى من الجوارح الصالحة[3] لأعظم من ذلك ﴿ مثل هذا الغراب ﴾
٥ و قوله مسببا عن ذلك: ﴿ فاوارى سوءة ﴾ أى عورة و فضيحة
﴿ اخى ج ﴾ نُصِبَ عطفا على " اكون " لا على جواب الاستفهام، لأنه
إنكارى[4] فمعناه النفى، لأنه لم تكن[5] وقعت منه مواراة لينكر على[6] نفسه
و يوبخها بسببها، و لو كانت وقعت لم يصح إنكارها على تقدير عدم العجز
الذى أفادته الهمزة ﴿ فاصبح ﴾ بسبب قتله ﴿ من الندمين ﴾ أى على
١٠ ما فعل، لأنه فقد أخاه و أغضب ربه و أباه، و لم يفده ذلك ما[6] كان
سبب غيظه[7]، بل زاده بعدا؛ و ذكر أن آدم عليه السلام لما علم قتله
رثاه بشعر، و عن ابن عباس رضى الله عنهما ردُّ ذلك، و أن الأنبياء
عليهم السلام كلهم فى النهى عن الشعر سواء، و قال صاحب الكشاف:
و قد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر، « و لا تقتل[8] نفس ظلما إلا
١٥ كان على ابن آدم هذا كفل من دمها بما سن » رواه مسلم و غيره عن
عبد الله، و كذا « كل من سن سنة سيئة » و لهذا قال عليه السلام « إن
أخوف ما أخاف على أمتى الأئمة المضلون »، و هذا لأن الآدمى

(١-١) فى ظ: تاويل فهذا (٢-٢) فى ظ: لا تكون الى (٣) من ظ، وفى الأصل: الصالحين (٤) من ظ، وفى الأصل: انكار (٥) فى ظ: لم يكن (٦) سقط من ظ. (٧) فى ظ: عطيه (٨) فى ظ: لا يقتل.

لنقصانه أسرع شيء إلى الاقتداء في النقائص، و هذا ما لم يتب[1] الفاعل، فاذا تاب أو كان غير متعمد للفعل كآدم عليه السلام لم يكن سانّا لذلك، فلا شيء عليه ممن عمل بذلك.

[و لما علم بهذا -[2]] أن[3] الإنسان موضع العجلة و الإقدام على الموبقات من غير تأمل، فكان أحوج شيء إلى نصب الزواجر، أتبعه تعالى قوله: ٥ ﴿ من اجل ذلك ج ﴾ أي من غاية الأمر الفاحش جدا [و - [2]] مدته و عظم الأمر و شدة قبحه في نفسه و عند الله و صغره عند القاتل و حبسه و منعه و [4]جنايته و إثارته[4] و تهييجه و جرأة الإنسان على العظائم بغير تأمل ﴿ كتبنا ﴾ أي بما لنا من العظمة ليفيد ذلك عظمة المكتوب و التنبيه على ما فيه من العجز[5] ليفيد الانزجار ﴿على بني اسرآءيل﴾ أي أعلمناهم ١٠ بما لنا من العناية بهم في التوراة التي كتبناها لهم، و يفهم ذلك أيضا أنهم أشد الناس جرأة على القتل، و لذلك[6] كانوا يقتلون الأنبياء، فأعلمهم الله بما فيهم من التشديد، و لِمّا علم من الآدميين - لا سيما هم - من الجرأة عليه، ليقيم عليهم بذلك الحجة على ما يتعارفونه بينهم، و يكف عن القتل من سبقت [7]له منه[7] العناية بما يتصور من فظاعة القتل، / و قبح صورته و فحش ١٥ / ٥٢ أمره، و عبر بأداة الاستعلاء التي هي للحتم من الوجوب[8] و الحرمة، لأن السياق للزجر[9]، فهي تفهم المنع عن الإقدام على القتل في هذا المقام

(١) في ظ: لم يبت - كذا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و في الأصل: لأن.
(٤ - ٤) في ظ: اجابته و إشارته (٥) في ظ: الفحش (٦) في ظ: كذلك.
(٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) في ظ: الجواب (٩) في ظ: المزجر.

﴿ انه من قتل نفسا ﴾ أى من بنى آدم ، وكأنه أطلق تعظيما لهم إشارة إلى أن غيرهم جماد ﴿ بغير نفس ﴾ أى بغير أن تكون[١] قتلت نفسا تستحق أن تقاد بها فاستباح قتلها لتلك النفس التى قتلتها[٢] ﴿ او ﴾ قتلها [بغير -[٣]] ﴿ فساد ﴾ وقع منها .

٥ ولما كانت الأرض - مع أنها فراشنا فهى[٤] محل التوليد و التربية و التنمية - دار الكدر ، وكان فساد من أفسد فراشه الموصوف - لا سيما و هو فى[٥] كدر - دالا على[٥] سوء[٦] جبلته ، وكان سوء الجبلة موجبا للقتل ، قال : ﴿ فى الارض ﴾ أى يبيح ذلك الفسادُ دمها كالشرك و الزنا بعد الإحصان وكل ما يبيح إراقة الدم ، و قد علم بهذا أن[٧] قصة ابنى[٧] آدم

١٠ مع شدة التحامها بما قبل توطئة لما بعد ، و تغليظ أمر القتل تقدم عن التوراة فى سورة البقرة ، و قوله : ﴿ فكانما قتل الناس جميعا ﴾ من جملة الأدلة المبطلة لما ادعوا من البنوة ، إذ معناه أن الناس شرع واحد من جهة نفوسهم متساوون فيها ، كلهم أولاد آدم ، لا فضل لأحد منهم على آخر فى أصل تحريم القتل بغير ما ذكر من الموجب من قصاص أو فساد[٨] لا من

١٥ بنى إسرائيل و لا من[٩] غيرهم ، و ذلك كما قال تعالى فى ثانى[١٠] النقوض " بل انتم بشر ممن خلق " فصار من قتل نفسا[١١] واحدة بغير ما ذكر

---

(١) فى ظ : يكون (٢) فى ظ : قبلها (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : و هى .
(٥ - ٥) فى ظ : كدرة الا (٦) فى الأصل : السوء ، و فى ظ : لسوء - كذا .
(٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : قصتى بنى (٨) زيدت الواو بعده فى ظ (٩) سقط من ظ (١٠) فى الأصل و ظ : ثانى - كذا (١١) فى ظ : نفس .

فكأنما حمل إثم من قتل الناس جميعا ، لأن اجتراءه على ذلك أوجب اجتراء غيره ، و من سن سنة كان كفاعلها[١] ﴿ و من احياها ﴾ أى بسبب من الأسباب [٢]كعفو ، أو إنقاذ من هلكة كغرق[٢] ، أو مدافعة لمن يريد أن يقتلها ظلما ﴿ فكانما احيا ﴾ أى بذلك[٣] الفعل الذى كان سببا للاحياء ﴿ الناس جميعا[٤] ﴾ أى بمثل ما تقدم فى القتل ، و الآية دالة على تعليمه ٥ سبحانه لعباده الحكمة ، لما يعلم من طباعهم التى خلقهم عليها و من[٤] عواقب الأمور - لا على أنه يجب عليه - رعاية المصلحة ، و مما يحسن إيراده ههنا[٥] ما ينسب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، و رأيت من ينسبه للشافعى [٦]رحمه الله تعالى[٦] :

الناس من جهة التمثال[٧] أكفاء	أبوهـــم آدم و الأم حواء ١٠
نفس كنفس و أرواح[٨] مشاكلة	و أعظم خلقت فيهم و أعضاء
فان يكن لهم فى أصلهم حسب	يفاخرون به فالطين و الماء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم	على الهدى لمن استهدى[٩] أدلاء
و قدر كل امرئ ما كان يحسنه	و للرجال على الأفعال أسماء
و ضد كل امرئ ما كان يجهله	و الجاهلون لأهل العلم أعداء ١٥
ففز [١٠]بعلم تعش حيا[١٠] به أبدا	فالناس موتى و أهل العلم أحياء

(١) فى ظ : لفاعلها (٢ - ٢) فى ظ - و انقاد هلكه اوغرق - كذا (٣) فى ظ : ذلك (٤) فى ظ : لمن (٥) فى ظ : هنا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ : التمثيل (٨) فى ظ : الارواح (٩) فى ظ : استشهدا (١٠ - ١٠) فى ظ : نفسى جنا - كذا .

و لما أخبر سبحانه أنه كتب عليهم ذلك، أتبعه حالا منهم دالة[١] على أنهم بعيدون من أن[٢] يكونوا أبناء و أحباء فقال: ﴿ و لقد ﴾ أى و الحال أنهم قد[٢] ﴿ جآءتهم رسلنا ﴾ أى على ما لهم من العظمة باضافتهم إلينا و اختيارنا لهم لأن يأتوا عنا، فهم لذلك أنصح الناس و أبعدهم عن الغرض و أجلّهم و أجمعهم للكمالات[٣] و أرفعهم عن النقائص، لأن كل رسول دال على مرسله / ﴿ بالبيّنٰت ﴾ أى الآيات الواضحة للعقل أنها من عندنا، آمرة[٤] لهم بكل خير، زاجرة عن كل [٥]ضير، لم نقتصر[٥] فى التغليظ فى ذلك على الكتاب بل و أرسلنا[٦] الرسل إليهم[٢] متواترة.

و لما كان وقوع[٧] الإسراف - و هو الإبعاد عن حد الا عتدال[٨] فى الأمر منهم بعد ذلك - بعيدا[٩]، عبر بأداة التراخى مؤكدا بأنواع التأكيد فقال: ﴿ ثم ان كثيرا منهم ﴾ أى بنى إسرائيل، و بيّنَ شدة عتوّهم باصرارهم خلفا بعد سلف فلم يثبت الجار فقال: ﴿ بعد ذلك ﴾ أى البيان العظيم و الزجر البليغ بالرسل و الكتاب ﴿ فى الارض ﴾ أى التى هى[٢] مع كونها فراشا لهم - و يقبح على الإنسان أن يفسد فراشه - شاغلة[١٠] - لما فيها من عظائم الكدورات و ترادف القاذورات - عن الكفاف فضلا عن الإسراف ﴿ لمسرفون ﴾ أى عريقون[١١] فى الإسراف بالقتل و غيره.

(١) فى ظ: دالا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: للكلمات (٤) فى ظ: امرت.
(٥-٥) فى ظ: شر لم يقتصر - كذا (٦) فى ظ: انزلنا (٧) فى ظ: وقوف.
(٨) فى ظ: الاعتزال (٩) من ظ، و فى الأصل: بعيد (١٠) فى ظ: شاغله - كذا.
(١١) فى ظ: غريقون.

و لما كان هذا الإسراف بعد هذه الموانـع محاربة[1] للناهى عنـه ، وكان تارة يـكون بالقتل و تارة بغيره ، و كان ربما ظن أن عذاب القاتل يـكون بأكثر من القتل لـكونه كمن قتل الناس جميعا ، وصل به سبحانه قوله على طريق الحصر : ﴿ انما جزٰٓؤا ﴾ وكان الأصل : جزاؤهم ، و لـكن أريد تعليق الحكم بالوصف و التعميم فقال : ﴿ الذين يحاربون الله ﴾ أى ٥ الملك الأعظم الذى لا كفوء له ﴿ و رسوله ﴾ أى بمحاربة[2] من نـهيا عن محاربته بقطع الطريق و هم مسلمون ، و لهم منعة ممن[3] أرادهم ، و يقصدون المسلمين فى دمائهم و أموالهم سواء كانوا فى البلد أو خارجها .

و لما كان عباد الرحمٰن يمشون على الأرض هونا ، أعلم أن هؤلاء عباد الشيطان بقوله : ﴿ و يسعون فى الارض ﴾ و لما كان هذا ظاهرا[4] ١٠ فى الفساد ، صرح به فى قوله : ﴿ فسادا ﴾ أى حال كونهم ذوى فساد ، أو للفساد ، و يجوز أن يكون مصدرا ليسعون - على المعنى ؛ و لما كانت أفعالهم مختلفة ، قسم عقوبتهم بحسبها فقال : ﴿ ان يقتلوآ ﴾ أى إن كانت جريمتهم القتل [فقط ، لأن القتل جزاؤه القتل - [5]] ، و زاد - لـكونه[6] فى قطع الطريق - صيرورتـه حتما لا يصح العفو عنه ﴿ او يصلبوآ ﴾ أى ١٥ مع القتل إن ضموا[7] إلى القتل أخذ المال ، بأن يرفع المصلوب على جذع ، و منهم من قال : يكون ذلك و هو حىّ ، فحينئذ [8]تمد يداه[8] مع الجذع ، و الأصح عند الشافعية أنه يقتل و يصلى عليه ثم يرفع على الجذع زمنا يشيع خبره فيه لينزجر غيره ، و لا يزاد على ثلاثة أيام ﴿ او تقطع ايديهم ﴾

---

(١) فى ظ : محاربه (٢) فى ظ : محاربة (٣) فى ظ : من (٤) فى ظ : ظاهر (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : بكونه (٧) فى ظ : ضمنوا (٨-٨) فى ظ : بمرتده - كذا .

أى اليمنى بأخذهم المال من غير قتل ﴿ وارجلهم ﴾ أى اليسرى لإخافة السبيل . و هذا معنى قوله : ﴿ من خلاف ﴾ أى إن كانت الجريمة أخذ المال فقط ﴿ او ينفوا من الارض ط ﴾ أى بالإخافة و الإزعاج إن لم يقعوا[1] فى قبضة الإمام ليكونوا متنقلين من بلد إلى آخر[2] ذعرا و خوفا ، و بالحبس

٥ إن وقعوا فى القبضة ، وكانوا[3] قد كثروا سواد المحاربين و ما قتلوا[4] و لا أخذوا مالا ﴿ ذلك ﴾ أى النكل الشديد المفصّل إلى ما ذكر ﴿ لهم ﴾ أى خاصا بهم ﴿ خزى ﴾ أى إهانة و ذل[5] بايقاعه بهم ﴿ فى الدنيا ﴾ أى ليرتدع بهم غيرهم ﴿ و لهم ﴾ أى[6] إن لم يتوبوا ﴿ فى الأخرة ﴾ أى التى هى موطن الفصل[7] باظهار العدل ﴿ عذاب عظيم لا ﴾ أى هو بحيث

١٠ لا يدخل تحت معارفكم أكثر من وصفه بالعظم .

و لما كان التعبير بـ " انما " يدل بختم[8] الجزاء على هذا الوجه ، استثنى من المعاقبين هذه العقوبة بقوله : ﴿ الا الذين / تابوا ﴾ أى رجعوا عما كانوا عليه من المحاربة خوفا من الله تعالى ، و لذا قال : ﴿ من قبل ﴾ و أثبت الجار إشارة إلى[9] القبول و إن طال زمن المعصية و قصر زمن

١٥ التوبة ﴿ ان تقدروا عليهم ج ﴾ أى فان[10] تحتم[11] الجزاء المذكور يسقط ، فلا يجازون[12] على ما يتعلق بحقوق الآدمى إلا إذا طلب صاحب الحق ،

٥٤ /

---

(١) فى ظ : لم ينفوا (٢) من ظ ، و فى الأصل : اخرى (٣) من ظ ، و فى الأصل : كان (٤) فى ظ : لا قتلوا (٥) فى ظ : ذلك (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : الفضل (٨) فى ظ : بحتم (٩) زيد بعده فى ظ : ان (١٠) فى ظ : بان . (١١) من ظ ، و فى الأصل : يحتم (١٢) فى ظ : فلايجاوزون .

فان عفا كان له ذلك، و أما حق الله تعالى فانه يسقط، و [1]إلى هذا[1] الإشارة أيضا بقوله تعالى: ﴿ فاعلموآ ان الله ﴾ أى على ما له من صفات العظمة ﴿غفور رحيم ه﴾ أى صفته[2] ذلك أزلا و أبدا، فهو يفعل منه ما يشاء لمن يشاء، و أفهمت الآية أن التوبة بعد[3] القدرة لا تسقط شيئا من الحدود.

و لما ذكر تعالى حكمهم[4] عند التوبة، و ختم الآية بما يناسب من الغفران ٥ و الرحمة، وكان ذلك ربما كان[5] جزاء[6] من لم يرسخ قدمه فى الدين على جنابه المتعالى، أتبع ذلك الأمر بالتقوى و جهاد كل من أفسد بقطع الطريق أو الكفر أو غيره فقال على وجه الاستنتاج مما قبله: ﴿ يآيها الذين أمنوا ﴾ أى وجد منهم الإقرار بالإيمان ﴿ اتقوا الله ﴾ أى اجعلوا بينكم و بين ما سمعتم من وعيده للفسدين وقاية تصديقا لما أقررتم[7] به، لما له سبحانه من العظمة ١٠ التى هى جديرة بأن تخشى و ترجى لجمعها الجلال و الإكرام.

و لما كانت مجامع التكليف منحصرة فى تخلٍّ[8] من فضائح المنهيات و تحلٍّ بملابس المأمورات، و قدم الأول لأنه[9] من درء المفاسد، أتبعه الثانى فقال: ﴿ و ابتغوآ ﴾ أى اطلبوا طلبا شديدا ﴿ اليه ﴾ أى خاصة[5] ﴿ الوسيلة ﴾ أى التقريب بكل ما يوصل إليه من طاعته، و لا تيأسوا ١٥ و إن عظمت ذنوبكم لأنه[10] غفور رحيم.

و لما كان سبحانه قد قدم أوامر و نواهى، و كان الاستقراء

(١ - ١) فى ظ: بهذا (٢) فى ظ: صفة (٣) فى ظ: حد (٤) فى ظ: حملهم. (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: حرى - كذا (٧) فى ظ: قررتم (٨) فى ظ: تجلى - كذا (٩) تكرر فى الأصل (١٠) فى ظ: لانى.

قد أبان[1] الناس عند الأمر و النهى بين[2] مقبل و معرض ، وكان قد أمر المقبل بجهاد المعرض ، وكان للجهاد[3] - بما له من عظيم النفع و فيه من المشقة - مزيدُ خصوصية ، أفرد بالذكر تأكيدا لما مضى منه و إعلاما بأنه للعاصى مطلقا سواء كان بالكفر أو بغيره فقال : ﴿ و جاهدوا فى سبيله ﴾

٥ أى لتكون كلمته هى العليا ﴿ لعلكم تفلحون ه ﴾ أى لتكون[4] حالكم حال من يرجى نيله لكل ما يطلبه ، و هذا شامل[5] لكل أمر بمعروف و نهى [6]عن منكر[6] فى أعلى درجاته و أدناها .

[و لما -[7]] كان ترك هذه الأوصاف الثلاثة : التقوى و طلب الوسيلة و الجهاد مزيلا للوصف الأول و هو الإيمان ، ناسب كل المناسبة تحذيرا

١٠ من تركها ذكرُ حال الكفار و أنه لا تنفعهم[8] وسيلة فى تلك الدار فقال معللا لما قبله : ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى بترك ما فى الآية السابقة ، ورتب الجزاء على الماضى زيادة فى التحذير ﴿ لو ان لهم ما فى الارض ﴾ و أكد ما أفهمه الكلام من استغراق الظرف و المظروف فقال : ﴿ جميعا ﴾ أى مما كان يطلب منهم شىء يسير جدا منه ، و هو الإذعان بتصديق الجنان

١٥ و إنفاق الفضل من المال ، و زاد الأمر هولاً بقوله : ﴿ و مثله ﴾ و لما كان لدفع الفداء جملة ما ليس له مفرّقا قال : ﴿ معه ﴾ .

و لما كان المقصود تحقير ذلك بالنسبة إلى عظمة يوم التغابن و إن كان

---

(١) فى ظ : ان (٢) تكرر فى الأصل (٣) من ظ ، و فى الأصل : الجهاد (٤) فى ظ : ليكون (٥) فى ظ : شارىل - كذا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : لا ينفعهم .

عند[1] الكفار الذين جعلوا غاية أمرهم الحياة الدنيا أعظم ما يكون، و الإفهام بأن المراد بالمثل / الجنس ليشمل ما عساه[2] أن يفرض من الأمثال، / ٥٥
أعاد الضمير على هذين الشيئين على كثرتهما و عظمتهما مفردا[3]، فقال معبرا بالمضارع الدال على تجديد الرغبة فى المسألة على سبيل الاستمرار و[4] لأن السياق[5] للتصفين بالكفر و المحاربة لله و لرسوله صلى الله عليه و سلم ٥
و السعى فى الأرض بالفساد، و لذلك صرح بنفى القبول على الهيئة الآتية: ﴿ ليفتدوا به ﴾ أى يجددوا الافتداء فى كل لحظة، أى[4] بما ذكر ﴿ من عذاب يوم القيٰمة ﴾.

و لما كان المراد تهويل الأمر برده، و كان ذلك يحصل بغير تعيين الرادّ، قال: ﴿ ما تقبل منهم ؏ ﴾ بالبناء للفعول، أى على حالة من ١٠
[6]الحالات و على يد من[6] كان، لأن المدفوع إليه ذلك تام القدرة و له الغنى المطلق.

و لما كان من النفوس ما[7] هو سافل [8]لا ينكبه الرد[8]، و كان الرد[9] لأجل إمضاء المُعَدّ من العذاب، قال مصرحا بالمقصود: ﴿ و لهم ﴾ أى بعد ذلك ﴿ عذاب اليم ٥ ﴾ أى بالغ الإيجاع بما أوجعوا أولياء الله بسترهم[10] ١٥
لما أظهروا من شموس[11] البيان، و انتهكوا من حرمات الملك الديان. ثم علل

(١) فى ظ: غير (٢) من ظ، و فى الأصل: سىناه - كذا (٣) فى ظ: منفردا. (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: المساق (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ: من (٨ - ٨) فى ظ: لا يعليه الراد (٩) فى ظ: الراد (١٠) من ظ، و فى الأصل: بستر لهم (١١) من ظ، و فى الأصل: شمول.

شدة إيلامه بدوامه فقال: ﴿ يريدون ان يخرجوا ﴾ أى يكون لهم خروج فى وقت ما إذا رفعهم اللهب[1] إلى أن يكاد أن يلقيهم خارجا ﴿من النار﴾ ثم نفى خروجهم على وجه التأكيد الشديد فقال: ﴿و ما هم ﴾ وأغرق فى النفى [2]بالجار واسم الفاعل فقال[2]: ﴿ [3]بخرجين منها[3] ﴾ أى ما يثبت لهم خروج أصلا، ولعله عبر فى النفى بالاسمية إشارة إلى أنه يتجدد لهم الخروج[4] من الحرور إلى الزمهرير، فان سمى أحد ذلك خروجا فهو غير مرادهم[5].

و لما كان المعذبون فى دار ربما دام لهم المكث فيها و انقطع عنهم[6] العذاب قال: ﴿ [7]و لهم[7] ﴾ أى خاصة دون عصاة المؤمنين ﴿ عذاب ﴾ أى تارة بالحر و تارة بالبرد و تارة بغيرهما، دائم الإقامة لا يبرح و لا يتغير ﴿ مقيم ه ﴾.

و لما كانت السرقة من جملة المحاربة و السعى بالفساد، و كان فاعلها غير متق و لا متوسل، عقب بها فقال: ﴿و السارق ﴾ الآخذ لما هو فى حرز خفية لكونه لا يستحقه ﴿ و السارقة ﴾ أى كذلك[8]؛ و لما كان التقدير: و هما [9]مفسدان، أو[9] حكمهما فيما يتلى عليكم، سبب عنه قوله: ﴿ فاقطعوآ ﴾ و"ال[10]" - قال المبرد - للتعريف[11] بمعنى: الذى، و الفاء [12]للسبب كقولك[12]:

(١) فى ظ: الكذب (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣ - ٣) تأخر فى ظ عن « العذاب قال » (٤) زيد بعده فى ظ: من الخروج (٥) من ظ، وفى الأصل: مراد (٦) فى ظ: عندهم (٧-٧) تأخر فى ظ عن « عصاة المؤمنين ». (٨) فى ظ: لذلك (٩ - ٩) فى ظ: مفسدون و (١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ: التعريف (١٢ - ١٢) فى ظ: سبب كقوله.

الذى [1]يأتينى فله كذا كذا درهم[1] ﴿ ايديهما ﴾ أى [2]الآيامن من[2] الكوع إذا كان[3] المأخوذ ربع دينار فصاعدا من حرز مثله من غير شبهة له فيه - كما بين جميع ذلك النبى[4] صلى الله عليه و سلم - و يرد مع[5] القطع ما سرقه ؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ جزآء بما كسبا ﴾ أى فعلا من ذلك ، و إدالته[6] على أدنى وجوه السرقة وقاية للمال و هوانا لها للخيانة ، و ديتها إذا ٥ قطعت فى غير حقها خمسمائة دينار وقاية للنفس من غير أن ترخصها الخيانة ، ثم علل هذا الجزاء بقوله : ﴿ نكالا ﴾ أى منعا لهما كما يمنع القيد ﴿ من الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة فهو المرهوب لكل مربوب ، و أعاد الاسم الأعظم تعظيما للأمر فقال : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ عزيز ﴾ أى[3] فى انتقامه فلا يغالبه شىء ﴿ حكيم ﴾ ١٠ أى بالغ الحكم و الحكمة فى شرائعه ، فلا يستطاع الامتناع من سطوته و لا نقض شىء يفعله ، لأنه يضعه فى أتقن مواضعه .

و لما ختم بوصفى [7]العزة و الحكمة[7] ، سبب عنهما / قوله : ٥٦ / ﴿ فمن تاب ﴾ أى ندم و أقلع ، و دل على كرمه بالقبول فى أىّ وقت وقعت التوبة فيه و لو طال زمن المعصية باثبات الجار فقال: ﴿ من بعد ﴾ و عدل ١٥ عن أن يقول "سرقته" إلى ﴿ ظلمه ﴾ تعميما للحكم فى كل ظلم ، فشمل[8] ذلك فعل طعمة و ما ذكر بعده مما تقدم فى النساء و غير ذلك

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢ - ٢) فى ظ : الايامين مظن (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : بالنبى (٥) من ظ ، و فى الأصل : ما (٦) فى الأصل : لذلته ، و فى ظ : اوالوليمة - كذا (٧ - ٧) فى ظ : الحكمة و العزة (٧) فى ظ : شمل .

من كل ما يسمى ظلما ﴿ و اصلح ﴾ أى أوجد الإصلاح و أوقعه بردّ الظلامة و الثبات على الإقلاع ﴿ فان الله ﴾ أى بما له من كمال العظمة ﴿ يتوب عليه[1] ﴾ أى يقبل توبته و يرجع[1] به إلى أتم[2] ما كان[2] عليه قبل الظلم من سقوط عذاب[3] الآخرة دون عقاب الدنيا، رحمة من الله له و رفقا به و بمن ظلمه و عدلا بينهما، لا يقدر أحد أن يمنعه من ذلك و[4] لا يحول بينه و بينه لحظة ما ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله أزلا و أبدا ﴿ غفور رحيم ۝ ﴾ أى بالغ المغفرة و الرحمة، لا مانع له من ذلك و لا من شيء منه[5] و لا من شيء[5] يريد فعله، بل هو فعال لما يريد، و الآية معطوفة على آية المحاربين، و إنما فصل بينهما بما تقدم[6] لما ذكر من العلة الطالبة لمزيد العناية به[4] .

و لما كان معنى ذلك أنه لا اعتراض عليه سبحانه فى شيء من ذلك و لا مانع، لأن قدرته تامة، ليس هو كمن يشاهد من الملوك الذين ربما يعجزون من اعتراض أتباعهم و رعاياهم عن تقريب بعض ما لم يباشر إساءة، و إبعاد بعض من لم يباشر إحسانا، فكيف بغير ذلك ! قال تعالى مقررا لذلك بتفرده فى الملك : ﴿ الم تعلم ان الله ﴾ [أى -[7]] الذى له جميع العز ﴿ له ملك السمٰوٰت ﴾ أى على علوها[5] و ارتفاع سمكها[5] و انقطاع أسباب ما دونها منها ﴿ و الارض[4] ﴾ أى أن[4] الملك خالص له عن جميع الشوائب .

(١) فى ظ : ترجع (٢-٢) فى ظ : مكان (٣) فى ظ : عقاب (٤) سقط من ظ .
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى ظ (٧) زيد من ظ .

و لما كان إيقاع النقمة أدل على القدرة ، وكان السياق لها لما تقدم من خيانة أهل الكتاب و كفرهم و قصة ابنى آدم و السرقة و المحاربة وغير ذلك ، قدم قوله [معللا لفعل ما يشاء بتمام الملك لا بغيره من رعاية لمصالح أو غيرها - [1]] : ﴿ يعذب من يشآء ﴾ أى من بنى إسرائيل الذين ادعوا البنوة و المحبة و غيرهم[2] و إن كان مطيعا ، أى له فعل [3]ذلك ، لأنه لا يقبح ٥ منه شيء ﴿ و يغفر لمن يشآء [4] ﴾ أى و إن كان عمله موبقا ، لأنه لا يتصور منه ظلم و لا يسوغ[3] عليه اعتراض .

و لما كان التقدير : لأنه قادر على ذلك ، عطف عليه قوله[4] : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل كمال ﴿ على كل شيء ﴾ [أىّ شيء - [1]] ﴿ قدير ﴾ أى ليس هو كغيره من الملوك الذين قد يعجز أحدهم عن ١٠ تقريب ابنه و تبعيد أعدى عدوه ، و هذه القضية الضرورية ختم بها ما دعت المناسبة إلى ذكره من الأحكام ، و كرّ بها على أتم انتظام إلى أوائل نقوض دعواهم [3] فى قوله[3] " بل انتم بشر ممن خلق " - الآية .

و لما تقرر ذلك ، كان من غير شك علةً لعدم الحزن على شيء من أمرهم و لا من أمر غيرهم ممن عصى شيئا من هذه الأحكام ، كما قال ١٥ تعالى " ما اصاب من مصيبة فى الارض و لا فى انفسكم الا فى كتب من قبل ان نبراها - إلى أن قال : لكيلا تاسوا على ما فاتكم[5] " ، فقوله : - ﴿ يآيها الرسول ﴾ أى المبلغ لما أرسل به - معلول لما قبله ، و أدل دليل

---

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : اى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : بقوله (٥) سورة ٥٧ آية ٢٢ و ٢٣ .

على ذلك قوله تعالى " و من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا "
﴿ لا يحزنك ﴾ أى لا يوقع عندك شيئا من الحزن صنعُ
/٥٧ ﴿ الذين يسارعون فى الكفر ﴾ / أى يفعلون فى إسراعهم فى الوقوع فيه غاية
الإسراع فعلَ من يسابق غيره ، و فى تبيينهم بالمنافقين و أهل الكتاب
٥ بشارة بإتمام[1] النعمة على العرب بدوام إسلامهم و نصرهم عليهم ، و قدم
أسوأ القسمين فقال : ﴿ من الذين قالوآ اٰمنا ﴾ .

و لما كان الكلام هو النفسى ، أخرجه بتقييده بقوله : ﴿ بافواههم ﴾
معبرا لكونهم منافقين بما منه ما هو أبعد عن[2] القلب من اللسان ، فهم
إلى الحيوان أقرب منهم إلى الإنسان ، و زاد ذلك بيانا بقوله :
١٠ ﴿ و لم تؤمن قلوبهم ج ﴾ .

و لما بين المسارعين بالمنافقين ، عطف عليهم قسما آخر هم[3] أشد الناس
مؤاخاة لهم فقال : ﴿ و من الذين هادوا ج ﴾ أى [4]الذين عرفت[4] قلوبهم
و كفرت ألسنتهم تبعا لمخالفة قلوبهم لما تعرف عنادا و طغيانا ، ثم أخبر
عنهم بقوله : ﴿ سمّٰعون ﴾ أى متقبلون[5] غاية التقبل[6] بغاية الرغبة
١٥ ﴿ للكذب ﴾ أى من قوم من المنافقين يأتونك فينقلون عنك الكذب
﴿ سمّٰعون لقوم اٰخرين لا ﴾ أى الصدق ، ثم وصفهم بقوله : ﴿ لم ياتوك ط ﴾
أى لعلة[7] ، و ذكر الضمير لإرادة الكلام ، لأن[8] المقصود البغض على

(١) فى ظ : فاتمام (٢) من ظ ، وفى الأصل : على (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) فى ظ : الذين عرفنا (٥) فى ظ : متقبلو ن (٦) فى ظ : التقلب (٧) فى الأصل : تعلة - كذا (٨) فى الأصل : لانه - كذا .

نفاقهم

نفاقهم[١] ﴿ يحرفون الكلم ﴾ أى الذى[٢] يسمعونه عنك على وجهه[٣] فيبالغون فى تغييره و إمالته بعد أن يقيسوا[٤] المعنيين: المغير و المغير إليه، و اللفظين فلا يبعدوا به، بل يأخذون بالكلم عن حده و طرفه إلى حد آخر قريب منه جدا، و لذلك أثبت الجار فقال: ﴿ من بعد ﴾ أى يثبتون الإمالة من مكان قريب من[٥] ﴿مواضعه ج﴾ أى[٥] النازلة عن رتبته بأن[٦] يتأولوه ٥ على غير تأويله، أو يثبتوا[٧] ألفاظا غير ألفاظه قريبة منها، فلا يبعد[٨] منها المعنى جدا، و هذا أدق [٩]مكرا مما[٩] فى النساء، و هو من الحرف و هو الحد و الطرف، و انحرف عن الشيء: مال عنه، قال الصغاني: و تحريف الكلام عن مواضعه: تغييره، و قال أبو عبد الله القزاز: و التحريف التفعيل، من: انحرف عن الشيء – إذا مال، فمعنى[١٠] حرفت الكلام: أزلته ١٠ عن حقيقة ما كان عليه فى المعنى، و أبقيت[١١] له شبه اللفظ، و منه قوله تعالى "يحرفون [الكلم" –[١٢]]، و ذلك أن اليهود كانت تغير معانى التوراة بالأشباه، و فى الحديث «بسلط[١٣] عليهم طاعون يحرف القلوب» أى يغيرها عن التوكل و يدعوهم[١٤] إلى الانتقال عن تلك البلاد، و حكى: حرفته عن جهته – أى بالتخفيف – مثل: حرّفته، و المحارفة: المقايسة، من المحراف و هو ١٥

(١) العبارة من «لعله» إلى هنا ساقطة من ظ (٢) فى ظ: الذين (٣) فى ظ: وجهة (٤) فى ظ: تغتسوا (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: بل (٧) فى ظ: تثبتوا. (٨) من ظ، و فى الأصل: فلا تبعد (٩–٩) فى ظ: مكرهما (١٠) من ظ، و فى الأصل: بمعنى (١١) فى ظ: ايقنت (١٢) زيد من ظ (١٣) فى ظ: تسلط. (١٤) من ظ، و فى الأصل: يدعوها.

الميل الذى يقاس به الجراح - انتهى . فالآية من الاحتباك : حذف منها أولا الإتيان و أثبت عدمه ثانيا[1] للدلالة عليه، و حذف منها ثانيا الصدق و دل عليه باثبات ضده - الكذب - فى الأولى .

و لما كان كأنه قيل : ما غرضهم باثبات الكذب و تحريف الصدق ؟

٥ قال : ﴿ يقولون ﴾ أى لمن يوافقهم ﴿ ان اوتيتم ﴾ أى من أىّ مؤت كان ﴿ هذا ﴾ أى المكذوب و المحرف ﴿ فخذوه ﴾ أى اعملوا بـه ﴿ و ان لم تؤتوه ﴾ أى بأن أوتيتم غيره أو سكت عنكم ﴿ فاحذروا ﴾ أى بأن[2] تؤتوا غيره فتقبلوه .

و لما كان التقدير : فأولئك الذين أراد الله فتنتهم ، عطف عليه قوله :

١٠ ﴿ و من يرد / الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ فتنته ﴾ أى أن يحل به ما يميله عن وجه سعادته بالكفر حقيقة أو مجازا ﴿ فلن تملك له من الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له ﴿ شيئا ﴾ أى من الإسعاد ، و إذا لم تملك ذلك[3] أنت و أنت أقرب الخلق[4] إلى الله فمن يملكه[5] !

٥٨ /

و لما كان هذا ، أنتج لا محالة قوله : ﴿ اولٓئك ﴾ أى البعداء من

١٥ الهدى ﴿ الذين لم يرد الله ﴾ أى و هو الذى لا راد لما يريده و لا فاعل لما يرده[6]، فهذه أشد الآيات على المعتزلة ﴿ ان يطهر قلوبهم ﴾ أى بالإيمان[3]، و الجملة كالعلة لقوله " فلن تملك له من الله شيئا "؛ و لما ثبت[7]

---

(١) فى ظ : بابتا - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : من (٣) سقط من ظ .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : الحق (٥) فى ظ : يملك (٦) فى الأصل و ظ : يريده .
(٧) فى ظ : اثبت .

أن قلوبهم نجسة ، أنتج ذلك قوله : ﴿ لهم فى الدنيا خزى ج ﴾ أى بالذل و الهوان، أما المنافقون فباظهار الأسرار و الفضائح الكبار و خوفهم من الدمار[1] ، و أما اليهود فببيان أنهم حرفوا و بدلوا و ضرب الجزية عليهم و غير ذلك من الصغار ﴿ و لهم فى الأخرة ﴾ التى من خسرها[2] فلا ربح له بوجه ما[3] ﴿ عذاب عظيم ه ﴾ أى لعظيم ما ارتكبوه من هذه ٥ المعاصى المتضاعفة[4] .

و لما ذكر التحريف ، ذكر أثره و هو الحكم به فقال مكررا لوصفهم زيادة فى توبيخهم[5] و تقبيح شأنهم : ﴿ سمّعون ﴾ أى هم فى غاية الشهوة و الانهماك فى سماعهم[6] [ذلك - ٦] ﴿ للكذب اكلون ﴾ أى على وجه المبالغة ﴿ للسحت ط ﴾ أى الحرام الذى يسحت البركة أى يستأصلها ، و هو ١٠ كل ما لا يحل كسبه ، و ذلك أخذهم الرشى[7] ليحكموا بالباطل على نحو ما حرفوه وغيره من كلام الله ، قال الشيخ أبو العباس المرسى : و من آثر من الفقراء السماع لهواه ، و أكل ما حرمه مولاه ، فقد استهوته[3] نزغة يهودية ، فان القوال[8] يذكر[9] العشق و [10]المحبة و الوجد[10] و ما عنده منها شىء .

١٥ و لما كانوا قد يأخذون الرشوة و لا يقدرون على إبرام الحكم بما أرادوه ، فيطمعون فى أن يفعلوا ذلك بواسطة ترافعهم إلى النبى صلى الله عليه و سلم فيترافعون إليه ، فان حكم بينهم بما أرادوا قبلوه و احتجوا به على

---

(١) فى ظ : الدما - كذا (٢) فى ظ : خسر فيها (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : المتعاصفة (٥) فى ظ : توضيحهم (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : الربا (٨) فى ظ : القول (٩) تكرر فى الأصل (١٠ - ١٠) فى ظ : الوجد و المحبة .

مَنْ لعله يخالفهم، و إن حكم بما لم يريدوه قالوا: ليس هذا فى ديننا - طمعا فى أن يخليهم فلا يلزمهم بما حكم؛ أعلمه الله تعالى بما يفعل فى أمرهم، و حذره غوائل مكرهم، فقال مفوضا الخيرة إليه فى أمر المعاهدين إلى مدة - و أما أهل الجزية فيجب الحكم بينهم إذا ترافعوا إلى حاكمنا - مسببا عن
٥ أكلهم الحرام و سماعهم الكذب: ﴿[1]فان جآءوك[1]﴾ أى [2]طمعا فى أن توتيهم ما حرفوا إليه الكلم[2] ﴿فاحكم بينهم﴾ أى إن شئت بما أنزل الله عليك[3] من الحق ﴿او اعرض عنهم ج﴾ أى كذلك[4].

و لما كان قوله: ﴿و ان﴾ دالا بعطفه على غير معطوف عليه أن التقدير: فان حكمت بينهم[5] لم ينفعوك شيئا لإقبالك عليهم، قال: و إن
١٠ ﴿تعرض عنهم﴾ أى الكفرة [كلهم -[6]] من المصارحين و المنافقين ﴿فلن يضروك شيئا ط﴾ أى لإعراضك عنهم و استهانتك[7] بهم.

و لما كان هذا التخيير[8] غير مراد الظاهر فى جواز الحكم بينهم عند الترافع إلينا و عدمه، بل معناه عدم المبالاة بهم، أعرض عنهم أولا، لحقيقته بيان العاقبة على تقديرى الفعل و الترك، علّمه[9] كيف يحكم بينهم،
١٥ فقال عاطفا على ما قدرته: ﴿و ان حكمت﴾ أى فيهم ﴿فاحكم﴾
/59 / أى أوقع الحكم ﴿بينهم بالقسط ط﴾ أى العدل الذى أراكه الله - على أن

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢ - ٢) تأخر فى ظ عن «فاحكم بينهم».
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: لذلك (٥) زيدت الواو بعده فى ظ (٦) زيد من ظ (٧) من ظ، وفى الأصل: استهانة (٨) فى ظ: التحذير (٩) من ظ، و فى الأصل: علم.

الآية

الآية ليست فى أهل الذمة ، و الحكم فى ترافع الكفار إلينا أنه إن كان منهم أو من أحدهم التزام لأحكامنا أم[١] منا التزام للذب[٢] عنهم وجب ، لقوله تعالى " فاحكم بينهم بما انزل الله و لا تتبع اهواءهم " و إلا لم يجب ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ يحب المقسطين ۝ ﴾ أى الفاعلين للعدل السوى من غير حيف أصلا . ٥

و لما كان التقدير : فكيف يحكمونك[٣] و هم يكذبونك و يدعون أنك مبطل ، عطف عليه قوله معجبا منهم موبخا لهم : ﴿ و كيف يحكمونك ﴾ أى فى شيء من الأشياء ﴿ و عندهم ﴾ أى و الحال أنه عندهم ﴿ التورٰىة ﴾ ثم استأنف قوله : ﴿ فيها حكم الله ﴾ أى الذى لا يدانى عظمته عظمة ، و هو الذى كان مقررا فى شرعهم أنه لا يسوغ خلافه ، فان كانوا يعتقدون ذلك ١٠ إلى الآن لم يجز لهم العدول إليك على زعمهم ، و إن كانوا لا يعتقدونه و يعتقدون أن حكمك هو الحق و لم يؤمنوا بك كانوا قد[٤] آمنوا ببعض وكفروا ببعض .

و لما كان الإعراض عن حكمه سبحانه عظيما ، °و كان وقوعه ممن يدعى أنه مؤمن به بعيدا عظيما° شديدا ، قال : ﴿ ثم يتولون ﴾ أى ١٥ يكلفون أنفسهم الإعراض عنه سواء تأيد بحكمك به أو لا لأجل الأعراض الدنيوية ؛ و لما كان المراد بالحكم الجنس ، و كانوا يفعلون[٦] بعض أحكامها[٧]

---

(١) فى ظ : او (٢) فى ظ : للكذب (٣) فى ظ : يحكمون ـ كذا (٤) سقط من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : يفعلونه (٧) من ظ ، و فى الأصل : احكام .

فلم يستغرق زمانُ توليهم زمانَ البعد ، أدخل الجار لذلك فقال : ﴿من بعد ذلك ط﴾ أى الأمر العالى و هو الحكم الذى يعلمون[1] أنه حكم الله ، فلم يبق تحكيمهم لك من غير إيمان بك إلا تلاعبا .

و لما كان التقدير : فما أولئك بالمريدين للحق فى ترافعهم إليك ، ٥ عطف عليه قوله : ﴿ و مآ اولٰٓئك ﴾ أى البعداء من الله ﴿ بالمؤمنين ع ﴾ أى العريقين[2] فى صفة الإيمان بكتابهم[3] و لا بغيره مما يستحق الإيمان [به -[4]] ، لأنهم لو كانوا عريقين[5] فى ذلك لآمنوا بك لأن كتابهم دعا إليك .

و لما تضمن هذا مدح التوراة ، صرح به فقال تأكيدا لذمهم فى الإعراض عما دعت إليه من أصل و فرع ، و تحذيرا من مثل حالهم : ١٠ ﴿ انآ انزلنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ التورٰىة ﴾ ثم استأنف قوله معظما لها : ﴿ فيها هدى ﴾ أى كلام يهدى بما يدعو إليه إلى[6] طريق الجنة ﴿ و نور ج ﴾ أى بيان لا يدع لبسا ، ثم استأنف المدح للعاملين بها فقال : ﴿ يحكم بها النبيون ﴾ و وصفهم بأعلى الصفات و ذلك الغنى المحض . فقال مادحا لا مقيدا : ﴿ الذين اسلموا ﴾ أى أعطوا قيادهم لربهم سبحانه ١٥ حتى لم يبق لهم اختيار أصلا ، و فيه تعريض بأن اليهود بعداء من الإسلام و إلا لاتبعوا أنبياءهم فيه ، فكانوا يؤمنون بكل من قام الدليل على نبوته .

و لما كان من المعلوم أن حكمهم بأمر الله لهم باتباع التوراة و مراعاتها، عُلِمَ[7] أن التقدير : بما استحفظوا من كتاب الله ، فحذف لدلالة ما يأتى عليه

---

(١) من ظ ، وفى الأصل : تعلمون (٢) فى ظ : الغريقين (٣) فى ظ : لكتابهم . (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : غريقين (٦) فى ظ : من (٧) فى ظ : على .

و إشعار الإسلام به ، ثم بين المحكوم له تقييدا به إشارة إلى أنها ستنسخ فقال : ﴿ للذين هادوا ﴾ أى لمن التزم اليهودية ﴿ و الربّنيون ﴾ أى أهل الحقيقة ، منهم الذين انسلخوا من الدنيا و بالغوا فيما يوجب النسبة إلى الرب ﴿ و الاحبار ﴾ أى العلماء الذين أسلموا ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما . ٥

و لما كان سبب إسلام أمرهم[1] بالحفظ ، لا كونه من الله بلا واسطة ، بنى للفعول قوله[2]: ﴿ استُحفظوا ﴾ أى[3] الأنبياء و من بعدهم ﴿ من كتب الله ﴾ أى بسبب ما طلبوا[4] منهم / و أمروا به من الحفظ لكتاب[5] الذى له جميع ٦٠ / صفات الكمال الذى هو صفته ، فعظمته من عظمته ، و حفظه : دراسته و العمل بما فيه ﴿ وكانوا ﴾ أى و بما كانوا ﴿ عليه شهدآء ﴾ أى رقباء حاضرين ١٠ لا يغيبون عنه و لا يتركون مراعاته أصلا ، فالآية[6] - كما ترى - من فن الاحتباك : ترك أولا « بما استحفظوا » لدلالة ما ذكر هنا عليه ، و ترك ذكر الإسلام هنا لدلالة ذكره أولا عليه ، و إنما[7] خص الأول بذكر الإسلام لأن الأنبياء أحق به ، و هو داع إلى الحفظ قطعا ، و خص الثانى بالاستحفاظ لأن الأتباع أولى به ، و هو دال على الإسلام . ١٥

و لما كان هذا كله ذما لليهود بما تركوا من كتابهم ، و مدحا لمن[8] راعاه[9] منهم ، وكان ذلك الترك إما لرجاء أو خوف ، قال مخاطبا لهذه الأمة

---

(١) فى ظ : اعزهم (٢) زيد بعده فى ظ : بما (٣) فى ظ : من (٤) فى ظ : طلب .
(٥) فى ظ : الكتاب (٦) زيد بعده فى ظ : من الاحتباك (٧) فى ظ : ان (٨) فى ظ : لهم (٩) من ظ ، و فى الأصل : راعاهم .

كلها طائعها و عاصيها، محذرا لها من مثل حالهم و مرغبا فى مثل حال الأنبياء و التابعين لهم باحسان، مسببا عن ذلك: ﴿ فلا تخشوا الناس ﴾ أى فى العمل بحكم من أحكام الله ﴿ و اخشون ﴾ أى فان ذلك حامل لكم على العدل و الإحسان ، فمن كان [منكم - [1]] مسلما طائعا فليزدد ٥ طاعة، و من لم يكن كذلك[2] فليبادر بالانقياد و الطاعة، و هذا شامل لليهود و غيرهم .

و لما قدم الخوف لأنه أقوى تأثيرا أتبعه الطمع فقال: ﴿و لا تشتروا﴾ و لما كان الاشتراء معناه اللجاجة فى أخذ شيء بثمن، و كان المثمن [3]أشرف من الثمن[3] من حيث أنه المرغوب فيه، جعل الآيات مثمنا و إن ١٠ اقترنت[4] بالباء، حتى يفيد الكلامُ التعجبَ[5] من الرغبة عنها، و أنها لا يصح[6] كونها ثمنا فقال: ﴿ بأيٰتى ثمنا قليلا ﴾ أى من الرشى و غيرها لتبدلوها[7] كما بدل أهل الكتاب .

و لما نهى عن الأمرين، و كان ترك الحكم[8] بالكتاب إما لاستهانة أو لخوف أو رجاء أو شهوة، رتب ختام الآيات على الكفر [3]و الظلم[3] ١٥ و الفسق ؛ قال ابن عباس رضى الله عنهما: من جحد حكم الله كفر، و من لم يحكم به و هو مقر فهو ظالم فاسق . فلما كان التقدير: فمن حكم بما أنزل الله فأولئك هم المسلمون ، عطف عليه ما أفهمه من قوله:

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : لذلك (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) فى ظ : اقتربت (٥) فى ظ : التعجيب (٦) فى ظ : لا تصح (٧) فى ظ : اتبدلونها (٨) فى ظ : الحكم .

و من

﴿ و من لم يحكم ﴾ أي[1] يوجد الحكم و يوقعه على وجه الاستمرار ﴿ بمآ انزل الله ﴾ أي الذي له الكمال كله فلا أمر لأحد معه تدينا بالإعراض عنه، أعم من أن يكون تركه [له - [2]] حكما[3] بغيره أو لا ﴿ فاولّٓئك ﴾ أي البعداء من كل خير ﴿ هم الكفرون ﴾ أي المختصون بالعراقة في الكفر، وهذه الآيات من قوله تعالى " يٰأيها الرسول لا يحزنك [الذين يسارعون ٥ في الكفر " - [2]] إلى هنا نزلت في الزنا، و لكن لما كان السياق للمحاربة، وكان كل من القتل و قطع الطريق و السرقة محاربة ظاهرة مع كونه فسادا، صرح به؛ و لما كان الزنا محاربة خفية بالنظر إلى فحشه و حرمته و جرّه في بعض الصور إلى المحاربة، و غير محاربة بالنظر إلى كونه في الغالب عن تراض، و صاحبه غير متزيّ بزيّ المحاربين، لم يصرح في هذه ١٠ الآيات باسمه و إن كانت نزلت فيه؛ روى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه أنه قال في خطبته: إن الله بعث محمدا و أنزل عليه كتابا[4]، وكان فيما أنزل عليه آية الرجم فتلوناها و وعيناها " الشيخ و الشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله و الله عزيز حكيم " و قد رجم رسول الله صلى الله عليه و سلم و رجمنا بعده - الحديث. و في آخره: ١٥ و لولا أني[1] أخشى أن يقول الناس: زاد في كتاب [5] الله، لأثبته في حاشية المصحف. و أصله في الصحيحين و غيرهما، و للحاكم و الطبراني عن أبي أمامة بن سهل عن خالته العجماء رضي الله عنها بلفظ: الشيخ و الشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا[5] من اللذة[6]. و في صحيح ابن حبان عن أبي بن كعب

/ ٦١

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: حكمها (٤) في ظ: كتاب (٥) في ظ: قضيتا (٦) زيد بعده في ظ: و الشهوة، و ليست الزيادة في الحاكم ولا الطبراني.

رضى الله عنه أنه قال لزرّ بن حبيش: كم تعدون سورة الأحزاب من آية[1]؟
قال : قلت: ثلاثا و سبعين ، قال : و الذى يحلف به! كانت سورة الأحزاب
توازى سورة البقرة ، و كان فيها آية الرجم: الشيخ و الشيخة ـ الحديث .
و للشيخين: البخارى فى مواضع ، و مسلم و أحمد و أبى داود - [2]و هذا
٥ لفظه ـ و الدارمى[2] و الترمذى فى الحدود و النسائى فى [الرجم - [3]] عن
ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: إن اليهود جاؤا إلى النبى صلى الله عليه
و سلم فذكروا[4] [له - [5]] أن رجلا منهم و امرأة زنيا ، فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه و سلم: ما تجدون فى التوراة فى شأن الزنا ؟ فقالوا :
نفضحهم و يجلدون ـ و فى رواية: فقال[6]: لا تجدون فى التوراة الرجم ؟
١٠ فقالوا: لا نجد فيها شيئا ـ فقال عبد الله بن سلام رضى الله عنه: كذبتم ،
فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ، فأتوا بالتوراة ، فنشروها فجعل
أحدهم ـ و فى رواية : مدراسُها[7] الذى يدرسها منهم - يَدَه[6] على آية الرجم
فجعل يقرأ ما قبلها و ما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك ،
فرفعها فقال: ما هذه ؟ فاذا فيها آية الرجم ، فقالوا : صدق يا محمد ! فيها
١٥ آية الرجم ، [8]فأمر بهما[8] رسول الله صلى الله عليه و سلم فرجما ، قال عبد الله

(١) فى ظ : انه (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ:
و ذكروا (٥) زيد من سنن أبى داود ـ كتاب الحدود (٦) سقط من ظ (٧) من
صحيح البخارى ـ التفسير ، و فى الأصل و ظ : مدارسها ـ كذا (٨ - ٨) فى
ظ : فامرهما .

ابن عمر رضى الله عنهما : فرأيت الرجل يحنأ[1] على المرأة يقيها الحجارة .
و فى لفظ للبخارى فى التفسير أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : لا تجدون
فى التوراة الرجم ؟ فقالوا : لا نجد فيها شيئا ، فقال لهم عبد الله بن سلام :
كذبتم ! فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . و فى لفظ له فى التوحيد
- و هو رواية أحمد - أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذى قال : فأتوا[2] ٥
بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . و لأبى داود عن ابن عمر أيضا
رضى الله عنهما قال : أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله صلى الله عليه و سلم
إلى القف ، فأتاهم فى بيت[3] المدراس فقالوا[3] : يا أبا القاسم ! إن رجلا منا زنى
بامرأة فاحكم ، فوضعوا لرسول الله صلى الله عليه و سلم وسادة فجلس عليها
ثم قال : ائتونى[4] بالتوراة ، فأتى بها فنزع الوسادة من تحته [5]و وضع[5] ١٠
التوراة عليها ثم قال : آمنت بك و بمن أنزلك ، ثم قال : ائتونى بأعلمكم ،
فأتى بفتى شاب - فذكر قصة الرجم نحو الذى قبله . و سكت عليه أبو داود

---

(١) أى يكب و يميل عليها ليقيها من الحجارة ، و روى : يجنى و يجانى و يحنى ؛ جنأ و أجنأ و جانى بمعنى ، و فى النهاية : فان كانت بالحاء فهى من حنى ظهره - إذا عطفه ، و إن كانت بالجيم فهى من جنا الرجل على الشىء إذا أكب عليه و هما متقاربان ، و الذى قرأناه فى كتاب مسلم بالجيم و فى كتاب الحميدى بالحاء . قال الخطابى : الذى جاء فى كتاب السنن يجنى يعنى بالجيم ، و المحفوظ إنما هو يحنى بالحاء ، أى يكب عليها يقال : حنا يحنو حنوا (٢) من صحيح البخارى ، و فى الأصل و ظ : فايتوا (٣ - ٣) من سنن أبى داود - كتاب الحدود ، و فى الأصل و ظ : المدارس فقال (٤) من ظ و السنن ، و فى الأصل : ايتوا (٥ - ٥) فى السنن : فوضع .

والحافظ المنذرى فى مختصره[1] و سنده حسن ، و لمسلم و أبى داود[2] - و هذا لفظه - و النسائى و ابن ماجه عن[3] البراء بن عازب رضى الله عنهما قال : مر [4]رسول الله صلى الله عليه و سلم بيهودى[4] محمم[5] ، فدعاهم فقال : هكذا تجدون حد الزانى ؟ فقالوا : نعم ، فدعا رجلا من علمائهم فقال : نشدتك ٥ بالله الذى أنزل التوراة على موسى أهكذا[6] تجدون حد الزانى فى كتابكم ؟ فقال : اللهم ! لا ، و لو لا أنك نشدتنى[7] بهذا لم أخبرك ، نجد حد الزانى فى كتابنا الرجم ، و لكنه كثر فى أشرافنا فكنا إذا أخذنا الرجل الشريف تركناه ، و إذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه / الحد ، فقلنا : تعالوا فنجتمع /٦٢ على شىء نقيمه على الشريف و الوضيع ، فاجتمعنا على التحميم و الجلد ١٠ و تركنا الرجم ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : اللهم[6] إنى أول من أحيي أمرك إذ أماتوه[8] ، فأمر به فرجم ، فأنزل الله عز و جل "يايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر - إلى قوله : يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه و ان لم تؤتوه فاحذروا[9] - إلى قوله : و من لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكفرون" فى اليهود - إلى قوله : "و من لم يحكم بما انزل الله ١٥ فاولئك هم الظلمون" فى اليهود - إلى قوله : و من لم يحكم بما انزل الله

(١) فى ظ : المختصر (٢) من ظ ، و فى الأصل : ابوداود (٣) من ظ ، و فى الأصل « و » (٤ - ٤) فى السنن : على رسول الله صلى الله عليه و سلم يهودى . (٥) أى مسود الوجه ، من الحممة : الفحمة ، و فى ظ : محم (٦) سقط من ظ . (٧) فى ظ : تنشدنى (٨) من ظ و السنن ، و فى الأصل : اماتوا (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و السنن لحذفناها .

فاولئك

فاولئك هم الفسقون " [قال : هي - [1]] في الكفار كلها - يعني هذه الآية . و روى الدارقطني في آخر[2] النذور من السنن عن جابر رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه و سلم بيهودي[3] و يهودية قد زنيا ، فقال لليهود : ما يمنعكم أن تقيموا[4] عليهما الحد ؟ فقالوا : كنا نفعل[5] إذا كان الملك لنا[5] ، فلما أن[6] ذهب ملكنا[7] [8] فلا نجترى[8] على الفعل ، فقال لهم : ائتوني بأعلم رجلين فيكم ، فأتوه بابني صوريا ، فقال لهما: أنتما[9] أعلم من ورائكما[10]؟ قالا : يقولون ، قال: فأنشدكما بالله الذي أنزل التوراة على موسى كيف تجدون حدهما في التوراة؟ فقالا[11]: الرجل مع المرأة زنية[12] و فيه عقوبة ، و الرجل على بطن المرأة زنية[12] و فيه عقوبة ، فاذا شهد أربعة أنهم رأوه [يدخله فيها كما - [13]] يدخل الميل في المكحلة رُجِمَ ؛ قال : ائتوني بالشهود ، فشهد[14] أربعة ، فرجمهما النبي صلى الله عليه و سلم - انتهى . و هذه الآية ملتفتة إلى آية " يايها الذين امنوا اتقوا الله و ابتغوا اليه الوسيلة " - الآية و التي بعدها أيّ التفات ، و ذلك أن هؤلاء لما تركوا هذا الحكم ، جرّهم إلى الكفر ، و ليس في هذه الروايات - كما ترى - تقييد الرجم بالإحصان ،

(١) زيد من ظ و السنن (٢) سقط من ظ (٣) من سنن الدارقطني ، و في الأصل و ظ : يهودي (٤) من ظ والسنن ، و في الأصل : تقيما (٥-٥) في السنن : اذ كان ذلك فينا (٦) ليس في ظ والسنن (٧) في ظ : الملك عنا (٨-٨) من السنن ، و في الأصل : فلا نجترش ، و في ظ : قد نجترى (٩) في السنن : أنتم (١٠) زيد بعده في ظ : كما (١١) من السنن ، و في الأصل و ظ : فقال (١٢) من ظ و السنن ، و في الأصل : ريبة - كذا (١٣) زيد من السنن (١٤) في ظ : فشهدوا .

وكذا هو فيما هو موجود عندهم فى[١] التوراة ، قال فى السفر الثالث وغيره :
ثم كلم الله موسى و قال له : قل لبنى إسرائيل : [أىُّ رجل من بنى إسرائيل-[٢]]
و من الذين يقبلون إلى [أىّ - [٢]] و يسكنون بين بنى إسرائيل ألقى زرعه
فى أمراة غريبة يقتل ذلك الرجل ، فليرجمه[٣] جميع الشعب بالحجارة ،
٥ و أنا أيضا أنزل غضبى بذلك الرجل و أهلكه من شعبه ، لأنه ألقى زرعه
فى غريبة و أراد أن ينجس مقدسى و أن ينجس اسم قدسى ، فان غفل
شعب الأرض[٤] عن الرجل الذى ألقى زرعه فى غريبة و لم يوجبوا عليه
القتل أنزل غضبى بذلك الرجل و بقبيلته و أهلكه و أهلك من يضل
به ، لأنهم ضلوا بنساء غريبات لسن[٥] لهم بحلال ، ثم قال : الرجل الذى
١٠ يأتى امرأة صاحبه و امرأة رجل غريب يقتلان جميعا ، و الرجل الذى
يرتكب ذكرا مثله فيرتكب منه ما يرتكب من النساء فقد ارتكبا[٦]
نجاسة ، يقتلان و دمهما فى أعناقهما . و الرجل الذى يتزوج امرأة و أمها
فقد ارتكب خطيئة ، يحرق بالنار هو[٧] و هما ، و الرجل الذى يرتكب
من البهيمة ما يرتكب من النساء يقتل قتلا ، و البهيمة ترجم أيضا ،
١٥ و المرأة التى ترقد[٧] بين يدى البهيمة لترتكب منها البلاء تقتل المرأة
و البهيمة جميعا ، يقتلان و دمهما فى أعناقهما ، و الرجل الذى يأتى امرأة طامثا
و يكشف عورتها ، قد كشف عن ينبوعها و هى أيضا كشفت عن ينبوع دمها ،

---

(١) فى ظ : من (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : فلا ترجمه (٤) من ظ و التوراة ،
و فى الأصل : الآن (٥) من ظ ، و فى الأصل : ليس (٦) فى ظ : اكتسبا .
(٧) سقط من ظ .

/ يهلكان جميعا من شعبهما[1]، وقال: و الرجل الذي يأتي امرأة أبيه /٦٣
قد كشف[2] هذا عورة أبيه، يقتلان جميعا و دمهما في أعناقهما، و الرجل
الذي يأتي كنّته[3] يقتلان[4] كلاهما، لأنهما ارتكبا خطيئة، و دمهما
في أعناقهما، و الرجل الذي[5] يتزوج أخته من أمه أو من أبيه و يرى
عورتها و ترى عورته، هذا عار شديد، يقتلان قدام شعبهم، و ذلك ٥
لأنه كشف عورة أخته، يكون إثمهما في رؤسهما، لا تكشفن عورة
عمتك و لا خالتك ! لأنهما قرابتك، و من فعل ذلك يعاقب بإثم فضيحته[6]،
و الرجل الذي يأتي امرأة عمه قد كشف عورة عمه يعاقبان بخطيئتهما
و يموتان[7]، و الرجل الذي يتزوج امرأة أخيه قد ارتكب إثما، لأنه
كشف عورة أخيه يموتان، بل و صرح برجم البكر فقال في السفر ١٠
الخامس فيمن تزوج بكرا فادعى أنه وجدها ثيبا: فان[8] كان قذفه إياها حقا
و لم يجدها عذراء تخرج الجارية إلى بيت أبيها، و يرجمها أهل القرية بالحجارة
و تموت[9]، لأنها ارتكبت حوبا بين يدي[5] بني إسرائيل و زنت في بيت أبيها،
نحوّا الشر عنكم، و إن وجد رجل[10] يسفح بامرأة رجل يقتلان[11] كلاهما:
الرجل و المرأة[4]؛ بل صرح برجم البكر المكرهة فقال عقب ما تقدم: و إن ١٥
كان لرجل[12] خطية بكر لم يبتن[13] بها بعد، فخرجت خارجا فظفر بها

---

(١) في ظ: شعبها (٢) زيد بعده في ظ: عن (٣) في ظ: لبنته (٤) زيد بعده في ظ: جميعا (٥) سقط من ظ (٦) في ظ: فضيحة (٧) في ظ: يلومان (٨) من ظ، و في الأصل: وان (٩) في ظ: يموت (١٠) في ظ: رجلا (١١) في ظ: تقتلان (١٢) في ظ: الرجل (١٣) في ظ: لم يبين.

رجل و قهرها و ضاجعها ، يخرجان جيعا و يرجمان حتى يموتا ، و إنما تقتل الجارية مع الرجل لأنها لم تصرخ و لم تستغث[1] - انتهى . فالأحاديث المفيدة بالإحصان فى هذه القصة ينبغى أن تكون مرجوحة ، لأن رواتها ظنوا أن الجادة[2] الإسلامية شرع لهم .

٥ و لما كان ختامُ هذه[3] الآيات فى ترهيب المُعرِض عن الحكم بما أنزل الله مطابقا لقوله فى أول سياق المحاربة " ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون " رجع إلى القتل مبينا أنهم بدلوا فى القتل كما بدلوا فى الزنا ، ففضلوا بنى النضير على بنى قريظة ، فقال: ﴿ و كتبنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿عليهم فيهآ﴾ أى [فى -[4]] التوراة ، [5]عطفا على ١٠ قوله " كتبنا على بنى اسراءيل انه[3] من قتل نفسا بغير نفس "، [6]و إذا أنعمت[6] النظر وجدت ما بينهما لشدة اتصاله و قوة الداعية إليه كأنه اعتراض ﴿ ان النفس ﴾ أى مقتولة قصاصا مثلا بمثل ﴿ بالنفس[لا] ﴾ أى بقتل النفس بغير وجه مما تقدم ﴿ و العين ﴾ أى تقلع ﴿ بالعين ﴾ أى قلعت بغير شبهة ﴿ و الانف ﴾ يجدع ﴿ بالانف ﴾ كذلك[7] ١٥ ﴿ و الاذن ﴾ تصلم ﴿ بالاذن ﴾ على ما تقدم ﴿ و السن ﴾ تقلع ﴿ بالسن[لا] ﴾ إذا قلعت عمدا بغير حق ﴿ و الجروح ﴾ أى[3] التى تنضبط كلها ﴿ قصاص[ط] ﴾ مثلا بمثل سواء بسواء .

و لما أوجب سبحانه هذا ، رخص[8] لهم فى النزول عنه ، فسبب عن

---

(١) من ظ : و فى الأصل : لم تستغيث (٢) فى ظ : الحادة (٣) سقط من ظ . (٤) زيد من ظ (٥) زيدت الواو بعده فى ظ (٦-٦) فى ظ : فاذا امعنت (٧) فى ظ : لذلك (٨) من ظ ، و فى الأصل : ارخص.

ذلك

ذلك قوله: ﴿ فمن تصدق به ﴾ أى عفا عن القصاص ممن يستحقه سواء كان هو المجروح إن كان باقيا أو وارثه إن كان هالكا ﴿ فهو ﴾ أى التصدق بالقصاص ﴿ كفارة له ﴾ أى ستارة لذنوب[1] هذا العافى[2] ولم يجعل لهم دية، إنما هو القصاص أو[3] العفو، فمن حكم بما أنزل الله فأولئك هم المسلمون لانقيادهم فى هذا الأمر الصعب لأمر الله ﴿ و من لم يحكم ﴾ ٥ أى على وجه الاستمرار ﴿ بما انزل الله ﴾ أى الذى لا كفوء له فلا أمر لأحد معه لخوف أو رجاء، [4]أوتدينا[4] بالإعراض عنه سواء حكم بغيره[5] أو لا ﴿ فاولّئك ﴾ اى البعداء عن طريق الاستقامة، البغضاء إلى أهل الكرامة ﴿ هم الظلمون ﴾ أى الذين تركوا العدل فضلّوا، فصاروا كمن يمشى فى الظلام، فان كان تدينا بالترك / كان[6] نهاية الظلم وهو ١٠ / ٦٤ الكفر، و إلا كان عصيانا، لأن الله أحق أن يخشى و يرجى؛ روى ابن إسحاق فى السيرة فى تحاكمهم فى الزنا نحو ما تقدم ثم قال: و حدثنى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الآيات من المائدة التى قال الله[7] فيها " فاحكم بينهم او اعرض عنهم - إلى: المقسطين " إنما نزلت فى الدية بين بنى النضير و بنى قريظة، و ذلك أن ١٥ قتلى بنى النضير - [و - [8]] كان لهم شرف - يؤدون[9] الدية كاملة، و أن

(١) من ظ، و فى الأصل: لذنوبه (٢) فى ظ: المعافى (٣) فى ظ «و» (٤-٤) فى ظ: بدنيا (٥) فى ظ: لغيره (٦) فى ظ: فان (٧) سقط من ظ (٨) زيد من ظ و تفسير الطبرى حيث سيقت هذه الرواية (٩) زيد بعده فى الأصل: الى، ولم تكن الزيادة فى ظ و سنن النسائى ٢١٧ و الطبرى فحذفناها.

بنى قريظة [كانوا - [1]] يؤدون نصف الدية ، فتحاكموا [فى ذلك - [2]]
إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأنزل الله ذلك فيهم ، فحملهم رسول الله
صلى الله عليه و سلم على الحق فى ذلك فجعل الدية [3] سواء . قال ابن إسحاق :
فالله أعلم أيّ ذلك كان ! و أخرجه النسائى فى سننه من طريق ابن إسحاق ،
٥ و روى من طريق آخر عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا [4] ، قال : كان
قريظة و النضير ، و كان النضير أشرف من قريظة ، [5] و كان إذا قتل
رجل من قريظة رجلا من النضير قُتِل به ، و إذا قتل رجل من النضير
رجلا من قريظة [5] أدى مائة وسق [من - [6]] تمر ، فلما بعث النبى
صلى الله عليه و سلم قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فقالوا : ادفعوه [7]
١٠ إلينا نقتله ، فقالوا : بيننا و بينكم [النبى صلى الله عليه و سلم - [8]] ، فأتوه
فنزلت " وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط " ، [و القسط - [9]] : النفس
بالنفس ، ثم نزلت " افحكم الجاهلية يبغون " - انتهى .

و هذا نص ما عندهم من التوراة فى القصاص ، قال فى السفر الثانى : وكل
من ضرب رجلا فمات فليقتل قتلا ، و إذا تشاجر رجلان فأصابا [10] امرأة
١٥ حبلى فأخرجا [11] جنينها و لم تكن الروح حلت فى السقط بعد ، فليغرم على قدر
ما يلزمه زوج المرأة ، و ليؤد ما حكم عليه الحاكم ، فان كانت الروح حلت فى
السقط فالنفس بالنفس و العين بالعين و السن بالسن و اليد باليد و الرجل بالرجل

(١) زيد من ظ و السنن و الطبرى (٢) زيد من السنن و الطبرى (٣) زيد فى الطبرى فقط : فى ذلك (٤) سقط من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٦) زيد من ظ و السنن (٧) فى ظ : ادفعوا (٨) زيد من ظ و السنن ، إلا أن « صلى الله عليه وسلم » ليس فى ظ (٩) زيد من السنن (١٠) فى ظ : فاصاب
(١١) فى ظ : و اخرجا .

و الجراحة بالجراحة و اللطمة باللطمة ؛ و قال فى السفر الثالث بعد ذكر الأعياد فى الأصحاح السابع عشر[1] : و من قتل إنسانا يقتل ، و من قتل بهيمة يدفع إلى صاحبها مثلها ، و الرجل يضرب صاحبه و يؤثر فيه أثرا يعاب به يصنع به كما صنع ، و الجروح قصاص : الكسر بالكسر و العين بالعين و السن بالسن ، كما يصنع الإنسان بصاحبه كذلك يصنع به ، ٥ القضاء واحد لكم و للذين يقبلون إلىّ ؛ و قال فى الثانى : إذا ضرب الرجل عين عبده أو أمته ففقأها فليعتقه بدل عينه ، و إذا قلع[2] سن عبده أو أمته فليعتقه بدل سنه - و ذكر أحكاما كثيرة ، ثم قال : و من ذبح للأوثان فيهلك ، بل لله وحده ؛ و[3] قال فى الرابع : و من يقتل نفسا لا يقتل إلا ببينة عادلة ، و لا تقبل[4] شهادة شاهد[5] واحد على قتل النفس ، و لا تقبلوا[6] رشوة ١٠ فى إنسان يجب عليه القتل بل يقتل ، و لا تأخذوا منه رشوة ليهرب إلى قرية [إلى -[7]] الملجأ ليسكنها إلى وفاة الحبر العظيم ، و لا تنجسوا الأرض التى تسكنونها ، لأن الدم ينجس الأرض ، و الأرض التى يسفك فيها الدم [8]لا يغفر[8] لتلك الأرض حتى يقتل القاتل الذى قتل ؛ و قال فى الخامس : و لا يقتل من قد وجب عليه القتل إلا[9] بشهادة رجلين ، ١٥

---

(١) فى الأصل و ظ : العشر ، و الأحكام الآتية إنما هى فى الأصحاح الرابع و العشرين فيما عندنا من نسخ التوراة (٢) فى ظ : بلغ (٣) من ظ ، و فى الأصل : ثم (٤) فى ظ : لا يقبل (٥) سقط من ظ (٦) زيد بعده فى ظ : شهادة شاهد واحد على قتل النفس و لا تفعلوا (٧) زيد من ظ (٨ - ٨) فى ظ : ليغفر . (٩) من ظ ، و فى الأصل : لا .

لا يقتل بشهادة رجل واحد ، و إذا رجمتم فالذى يُشْهَدُ عليه فليبدأ برجمه الشهود أولا ثم يبدأ به جميع الشعوب ، و أهلكوا الذين يعملون الشر و استأصلوهم من بينكم ، و إن شهد رجل على صاحبه شهادة زور / يقوم ٦٥ / الرجلان قدام الحبر و القاضى فيفحصون[1] عن أمرهما فحصا شديدا ، فان ٥ وجدوا رجلا شهد شهادة زور يصنعوا[2] به مثل ما أراد أن يصنع باخيه، و نحوّا الشر من بينكم ، و عاقبوا بالحق ليسمع الذين يتقون فيفزعوا و لا يعودوا أن يفعلوا مثل هذا الفعل القبيح بينكم ، و[3] لا تشفق أعينكم[3] على الظالم ، بل يكون قضاؤكم نفسا بنفس و عينا بعين و سنا بسن و يدا بيد و رجلا برجل.

و لما كانت هذه الآيات كلها ـ مع ما فيها من الأسرار - ناقضة ١٠ أيضا لما ادعوا من البنوة بما ارتكبوه من الذنوب من تحريف كلام الله و سماع الكذب و أكل السحت و الإعراض عن أحكام التوراة و الحكم بغير حكم الله ، أتبعها ما[4] أتى به عيسى عليه السلام الذى ادعى فيه النصارى البنوة الحقيقية و الشركة فى الإلهية ، و قد أتى بتصديق التوراة فى الشهادة على من خالفها من اليهود بالتبرئ[5] من الله ، مؤكدا لما فيها من التوحيد الذى ١٥ هو عماد الدين و أعظم آياتها التى أخذت عليهم بها العهود و وضعت فى تابوت الشهادة[6] الذى كانوا يقدمونه أمامهم فى الحروب ، فان كانوا باقين على ما فيه من الميثاق نصروا و إلا خذلوا ، و ناسخا لشريعتهم مجازاة لهم

(١) فى ظ : فيخصبون ـ كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : يصنعون (٣-٣) فى ظ : لا سفق لى عينكم ـ كذا (٤) فى ظ : بما (٥) فى ظ : من التبر ـ كذا . (٦) سقط من ظ .

من

من جنس ما كانوا يعملون من التحريف ، و شاهداً[1] على[2] من أطراه بالضلال فقال : ﴿ و قفينا ﴾ إلى آخرها ، و كذا [كل - [3]] ما بعدها من آياتهم إلى آخر السورة ، لا تخلو آية منها من التعرض[4] إلى نقض[4] دعواهم لها بذكر ذنب ، أو ذكر عقوبة عليه ، أو ذكر تكذيب لهم من كتابهم أو نبيهم ، و المعنى : أوجدنا[5] التقفية ، و هي اتباع شيء [بشيء -[3]] تقدّمه[6] ، فيكون ٥ أتيا فى قفاه لكونه وراءه ، و إلقاؤه فى مظهر العظمة لتعظيم شأن عيسى عليه السلام ﴿ علىٰ اٰثارهم ﴾ أى النبيين الذين يحكمون بالتوراة ، و ذكرُ الأثر يدل على أنهم كانوا قد تركوا دينهم ، لم يبق منه إلا رسم خفى ﴿ بعيسى ﴾ و نسبه إلى أمه إشارة إلى أنه لا[7] والد له تكذيبا لليهود ، و إلى أنه عبد مربوب تكذيبا للنصارى ، فقال : ﴿ ابن مريم مصدقا ﴾ ١٠ أى عيسى عليه السلام فى الأصول و كثير من[8] الفروع ﴿ لما بين يديه ﴾ أى مما أتى به موسى عليه السلام قبله ﴿ من التورٰىة ص ﴾ و أشار إلى أنه ناسخ لكثير من أحكامها بقوله : ﴿ و اٰتينٰه الانجيل ﴾ أى أنزلناه بعظمتنا عليه كما أنزلنا التوراة على موسى عليه السلام .

و [لما - [3]] كان فى الإنجيل المحكم الذى يفهمه كل أحد ، و المتشابه الذى ١٥ لا يفهمه إلا الأفراد من خلص العباد ، و لا يقف بَعْدَ فهمه عند حدوده إلا المتقون ، قال مبينا لحاله : ﴿ فيه ﴾ أى آتيناه[9] إياه بحكمتنا و عظمتنا كائنا[9]

(١) فى ظ : شاهدوا (٢) من ظ ، و فى الأصل : عن (٣) زيد من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : اوجبنا (٦) فى ظ : يقدمه (٧) سقط من ظ . (٨) من ظ ، و فى الأصل : فى (٩-٩) فى ظ : بعظمتنا الايتا - كذا .

فيه ﴿ هدى ﴾ أى و هو المحكم، يهتدى به كل أحد[1] سمعه إلى صراط مستقيم ﴿ و نور ﴾ أى حسن بيان كاشف للمشكلات[2]، لا يدع بذلك الصراط لبسا.

و لما كان الناسخ للشيء بتغيير حكمه قد يكون مكذبا له، أعلم ٥ أنه ليس كذلك، بل هو مع[3] النسخ للتوراة مصدق لها فقال - أى[3] مبينا لحال الإنجيل عطفا على محل "فيه هدى" - : ﴿ و مصدقا[4] ﴾ أى الإنجيل بكماله ﴿ لما بين يديه ﴾ و لما كان الذى نزل قبله كثيرا، عين[5] المراد بقوله: ﴿ من التورٰىة ﴾ فالأول صفة لعيسى عليه السلام، و الثانى صفة لكتابه، بمعنى أنه هو[3] و التوراة و الإنجيل متصادقون، فكل من ١٠ الكتابين يصدق الآخر و هو يصدقهما، لم يتخالفوا فى شيء، بل هو متخلق[6] بجميع ما أتى به.

و لما كان المتقون خلاصة الخلق، فهم الذين يُنزِلون كل ما فى ٦٦ / كتب الله من محكم و متشابه على ما يتحقق به أنه هدى و يتطابق / به المتشابه و المحكم، و كان قد بين أن فيه من الهدى ما يسهل به رد المتشابه إليه ١٥ فصار بعد البيان كله هدى، قال معمما بعد ذلك التخصيص[7]: ﴿ و هدى و موعظة للمتقين ﴾ أى كل ما فيه يهتدون به[3] و يتعظون فترق قلوبهم و يعتبرون به و ينتقلون مترقين من حال عالية إلى حال أعلى منها.

---

(١) فى ظ: من (٢) فى ظ: للشك (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و القرآن المجيد، و فى الأصل: مصدق (٥) فى ظ: عنى (٦) من ظ، و فى الأصل: متخلف.
(٧) فى ظ: بالتخصيص.

ذكرُ بعض[1] ما يدل على ذلك من الإنجيل الذى بين ظهرانى النصارى الآن و قد مزجتُ فيه [2]كلام بعض[2] الأناجيل ببعض و أغلب السياق لمتى، و عينتُ بعض ما خالفه، قال لوقا: و جاء إليه قوم و أخبروه خبر الجليليين الذين خلط بيلاطسُ دماءهم مع دماء ذبائحهم[3]، فأجاب يسوع و قال لهم: لا تظنوا أن أولئك الجليليين [4]أشد خطأ من كل الجليليين[4] ٥
إذا أصابتهم هذه الأوجاع، لا أقول لكم، إن لم تتوبوا كلكم أنتم تهلكون مثلهم، و هؤلائك الثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج فى سيلوخا و قتلهم أ تظنون أنهم أكبر جرما من جميع سكان يروشليم، كلا أقول لكم، إن لم تتوبوا فجميعكم يهلك؛ و قال لهم: شجرة تين كانت لواحد مغروسة[5] فى كرمه، جاء يطلب فيها ثمرة فلم يجد، فقال للكرام: ١٠
هذه ثلاث سنين آتى و أطلب فيها[6] ثمرة فلا أجد، اقطعها لئلا تبطل الأرض، فقال له: يا رب! دعها فى هذه السنة لأنكحها و أصلحها، لعلها تثمر فى السنة الآتية، فان هى أثمرت و إلا اقطعها. قال متى: و لما نزل من الجبل تبعه[7] جمع كبير و إذا أبرص قد جاء فسجد[8] له و قال: إن شئت فأنت قادر أن تطهرنى، فمد يده و لمسه و قال [له -[9]]: قد شئتُ فاطهر، ١٥
و للوقت طهر برصه، و قال له يسوع: لا تقل لأحد و لكن امض فأرِ نفسك

(١) سقط من ظ (٢-٢) من ظ و فى الأصل: بعض كلام (٣) فى ظ: دمائهم - كذا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: مفروشه (٦) فى ظ: منها. (٧) فى الأصل و ظ: و تبعه، و التصحيح من نص الإنجيل (٨) فى ظ: سجد. (٩) زيد من ظ.

للكاهن و قدم قربانا كما أمر موسى للشهادة عليهم ـ و قال مرقس: بشهادتهم-
قال لوقا: فذاع عنه الـكلام و زاد، و اجتمع جمع كثير ليسمعوا منه
و يستشفوا[1] من أمراضهم، و أما هو فكان يمضى إلى البرية و يصلى هناك.
و قال متى: و لما دخل كفرناحوم جاء إليه قائد مائة فطلب إليه قائلا:
٥ يا رب! فتاى ملقى فى البيت مخلع و سقيم جدا، فقال له: إنى آتى و أبرئه،
فأجاب قائد المائة و قال: يا رب! لست مستحقا أن تدخل تحت سقف
بيتى، و لـكن قل كلمة فقط فيبرأ فتاى لأنى تحت سلطان، و لى[2] جند، إن
قلت لهذا: اذهب، ذهب[2]، و لآخر: ائت، أتى[2]، و لعبدى: اعمل هذا،
عمل[3]، فلما سمع يسوع تعجب و قال للذين يتبعونه: الحق أقول لكم! إنى[4]
١٠ لم أجد مثل هذه الأمانة فى إسرائيل، أقول لـكم: إن كثيرا يأتون من المشرق
و المغرب ـ و قال لوقا: و الشمال و اليمين[5] - يتكئون[6] مع إبراهيم[7] و إسحاق
و يعقوب[2]؛ قال لوقا: و كل الأنبياء فى ملـكوت الله و أنتم خارجا،
و يـكون الأولون[8] آخرين و الآخرون أولين؛ و قال متى: فى[9] ملـكوت
السماوات، و بنو الملـكوت يلقون فى الظلمة البرانية، الموضع الذى يـكون
١٥ فيه البـكاء و صرير الأسنان، و قال يسوع[10] لقائد[11] المائة: اذهب كأمانتك

(١) فى ظ: ليستشفوا (٢) سقط من ظ (٣) زيد بعده فى ظ: هذا (٤) فى ظ: انى (٥) من ظ، و فى الأصل: التيمن (٦) فى ظ: سكنون (٧) زيد بعده فى ظ: و اسماعيل، و لم ترد هـذه الزيادة فى الإنجيل (٨) من ظ، و فى الأصل: الاولين (٩) من ظ، و فى الأصل «و» (١٠) من ظ و الإنجيل و فى الأصل: يشوع (١١) فى ظ: القائد.

يـكن

يكن لك ، فبرأ الفتى فى تلك الساعة . و قال لوقا : و لما أكمل جميع كلامه و دخل كفرناحوم ، و كان عبد[1] لقائد المائة قد قارب الموت و كان كريما عنده ، فلما سمع يسوع أرسل إليه[2] شيوخ[3] اليهود يسألونه المجىء ليخلص عبده ، فلما جاءوا إلى يسوع طلبوا منه باجتهاد و قالوا : إنه مستحق / أن يفعل[4] معه هذا ، لأنه محب لأمتنا و هو بنى لنا[5] كنيسة ، ٥ / ٦٧ فمضى [6]يسوع معهم[6] ، و فيما هو قريب من البيت أرسل إليه قائد المائة أصدقاءه قائلا : يا رب ! لا تتعب[7] فانى لا أستحق أن تدخل[8] تحت سقف بيتى ، من أجل ذلك لم أستحق أن أجىء أنا إليك ، لكن قل كلمة فيبرأ ، لأنى رجل ذو[9] سلطان و تحت يدى جند[10] فأقول لهذا : امض ، فيمضى ، و لآخر : ائت ، فيأتى ، فلما سمع يسوع هذا تعجب منه[5] و التفت ١٠ إلى الجمع الذى يتبعه و قال : الحق أقول لكم ! إنى لم أجد فى [بنى -[11]] إسرائيل [مثل -[11]] هذه الأمانة . فرجع المرسلون[12] إلى البيت فوجدوا المريض قد برأ ، و فى غد كان يسوع ماضيا إلى مدينة اسمها نايين[13] و تبعه تلاميذه أجمع و جمع كبير ، فلما قرب من باب المدينة إذا محمول قد مات وحيدا لأمه و كانت أرملة ، و جمع كبير من أهل المدينة معها ، فلما رآها ١٥

(١) من ظ ، و فى الأصل : عبدا (٢) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : الى .
(٣) فى ظ : يسوخ (٤) من ظ والإنجيل ، وفى الأصل : تفعل (٥) سقط من ظ .
(٦ - ٦) فى ظ : معهم يسوع (٧) من الإنجيل ، و فى الأصل : لا تتعن ، و فى ظ : لا سعد - كذ (٨) فى ظ : يدخل (٩) فى ظ « و » (١٠) فى ظ : جندى .
(١١) زيد من ظ (١٢) فى ظ : المسلمون (١٣) فى ظ : ناس - كذا .

الرب تحنن[1] عليها و قال لها: لا تبكى ، و تقدم و لمس النعش فوقف الحاملون له ، و قال له[2]: أيها الشاب ! لك أقول: قم و اجلس ! فجلس الميت و بدأ يتكلم ، و دفعه لأمه ، و لحقهم خوف[3] و مجدوا الله قائلين: لقد قام فينا نبي عظيم ، و تعاهد الله شعبه بصلاح ، فذاع هذا الكلام في

٥ كل اليهودية و كل الكور التى[4] حولها . قال متى: و جاء يسوع إلى بيت بطرس[5] فنظر إلى حماته[6] ملقاة تحمى ؛ و قال[7] مرقس : و جاء إلى بيت سمعان و أندراوس مع يعقوب و يوحنا فرأى[8] حماة سمعون فى حمى شديدة فقالوا له من أجلها ، فقدم[9] و أمسك بيدها و أقامها ؛ و قال[3] متى : فمس يدها فتركتها[10] الحمى و قامت تخدمهم ؛ و قال لوقا : و نهضت للوقت تخدمهم[11] ،

١٠ فلما كان المساء - قال مرقس: عند غروب الشمس - قدموا إليه مجانين كثيرا ، قال مرقس : و وقف جميع أهل المدينة على الباب ، و أبرأ كثيرا ممن به علة رديئة ، و أخرج شياطين كثيرة[12] ؛ و قال متى : [13]و كان[13] يخرج الأرواح بكلمة ، و أبرأ كل سقيم لكى يتم ما قيل فى أشعياء[14] النبى القائل: إنه أخذ أمراضنا[15] و حمل أوجاعنا. [16]و سحرا جدا قام و خرج إلى البرية ليصلى

---

(١) فى ظ : يحزن (٢) فى ظ : لها (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : اتى (٥) زيد بعده فى الأصل : فنزل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و الإنجيل فحذفناها . (٦) فى ظ : حماه (٧) فى ظ : كان (٨) فى ظ : فراو (٩) فى ظ : لقدم (١٠) فى ظ : فتركها (١١) فى ظ : يخدمها (٢) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : كثيرا . (١٣ - ١٣) فى ظ : فكان (١٤) فى ظ : اشعب (١٥) فى ظ : مراضنا (١٦) و من هنا يبتدئ نص مرقس .

هناك و سمعون و من معه يطلبونه ، فلما وجدوه قالوا له : إن الجمع يطلبك ، فقال لهم : سيروا بنا إلى القرى و المدن القريبة لنكرز ، فانى لهذا وافيتُ ، فأقبل يبشر فى مجمعهم فى كل الجليل و يخرج الشياطين؛ و قال لوقا: و فى غد اليوم خرج و ذهب إلى موضع قفر و الجمع يطلبونه ، و جاءوا إليه [1]و أمسكوه[1] لئلا يمضى من عندهم ، فقال لهم : إنه ينبغى[2] أن أبشر[3] ٥ فى المدن الآخر بملكوت الله ، لأنى لهذا أرسلت ، و كان يكرز فى مجامع[4] الجليل ، و كان لما اجتمع إليه جمع ليسمعوا كلام الله كان هو واقفا على بحيرة جاناسر[5] ، فرأى سفينتين موقفتين على شاطىء البحيرة و الصيادون قد صعدوا عليها ليغسلوا شباكهم ، فصعد إلى إحداهما[6] التى لسمعان ، و أمر أن يبعدها عن الشط قليلا ، و جلس يعلم فى الجمع[7] من السفينة ؛ ١٠ و لما أكمل كلامه قال لسمعان : تقدم إلى اللج[8] و ألقوا شباككم! فقال: يا معلم! قد تعبنا الليل أجمع و لم نأخذ شيئا ، و بكلمتك نحن نلقى شباكنا، [9]و لما[9] فعلوا ذلك أخذوا سمكا كثيرا ، و كادت شباكهم تتخرق ، فأشاروا إلى شركائهم فى السفينة الأخرى[10] ليأتوا يعينوهم[11] ، فلما جاءوا ملأوا السفينتين حتى كادتا أن تغرقا، فلما رأى سمعان ذلك خر عند قدمى ١٥ يسوع / و قال له : ابعد عنى يا سيدى! لأنى رجل خاطئ ، لأن الخوف اعتراه /٦٨

(١ - ١) فى ظ : فامسكوه (٢) زيد فى الإنجيل : لى (٣) فى ظ : السر - كذا . (٤) من ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : المجامع (٥) من ظ ، و فى الأصل : جاناشر ، و فى الإنجيل : جنيسارت (٦) فى الأصل و ظ : احدها ، و مبنى التصحيح نص الإنجيل (٧) فى ظ : الجميع (٨) فى ظ : البحير (٩ - ٩) فى ظ : كما (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ ، و فى الأصل : يعينونهم .

و كل من معه لأجل صيد الحيتان التى اصطادوا، و كذلك يعقوب و يوحنا [١]ابنا زبدى[١] اللذان[٢] كانا صديقى سمعان، فقال يسوع لسمعان: لا تخف، من الآن تكون[٣] صيادا تصيد الناس، و قربوا السفن إلى الشط و تركوا كل شيء و تبعوه؛ وقال متى: فلما نظر يسوع إلى الجمع الذى حوله
٥ أمر أن يذهبوا إلى العبر، فجاء إليه كاتب[٤] و قال له[٥]: يا معلم! أتبعك إلى حيث تمضى، فقال له يسوع: إن للثعالب أجحارا، و لطير[٦] السماء أوكارا، فأما ابن الإنسان فليس له موضع يسند رأسه؛ و[٧] قال لوقا: و قال لآخر: اتبعنى، فقال: يا رب! ائذن لى أن أمضى أولا و أدفن أبى، فقال له يسوع: اتبعنى و دع الموتى يدفنوا موتاهم، و قال الآخر[٨] أيضا[٩]: بل تأذن
١٠ لى أولا أن أرتب أهل بيتى، فقال: ما من أحد يضع يده على سكة[١٠] الفدان و ينظر إلى ورائه يستحق ملكوت الله؛ و قال متى: فلما صعد السفينة [١١]تبعه تلاميذه - و قال لوقا: صعد السفينة[١١] هو وتلاميذه و قال لهم: امضوا بنا إلى عبر[١٢] البحيرة، فساروا و[٧] فيما هم سائرون نام - و إذا اضطراب عظيم كان فى البحر حتى كادت الأمواج تغطى السفينة - لأن الريح كانت
١٥ مضادة[١٣] لهم - و هو نائم، فتقدم إليه تلاميذه و قالوا: يا رب! - و قال

(١ - ١) فى ظ: ابنى ربدى (٢) من ظ و الإنجيل، و فى الأصل: اللذين (٣) فى ظ: يكون (٤) فى ظ: كانت (٥) فى ظ: لى (٦) فى ظ: طير (٧) سقط من ظ (٨) من ظ، وفى الأصل: لاخر (٩) من الإنجيل، و فى الأصل و ظ: فقال. (١٠) فى ظ: شبكة (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٢) فى ظ: غير. (١٣) فى ظ: مصادة.

مرقس: و كانت رياح عواصف عظيمة ، و كانت الأمواج تضرب السفينة و تدخلها المياه حتى كادت تمتلئ ، و هو نائم فى مؤخرها على وسادة - فأيقظوه و قالوا له: يا معلم! نجّنا فقد هلكنا ! فقال لهم : ما أخافكم[1] يا قليلى الأمانة ؟ حينئذ[2] قام و انتهر الرياح و البحر ، فصار هدوءا عظيما ؛ ثم قال متى : فلما صعد السفينة و جاء إلى العبر و دخل مدينته قدم إليه مخلع ملقى على سرير ٥ - و فى إنجيل مرقس و لوقا: إنهم أرادوا الدخول به إليه فلم يقدروا لكثرة الجمع ، فصعدوا إلى السطح و دلوه بسريره إليه - حينئذ[3] قال للمخلع : قم! احمل سريرك[4] و اذهب إلى بيتك ! فقام و مضى إلى بيته ، فنظر الجمع و تعجبوا و مجدوا الله الذى أعطى هذا السلطان كذا[5] للناس ؛ و قال يوحنا فى إنجيله : و بعد هذا كان عيد اليهود فصعد يسوع إلى يروشليم ، و كان هناك بيروشليم ١٠ مكان يسمى بالعبرانية بيت الرحمة ، و كان فيه خمسة أروقة ، و كان خلق كثير من المرضى مطروحين[6] فيها و عمى و مقعدون و جافون[7] ، فكانوا يتوقعون تحريك الماء ، لأن ملاكا[8] كان ينزل[9] إلى الصبغة فى حين بعد حين ، و كان يحرك[10] الماء ، و الذى كان ينزل فيه أولا من بعد حركة الماء يبرأ من كل الوجع الذى به ، و كان هنا رجل مقيم منذ ثمان[11] و ثلاثين ١٥

(١) فى ظ : نعامكم - كذا (٢) زيدت الواو بعده فى ظ (٣) فى ظ :فحينئذ (٤) فى ظ : سريرتك (٥) فى ظ : هكذا (٦) فى ظ : مطرحين (٧) من ظ ، و فى الإنجيل : عسم ، و فى الأصل : خافون - كذا (٨) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : ملا -كذا (٩) فى ظ : بمنزلة (١٠) فى ظ : حرك (١١) من ظ والإنجيل ، و فى الأصل : ثلاث .

سنة ، فنظر إليه يسوع ملق فقال له: [1]أتحب[1] أن تبرأ؟ فقال: نعم يا سيدى! و لكن ليس لى إنسان إذا تحرك الماء يلقينى فى البركة أولا[2]، فالى أن أجيء أنا ينزل قدامى آخر ، فقال له : قم ، احمل سريرك و امض ، فمن ساعته برأ و[3] نهض حاملا سريره ، وكان ذلك اليوم[3] يوم سبت ، فقال له

٥ اليهود : إنه يوم سبت ، و لا يحل [لك - [4]] أن تحمل[5] سريرك ، فأجابهم : الذى أبرأنى هو قال لى: احمل سريرك و امش ، فسألوه : من هو؟ فلم يكن يعلم من هو ، لأن يسوع كان قد استتر فى الجمع[3] الكبير[6] الذى كان فى[3] ذلك الموضع ، ثم قال: و قال لهم يسوع / : لقد عملت عملا واحدا[7] فعجبتم بأجمعكم، أعطاكم موسى الختان و ليس هو من موسى و لكنه

١٠ من الآباء ، و قد تختنون الإنسان يوم السبت لئلا تنقضوا[8] سنة موسى ، فلِمَ تتذمرون[9] علىّ لإبرائى[10] الإنسان يوم السبت ، لا تحكموا بالمحاباة و[3] لكن احكموا حكما عدلا ، ثم قال : فبينما هو مار رأى رجلا ولد أعمى فقال تلاميذه : يا معلم! من أخطأ ؟ هذا[3] أم أبواه[11] حتى أنه ولد أعمى ، فقال: لا هو و لا أبواه[11] ، و لكن لتظهر[12] أعمال الله فيه ، ينبغى أن أعمل

١٥ أعمال من أرسلنى ما دام النهار ، سيأتى الليل الذى لا يستطيع أحد أن يعمل فيه عملا[3] ، ما دمت فى العالم أنا نور العالم - قال هذا و تفل على التراب

/ ٦٩

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : فانى (٣) سقط من ظ . (٤) زيد من ظ (٥) زيد بعده فى ظ : من (٦) فى ظ : الكثير (٧) فى ظ : واحد (٨) فى ظ : لئلا ينقضوا (٩) فى ظ : يتدمرون (١٠) فى ظ : الابرا - كذا . (١١) من الإنجيل، وفى الأصل وظ : ابوه (١٢) فى ظ : يظهر .

و صنع من تفله طينا و طلى به عيني ذلك الأعمى و قال له: امض و اغتسل في عين سيلوخا[1] التي تأويلها[2] المبعوثة[3]، فمضى و غسلهما فعاد ينظر، فأما جيرانه و الذين كانوا يرونه يتسول فقالوا: ليس هو هذا الذي كان يجلس و يتسول، و آخرون قالوا: [4]إنه هو، و آخرون قالوا[4]: إنه يشبهه، فأما هو فكان يقول: [إني –[5]] أنا هو، فقالوا له: كيف انفتحت عيناك؟ ٥ فقص عليهم القصة[2]، فقالوا: أين هو ذاك؟ فقال: ما أدري، فأتوا به إلى الفريسيين، لأن يسوع صنع الطين يوم السبت، فسأله الفريسيون [4]فأخبرهم، فقال قوم منهم: ليس هذا الرجل من الله إذ لا يحفظ السبت، و آخرون[4] قالوا: كيف يقدر رجل خاطئ أن يعمل هذه الآيات! فوقع بينهم لذلك شقاق، فقالوا للأعمى: ما تقول أنت من أجله؟ قال لهم: إنه[6] ١٠ نبي، و لم يصدق اليهود أنه كان أعمى حتى دعوا أبويه و سألوهما، فقالا[7]: نحن نعلم أن هذا ولدنا و أنه وُلدَ أعمى، و[7] وقعت بين الأعمى و بينهم محاورة، كان آخر ما[8] قالوا له[8]: أنت ولدت بالخطايا و أنت تعلمنا! و أخرجوه. و قال متى: و اجتاز[9] يسوع هناك فرأى إنسانا جالسا على التعشير اسمه متى فقال له[2]: اتبعني، [10]فترك كل شيء[10] [11]و قام[11] و تبعه. ١٥ [و قال لوقا: و بعد هذا خرج فنظر إلى عشار اسمه لاوي جالسا على المكس،

---

(١) في ظ: سلوحا (٢) سقط من ظ (٣) من نص الإنجيل، وفي الأصل وظ: المتعوبة (٤–٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ (٦) في ظ: اني. (٧) في ظ: فقالوا (٨–٨) في ظ: قالوه (٩) في ظ: اختار (١٠–١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و الإنجيل (١١–١١) في ظ و الإنجيل: فقام.

فقال له : اتبعني، فترك كل شيء و قام و تبعه - [1]] ، و صنع له لاوى فى بيته وليمة عظيمة ، و كان جمع كثير[2] من العشارين و [3] آخرين متكئين[3] معه .
و قال مرقس: ثم خرج إلى شاطئ[5] البحر و اجتمع إليه جمع كبير[4] و علمهم ، و عند مضيه رأى [لاوى - [1]] ابن[7] حلفى[5] جالسا على العشارين [6] فقال
٥ له[6]: اتبعني، فقام و تبعه ، و بينما[7] هو متكئ فى بيته - و قال متى : و بينما[8] هو متكئ فى [9] بيت سمعان[9] - جاء عشارون[10] [11] و خطأة كثيرون[11] ، فاتكأوا مع يسوع و تلاميذه ، فلما نظر الفريسيون [11] قالوا لتلاميذه[11] : لماذا معلمكم يأكل مع العشارين و الخطأة[12] ؟ فلما سمع يسوع قال لهم : الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب ، لكن ذوو الأسقام ، اذهبوا فاعلموا ما هو ، إنى
١٠ أريد رحمة لا ذبيحة ، لم آت لأدعو الصديقين لكن الخطأة[12] للتوبة . و قال لوقا : و طلب إليه واحد من الفريسيين أن يأكل معه ، فدخل بيت ذلك الفريسي و جلس ، و كان فى تلك المدينة امرأة خاطئة ، فلما علمت أنه متكئ فى بيت ذلك الفريسي أخذت قارورة طيب و وقفت[13] من ورائه عند رجليه باكية ، و بدأت[14] تبل قدميه بدموعها و تمسحها بشعر رأسها ،

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣ - ٣) فى الأصل : آخرين متكئون ، و فى ظ : آخرون مسلون - كذا (٤) فى ظ : كثير (٥) من الإنجيل ، و فى الأصل : خلفا ، و فى ظ : حلقا - كذا (٦ - ٦) فى ظ : فقالوا (٧) فى ظ : بينهما (٨) فى ظ : فيما .
(٩ - ٩) فى إنجيل متى : البيت - فقط (١٠) من ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : مشاون - كذا (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٢) فى ظ : الخطأ .
(١٣) فى ظ : قعدت (١٤) فى ظ : بدت .

و كانت

و كانت تقبل قدميه و تدهنهما[١] بالطيب، فلما رأى ذلك الفريسى الذى دعاه فكر فى نفسه قائلا : لو كان هذا نبيا علم ما هذه و أنها خاطئة[٢]، فأجاب يسوع و قال له : يا سمعان! غريمان عليهما لإنسان[٣] دين، على أحدهما خمسمائة [٤]دينار و على[٤] الآخر خمسون، و ليس[٥] لهما ما يوفيان فوهب لهما، / فأيهما أكثر حبًا له؟ فقال : أظن الذى وهب له الأكثر، فقال له : بالحق حكمت ؛ ثم التفت إلى المرأة و قال : [يا -[٦]] سمعان! دخلت بيتك فلم تسكب على رجلى ماء و هذه بلت رجلى بالدموع و مسحتهما بشعر رأسها، أنت [لم -[٦]] تقبلنى و هذه منذ دخلت لم تكف[٧] عن تقبيل قدمى، أنت لم تدهن رأسى بزيت و هذه دهنت بالطيب قدمى، لأجل ذلك أقول لك : إن خطاياها مغفورة لها، لأنها أحبت[٨] كثيرا، ثم قال لها : اذهبى بسلام! إيمانك[٩] خلصك ؛ و كان بعد ذلك يسير إلى كل مدينة و يكرز و يبشر بملكوت الله و[١٠] معه الاثنا عشر[١١] و نسوة كن أبرأهن من الأمراض و الأرواح الخبيثة : مريم التى تدعى المجدلانية التى أخرج منها سبعة شياطين، و يونا امرأة خوزى خازن هيرودس[١٢]، و أخر كثيرات . و قال متى : حينئذ جاء إليه تلاميذ[١٣] يوحنا قائلين : لماذا نحن و الفريسيون نصوم كثيرا و تلاميذك

/ ٧٠

٥

١٠

١٥

---

(١) فى ظ : يدهنهما (٢) فى ظ : خطيئة (٣) فى ظ : الانسان (٤ - ٤) فى ظ «و». (٥) فى ظ : لم يكن (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : فلم تكف (٨) من ظ، و فى الأصل : اجب (٩) فى ظ : ابائك (١٠) زيد بعده فى ظ : من (١١) من الإنجيل، و فى الأصل و ظ : الاثنى عشر (١٢) زيد بعده فى الإنجيل : و سوسنة (١٣) من الإنجيل، و فى الأصل و ظ : تلاميذه .

لا يصومون؟ فقال لهم يسوع: [1] لا يستطيع بنو العرس [2] أن ينوحوا ما دام العريس معهم، و ستأتي أيام إذا ارتفع العريس عنهم حينئذ يصومون؛ ليس أحد يأخذ خرقة جديدة يجعلها في [3] ثوب بال، لأنها تأخذ [3] ملأها من الثوب فيصير [4] الخرق أكبر، و قال مرقس: إنه لا يرقع [5] إنسان ثوبا باليا بخرقة ٥ جديدة إلا مد الجديد البالي فيخرقه؛ و قال متى: و لا تُجعلُ خمر جديدة في زقاق عتق [3] فتنشق الزقاق و تهلك و تهراق [6] الخمر، لكن تجعل خمر [7] جديدة في زقاق جدد فيتحفظان جميعا؛ و [3] قال لوقا: و ما من أحد يشرب قديما فيحب [8] الجديد للوقت لأنه يقول: إن القديم أطيب . و قال متى: و فيما هو يكلمهم [9] إذا رئيس قد جاء إليه ساجدا قائلا: إن ابنتي ماتت [3] الآن، تأتي فتضع ١٠ يدك عليها فتحيي [3]! فقام يسوع و تبعه تلاميذه، فاذا [10] امرأة بها نزيف دم منذ اثنتي عشرة [11] سنة؛ قال مرقس: أعيت من الأطباء، أنفقت كل مالها، لم تجد راحة بل تزداد وجعا، فلما سمعت بيسوع - قال متى: جاءت من خلفه و مست طرف ثوبه - فالتفت يسوع فرآها فقال لها: ثقي [12] يا ابنة! إيمانك خلصك، فبرئت المرأة من [13] تلك الساعة، و جاء يسوع إلى ١٥ بيت الرئيس؛ [و - [14]] قال مرقس: و لم يدع أحدا يتبعه إلا [15] بطرس

(١) زيدت الواو بعده في ظ (٢) من الإنجيل، و في الأصل و ظ: العريس.
(٣) سقط من ظ (٤) في ظ: فتصير (٥) في ظ: لا يرق (٦) في ظ: تراق (٧) من ظ: وفي الأصل: خمرة (٨) في ظ: سمحت - كذا (٩) زيدت الواو بعده في الأصل وظ: ولم تكن في الإنجيل فحذفناها (١٠) في ظ: و اذا (١١) من الإنجيل، و في الأصل: اثنى عشر، و في ظ: اثنى عشرة (١٢) في ظ: بقي (١٣) في ظ: في (١٤) زيدت الواو من ظ (١٥) تكرر في الأصل.

و يعقوب و يوحنا أخا يعقوب - انتهى . فنظر إلى الجمع مضطربين، فقال لهم: اخرجوا، لم تمت الجارية لكنها نائمة، فضحكوا منه، فلما خرج الجمع دخل و أمسك يدها[1] فقامت الجارية؛ و قال مرقس: و أخرج جميعهم و أخذ معه أبا الصبية و أمها و الذين معه، ثم دخل إلى الموضع الذى فيه الصبية موضوعة، و أخذ يدها و قال لها: طليثا[2]! قومى، الذى ٥ تأويله: يا صبيـــة! لك أقول: قومى، فللوقت قامت الصبية و مشت، و كان لها[3] اثنتا عشرة[3] سنة، فبهتوا و عجبوا عجبا عظيما، فأمرهم كثيرا أن لا يُعْلِموا أحدا بهذا، و قال: أطعموهـا تأكل؛ و قال متى: و خرج خبرها[4] فى جميع تلك الأرض .

و لما كان التقدير: آتيناه ذلك لينتهى[5] أهل التوراة عما نسخه منها، ١٠ عطف عليه قوله: ﴿ و ليحكم ﴾ فى قراءة[6] حمزة بكسر اللام و النصب، و التقدير على قول الجماعة بالإسكان/ و الجمع و الجزم: فلينته أهل[6] التوراة / ٧١ عما نسخ منها و ليحكم ﴿ اهل الانجيل ﴾ و هم أتباع عيسى عليه السلام ﴿ بمآ انزل الله ﴾ أى الواحد الأحد الذى له جميع صفات الكمال ﴿ فيه ﴾ من الدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه و سلم و من غير ذلك مما أودعناه ١٥ إياه من الأحكام و المواعظ الجسام .

و لما كان التقدير: فمن انتهى فأولئك هم المسلمون، و من حكم بما

---

(١) فى ظ: بيدها (٢) من الإنجيل، و فى الأصل: طليبي، و فى ظ: طلبني - كذا .
(٣ - ٣) فى ظ: اثنى عشر (٤) فى ظ: خبرهما (٥) فى ظ: لتنتهى (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أنزل الله فيه فأولئك هم المفلحون ، عطف عليه قوله : ﴿ و من لم يحكم بمآ انزل الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا أمر لأحد معه، فله كل شىء و ليس لأحد معه شىء ، و كل شىء إليه مفتقر ، و لا افتقار له إلى شىء فيه أو فى غيره؛ و هو غير منسوخ، تدينا بتركه أو [1]لشهوة دعت[1] ﴿ فاولّـئك ﴾ أى
٥ البعداء عن كل خير البغضاء ﴿ هم الفسقون ٥ ﴾ [أى - [2]] المختصون بكمال الفسق ، فان كان تدينا كان كفرا ، و إن كان لاتباع الشهوات كان مجرد معصية ، لأن الحظوظ و الشهوات تحمل على الخروج عن[3] دائرة الشرع مرة بعد أخرى ، فمن ترك الحكم تكذيبا فقد جمع الدركات الثلاث: ستر[4] الدلائل فتنقل[5] من درجة النور إلى دركة الظلام ، فانكب
١٠ فى مهواة الخروج من المحاسن . فانحط إلى أقبح المساوى؛ و التعبير بالوصف المؤذن بالعراقة فى مأخذ الاشتقاق معلم بأن المراد بكلّ واحد منها الكفر ، لحقق أن المراد منه الشرعى لا مطلق الستر غاية التحقيق ، فبين بوصفه بالظلم أنه ستر لما ينبغى إظهاره ، و بالفسق أنه بلغ فى كونه فى غير موضعه النهاية حتى خرق جميع دائرة المأذون فيه فخرج منها ، و هذا[6] إشارة إلى
١٥ ذنوب أهل الإنجيل لينتج نقض دعواهم البنوة و المحبة ، لأن المعنى : و من الواضح بكتابك الذى جعل مهيمنا على جميع الكتب أنهم خالفوا أحكامه[7] فهم فاسقون ، أى خارجون عما من شأنه الاستقرار فيه لنفعه . فواقعون فى الظلمة الموجبة لوضع الشىء فى غير موضعه المقتضية للتغطية و الستر ، وقدم الوصف بالكفر لأن السياق لمن حرف الكلم عن[8] موضعه ، و غير

(١-١) فى ظ : الشهوة (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : من (٤) فى ظ : ثم (٥) فى ظ : فسقط (٦) فى ظ : هذه (٧) فى ظ : لا حكامه (٨) من ظ ، و فى الأصل : من .

ما

ما كتب من محكم أحكام التوراة من الحدود، و ذلك هو التغطية التى هى معنى الكفر، لأنه من الظلام، كما أن الفسق سبب الظلم لأنه الخروج عما من شأنه النفع، فكان الآخر أولاً فى المعنى و الأول نهاية فى الحقيقة، و الآية دالة على أن فيه أحكاما، و كذا قوله تعالى فى آل عمران "و لاحل لكم بعض الذى حرم عليكم[1]" و هذا هو الحق، [2]و أعظم[2] ٥ ما غيّر تحريم السبت الذى كان أعظم شعائرهم فأحله، و غيّر أيضا غير ذلك من أحكامهم؛ قال فيما رأيته من[3] ترجمة إنجيل متى: سمعتم ما قيل للأولين: لا تقتل[4]، فان من قتل[5] وجبت عليه لائمة الجماعة، و من قال لأخيه: أحمق، فقد وجبت عليه نار جهنم، إن أنت قدمت قربانك على المذبح و ذكرت[6] هناك أن أخاك واجد عليك فدع قربانك هناك قدام ١٠ المذبح، و امض أولا و صالح أخاك، و حينئذ فائت و قدم قربانك[7]، كن متفهما[8] من خصمك سريعا ما دمت معه فى الطريق، لئلا يسلمك الخصم إلى الحاكم، و الحاكم إلى المستخرج و تلقى فى السجن؛ و فى إنجيل لوقا: إذا رأيتم سحابة تطلع من المغرب قلتم: إن المطر يأتى؛ فيكون كذلك، و اذا هبت ريح الجنوب قلتم: سيكون حر، يا مراؤن[10]! تحسنون تمييز وجه السماء و الأرض ١٥ و هذا الزمان كيف "لاتميزونه"، و لا تحكمون بالصدق من قبل نفوسكم!

(١) آية ٥ (٢ - ٢) من ظ، و فى الأصل: فاعظم (٣) من ظ، و فى الأصل: فى (٤) فى ظ: لا يقبل (٥) فى ظ: قبل (٦) فى ظ: ذكر (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و الإنجيل لحذفناها (٨) من ظ، و فى الأصل: متفمما - كذا (٩) فى ظ: ذهبت (١٠) من الإنجيل، و فى الأصل و ظ: مروان. (١١ - ١١) من الإنجيل، و فى الأصل: تميزونه، و فى ظ: يميزونه.

لأنك إذا ذهبت مع خصمك إلى الرئيس فأعطه ما يجب[1] عليك فى
/٧٢ الطريق تتخلص / منه، لئلا يذهب بك إلى الحاكم فيدفعك الحاكم إلى
المستخرج و يلقيك المستخرج فى السجن؛ و قال متى: الحق الحق أقول
لك! إنك لا تخرج من هناك حتى تودى آخر فلس عليك، سمعتم ما قيل
٥ للأولين: لا تزن[2]، و أنا أقول لكم: إن كل من نظر إلى امرأة
[و - [3]] اشتهاها فقد زنى بها فى قلبه، إن شككتك عينك اليمنى فاقلعها
و ألقها، لأنه خير لك أن تهلك أحد[4] أعضائك و لا تلقى جسدك
كله فى جهنم، [5]قيل: إن من طلق امرأته فيدفع لها[6] كتاب الطلاق، و أنا
أقول لكم: إن من طلق [امرأته - [7]] من غير كلمة زنا فقد جعلها
١٠ زانية، و من تزوج مطلقة فقد زنى، و أيضا سمعتم ما قيل للأولين:
لا تحنث فى يمينك، و أوف للرب قسمك، و أنا أقول لكم: لا تحلفوا
البتة لا بالسماء فانها[8] كرسى الله، و لا[9] بالأرض لأنها موطئ[10] قدميه،
و لا بيروشليم فانها مدينة[11] الملك[12] العظيم، و لا برأسك لأنك لا تقدر تصنع
شعرة بيضاء أو سوداء، و لتكن كلمتكم: نعم نعم و لا[13] لا، و ما زاد على ذلك
١٥ فهو من الشر، سمعتم ما قيل: العين بالعين و السن بالسن، و أنا أقول لكم:
لا تقاوموا الشر، و لكن من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر،

---

(١) فى ظ: تجب (٢) فى ظ: لا يزن (٣) زيدت الواو من ظ (٤) فى ظ: واحد من (٥) زيدت الواو فى الإنجيل (٦) فى ظ: له (٧) زيد من ظ و الإنجيل (٨) من ظ، وفى الأصل: فانى (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ: توطى (١١) فى ظ: تدمنه - كذا (١٢) من ظ و الإنجيل، وفى الأصل: للاعظم - كذا (١٣) زيدت الواو فى ظ.

و من أراد خصومتك و أخذ ثوبك فدع له رداءك، و من سخّرك ميلا فامض معه اثنين؛ قال لوقا: و كل من سألك فأعطه، و من أراد أن يقترض منك فلا ترده، و لا تطلب من الذى يأخذ مالك، و كما تحبون أن يصنع الناس بكم كذلك فاصنعوا أنتم بهم؛ و قال متى: سمعتم ما قيل[1]: أحبب قريبك و أبغض عدوك، و أنا أقول لكم: حبوا أعداءكم و باركوا ٥ لاعنيكم، و أحسنوا إلى من أبغضكم - و قال لوقا: يبغضكم - و صلوا [على - [2]] من يطردكم و يحزنكم، لكيما تكونوا بنى أبيكم الذى فى السماوات، لأنه المشرق شمسه على الأخيار و الأشرار، و الممطر[3] على الصديقين و الظالمين، و إذا أحببتم من يحبكم فأى أجر لكم! أليس العشارون[4] يفعلون مثل ذلك! و إن سلمتم على إخوتكم فقط فأى فضل عملتم! أليس كذلك[5] يفعل العشارون! ١٠ و قال لوقا: إن كنتم إنما تحبون[6] من يحبكم فأى أجر لكم! إن الخطأة يحبون من يحبهم، و إن صنعتم الخير مع من يحسن إليكم فأىّ فضل لكم! إن الخطأة هكذا يصنعون، و إن كنتم إنما تقرضون من تظنون أنكم تأخذون العوض منه فأى فضل لكم! إن[7] الخطأة أيضا يقرضون الخطأة [7] لكى يأخذوا منهم العوض، لكن حبوا أعداءكم و أحسنوا إليهم، و كونوا رحماء ١٥ مثل أبيكم فهو رؤوف؛ و قال متى: كونوا أنتم كاملين مثل أبيكم السمائى فهو كامل . ثم قال فى الفصل الثالث و الثلاثين[8]: و فى ذلك الزمان

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : المطر (٤) فى ظ : العاشرون (٥) فى ظ : ذلك (٦) فى ظ : يحمعون - كذا (٧ - ٧) فى ظ : لكن تاخذوا (٨) فى ظ : الثانى، و أما فيما عندنا من الأناجيل فهنا الفصل الثانى عشر .

م يسوع فى سبت بالزروع و جاع تلاميذه ، فبدأوا[1] يفركون سنبلا و يأكلون - و فى لوقا : كان تلاميذه يقطعون السنبل و يفركون بأيديهم و يأكلون - فلما أبصرهم الفريسيون قالوا له : ها هو ذا تلاميذك يعملون ما لا يحل فى السبت - و فى لوقا: لما ذا تفعلون ما لا يحل أن يفعل فى
٥ السبوت - فقال [لهم -[2]]: أما قرأتم ما صنع داود[3] لما جاع هو و الذين معه ! كيف دخل إلى بيت الله و أكل خبز التقدمة[4] الذى لا يحل أكله إلا للكهنة ! قال مرقس: و أعطى الذين كانوا معه ، ثم قال لهم: السبت من أجل الإنسان كان[5] و لم يخلق الإنسان من أجل السبت ؛ قال متى: أو[6] ما[7] قرأتم فى الناموس أن الكهنة فى السبت فى الهيكل ينجسون السبت
١٠ و ليس عليهم جناح ! و[8] أقول لكم: إن ههنا[9] أعظم من الهيكل لو كنتم تعلمون ما هو مكتوب ، إنى أريد الرحمة لا[10] الذبيحة ، لِمَ تحكمون على من لا ذنب له ! و قال لوقا: و دخل بيت[8] أحد الرؤساء/الفريسيين فى يوم[8] سبت /٧٣ ليأكل خبزا و هم كانوا يرصدونه[11] فاذا إنسان به استسقاء ، فقال يسوع للكهنة و الفريسيين : هل يحل أن يبرأ[12] فى السبت ؟ فسكتوا فأخذه و أبرأه
١٥ ثم قال لهم: من منكم يقع ابنه فى بئر يوم السبت و لا يصعده فى الوقت؟ فلم يقدروا أن يجيبوه عن هذا ؛ ثم قال متى: فجاء [13]الفريسيون ليجربوه[13]

(١) فى ظ : فبدا (٢) زيد من ظ و الإنجيل (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) فى ظ : اليقدمه (٥) فى ظ : كانه (٦) من ظ ، و فى الأصل « و » (٧) فى ظ : فاما . (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : هنا (١٠) فى ظ : الا (١١) فى ظ : يرضونه . (١٢) فى ظ : يبروا (١٣ - ١٣) فى ظ : الفريسين ليحزنوه - كذا .

قائلين

قائلين: هل يحل[١] للانسان أن يطلق امرأته لأجل [كل -[٢]] كلمة؟ أجاب: [٣]أما قرأتم[٣] أن الذى خلق فى البدء خلقهما ذكرا و أنثى، من أجل ذلك يترك الإنسان أباه و أمه و يلصق بامرأته، و يكونان كلاهما جسدا واحدا، و ليس هما اثنين لكن جسد واحد، و ما زوجه الله لا يفرقه الإنسان - و قال مرقس: لا يقدر إنسان يفرقه - قالوا له: لما ذا أمر موسى ٥ أن يعطى[٤] كتاب الطلاق و تخلى[٥]؟ قال لهم: موسى من أجل قسوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم - و فى مرقس[١]: إنهم[٦] سألوه فقال[٧] لهم: بما ذا[٨] أوصاكم موسى[١]؟ قالوا[٧]: أمر أن يكتب كتاب الطلاق و تخلى[٩]، قال لهم يسوع: من أجل قسوة قلوبكم كتب لكم[١] موسى هذه الوصية، من البدء لم يكن هكذا، و أقول لكم: من طلق امرأته من غير[١٠] زنا ١٠ فقد ألجأها إلى الزنا، و من تزوج مطلقة فقد زنى؛ و فى إنجيل مرقس: و فى البيت أيضا سأله التلاميذ عن هذا فقال لهم: من طلق امرأته و تزوج أخرى فقد زنى عليها، و إن هى خلت زوجها و تزوجت آخر فهى زانية؛ و فى لوقا: كل من يطلق امرأته و يتزوج أخرى فهو يزنى، و كل من تزوج مطلقة من زوجها فهو يزنى؛ قال متى: فقال له التلاميذ: إن ١٥ كان هكذا علة الرجل مع امرأته فخير[١١] له أن لا يتزوج، فقال لهم: ما كل أحد يستطيع هذا الكلام إلا الذين قد أعطوا، الآن خصيان ولدوا

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) تأخر فى ظ عن « ان الذى » (٤) من ظ و الإنجيل، و فى الأصل: تعطى (٥) فى ظ: يحل (٦) زيد بعده فى الأصل: لما، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) فى ظ: قال (٨) من ظ، و فى الأصل: بما (٩) فى ظ: محلى - كذا (١٠) فى ظ: اجل (١١) فى ظ: فهو خير.

من بطون أمهاتهم، و خصيان أخصام[1] الناس، و خصيان أخصوا نفوسهم من أجل ملكوت السماوات، و من استطاع أن يحتمل فليحتمل .

و لما[2] ذكر سبحانه الكتابين، ذكر ختامهما[3] و تمامهما، و هو ما أنزل إلى هذا النبي الأمي من الفرقان الشاهد على جميع الكتب التي قبله، ٥ فقال تعالى: ﴿ و انزلنآ ﴾ أي بعظمتنا ﴿ اليك ﴾ أي خاصة ﴿الكتب﴾ أي الكامل في جمعه[4] لكل ما يطلب منه و هو القرآن ﴿ بالحق ﴾ أي الكامل الذي لا يحتاج إلى شيء يتمه، ثم مدحه بمدح الأنبياء الذين تقدموه[5] فقال: ﴿ مصدقا لما بين يديه ﴾ أي تقدمه[6] .

و لما كانت الكتب السماوية من شدة تصادقها كالشيء الواحد، ١٠ عبر بالمفرد لإفادته ما يفيد الجمع و زيادة دلالة[7] على ذلك فقال: ﴿من الكتب﴾ أي الذي جاء به الأنبياء من قبل ﴿و مهيمنا ﴾ أي شاهدا حفيظا مصدقا و أمينا رقيبا ﴿ عليه ﴾ أي على كل كتاب تقدمه - كما قاله البخاري في أول الفضائل من الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، و في هذه الصفة[7] بشارة لحفظه سبحانه لكتابنا حتى لا يزال بصفة الشهادة، فان الله ١٥ تعالى استحفظهم[8] كتبهم فعجزوا عنها، فحرفها محرفوهم [9]و أسقطوا منها[9] و أسقط مسرفوهم، فتكفل هو سبحانه بحفظ كتابنا فكان قيما عليها، فما كان فيها موافقا [له - [10]] فهو حق، و ما كان فيها مخالفا فهو إما[7] منسوخ

(١) في ظ : احصاهم (٢) في ظ : لمن (٣) في ظ : ختامهم (٤) في ظ : جميعه .
(٥) في ظ : تقدموا (٦) في ظ : يقدمه (٧) سقط من ظ (٨) في ظ : سيحفظهم .
(٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) زيد من ظ .

أو مبدل فلا يعتبر، بل يحكم بما فى كتابنا لأنه ناسخ لجميع الكتب، و الآتى به مرسل إلى جميع العالمين، / فملته ناسخة لجميع الملل، فأنتج هذا /٧٤ وجوب الحكم بما فيه على[1] المؤالف و المخالف بشرطه[2]؛ فلذا قال مسببا عما قبله: ﴿ فاحكم بينهم ﴾ أى بين جميع أهل الكتب، فغيرهم من باب الأولى ﴿ بمآ انزل الله ﴾ أى [3]الملك الذى له الأمر كله[3] إليك فى هذا ٥ الكتاب[4] الناسخ لكتبهم المهيمن عليها فى إثبات ما أسقطوه منها من أمرهم باتباعك و نحو ذلك من أوصافك ﴿ و لا تتبع اهوآءهم ﴾ فيما خالفه منحرفين ﴿ عما جآءك ﴾ و بينه بقوله: ﴿ من الحق ﴾.

و لما كان كل من كتابيهم[5] من عند الله، كان كأنه قيل: كيف يكون الحكم بكتابهم الذى يصدقه كتابنا انحرافا عن الحق؟ علل ذلك ١٠ دالا على النسخ بقوله: ﴿ لكل ﴾ أى لكل واحد ﴿ جعلنا ﴾ أى بعظمتنا التى نفعل بها[4] ما نشاء من نسخ و غيره، ثم خصص الإبهام بقوله: ﴿ منكم ﴾ أى[4] يا أهل الكتب ﴿ شرعة ﴾ أى دينا [موصلا - [6]] إلى الحياة الأبدية، كما أن الشرعة موصلة إلى الماء الذى به الحياة الدنيوية ﴿ و منهاجا ﴾ أى طريقا واضحا مستنيرا ناسخا لما قبله، وقد جعلنا شرعتك ١٥ ناسخة لجميع الشرائع، و هذا و أمثاله - مما يدل على أن كل متشرع[7] مختص بشرع و غير متعبد بشرع من قبله - محمول على الفروع، و ما دل

(١) فى ظ: عن (٢) من ظ، و فى الأصل: فشرطه (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: كتابهم - كذا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: مشرع.

على[1] الاجتماع كأنه شرع لكم من الدين محمول على الأصول
﴿ولو شآء الله﴾ أى الملك الأعظم المالك[2] المطلق الذى له التصرف التام
و الأمر الشامل العام أن يجمعكم على شيء واحد ﴿لجعلكم امة﴾ أى
جماعة متفقة يؤم بعضها بعضا ، و حقق المراد بقوله : ﴿واحدة﴾ أى على
٥ دين واحد ، و لم يجعل شيئا من الكتب ناسخا لشيء[3] من الشرائع ، لأن
الكل بمشيئته ، و لا مشيئة[4] لأحد سواه إلا بمشيئته ﴿ولكن﴾ لم يشأ ذلك ،
بل شاء أن تكونوا على شرائع مختلفة ﴿ليبلوكم﴾ أى ليعاملكم معاملة
المبتلى المختبر ﴿فيمآ أتىكم﴾ أى أعطاكم و قسم بينكم من الشرائع المختلفة
ليبرز[5] إلى الوجود ما تعملون[6] فى ذلك من اتباع و إذعان اعتقادا أن ذلك
١٠ مقتضى الحكمة الإلٰهية ؛ فترجعون عنه إذا قامت البراهين بالمعجزات على
صدق ناسخه ، و نهضت الأدلة البينات على صحة دعواه بعد طول الإلف
له و إخلاد النفوس إليه و استحكامه بمرور الأعصار و تقلب الأدوار ؛
أو زيغ و ميل اتهاما و تجويزا كما فعل أول المتكبرين إبليس ، فتؤثرون
الركون إليه و العكوف عليه لمتابعة الهوى و الوقوف عند مجرد الشهوة .
١٥ و لما كان فى الاختبار أعظم تهديد ، سبب عنه قوله :
﴿فاستبقوا الخيرٰت﴾ أى افعلوا فى المبادرة إليها بغاية الجهد فعل من يسابق
شخصا يخشى العار بسبقه له ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿الى الله﴾ أى الشارع
لذلك ، لا إلى غيره ، لأنه الملك الأعلى ﴿مرجعكم جميعا﴾ و إن اختلفت

---

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : الملك (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : سعه ـ كذا (٥) فى ظ : ليبر ـ كذا (٦) فى ظ : يعلمون .

شرائعكم

شرائعكم، حسا فى القيامة، و معنى فى جميع أموركم فى الدارين ﴿ فينبئكم ﴾ أى يخبركم إخبارا[1] عظيما ﴿ بما كنتم ﴾ أى بحسب اختلاف[2] الجبلات؛ و لما كان فى تقديم الظرف إبهام، [و - [3]] كان الإفهام بعد الإبهام أوقع فى النفس، قال ﴿ فيه تختلفون ﴾ أى تجددون الخلاف مستمرين عليه، و يعطى كلاما يستحقه، و يظهر سر الاختلاف و فائدة ٥ الوفاق[4] و الائتلاف.

و لما كان الأمر بالحكم فيما مضى لكونه مسببا عما قبله من إنزال الكتاب على الأحوال المذكورة، أعاد الأمر به[2] سبحانه مصرحا بذلك لذاته لا لشيء آخر، ليكون الأمر به[2] مؤكدا غاية / التأكيد بالأمر به ٧٥ / مرتين: مرة لأن الله أمر به، و أخرى لأنه على وفق الحكمة، فقال ١٠ تأكيدا له و تنويها بعظيم شأنه و تحذرا من الأعداء فيما يلقونه[5] من الشبه للصد عنه: ﴿ و ان ﴾ أى احكم بينهم بذلك لما قلنا من السبب[6] و ما ذكرنا من[7] العلة فى جعلنا لكل دينا، و لأنا قلنا آمرين لك أن ﴿ احكم بينهم ﴾ أى أهل الكتب و غيرهم ﴿ بمآ انزل الله ﴾ أى المختص بصفات الكمال، لأنه يستحق أن يتبع أمره لذاته، و بين أن مخالفتهم له و إعراضهم عنه ١٥ إنما هو مجرد هوى، لأن كتابهم داع إليه، فقال: ﴿ و لا تتبع اهوآءهم ﴾ أى فى عدم التقيد[8] به ﴿ و احذرهم ان يفتنوك ﴾ أى يخالطوك بكذبهم

---

(١) من ظ، و فى الأصل: خبرا (٢) سقط من ظ (٣) زيدت الواو لتستقيم العبارة (٤) زيد بعده فى الأصل: و الاختلاف، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها. (٥) من ظ، و فى الأصل: يتبعونه (٦) فى ظ: السبت (٧) فى ظ: فى (٨) فى ظ: التقييد.

على الله و افترائهم و تحريفهم الكلم و مراءاتهم مخالطة تمليك ﴿ عن بعض مآ انزل الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه ، فلا وجه أصلا للعدول عن أمره ﴿ اليك ط فان تولوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم الإعراض عما حكمت به بينهم مضادين لما دعت إليه الفطرة الأولى من اتباع الحق و دعت ٥ إليه كتبهم من اتباعك ﴿ فاعلم انما يريد الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ ان يصيبهم ﴾ لأنه لو أراد بهم الخير لهداهم إلى القبول الذى يطابق عليه شاهد العقل بما تدعو إليه الفطرة الأولى و النقل بما فى كتبهم ، إما من الأمر بذلك الحكم بعينه ، و إما من الأمر باتباعك ﴿ ببعض ذنوبهم ط ﴾ أى التى هذا منها ، و أبهمه زيادة فى استدراجهم و إضلالهم و تحذيرا لهم ١٠ من جميع مساوى أعمالهم ، لئلا يعلموا عين الذنب الذى أصيبوا به ، فيحملهم ذلك على الرجوع عنه ، و يصير ذلك كالإلجاء ، أو يكون إبهامه للتعظيم كما أن التنكير يفيد التعظيم ، فيؤذن السياق بتعظيم هذا التولى[1] و بكثرة ذنوبهم و اجترائهم على مواقعتها .

و لما كان التقدير: فانهم بالتولى فاسقون ، عطف عليه : ﴿ و ان كثيرا ١٥ من الناس ﴾ أى هم و غيرهم ﴿ لفسقون ۝ ﴾ أى خارجون[2] عن دائرة الطاعات و معادن السعادات ، متكلفون لأنفسهم إظهار ما فى بواطنهم من خفى الحيلة بقوة ؛ و لما كان من المعلوم أن من أعرض عن حكم الله أقبل و لا بد على حكم الشيطان الذى هو عين الهوى الذى هو دين أهل الجهل الذين لا كتاب لهم هاد و لا شرع ضابط ، سبب عن إعراضهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : التوالى (٢) فى ظ : خارجين .

الإنكار عليهم بقوله: ﴿ الحكم الجاهلية ﴾ أى خاصة مع أن أحكامها لا يرضى بها عاقل، لكونها لم يدع إليها كتاب، بل إنما هى مجرد أهواء و هم أهل كتاب ﴿ يبغون ﴾ أى يريدون باعراضهم عن حكمك مع ما دعا إليه كتابهم من اتباعك[1]، و شهد به[2] كتابك بالعجز عن معارضته من وجوب رسالتك إلى جميع الخلائق، و قراءة[3] ابن عامر بالالتفات إلى ٥ الخطاب أدل[4] على الغضب[5].

و لما كان حسن الحكم تابعا لإتقانه، وكان إتقانه دائرا على صفات الكمال من تمام العلم و شمول القدرة و غير ذلك، قال - معلما أن حكمه أحسن الحكم [6]عاطفا على ما تقديره[6]: فمن أضل منهم -: ﴿ و من ﴾ و يجوز أن تكون الجملة حالا من واو[7] يبغون، أى[7] يريدون ذلك و الحال أنه يقال[8]: من[2] ١٠ ﴿ احسن من الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ﴿ حكما ﴾ ثم زاد فى تقريعهم بكثافة الطباع و جمود الأذهان و وقوف الأفهام بقوله معبرا بلام البيان إشارة إلى[9] المعنى بهذا الخطاب: ﴿ لقوم ﴾ أى فيهم نهضة و قوة محاولة لما يريدونه ﴿ يوقنون ع ﴾ / أى يوجد منهم اليقين يوما ما[2] / ٧٦ و أما غيرهم فليس بأهل للخطاب فكيف بالعتاب! إنما عتابه شديد ١٥ العقاب، و فى ذلك أيضا غاية التبكيت لهم و التقبيح عليهم من حيث أنهم لم يزالوا يصفون أهل الجاهلية بالضلال، و أن دينهم لم ينزل الله به

---

(١) من ظ، و فى الأصل: ادعايك (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: قرا (٤) من ظ، و فى الأصل: دل (٥) فى ظ: العطب (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ: او (٨) فى ظ: نقاد - كذا (٩) زيد بعده فى ظ: ان.

من سلطان، و قد عدلوا فى [هذه - [1]] الأحكام إليه تاركين جميع ما أنزل[2] الله من كتابهم و الكتاب الناسخ له، فقد ارتكبوا الضلال بلا شبهة على علم، و تركوا الحق المجمع عليه.

و لما بين عنادهم و أن عداوتهم لأهل هذا الدين التى[3] حملتهم على ٥ هذا الأمر العظيم ليس بعدها عداوة، نهى من اتسم بالإيمان عن موالاتهم، لأنه[4] لا يفعلها بعد هذا البيان مؤمن و لا عاقل، فقال: ﴿يٰأيها الذين ءامنوا﴾ أى أقروا بالإيمان؛ و لما كان الإنسان لا يوالى غير قومه إلا باجتهاد فى مقدمات[5] يعملها و أشياء يتحبب بها إلى أولئك الذين يريد[6] أن يواليهم، أشار إلى ذلك بصيغة الافتعال فقال: ﴿لا تتخذوا﴾ أى ١٠ إن ذلك لوكان يتأتى بسهولة لما كان ينبغى لكم أن تفعلوه، فكيف وهو لا يكون إلا ببذل الجهد! ﴿اليهود و النصٰرى أوليآء﴾ أى أقرباء تفعلون معهم ما يفعل القريب مع قريبه، و ترجون منهم مثل ذلك، و هم أكثر الناس استخفافا بكم و ازدراء لكم؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿بعضهم أوليآء بعض ط﴾ أى كل فريق منهم يوالى بعضهم بعضا، ١٥ و هم جميعا متفقون - بجامع[7] الكفر و إن اختلفوا فى الدين - على عداوتكم يا أهل[8] هذا الدين الحنيفى! ﴿و من يتولهم منكم﴾ أى يعالج فطرته الأولى حتى يعاملهم معاملة الأقرباء ﴿فانه منهم ط﴾ لأن الله غنى عن العالمين، فمن والى أعداءه تبرأ منه و وكله إليهم؛ ثم علل ذلك

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.
(٣) فى ظ: الذى (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: مقدماته (٦) فى ظ: يريدون.
(٧) فى ظ: بمجامع (٨) فى ظ: هل.

تزهيدا

[١]تزهيدا فيهم و ترهيبا[١] لمتوليهم بقوله : ﴿ان الله﴾ أى الذى له الغنى المطلق و الحكمة البالغة ، وكان الأصل : لا يهديهم ، أو لا يهديه ، و لكنه أظهر تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال : ﴿ لا يهدى القوم الظّٰلمين ﴾ أى الذين يضعون الأشياء فى غير مواضعها ، فهم يمشون فى الظلام ، فلذلك اختاروا غير دين الله و والوا من لا تصلح موالاته ، و من لم يرد الله ٥ هدايته لم يقدر أحد أن يهديه ، و نفى الهداية عنهم دليل على أن العبرة فى الإيمان القلب ، إذ معناه أن هذا الذى يظهر من الإقرار[٢] ممن يواليهم ليس بشىء ، لأن[٣] الموالى لهم[٣] ظالم بموالاته لهم ، و الظالم لا يهديه الله ، [٤]فالموالى لهم لا يهديه الله[٤] فهو كافر ، و هكذا كل[٣] من كان يقول أو يفعل ما يدل[٥] دلالة ظاهرة على كفره و إن كان يصرح[٦] بالإيمان - و الله ١٠ الهادى ، و هذا تغليظ من الله و تشديد فى وجوب مجانبة المخالف فى الدين و اعتزاله - كما قال صلى الله عليه و سلم « [٧]لا تراآى ناراهما[٧] » ، و منه[٣] قول عمر لأبى موسى رضى الله عنهما حين اتخذ كاتبا نصرانيا : لا تكرموهم إذ أهانهم الله ، و لا تأمنوهم إذ خونهم الله ، و لا تدنوهم إذ أقصاهم الله[٣] ، و روى أن أبا موسى رضى الله عنه[٨] قال : لا قوام للبصرة إلا به ، ١٥

(١-١) فى ظ : ترهيبا فيهم و ترغيبا (٢) من ظ ، و فى الأصل : قرار (٣) سقط من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : دل ، وزيد بعده فى الأصل: على ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) من ظ ، و فى الأصل : يقرح . (٧-٧) فى ظ : لا ترى نارهما - كذا ، و الرواية مذكورة فى سنن أبى داود - الجهاد ، و سنن النسائى - القسامة (٨) فى ظ : عنهم .

فقال عمر رضى الله عنه : مات النصرانى - و السلام ، يعنى هب أنه مات فما كنت صانعا حينئذ فاصنعه الساعة .

و لما علل بذلك ، كان سببا لتميز الخالص الصحيح من المغشوش المريض ، فقال : ﴿فترى﴾ أى[1] فتسبب عن أن الله لا يهدى متوليهم أنك ترى ﴿الذين فى قلوبهم مرض﴾ أى فساد / فى الدين كابن أبى و أصحابه - أخزاهم الله تعالى ﴿يسارعون﴾ أى [2]بسبب الاعتماد عليهم دون الله[2] ﴿فيهم﴾ أى فى موالاة أهل الكتاب حتى [2]يكونوا من شدة ملابستهم كأنهم مظروفون لهم[2] كأن هذا الكلام الناهى لهم كان إغراء، و يعتلون[3] بما لا يعتل به إلا مريض الدين من النظر إلى مجرد السبب فى النصرة عند خشية الدائرة ﴿يقولون﴾ أى قائلين اعتمادا عليهم و هم أعداء الله إعتذارا عن موالاتهم ﴿نخشىٓ﴾ أى نخاف خوفا بالغا ﴿ان تصيبنا دآئرة[4]﴾ أى مصيبة محيطة[4] بنا، و الدوائر : التى تخشى[5]، و الدوائل : التى ترجى .

و لما نصب سبحانه هذا الدليل الذى يعرف الخالص من المغشوش، كان فعلهم هذا للخالص[6] سببا فى ترجى أمر من عند الله ينصر به دينه، إما الفتح أو غيره مما أحاط به علمه و كوّنته[7] قدرته يكون سببا [8]لندمهم، فلذا[8] قال : ﴿فعسى الله﴾ أى الذى لا أعظم منه فلا يطلب النصر إلا منه ﴿ان ياتى بالفتح﴾ أى باظهار[9] الدين على الأعداء ﴿او امر من عنده﴾

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : يعلنون (٤) فى ظ : تحيط (٥) فى ظ : يخشى (٦) فى ظ : الخالص (٧) فى ظ : لو يته (٨-٨) فى الأصل : الذمهم فلذا، و فى ظ : لسديهم فكذا - كذا (٩) فى ظ : اظهار .

بأخذهم قتلا بأيديكم أو بإخراج اليهود من أرض العرب أو بغير ذلك فينكشف لهم الغطاء .

و لما كانت المصية عند الإصباح أعظم، عبر به و إن كان المراد التعميم [فقال : -[1]] ﴿ فيصبحوا ﴾ أى فيسبب[2] عن كشف غطائهم أن يصبحوا ، و الأحسن فى نصبه ما ذكره[3] أبو طالب العبدي فى شرح ٥ الإيضاح للفارسى من أنه جواب "عسى" إلحاقا لها بالتمنى لكونها للطمع و هو قريب منه ، و يحسنه أن الفتح[4] و ندامتهم المترتبة عليه عندهم من قبيل المحال، فيكون النصب إشارة إلى ما يخفون من ذلك، و هو مثل ما يأتى إن شاء الله تعالى في توجيه قراءة حفص عن عاصم فى غافر "فاطلع[5]" - بالنصب ﴿ على مآ اسروا ﴾ . ١٠

و لما كان الإسرار لا يكون إلا لما يخشى من إظهاره فساد ، و كان يطلق على ما دار بين جماعة [خاصة -[1]] على وجه الكتمان عن غيرهم ، بين أنه أدق[6] من ذلك و أنه على الحقيقة مَنَعَهم خوفهم من غائلته[7] و غرته عندهم أن يبرزوه إلى الخارج فقال : ﴿ فيٓ انفسهم ﴾ أى من تجويز محو هذا الدين و إظهار غيره عليه ﴿ نٰدمين ﴾ أى ثابت لهم ١٥ غاية الندم فى الصباح و غيره ﴿ و يقول الذين اٰمنوآ ﴾ من[8] رفعه عطفه على[8] معنى "نٰدمين[9]" فان أصله : يندمون ، ولكنه عبر بالاسم إعلاما بدوام ندمهم

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : فتسبب (٣) فى ظ : ذكر (٤) فى ظ : بالفتح .
(٥) آية ٣٧ (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : غائلته - كذا (٨-٨) من ظ ، و فى الأصل : عطف عليه (٩) فى ظ : النادمين .

بشارة بدوام الظهور لهذا الدين[1] على كل دين، أو على " يقولون نخشى"، و من أسقط الواو جعله حالا، و من نصبه جاز أن يعطفه على " يصبحوا " أى يكون ذلك سببا لتحقق المؤمنين أمر المنافقين بالمسارعة فى أهل الكتاب عند قيامهم سرورا بهم و الندم عند خذلانهم و محقهم،

٥ فيقول بعض المؤمنين لبعض تعجبا من حالهم و اغتباطا بما منّ الله عليهم به من التوفيق فى الإخلاص مشيرين إلى المنافقين تنبيها و إنكارا: ﴿ أهؤلاء ﴾ أى الحقيرون ﴿ الذين اقسموا بالله ﴾ أى و هو الملك الأعظم ﴿ جهد ايمانهم لا ﴾ أى مبالغين فى ذلك اجتراء على عظمته ﴿ انهم لمعكم ط ﴾ أيها المؤمنون! و يجوز أن يكون هذا القول من المؤمنين لليهود فى

١٠ حق المنافقين [2] حيث قاسموهم [2] على النصرة؛ ثم ابتدأ جوابا من بقية كلام المؤمنين أو من كلام الله لمن كأنه قال: / فما ذا يكون حالهم؟ /٧٨ فقال: ﴿ حبطت ﴾ أى[3] فسدت فسقطت ﴿ اعمالهم فاصبحوا ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنهم صاروا ﴿ خسرين ۝ ﴾ أى دائمى الخسارة بتعبهم فى الدنيا بالأعمال و خيبة الآمال، و جنايتهم فى الآخرة الوبال، و عبر

١٥ بالإصباح لأنه لا أقبح من مصابحة السوء لما فى ذلك من البغتة[4] بخلاف ما ينتظر و يؤمل.

و لما نهى[5] عن موالاتهم و أخبر أن فاعلها منهم، نفى المجاز مصرحا بالمقصود فقال مظهرا لنتيجة ما سبق: ﴿ يايها الذين امنوا ﴾

---

(١) من ظ، و فى الأصل: الداعى (٢ - ٢) فى ظ: بحيث سموهم - كذا.
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: البعث (٥) فى ظ: انهى.

أى

أى أقروا بالإيمان ! من يوالهم[1] منكم - هكذا كان الأصل ، و لكنه صرح [2]بأن ذلك[2] ترك الدين فقال: ﴿ من يرتد ﴾ و لو على وجه خفى - بما أشار إليه الإدغام فى قراءة من سوى المدنيين و ابن عامر ﴿منكم عن دينه﴾ أى[3] الذى معناه موالاة أولياء الله و معاداة[4] أعداء الله ، فيوالون أعداءه و يتركون أولياءه ، فيبغضهم الله و يبغضونه ، و يكونون أعزة على ٥ المؤمنين أذلة على الكافرين ، فالله غنى عنهم ﴿ فسوف يأتى الله ﴾ أى الذى له الغنى المطلق و العظمة البالغة مكانهم و إن طال المدى بوعد صادق لا خلف فيه ﴿ بقوم[5] ﴾ أى[3] يكون حالهم ضد حالهم ، يثبتون على دينهم[6] ، و هم أبو بكر و التابعون له باحسان - رضى الله عنهم .

[7]و لما كانت محبته أصل كل سعادة قدمها فقال: ﴿يحبهم﴾ فيثبتهم ١٠ عليه و يثيبهم بكرمه أحسن الثواب ﴿و يحبونه[5] ﴾ فيثبتون عليه، ثم وصفهم بما يبين ذلك فقال : ﴿ اذلة ﴾ و هو جمع ذليل[7] ؛ و لما كان ذلهم هذا إنما هو الرفق و لين الجانب لا الهوان ، كان فى الحقيقة عزا ، فأشار[8] إليه بحرف الاستعلاء مضمنا له معنى الشفقة ، فقال [7]مبينا أن تواضعهم عن علو منصب و شرف[7]: ﴿ على[9] المؤمنين ﴾ أى لعلمهم أن الله يحبهم ١٥ ﴿اعزة على الكفرين ﴾ أى يظهرون[10] الغلظة و الشدة عليهم لعلمهم أن الله خاذلهم و مهلكهم و إن اشتد أمرهم و ظهر علوهم و قهرهم ، فالآية

(١) من ظ ، و فى الأصل : يواليهم (٢ - ٢) فى ظ : بذلك (٣) سقط من ظ . (٤) فى ظ : معادة (٥) زيد بعده فى ظ : يحبهم و يحبونه (٦) من ظ ، و فى الأصل : دينه (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : اشار (٩) زيد قبله فى ظ : اذلة (١٠) من ظ ، و فى الأصل : يظهر كل - كذا.

من الاحتباك: حذف أولا البغض و ما يثمره لدلالة الحب عليه، و حذف ثانيا الثبات لدلالة الردة عليه؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ يجاهدون ﴾ أى يوقعون الجهاد على الاستمرار لمن يستحقه من غير ملال و لا تكلف كالمنافقين، و حذف المفعول تعميما و دل عليه مؤذنا بأن الطاعة محيطة ٥ بهم فقال: ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى طريق الملك الأعظم الواسع المستقيم الواضح، لا لشىء غير ذلك كالمنافقين.

و لما كان المنافقون يخرجون فى الجهاد[1]، فصلهم منهم بقوله: ﴿ و لا ﴾ أى و الحال أنهم لا ﴿ يخافون لومة ﴾ أى واحدة من لوم ﴿ لآئم ﴾ و إن كانت عظيمة وكان هو عظيما، فبسبب[2] ذلك هم صلاب ١٠ فى دينهم، إذا شرعوا فى أمر من أمور الدين[3] - أمر بمعروف أو نهى عن منكر - كانوا كالمسامير[4] المحماة، لا يروعهم قول قائل و لا اعتراض معترض، و يفعلون فى الجهاد فى [5]ذلك جميع[5] ما تصل[6] قدرتهم و تبلغ قوتهم إليه من إنكال[7] الأعداء و إهانتهم و مناصرة الأولياء و معاضدتهم، و ليسوا كالمنافقين يخافون لومة[8] أوليائهم من اليهود فلا يفعلون و إن كانوا مع[9] ١٥ المؤمنين شيئا ينكيهم.

و لما كانت هذه الأوصاف من العلو فى رتب المدح بمكان لا يلحق، قال مشيرا إليها / بأداة البعد و اسم المذكر: ﴿ ذلك ﴾ أى الذى تقدم من /٧٩

(١) زيد بعده فى ظ: به (٢) فى ظ: فسبب (٣) فى ظ: النهى (٤) فى ظ: كالمنامير.
(٥-٥) من ظ، و فى الأصل: جميع ذلك (٦) فى ظ: يصل (٧) فى ظ: انكا.
(٨) فى ظ: لوم (٩) فى ظ: من.

أوصافهم العالية ﴿ فضل الله ﴾ أى الحاوى لكل كمال ﴿ يؤتيه ﴾ أى الله لأنه خالق لجميع أفعال العباد ﴿ من يشآء ﴾ أى فليبذل الإنسان كل الجهد فى طاعته لينظر إليه [هذا النظر - [1]] برحمته ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ واسع ﴾ أى محيط بجميع أوصاف الكمال، فهو يعطى من سعة ليس لها حد ولا يلحقها أصلا نقص[2] ﴿ عليم ﴾ أى ٥ بالغ العلم بمن يستحق الخير ومن يستوجب غيره، وبكل ما يمكن علمه[3].

ولما نفى سبحانه ولايتهم بمعنى المحبة [4] وبمعنى النصرة[4] وبمعنى القرب بكل اعتبار، أنتج ذلك حصر ولاية كل من يدعى الإيمان فيه وفى أوليائه فقال : ﴿ انما وليكم الله ﴾ أى لأنه القادر[5] على ما يلزم الولى، ولا يقدر غيره على شىء من ذلك إلا به سبحانه؛ ولما ذكر الحقيق ١٠ باخلاص الولاية له معلما بافراد المبتدإ أنه[6] الأصل فى [ذلك -[1]] وما عداه تبع، أتبعه من تعرف[7] ولايته سبحانه بولايتهم بادئا بأحقهم فقال : ﴿ ورسوله ﴾ وأضافه إليه إظهارا لرفعته ﴿ والذين ءامنوا ﴾ أى أوجدوا الإيمان وأقروا به، ثم وصفهم بما يصدق دعواهم الإيمان فقال : ﴿ الذين يقيمون الصلوٰة ﴾ أى تمكينا لوصلتهم بالخالق ﴿ ويؤتون الزكوٰة ﴾ ١٥ إحسانا إلى الخلائق، وقوله : ﴿ وهم ركعون ﴾ يمكن أن يكون معطوفا على "يقيمون" أى [8] ويكونون[8] من أهل الركوع، فيكون فضلا مخصصا

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : بعض (٣) فى ظ : حكمه (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : قادر (٦) من ظ، وفى الأصل : لانه (٧) فى ظ : يعرف. (٨-٨) فى ظ : يكون.

[1] بالمؤمنين المسلمين[1] ، و ذلك لأن[2] اليهود و النصارى لا ركوع فى صلاتهم - كما يمضي بيانه فى آل عمران ، و يمكن أن يكون حالا من فاعل الإيتاء؛ و فى أسباب النزول أنها نزلت فى على رضي الله عنه ، سأله سائل و هو راكع فطرح له خاتمه . و جمع و إن كان السبب واحدا ترغيبا فى ٥ مثل فعله من فعل الخير و التعجيل به لئلا يظن أن ذلك خاص به .

و لما كان التقدير : فمن يتول غيرهم فأولئك حزب الشيطان ، و حزب الشيطان هم الخاسرون ، عطف عليه : ﴿و من يتول الله﴾ أى يجتهد فى ولاية الذى له مجامع العز ﴿و رسوله﴾ الذى خلقه القرآن ﴿و الذين امنوا﴾ و أعاد[3] ذكر من خص الولاية بهم تبركا بأسمائهم ١٠ و تصريحا بالمقصود ، فانهم الغالبون[4] - هكذا كان الأصل ، و لكنه أظهر ما شرفهم به ترغيبا لهم فى ولايته فقال : ﴿فان حزب الله﴾ أى القوم الذين[5] يجمعهم على ما يرضى الملك الأعلى ما حزبهم أى اشتد عليهم فيه ﴿هم الغلبون ع﴾ أى لا غيرهم ، بل غيرهم مغلوبون ، ثم إلى النار محشورون ، لأنهم حزب الشيطان .

١٥ و لما نبه سبحانه على العلل المانعة من ولاية الكفار و حصر الولاية فيه سبحانه ، أنتج ذلك قطعا قوله منبها على علل أخرى موجبا للبراءة منهم : ﴿يايها الذين امنوا﴾ أى أقروا بالإيمان ، و نبه بصيغة الافتعال على أن من

(١ - ١) فى ظ : بالمسلمين (٢) فى ظ : ان (٣) فى ظ : عاد (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) فى ظ : الذى .

يوالهم[1] يجاهد عقله على ذلك اتباعا لهواه فقال: ﴿ لا تتخذوا الذين اتخذوا ﴾ أي بغاية الجد و الاجتهاد منهم ﴿ دينكم ﴾ أي الذي شرفكم الله به ﴿ هزوا و لعبا ﴾ ثم بين المنهى عن موالاتهم بقوله: ﴿ من الذين ﴾ .

[و لما كان المقصود بهم منح العلم ، و هو كاف من غير حاجة إلى تعيين المؤتى ، بنى للجهول قوله -[2]] : ﴿ اوتوا الكتب ﴾ [3]و لما كان تطاول ٥ الزمان له تأثير فيما عليه الإنسان من طاعة أو عصيان[3] ، [و -[2]] كان الإيتاء المذكور لم يستغرق [4]زمان القبل[4] قال: ﴿ من قبلكم ﴾ يعني أنهم فعلوا الهزو عنادا بعد تحققهم صحة الدين .

و لما خص عم فقال: ﴿ و الكفار ﴾ أي / [من -[2]] عبدة الأوثان الذين لا علم لهم نُقِلَ عن الأنبياء ، و إنما ستروا ما وضح لعقولهم ١٠ من الأدلة فكانوا ضالين ، و كذا غيرهم ، سواء علم أنهم يستهزؤن أو لا ، كما أرشدت إليه [غير -[2]] قراءة البصريين و الكسائي بالنصب ﴿ اوليآء ج ﴾ أي فان الفريقين اجتمعوا على حسدكم و ازدرائكم ، فلا تصح لكم موالاتهم أصلا .

و لما كان المستحق لموالاة[5] شخص - إذا تركه و والى غيره - يسعى ١٥ في إهانته ، حذرهم وقوعهم بموالاتهم[6] على ضد[7] مقصودهم فقال :

---

(١) من ظ ، و في الأصل: يواليهم (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) من ظ ، و في الأصل: الزمان القليل .

(٥) في ظ: لمولاة (٦) زيد بعده في ظ: تركهم (٧) سقط من ظ .

﴿[1] و اتقوا الله ﴾ من له الإحاطة الكاملة ، فان من والى غيره عاداه ، و من عاداه هلك هلا كا لا يضار معه ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ أى راسخين فى الإيمان بحيث صار لكم جبلة و طبعا . فان لم تخافوه بأن تتركوا ما نهاكم عنه فلا إيمان .

٥ و لما عم فى بيان استهزائهم جميع الدين ، خص روحه و خالصته و سره فقال[1] : ﴿ و اذا ناديتم ﴾ أى دعا بعضكم الباقين إلى الإقبال إلى الندى و هو المجتمع ، فأجابه الباقون بغاية الرغبة ، و منه دار[2] الندوة ، أو يكون المعنى أن[3] المؤذن كلم[3] المسلمين برفع صوته كلام من هو معهم[4] فى الندى بالقول فأجابوه بالفعل، فكان ذلك مناداة ـ هذا أصله ،

١٠ فعبر بالغاية التى يكون الاجتماع بها[5] فقال مضمنا له الانتهاء : ﴿ الى الصلوٰة ﴾ [أى ـ[6]] التى هى أعظم دعائم الدين ، و موصل إلى الملك العظيم ، و عاصم[7] بحبله المتين[7] ﴿ اتخذوها ﴾ على ما لها من العظمة و الجد و البعد من الهزء بغاية هممهم[8] و عزائمهم ﴿ هزوا و لعبا ﴾ فيتعمدون[9] الضحك و السخرية و يقولون : صاحوا كصياح العير ـ و نحو هذا ، و بين

١٥ سبحانه أن سبب ذلك عدم انتفاعهم بعقولهم فكأنهم[3] لا عقول لهم ، و ذلك لأن تأملها ـ فى التطهر لها و حسن حال فاعلها عند التلبس بها من التخلى[10] عن الدنيا جملة و الإقبال على الحضرة الإلهية ، و التحلى[11]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : د (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) من ظ . و فى الاصل : لها (٦) زيد من ظ . (٧-٧) فى ظ : تبه المتن ـ كذا (٨) فى ظ : عملهم (٩) فى ظ : فيعتمدون . (١٠) من ظ . و فى الأصل : المصلى (١١) فى ظ : بالتحلى .

بالقراءة[١] لأعظم الكلام، والتخشع والتخضع لملك الملوك الذى لم تخف[٢] عظمتُه على أحد، ولا نازع قط فى كبريائه وقدرته منازع - بمجرده كافٍ فى اعتقاد حسنها وجلالها وهيبتها وكمالها فقال: ﴿ ذالك ﴾ أى الأمر العظيم الشناعة ﴿ بانهم قوم ﴾ وإن كانوا أقوياء لهم قدرة على القيام فى الأمور ﴿ لا يعقلون ه ﴾ أى ليست لهم هذه الحقيقة، ٥ ولو كان لهم شىء من عقل لعلموا أن النداء بالفم أحسن من التبويق[٣] وضرب الناقوس بشىء لا يقاس، وأن التذلل بين يدى الله بالصلاة أمر لا شىء أحسن منه بوجه، وللأذان من الأسرار ما تعجز عنه الأفكار، منه أنه جعل تسع عشرة كلمة، ليكف الله به عن قائله خزنة النار التسعة عشر[٤]، وجعلت الإقامة إحدى عشرة كلمة رجاء أن يكون ١٠ معتقدها رفيقا لأحد عشر: العشرة المشهود لهم بالجنة. وقطبهم وقطب الوجود كله النبي صلى الله عليه وسلم، وناهيك أن من أسراره أنه جمع الدين كله أصولا وفروعا - كما بينت ذلك فى كتابى «الإيذان بفتح أسرار التشهد والأذان».

ولما كانت النفوس نزاعة إلى الهوى، عمية عن المصالح، جامحة[٥] ١٥ عن الدواء بما وقفت عنده من النظر إلى [زينة - ٦] الحياة الدنيا، وكان الدليل على سلب العقل عن أهل الكتاب دليلا على العرب بطريق الأولى، وكان أهل الكتاب لكونهم أهل علم لا ينهض بمحاجتهم

---

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) فى ظ: لم يخف (٣) من ظ، أى النفخ فى البوق، وفى الأصل: الصوين - كذا (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: جامحه - كذا.
(٦) زيد من ظ.

إلا[1] الأفراد من خلص العباد ، قال تعالى دالاً على ما ختم به الآية من عدم عقلهم آمرا لأعظم خلقه بتبكيتهم[2] و توبيخهم و تقريعهم: ﴿ قل ﴾ و أنزلهم بمحل البعد فقال مبكتا لهم بكون العلم لم يمنعهم / عن الباطل: ﴿ يٰاهل الكتٰب ﴾ أى من اليهود و النصارى ﴿ هل تنقمون ﴾ أى تنكرون و تكرهون و تعيبون ﴿ منآ الآ ان اٰمنا ﴾ أى أوجدنا الإيمان[3] ﴿ بالله ﴾ أى لما له من صفات الكمال التى ملأت الأقطار و جاوزت حد الإكثار ﴿ و مآ انزل الينا ﴾ أى لما له من الإعجاز فى حالات الإطناب و التوسط و الإيجاز ﴿ و مآ انزل ﴾

و لما كان إنزال الكتب و الصحف لم يستغرق زمان المضى، أثبت الجار فقال: ﴿ من قبل ﴾ [أى - [4]] لما شهد له كتابنا، و هذه الأشياء التى آمنا بها لا يحيد فيها عاقل ، لما لها من الأدلة التى وضوحها يفوق الشمس ، فحسنها لا شك فيه و لا لبس ﴿ و ان ﴾ أى آمنا كلنا مع أن [أو و - [4]] الحال أن ﴿ اكثركم ﴾ قيد به إخراجا لمن يؤمن منهم بما دل عليه التعبير بالوصف ﴿ فٰسقون ﴾ أى عريقون[5] فى الفسق ، و هو الخروج عن دار السعادة بحيث لا يمكن منهم رجوع إلى المرضى من العبادة ، فبين أنهم لا ينقمون من المؤمنين إلا المخالفة[6] ، و المخالفة إنما هى بإيمان المسلمين بالله و ما أمر به ، و كفر أهل الكتاب بجميع ذلك مع علمهم بما تقدم لهم أن من آمن [بالله - [4]] كان الله معه ،

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تبكيتهم (٣) فى ظ : لايمان (٤) زيد من ظ .
(٥) فى ظ : غريقون (٦) فى ظ : المخالفين .

فنصره على كل[1] من يناويه، و جعل مآله إلى الفوز الدائم، و أن من كفر تبرأ منه فأهلكه فى الدنيا، و جعل مآله إلى عذاب لا ينقضى[2] سعيره، و لا ينصرم أنينه و زفيره، و من ركب ما[3] يؤديه إلى ذلك على علم منه و اختيار لم يكن أصلا أحد أضل منه و لا أعدم عقلا، و تخصيص النقم بما صدر من المؤمنين يمنع عطف " و ان" على " ان[1] امنا " . ٥

و لما أنزلهم[4] سبحانه إلى عداد البهائم بكونهم[5] ينسبونهم إلى الشر، بجعلهم إياهم موضع الهزء و اللعب[6] و بكونهم ينظرون إلى أى من خالفهم، فيبعدون منه و ينفرون عنه من غير أن يستعملوا ما امتازوا به عن[7] البهائم فى أن المخالف ربما كان فيه الدواء، و المكروه قد يؤول إلى الشفاء، و المحبوب[8] يجر إلى العطب و التوى، بين لهم أن تلك رتبة سنية و منزلة ١٠ علية بالنسبة إلى ما هم فيه، فقال على سبيل التنزل و إرخاء العنان: ﴿ قل ﴾ أى يا من لا ينهض بمحاجتهم لعلمهم و لددهم غيره لما جبلت[9] عليه من قوة الفهم ثم لما أنزل عليك[10] من العلم ﴿ هل انبئكم ﴾ أى أخبركم إخبارا متقنا معظما جليلا[11] ﴿ بشر من ذلك ﴾ أى الأمر الذى نقمتموه علينا مع كونه قيما و إن تعاميتم [عنه - [12]]، و وحد حرف الخطاب إشارة ١٥ إلى عمى قلوبهم و أن هذه المقايسة لا يفهمها[13] حق الفهم إلا المؤيد بروح

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: لا تنقضى (٣) فى ظ: بما (٤) من ظ، وفى الأصل: الزمهم (٥) فى ظ: لكونه (٦) من ظ، وفى الأصل: العجب. (٧) من ظ، وفى الأصل: من (٨) فى ظ: الجنون (٩) من ظ، وفى الأصل: دالت - كذا (١٠) فى ظ: أليك (١١) فى ظ: جليا (١٢) زيد من ظ (١٣) فى ظ: لا يقيمها.

من الله ﴿ مثوبة ﴾ أي جزاء صالحا يرجع إليه، فان المثوبة للخير كما أن العقوبة للشر، و هي مصدر ميمي كالميسور و المعقول؛ ثم نوه بشرفه بقوله : ﴿ عند الله[4] ﴾ أي المحيط بصفات الجلال و الإكرام، ثم رده أسفل سافلين بيانا لأنه استعارة تهكمية[1] على طريق : تحية[2] بينهم ضرب ٥ وجيع. بقوله - جوابا لمن كأنه قال : نعم - : ﴿ من[3] ﴾ أي مثوبة من ﴿ لعنه الله ﴾ أي أبعده [الملك الأعظم - [4]] و طرده ﴿ و غضب عليه ﴾ أي أهلكه، و دل على اللعن و الغضب بأمر محسوس فقال : ﴿ و جعل ﴾ و دل على كثرة الملعونين بجمع الضمير فقال : ﴿ منهم ﴾ أي بالمسخ على معاصيهم ﴿ القردة ﴾ تارة ﴿ و الخنازير ﴾ أخرى، ١٠ و التعريف للجنس، و قال ابن قتيبة : إن التعريف يفيد ظن أنهم لم ينقرضوا بل توالدوا حتى كان منهم أعيان ما تعرفه من النوعين، فما أبعد من كان منهم هذا من أن يكونوا أبناء الله و أحباءه! ثم عطف - على قراءة الجماعة - [على - [4]] قوله " لعنه الله[3] " سبب ذلك بعد أن قدم المسبب اهتماما به لصراحته[5] في[3] المقصود، مع ان اللعن و الغضب سبب حقيقي، ١٥ و العبادة سبب ظاهري، / فقال : ﴿ و عبد الطاغوت[4] ﴾ و قرأه حمزة بضم ٨٢ / الباء على أنه جمع، و الإضافة عطف على القردة، فهو - كما قال في القاموس - اللات و العزى و الكاهن و الشيطان و كل رأس ضلال و الأصنام و كل ما عبد من دون الله و مردة أهل الكتاب، للواحد و الجمع، فلعوت[6] من :

(١) في ظ : تهكيمية (٢) في ظ : من (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ .
(٥) زيدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في ظ فحذفناها (٦) من القاموس، وفي الأصل و ظ : فعاوت، وفي اللسان : وأصل وزن طاغوت طغيوت على=

طغوت[1]، و كل هذه المعانى تصلح ههنا. أما اللات و العزى و غيرهما مما لم يعبدوه صريحا فلتحسينهم[2] دين أهله حسدا للاسلام[3]، و قد عبدوا الأوثان فى كل زمان حتى فى زمان موسى عليه السلام كما فى[4] نص التوراة: ثم بالغوا فى النجوم لاستعمال السحر فشاركوا الصابئين فى ذلك . فمعنى الآية: تنزلنا إلى أن نسبتكم لنا إلى الشر [5]صحيحة، و[5] لكن لم يأت كتاب بلعننا ٥ و لا بالغضب علينا و لا مسخنا قردة و لا خنازير، و لا عبدنا غير الله منذ أقبلنا عليه، و أنتم قد وقع بكم جميع[4] ذلك، لا تقدرون أن تتبرؤا من شيء منه، فلا يشك عاقل أنكم شر منا و أضل، و العاقل من إذا [6]دار أمره[6] بين شرين لم يختر إلا أقلهما شرا، فثبت كالشمس صحة دعوى أنهم قوم لا يعقلون، و لذلك ختم الآية بقوله: ﴿ اولٓـئك ﴾ أى البعداء البغضاء ١٠ الموصوفون باللعن و ما معه ﴿شر مكانا ﴾ و إذا كان ذلك لمكانهم فما ظنك بأنفسهم، فهو كناية عن نسبتهم إلى العراقة فى الشر ﴿ و اضل ﴾ أى ممن نسبوهم إلى الشر و الضلال، و سلم لهم ذلك فيهم[7] إرخاء للعنان قصدا للابلاغ فى البيان ﴿ عن سوآء ﴾ أى قصد و عدل ﴿ السبيل ۝ ﴾ أى الطريق، و يجوز أن تكون الإشارة فى ذلك إلى ما دل عليه الدليل الأول ١٥ من عدم عقلهم و لا تنزل حينئذ، و إنما[8] قلت: إنهم لا يقدرون على إنكار شيء

=فعلوت، ثم قدمت الياء قبل الغين محافظة على بقائها فصار طيغوت و وزنه فلعوت .

(١) من القاموس، و فى الأصل: طغوا، و فى ظ: صعود - كذا (٢) من ظ، و فى الأصل: فلتحسين (٣) من ظ، و فى الأصل: لاسلام (٤) سقط من ظ .

(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦-٦) فى ظ: او امرة (٧) فى ظ: فهم .

(٨) فى ظ: لما .

من ذلك ، لأن فى نص التوراة التى بين أظهرهم فى السفر الخامس : فالرب يقول لكم و يأمركم أن تكونوا له شعبا حبيبا ، و تحفظوا[1] جميع وصاياه و تعملوا بها ، فانه يرفعكم فوق جميع الشعوب ، و إذا جزتم الأردن انصبوا الحجارة التى آمركم بها اليوم على جبل[2] عبل[3] وكلسوها بالكلس ، و ابنوا هناك مذبحا من حجارة لم يقع عليها حديد ، و لكن ابنوا الحجارة كاملة لم تقطع ، و قربوا / عليها ذبائح كاملة أمام الله ربكم ، و كلوا هناك و افرحوا أمام الله ربكم ، و اكتبوا على تلك الحجارة جميع آيات هذه السنة . ثم عين موسى رجالا يقومون على جبل إذا جازوا[4] الأردن و يهتفون بصوت عال و يقولون لبنى إسرائيل : ملعونا يكون الذى[5] يتخذ أصناما مسبوكة و أوثانا منحوتة أمام الرب . و الشعب كلهم يقولون : آمين ! ملعونا يكون من ينقل حد صاحبه و يظلمه فى أرضه ، و يقول الشعب كلهم : آمين ! ملعونا يكون من يضل الأعمى عن الطريق[6] و يقول الشعب كلهم : آمين ! [6]ملعونا يكون من يحيف على المسكين و اليتيم و الأرملة فى القضاء ، و يقول الشعب كلهم : آمين[6] - إلى أن قال : ملعونا يكون[7] كل من لا يثبت على عهد آيات هذه التوراة و يعمل بها ، و يقول الشعب[2] كلهم : آمين ! ثم قال : و إن أنتم لم تسمعوا قول الله ربكم و لم تحفظوا[8] و لم تعملوا بجميع سننه و وصاياه التى آمركم بها اليوم ، ينزل بكم هذا اللعن الذى أقص

٨٢ /

٥ ، ١٠ ، ١٥

(١) من ظ ، و فى الأصل : تحفظون (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : حبل ، و فى التوراة : عيبال ، و هو قريب مما أثبتناه من ظ (٤) فى ظ : جاوزوا (٥) فى ظ : التى (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ : يقول من - كذا (٨) فى الأصل و ظ : لا تحفظوا - كذا .

عليكم

عليكم كله و يدركم العقاب ، و تكونوا ملعونين فى القرية ، ملعونين[1] فى الحرب ، و يلعن / نسلكم و ثمار أرضكم ، و تكونون ملعونين إذا دخلتم و ملعونين إذا خرجتم ، ينزل بكم الرب البلاء و الحشرات ، و ينزل بكم الضربات الشديدة ، و بكل شيء تمدون أيديكم إليه لتعملوه حتى يهلككم و يتلفكم صريعا من أجل سوء أعمالكم و ترككم لعبادتى[2] ، و يسلط عليكم ٥ هذه الشعوب حتى تهلكوا ، و[3] تكون السماء التى فوقكم عليكم [4]شبه النحاس ، و الأرض تحتكم[4] شبه الحديد ، و يكسركم الرب بين يدى أعدائكم ، تخرجون إليهم فى طريق واحدة و تهربون فى سبعة طرق ، و تكونون مثلا و قرعا لجميع مملكات الأرض ، و [5]تكون جيفكم مأكلا[5] لجميع السباع و طيور السماء و لا يذب أحد عنكم ، تكونون[6] مقهورين مظلومين مغصوبين ١٠ كل أيام[7] حياتكم ، يسبى بنيك و بناتك شعب آخر و تنظر[8] إليهم و لا تقدر لهم على خلاص ، و تكون[6] مضطهدا مظلوما طول عمرك يسوقك الرب ، و يسوق[9] ملكك الذى ملكه عليك إلى شعب لم يعرفه أبوك ، و تعبد هناك آلهة أخرى عملت من خشب و حجارة ، و تكون مثلا و عجبا ، و يفكر فيك كل من يسمع خبرك فى جميع الشعوب التى يقركم الله فيها ، تزرع[10] ١٥ كثيرا و تحصد قليلا ، و يتعظم عليك سكانك و يصيرون فوقك ، هذا اللعن

/ ٨٣

(١) فى ظ : مغلوبين (٢) فى ظ : لعبادى (٣) من ظ ، و فى الأصل : او .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) فى ظ : يكون جيلكم كاملا - كذا .
(٦) فى ظ : يكونون (٧) زيدت الواو بعده فى ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : تنتظر (٩) من ظ ، و فى الأصل : يسوقك (١٠) فى ظ : يزرع .

كله يلزمك و ينزل بك و يدركك حتى تهلك ، لأنك لم تقبل قول الله
ربك ، ولم تحفظ سننه و وصاياه التى أمرك بها ، و تظهر فيك آيات
و عجائب و فى نسلك إلى الأبد ، لأنك لم تعبد الله ربك و لم تعمل بوصاياه ،
و يصير أعداؤك دق الحديد على عنقك ، و يسلط الله عليك شعبا يأتيك و أنت
٥ جائع ظمآن عريان فقير ، قد أعوزك كل شيء يحتاج إليه ، و تخدم[1] أعداءك ،
و يسرع إليك مثل طيران النسر شعب لا تعرف نعتهم ، شعب وجوههم
صفيقة[2] ، لا تستحيي من الشيوخ و لا ترحم الصبيان ، و يضيق عليك فى جميع
قراك حتى يظفر[3] بسوراتك المشيدة التى تتوكل[4] عليها و تثق بها فى كل أرضك ،
و تضطر حتى تأكل لحم ولدك ، و الرجل المدلل منكم المفنق[5] تنظر عيناه
١٠ إلى أخيه و خليله و إلى من بقى من ولده جائعا ، لا يعطيهم من لحم[6] ابنه
الذى يأكله[7] لأنه لا يبقى عنده شيء من الاضطهاد[8] و الضيق الذى يضيق
عليك عدوك ، و إن لم تحفظ و تعمل بجميع الوصايا و السنن التى كتبت فى
هذا الكتاب و تتقى الله ربك و تهب[9] اسمه[10] المحمود المرهوب يخصك[11]
الرب بضربات موجعة ، و يبتليك بها و يبتلى نسلك من بعدك ، و يبقى
١٥ من نسلك عدد قليل من بعد كثرتهم التى كانت قد صارت مثل نجوم السماء ،

---

(١) فى ظ : يخدم (٢) فى ظ : ضعيف (٣) من ظ ، و فى الأصل : تظفر (٤) من
ظ ، و فى الأصل : توكل (٥) أى المنعم المرفه ، و فى الأصل و ظ : المفيق .
(٦) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٧) من التوراة -
الأصحاح الثامن و العشرين ، و فى الأصل و ظ : يا كل (٨) فى ظ : الاطهاد .
(٩) فى الأصل و ظ : تهاب (١٠) من ظ ، و فى الأصل : اسمك (١١) فى ظ : فخطك .

لأنك لم تسمع قول الله ، كما فرّحكم الرب و أنعم عليكم [و كثركم - [1]]
[كذلك يفرح الرب لكم - [2]] ليستأصلكم بالعقاب و النكال ، و يدمر عليكم
و يتلفكم ، و تجلون عن الأرض التي تدخلونها لترثوها [3] ، و يفرقكم
الرب بين جميع الشعوب - هذه أقوال العهد التي أمر الله بها موسى [4] أن
يعاهد [3] بني إسرائيل في أرض موآب سوى العهد الذي عاهدهم [5] بحوريب ، ٥
فان قالوا [6] : نحن لم ننقض بعد موسى عليه السلام حتى يلزمنا هذا اللعن
المشروط بنقض العهد ! قيل : قد شهد عليكم بذلك ما بين أيديكم من كتابكم ،
فانه قال في آخر أسفاره ما نصه : و قال الرب لموسى : قد دنت أيام وفاتك
[7] فادع يشوع و [7] قوما في قبة الزمان لآمره بما أريد ، و انطلق يشوع [8]
و موسى و قاما في قبة الزمان ، و ظهر الرب في قبة الزمان بعمود من ١٠
سحاب ، و قام عمود من سحاب في باب [3] قبة الزمان ، و قال / الرب لموسى : ٨٤ /
أنت مضطجع منقلب إلى آبائك ، فيقوم هذا الشعب فيضل و يتبع آلهة
أخرى آلهة الشعوب التي تدخل و ترى و تسكن بينها ، و يخالفني و يبطل
عهدي [9] الذي عهدته ، و يشتعل غضبي عليه في ذلك اليوم ، و أخذلهم
و أدير وجهي عنهم ، و يصيرون مأكلا لأعدائهم ، و يصيبهم شر شديد ١٥
و غم طويل ، لأنهم تبعوا الآلهة الأخرى ، فاكتب لهم الآن هذا [3] التسبيح
و علمه بني إسرائيل و صيره في أفواههم ، ليكون هذا التسبيح شهادة على

---

(١) زيد من ظ (٢) زيد من التوراة (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو بعده في الأصل و ظ ، و لم تكن في التوراة فحذفناها (٥) في الأصل و ظ : عاهدكم (٦) في ظ : قال (٧ - ٧) في ظ : واع يسوع - كذا (٨) في ظ : يسوع (٩) زيدت الواو بعده في ظ .

بنى إسرائيل، لأنى مدخلهم الأرض التى أقسمت لآبائهم، الأرض التى
تغل السمن و العسل، و يأكلون و يشبعون و يتلذذون، و يتبعون الآلهة
الأخرى و يعبدونها، و يغضبونى و يبطلون[1] عهدى، فاذا نزل بهم هذا
الشر الشديد و الغموم يتلى عليهم هذا التسبيح للشهادة، و لا تعدمه أفواه
٥ ذريتهم، لأنى عالم بأهوائهم وكل ما يصنعونه ههنا اليوم قبل أن أدخلهم
الأرض التى أقسمت لآبائهم، وكتب موسى هذا التسبيح ذلك اليوم و علمه
بنى إسرائيل - و ذكر بعد هذا كله ما ذكرته عند "انا اوحينا اليك
كما اوحينا إلى نوح [2]و النبين[2]" فى النساء فراجعه؛ ثم قال: أنصتى أيتها
السماء فأتكلم، و لتسمع الأرض النطق من فىّ لأنها ترجو كلامى عطشانة،
١٠ وكمثل[3] الندى ينزل قولى و كالمطر على النخيل و شبه الضباب على
العشب[4]، لأنى دعوت باسم الرب أبدا و بالتعظيم لله الرب العدل و ليس عنده
ظلم، الرب البار الصادق، أخطأ أولاد الأنجاس، الجيل المتعوج المنقلب،
و بهذا[5] كافأوا الرب، لأنه شعب جاهل و ليس بحليم، أليس الرب
استخلصك و خلقك ! اذكروا أيام[6] الدهر و تفهموا ما مضى من سنى
١٥ جيلا بعد جيل، استخبر أباك فيخبرك، و شيوخك فيفهموك[7]، حين قسم[8]
العلى للأمم[9] بنى آدم الذين فرقهم[10]، أقام حدود الأمم على عدد الملائكة[11]،

(١) فى ظ: يطلبون (٢) سقط ما بين الرقمين من ظ، و رقم هذه الآية ١٦٣.
(٣) من ظ، و فى الأصل: كل (٤) من ظ والتوراة، و فى الأصل: الشعب.
(٥) من ظ، و فى الأصل: هذا (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: يفهموك (٨) فى
ظ: القسم (٩) من التوراة، و فى الأصل و ظ: الامم (١٠) زيدت الواو بعده
فى الأصل و ظ، و لم تكن فى التوراة فحذفناها (١١) فى التوراة: بنى اسرائيل -
راجع الأصحاح الثانى و الثلاثين منها.

وصار[1] جزء الرب شعبه[2]، يعقوب[3] حبل ميراثه، إسرائيل فأرواه فى البرية من عطش الحر حيث لم يكن ماء، وحاطه و أدبه و حفظه مثل حدقة العين، وكشل النسر حيث نقل[4] عشه و إلى فراخه اشتاق، فنشر أجنحته و قبلهم و حملهم على صلبه، الرب وحده ساقهم و لم يكن معهم إله[5] آخر، و أصعدهم إلى علو الأرض و أطعمهم من ثمر الشجر و غذاهم عسلا ٥ من حجر، من الصخرة أخرج لهم الزيت، و من سمن البقر و لبن الغنم و شحم الخراف و الكباش و الثيران و الجداء و لب[6] القمح، أكل يعقوب المخصوص، حين شحم و غلظ[7] و عرُض، ترك الإله الذى خلقه و بعُد من الله مخلصه، يقول الله : أسخطونى مع الغرباء بأوثانهم و أغضبونى حين ذبحوا للشياطين[8] و لم يقربوا لإله الآلهة و لم يعرفه الجيل[5] الجديد الذين[9] ١٠ أتوا و نسوا[10] آباءهم .

هذا ما أردت ذكره من التوراة فى الشهادة على لزوم اللعن و الغضب لهم بعبادتهم[11] الطواغيت، و قد صدق الله قوله فيها و أتم كلماته - و هو أصدق القائلين - بما وقع لهم بعد وفاة موسى عليه السلام ثم بعد يوشع[12] عليه السلام مع ما تقدم لهم فى أيام يوشع[13] عليه السلام من عبادة بعليون[14] ١٥

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : صاروا (٢) فى ظ : شعبة (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، ولم تكن فى التوراة فحذفناها (٤) فى الأصل و ظ : يضل - كذا . (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و التوراة ، و فى الأصل « ل » كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : خلط (٨) فى ظ : الشياطين (٩) من ظ ، و فى الأصل : الذى (١٠) فى ظ : نسبوا (١١) من ظ ، و فى الأصل : لعبادة (١٢) فى ظ : موسى (١٣) من ظ ، و فى الأصل : موسى (١٤) فى ظ : يعبدون ، و فى التوراة : بعل فغور - راجع الأصحاح الخامس و العشرين من السفر الرابع .

الصنم كما مضى[1] عند قوله تعالى "و اشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم[2]"

/٨٥ ذكر ما يصدق ذلك من سفر يوشع، قال :/ و دعا يوشع جميع
بنى إسرائيل [3]و قال[3] لهم : أنا قد شخت و طعنت فى السن، و أنتم قد رأيتم
ما صنع الله بهذه الشعوب، إنه أهلكهم من بين أيديكم، و إن الله ربكم
٥ هو تولى حروبكم و ظفركم، قد علمتم أنى قسمت[4] لكم الشعوب التى بقيت،
فأما عند النهر الأعظم فى مغارب الشمس فقد قسمتها لكم، و الله ربكم
يهزمهم[5] و يهلكهم من أمامكم و ترثون أرضهم كما قال الله ربكم، و لكن
تقووا[6] جدا و اعملوا بجميع ما كتب فى سفر موسى عند الرب، أهلك الرب
من أمامكم شعوبا عظيمة و لم يثبت لكم إنسان إلى اليوم، الرجل منكم
١٠ يهزم ألف رجل، لأن الله[1] ربكم[7] معكم و هو يجاهد عنكم [8]كما قال لكم،
فاحترسوا لأنفسكم[8]، إن أنتم خالطتم الشعوب الذين[9] بقوا بينكم و صرتم لهم
أختانا[10] صاروا لكم فخاخا و عثرات و أسنة فى أصدافكم و صنارات فى
أعينكم حتى تهلكوا من الأرض الصالحة التى أعطاكم الله ربكم، و أما[11]
أنا فسائر فى طريق أهل الأرض كلهم، و قد تعلمون يقينا من كل قلوبكم
١٥ و أنفسكم أنه ما سقطت كلمة واحدة من الكلام الذى وعدكم الله ربكم،

---

(١) سقط من ظ (٢) سورة ٢ آية ٩٣ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) من سفر يوشع، و فى الأصل و ظ : لم اقسم (٥) فى ظ : يكرمكم (٦) فى ظ : اتقوا و - كذا (٧) فى ظ : الرب (٨-٨) تكرر ما بين الرقمين فى ظ بعد «بقوا بينكم» (٩) من ظ، و فى الأصل : الذى (١٠) فى ظ : احيانا (١١) من ظ، و فى الأصل : انما.

و كما تم كل الكلام الصالح الذى وعدكم الله به كذلك ينزل بكم كل اللعن
حتى تهلكوا و تبيدوا إن أنتم عصيتم و تعديتم على ميثاق الله ربكم و الوصايا
التى أوصاكم بها ؛ و جمع جميع بنى إسرائيل إلى سِجام و أقامهم أمام الرب
فى قبة الزمان و قال : اسمعوا قول الله إله إسرائيل : كان آباؤكم سكانا[1]
فى مجاز النهر فى الدهر الأول ، ترح أبو إبراهيم و ناحور[2] ، وكانوا يعبدون ٥
هناك آلهة أخرى ، و عهدت إلى إبراهيم أبيكم و أخرجته من مجاز النهر
و سيّرته فى أرض كنعان كلها ، و أكثرت ذريته و رزقته إسحاق ابنا ،
و رزقت إسحاق يعقوب و عيسو ، و أعطيت عيسو جبل ساعير ميراثا ،
فأما يعقوب و بنوه فنزلوا إلى مصر ، و أرسلت موسى و هارون و عاقبت
أهل مصر و أكثرت فى أرضهم من الآيات و الأعاجيب[1] ، و من بعد ١٠
ذلك أخرجتهم منها ، و شق لهم الرب بحر سوف و أجاز إياكم فيه مشيا ،
فلما أراد المصريون أن يجوزوا أقلب[3] البحر عليهم و[4] غرقهم ، و رأت
أعينكم[4] ما صنعت بأهل مصر ، ثم أتيت بكم المفازة و سكنتموها أياما كثيرة ،
و أتيت بكم أرض الأمورانيين الذين[5] يسكنون عند مجاز الأردن ،
و حاربوكم و دفعتهم إليكم ، و وثب عليكم بالاق بن صفور ملك المو آبيين[6] ، ١٥
و حارب[7] إسرائيل [فأرسل - [8]] فدعا بلعام [9]بن بعور[9] ليلعنكم ،
و لم يسرنى أن أسمع قول بلعام ، و لكن باركت عليكم و نجيتكم من يديه ،

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : ما خورق - كذا (٣) فى ظ : اقبلت (٤-٤) فى ظ :
عرقتم و رايت عينكم - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : الذى (٦) فى ظ : المورانيين .
(٧) زيد بعده فى ظ : الى (٨) زيد من ظ (٩-٩) فى ظ : فيعاروا - كذا .

ثم جزتم[1] نهر الأردن و أتيتم أهل أريحا فحاربكم أهلها و الأمورانيون - ثم عد بقية الطوائف[2] السبع[3] - فدفعتهم إليكم أجمعين ، و أعطيتكم أرضا لم تتعبوا[4] فيها ، فاتقوا الرب و اعبدوه بالبر و العدل ، و اصرفوا عن قلوبكم الفكر فى عبادة الآلهة الأخرى التى عبدها آباؤكم عند مجاز النهر و[1] فى ٥ أرض مصر ، و اعبدوا الرب وحده ، و إن كان يشق عليكم أن تعبدوا الرب اختاروا لأنفسكم يومنا هذا من تعبدون[5] ، أ تحبون أن تعبدوا الآلهة[6] التى[7] عبدها[8] آباؤكم عند مجاز نهر الفرات أم آلهة الأمورانيين الذين سكنتم بينهم ! أما أنا و أهل بيتى فانا[9]: عبد الله الرب ، فأجاب الشعب و قالوا : حاشا لله أن نجتنب عبادة الرب و نعبد الآلهة / الأخرى ! لأن الله /٨٦ ١٠ ربنا هو الذى أخرجنا من أرض[10] مصر و خلصنا من العبودية ، و أكمل الآيات و الأعاجيب أمامنا ، و حفظنا فى[11] كل الطرق التى سلكناها ، وقوانا على جميع الشعوب التى حاربناها.لذلك نعبد الرب لأنه هو الإله وحده و هو إلهنا ، فقال : انظروا ! لعلكم[12] تجتنبون عبادة [الله -[13]] و تعبدون الآلهة الغريبة ، فيغضب الرب عليكم و ينزل بكم البلاء و يهلككم من بعد ١٥ إنعامه عليكم ، فقال الشعب : لا يكون لنا عبادة أخرى غير عبادة الله ، ربنا ، [14]قال يشوع[14]: أ شهدتم على أنفسكم : أ تتم الذين اخترتم عبادة الرب

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الطائفة (٣) فى الأصل وظ : السبعة (٤) فى ظ : لم تعبوا. (٥) فى ظ : يعبدون (٦) من ظ ، و فى الأصل : الاله (٧) فى الأصل وظ : الذى (٨) من ظ ، و فى الأصل : عبد (٩) فى ظ : فانما (١٠) من ظ ، و فى الأصل : اهل (١١) من ظ ، و فى الأصل : به (١٢) فى ظ : لكم (١٣) زيد من ظ (١٤-١٤) فى ظ : و يقول يسوع .

قالوا

قالوا له[1] : نشهد ! فأول ما[2] دخل عليهم الدخيل أنهم لم يستأصلوا الكفرة و خالطوهم فى أيام يوشع ؛ قال فى سفره[3] : فصعد رسول الرب من الجلجال إلى سجين و قال لبنى إسرائيل : هكذا يقول الرب : أنا الذى أصعدتكم من أرض مصر و أتيت بكم الأرض التى أقسمت لآبائكم [4]و قلت[4] : إنى [5]لا أبطل[5] عهدى إلى الأبد ، و أمرتكم أن لا تعاهدوا أهل هذه الأرض ، ٥ و لكن استأصلوا مذابحهم ، و لم تقبلوا و لم تطيعونى ، و أنا أيضا قد قلت : إنى لا أهلكهم من أمامكم ، و لكن تكون لكم آلهتهم عشرة ، فلما قال رسول الرب لبنى إسرائيل هذا القول رفع القوم أصواتهم بالبكاء و دعوا اسم ذلك الموضع تحناد[6] أى موضع البكاء ، و ذبحوا هناك ذبائح للرب ؛ و توفى يشوع بن نون عند الرب ابن مائة و عشرين سنة ، و دفن فى حد ١٠ ميراثه بسرح[7] التى فى جبل إفرائيم عن يسار جبل جعس[8] ، و كل ذلك الحقب أيضا قبضوا ، و نشأ من بعدهم حقب لم يعرف الرب [4]و لم يعرف[4] أعماله التى عملها ، و ارتكب بنو إسرائيل السيئات أمام الرب و اجتنبوا عبادة الله إله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر ، و تبعوا آلهة الشعوب التى حولهم و سجدوا لها وعبدوا بعلا و أشتراثا[9] الصنمين ، و غضب الرب على ١٥ بنى إسرائيل ، و سلط عليهم المنتهبين ، و دفعهم إلى أعدائهم ، و لم يقدروا

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : بما (٣) فى ظ : سفر (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) فى ظ : لابطل (٦) فى سفر القضاة : بوكيم (٧) من سفر يوشع ، و فى الأصل و ظ : بمسرح - كذا (٨) من سفر يوشع ، و فى الأصل : مصاس ، و فى ظ : عقاص - كذا (٩) من ظ ، و فى الأصل : استمالا ، و فى سفر القضاة : عشتاروث .

أن[1] يثبتوا لأعدائهم ، و كلما كانوا يخرجون إلى الحرب كانت يد[2] الرب عليهم بالعقاب و البلاء كما قال لهم الرب و كما أقسم لآبائهم ، و اضطروا و ضاق بهم جدا ، فصير[3] الرب عليهم قضاة ، و أعان قضاتهم و خلصوهم من أيدى أعدائهم ، و كان الرب يسمع أنينهم و ما يشكون من المضيقين

٥ عليهم و المزعجين لهم ، فلما توفيت قضاتهم رجعوا إلى الفساد كآبائهم ، و عبدوا الأصنام و سجدوا لها ، و لم ينقصوا من سوء أعمالهم الأولى و طرقهم الرديئة ، فاشتد غضب الرب على بنى إسرائيل و قال : لأن الشعب اعتدوا الوصية التى أوصيت آباءهم ، و لم يسمعوا قولى ، لا أعود أن أهلك إنسانا بين أيديهم من الشعوب التى خلف يشوع بعد وفاته ،

١٠ ليجرب الرب بها بنى إسرائيل هل يحفظون طرق الرب كما حفظ آباؤهم أو لا ! فلذلك ترك الرب هذه الشعوب و لم يهلكهم[4] سريعا ، و لم يسلمها فى يدى يشوع ، و الذين تركوا خمسة رؤساء أهل فلسطين و جميع الكنعانيين و الصيدانيين و الحاوانيين و الذين يسكنون جبل لبنان و من جبل بنى حرمون إلى مدخل حماة[5] ليجرب بهم بنى إسرائيل ، و [6]جلس

١٥ بنو إسرايل[6] بين يدى الأمورانيين و بقية القبائل ، و زوجوا بنيهم من بناتهم و [7]زوجوا بناتهم[7] من بنيهم و عبدوا آلهتهم ، و ارتكب بنو إسرائيل السيئات أمام الرب و نسوا صنيع/ الرب إلههم[8] و عبدوا بعلا و أشتراثا[9] ، /٨٧

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : ايد (٣) فى ظ : فيصيروا (٤) فى ظ : لم يهلكوا.
(٥) فى ظ : حمله (٦-٦) فى ظ : جلسوا بنى إسرائيل (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من سفر القضاة ، و فى الأصل و ظ : اليهم (٩) فى ظ : اشتراثا .

و اشتد غضب الرب على بنى إسرائيل و دفعهم إلى كوشان الاتيم[١] ملك[٢] حران ، فاستعبدهم ثمانى[٣] سنين ، و دعا بنو إسرائيل الرب[٤] متضرعين ، و صيّر الرب لهم مخلصا ، و خلصهم عثنايال[٥] بن قنز أخو كالاب الأصغر ، فأعانه الرب و صار حكما لبنى إسرائيل فخرج إلى الحرب ، و أسلم الرب فى يده كوشان الأتيم ، و استراحت الأرض من الحرب أربعين سنة ، ٥ و توفى عثنايال[٦] بن قنز ، و عاد بنو إسرائيل فى سوء أعمالهم أمام الرب ، فقوى الرب عليهم ملك موآب ، و استمروا هكذا فى كل حين ينقضون ، و سنة[٧] الرب كل قليل يرفضون ، و لا يستقيمون إلا بقدر ما ينسون حرارة النقم و يذوقون لذاذة النعم - و لو لا خوف الإطالة الموجبة للسآمة[٨] و الملالة لذكرتُ من ذلك كثيرا من الكتب التى بين أيديهم ، لا يقدرون ١٠ على إنكار ما يلزمهم بها من الفضيحة و العار - و الله الموفق .

و لما تم ذلك عطف سبحانه على" و اذا ناديتم الى الصلوٰة " قوله دالا على استحقاقهم للعن و على ما أخبر به من شرهم و ضلالهم بما فضحهم به من سوء أعمالهم دلالة على صحة[٩] دين الإسلام باطلاع شارعه عليه أفضل الصلاة و السلام على خفايا الأسرار : ﴿ و اذا جآءوكم ﴾ أى أيها ١٥ المؤمنون ! هؤلاء المنافقون من الفريقين ، و إعادة ضمير الفريقين عليهم لأنهم فى الحقيقة منهم ، ما أفادتهم دعوى[١٠] الإيمان شيئا عند الله ، و العدول إلى

---

(١) فى سفر القضاة : رشعتايم (٢) من ظ ، و فى الأصل : بملك (٣) فى ظ : ثلاث (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : عيساقال (٦) فى ظ : عسا بال (٧) فى ظ : لسنة (٨) فى ظ : الاسامة - كذا (٩) فى ظ : سو - كذا (١٠) فى ظ : دعوة .

خطاب المؤمنين دال على عطفه على ما ذكرت ، و فيه إشارة إلى أن النبي صلى الله عليه و سلم يعرفهم فى لحن القول ، فلا يغتر بخداعهم و لا يسكن إلى مكرهم بما أعطى من صدق الفراسة و صحة التوسم ﴿ قالوآ أمنا ﴾ أى لا تغتروا بمجرد قولهم الحسن الخالى عن البيان بما يناسبه من الأفعال ٥ فكيف بالمقترن بما ينفيه منها ، وقد علم أن الفصل بين المتعاطفين بالآيتين السالفتين لا يضر ، لكونهما علة للمعطوف عليه ، فهما[١] كالجزء منه .

و لما ادعوا الإيمان كذّبهم [٢]سبحانه فى دعواهم بقوله مقربا لماضيهم من الحال رجاء لهم غيرَ الدخول[٢] ، لأنها تكاد تظهر ما هم[٣] مخفوه ، [٤]فوجب التوقع[٤] للتصريح بها : ﴿ و قد ﴾ أى قالوا ذلك و الحال أنهم قد ١٠ ﴿ دخلوا ﴾ أى إليكم ﴿ بالكفر ﴾ مصاحبين له متلبسين به[٥] .

و لما كان المقام يقتضى لهم بعد الدخول حسنَ الحال ، لما يرون من سمت رسول الله صلى الله عليه و سلم الجليل و كلامه العذب و دينه العدل و هديه الحسن ، فلم يتأثروا[٦] لما عندهم من الحسد الموجب للعناد ، أخبر عن ذلك بأبلغ من الجملة التى أخبرت بكفرهم تأكيدا[٧] للاخبار ١٥ عن ثباتهم على الكفر ، لأنه أمر ينكره العاقل فقال : ﴿ و هم ﴾ أى من عند أنفسهم لسوء ضمائرهم و جبلاتهم من غير سبب من أحد منكم ، لا منك و لا من أتباعك ﴿ قد خرجوا به[٥] ﴾ أى الكفر بعد دخولهم و رؤية ما

---

(١) فى ظ : وهما (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : هو (٤-٤) فى ظ : يوجب الرفع (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : فلم يتاثر (٧) من ظ ، و فى الأصل : كيدا .

رأوا

رأوا من الخير، دالا على قوة عنادهم[1] بالجملة الاسمية المفيدة للثبات، و ذكر المسند إليه مرتين، و هم بما أظهروا يظنون أنه يخفى ما أضمروا.

[2] و لما كان فى قلوبهم من الفساد و المكر بالإسلام و أهله ما يطول شرحه، نبه عليه بقوله[2] : ﴿و الله﴾ أى المحيط [بجميع -[3]] صفات[4] الكمال و بكل شيء علما و قدرة ﴿اعلم﴾ أى منهم و ممن توسم فيهم النفاق ٥ ﴿بما كانوا﴾ [5] أى بما فى جبلاتهم من الدواعى العظيمة للفساد[5] ﴿يكتمون ه﴾ أى من هذا و غيره فى جميع أحوالهم من أقوالهم[6] / و أفعالهم. /٨٨

و لما كذبهم فى دعوى الإيمان، أقام سبحانه الدليل على كفرهم، فقال[7] مخاطبا لمن[8] له الصبر[9] التام، مفيدا أنه أطلعه صلى الله عليه و سلم على ما يعلم منهم بما يكتمونه من ذلك تصديقا لقوله تعالى "و لتعرفنهم فى لحن ١٠ القول[10]" إطلاعا هو كالرؤية، عاطفا[11] على ما تقديره : و قد أخبرنا غيرك من المؤمنين بما نعلم منهم من ذلك، و أما أنت فترى ما فى قلوبهم بما آتيناك من الكشف : ﴿و ترى﴾ أى لا تزال[12] يتجدد لك ذلك ﴿كثيرا منهم﴾ أى اليهود و الكفار منافقهم و مصارحهم.

و لما كان التعبير بالعجلة لا يصح هنا، لأنها لا تكون إلا فى شيء ١٥ له وقتان: وقت لائق، و وقت غير لائق، و الإثم لا يتأتى[13] فيه ذلك،

---

(١) فى ظ : عندهم (٢-٢) تأخر ما بين الرقمين فى ظ عن «بما كانوا» (٣) زيد من ظ (٤) من ظ . و فى الأصل : بصفات (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٦) فى ظ : احوالهم (٧) فى ظ : بقوله (٨) من ظ ، و فى الأصل : من (٩) فى ظ : النصر (١٠) سورة ٤٧ آية ٣٠ (١١) فى ظ : عطفا (١٢) فى ظ : لا يزال . (١٣) فى ظ : لا ينافى .

قال: ﴿يسارعون﴾ أي يفعلون فى تهالكهم على ذلك فعل من يناظر خصما فى السرعة فيما [1]هو فيه[1] محق[2] و عالم بأنه فى غاية الخير، و كان الموضع [3]لأن يعبر[3] بالضمير فقال: فيه - أى الكفر، فعبر عنه تعميما و تعليقا للحكم بالوصف [إفادة - [4]] لأن كفرهم عن حيلة هى فى غاية الرداءة

٥ بقوله: ﴿فى الاثم﴾ أى كل ما يوجب إثما من الذنوب، و خص منه أعظمه فقال: ﴿و العدوان﴾ أى مجاوزة الحد فى ذلك الذى أعظمه الشرك، ثم حقق الأمر و صوّره بما يكون لوضوحه دليلا على ما قبله من إقدامهم[5] على الحرام الذى لا تمكن[6] معه صحة القلب أصلا و لا يمكنهم إنكاره فقال: ﴿و اكلهم السحت﴾ أى الحرام الذى يستأصل البركة من

١٠ أصلها[7] فيمحقها، و منه الرشوة، و كان هذا دليلا على كفرهم لأنهم لو كانوا مؤمنين ما أصروا على شيء من ذلك، فكيف بجميعه! فكيف بالمسارعة فيه! و لذلك استحقوا غاية الذم بقوله: ﴿لبئس ما كانوا﴾ و لما كانوا [يزعمون - [4]] العلم، عبر عن فعلهم بالعمل فقال: ﴿يعملون ﴾.

و لما كان المنافقون من الأميين و أهل الكتاب قد صاروا شيئا واحدا

١٥ فى الانحياز إلى المصارحين من أهل الكتاب، فأنزل فيهم سبحانه هذه الآيات على وجه يعم غيرهم، حتى تبينت أحوالهم و انكشف زيغهم و محالهم، أنكر - على من يودعونهم أسرارهم و يمنحونهم مودتهم و أخبارهم من علمائهم و زهادهم - عدمَ أمرهم بالمعروف و نهيهم عن المنكر، لكونهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: بحق (٣-٣) فى ظ: لا يغير (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: لاقرانهم (٦) فى ظ: لا يمكن (٧) زيد بعده فى ظ: ليستاصلها.

جديرين بذلك لما يزعمونه من اتباع كتابهم فقال: ﴿ لو لا ﴾ أى هلا و[1]لم لا[1] ﴿ ينهٰهم ﴾ أى يجدد لهم النهى ﴿ الربّٰنيون ﴾ أى المدعون للتخلى من الدنيا إلى سبيل الرب ﴿ و الاحبار ﴾ أى العلماء ﴿ عن قولهم الاثم ﴾ أى الكذب الذى يوجبه[2] و هو مجمع له ﴿ و اكلهم السحت[4] ﴾ و ذلك لأن[3] قولهم للؤمنين " امنا " و قولهم لهم[4] " انا معكم انما نحن ٥ مستهزءون " لا يخلو عن كذب ، و هو محرم فى توراتهم و كذا أكلهم الحرام ، فما سكوتهم عنهم فى ذلك إلا لتمرنهم على المعاصى و تمردهم فى الكفر و استهانتهم بالجرأة على من لا تخفى[5] عليه خافية ، و لا يبقى لمن عاداه باقية .

و لما كان من طبع الإنسان الإنكار[4] على من خالفه[6]، و كانت ١٠ الفطرة الأولى مطابقة لما أتت به الرسل من قباحة الكذب و ما يتبعه من الفسوق ، و كان الإنسان لا ينزل عن تلك الرتبة العالية إلى السكوت عن الفاسقين فضلا عن تحسين أحوالهم إلا بتدرب[7] طويل و تمرن عظيم ، حتى يصير له ذلك كالصفة التى صارت بالتدريب صنعة يألفها و ملكة[8] لا / يتكلفها ، فجعل ذنب المرتكب للعصية غير راسخ ، لأن الشهوة تدعوه ١٥ / ٨٩ إليها ، و ذنب التارك[9] للنهى راسخا لأنه لا شهوة له تدعوه إلى الترك ، بل معه

(١-١) فى ظ : الا (٢) فى ظ : توجبه (٣) من ظ ، وفى الأصل : ان (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : لايخفى (٦) من ظ ، و فى الأصل : خافه (٧) فى ظ : بتدريب (٨) من ظ ، و فى الأصل : ملة (٩) فى ظ : النار - كذا .

حامل من الفطرة السليمة تحثه على النهى، فكان أشد حالا ؛ قال: ﴿ لبئس ما ﴾ و لما كان ذلك فى جبلاتهم، عبر بالكون فقال: ﴿ كانوا يصنعون ه ﴾ أى فى سكوتهم عنهم و سماعهم منهم .

و لما لم تزل الدلائل على[1] إبطال دعوى أهل الكتاب فى البنوة ٥ و المحبة تقوم[2] ، و جيوش البراهين تنجد[3] ، حتى انتشبت[4] فيهم سهام الكلام أىّ انتشاب ، قال تعالى معجبا من عامتهم بعد تعيين خاصتهم ، معلما بأنهم لم يقنعوا بالسكوت عن المنكر حتى تكلموا بأنكره ، مشيرا إلى سفول رتبتهم و دناءة منزلتهم[5] بأداة التأنيث : ﴿ و قالت اليهود ﴾ معبرين عن[6] البخل و العجز جرأة و جهلا بأن قالوا ذا كرين اليد لأنها موضع ١٠ القدرة و إفاضة الجود و النصرة : ﴿ يد الله ﴾ أى الذى يعلم كل عاقل أن له صفات الكمال ﴿ مغلولة ط ﴾ أى فهو لا يبسط الرزق غاية [البسط - [7]] ، و هذا كناية عن البخل و العجز من غير نظر إلى مدلول كل من ألفاظه [8]على حياله[8] أصلا ، كما قال تعالى " و لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك و لا تبسطها كل البسط[9] " و لم يقصد من ذلك ١٥ غير الجود و ضده ، لا غل و لا عنق و لا بسط أصلا ، بل صار هذا الكلام عبارة عما وقع مجازا عنه ، كأنهما متعقبان[10] على معنى واحد ، حتى لو جاد[11]

---

(١) زيد بعده فى ظ : دعوى (٢) فى ظ : يقوم (٣) فى ظ : تنحر (٤) فى ظ : تشبهت (٥) فى ظ : منزلهم (٦) فى ظ : على (٧) زيد من ظ (٨ - ٨) أى على انفراده (٩) سورة ١٧ آية ٢٩ (١٠) من ظ . و فى الأصل : معتقبان (١١) فى ظ : حاز .

الأقطع

الأقطعُ إلى المنكب لقيل[1] [له - [2]] ذاك ، و مثل هذا كثير فى الكتاب و السنة ، منه الاستواء « و قالت : فى السماء[3] » المراد منه - كما قاله[4] العلماء - أنه ليس مما يعبده المشركون من الأوثان، قال فى الكشاف: و من لم ينظر فى علم البيان عمى عن تبصر محجة[5] الصواب فى تأويل أمثال هذه الآية ، و[6] لم يتخلص عن يد الطاعن إذا عبث به . ٥

و لما نطقوا بهذه الكلمة[7] الشنعاء ، و فاهوا بتلك الداهية الدهياء ، أخبر عما جازاهم به سبحانه على صورة ما كان العرب يقابلون به من يستحق الهلاك من الدعاء ، فقال معبرا بالمبنى للمفعول إفادة لتحتم الوقوع و تعليما لنا كيف ندعو عليهم ، و لم يسببه عما قبله بالفاء تقوية[8] له على تقدير سؤال سائل : ﴿ غلت ايديهم ﴾ دعاء مقبولا و خبرا صادقا ، عن كل خير ، ١٠ فلا تكاد[9] تجد فيهم كريما و لا شجاعا و لا حاذقا فى فن ، و إن كان ذلك لم تظهر[10] له

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : ليقل (٢) زيد من ظ (٣) إشارة إلى ما ورد عن معاوية السلمى فى حديث طويل قال فيه : و بينما جارية لى ترعى غنيمات لى فى قبل أحد والجوانية فاطلعت عليها اطلاعة فاذا الذئب قد ذهب منها بشاة ، و أنا رجل من بنى آدم يأسف - و فى رواية : آسف - كما يأسفون ، لكنى صككتها صكة ، قال : فعظم ذلك على رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قلت : ألا أعتقها ؟ قال : ابعث إليها ؛ قال : فأرسل إليها فجاء بها فقال : أين الله ؟ قالت : فى السماء ، قال : فمن أنا ؟ قالت : أنت رسول الله . قال : أعتقها فانها مؤمنة - راجع مسند الإمام أحمد ٥ / ٤٤٨ و ٤٤٩ (٤) زيد بعده فى ظ : له (٥) فى ظ : بحجة (٦) سقط من ظ (٧) من ظ . و فى الأصل : الكلمات (٨) فى ظ : مقويه (٩) فى ظ : فلا يكاد . (١٠) فى ظ : لم يظهر .

ثمرة ﴿ و لعنوا ﴾ أى أبعدوا مطرودين عن الجناب الكريم ﴿ بما قالوا م ﴾
و المعنى أنهم كما رأوا أحوال المنافقين المقضىّ فى التوراة بأنها إثم
و أقروا عليها، فكذلك نطق بعضهم بكلمة الكفر التى لا أفظع منها،
و سكت عليه الباقون فشاركوه، و لما كان الغل كناية عن البخل
٥ و عدم الإنفاق، و كان الدعاء [1] بغلهم و لعنهم [1] متضمنا [2] أن الأمر ليس
كما قالوا، ترجمه سبحانه بقوله [3] : ﴿ بل يداه ﴾ [4] و هو منزه عن الجارحة
و عن كل ما يدخل تحت الوهم [4] ﴿ مبسوطتن لا ﴾ مشيرا بالتثنية إلى غاية
الجود، ليكون رد قولهم و إنكاره [5] بأبلغ ما يكون فى قطع تعنتهم
و تكذيب قولهم.

١٠ و لما كان معنى هذا إثبات ما نفوه على أبلغ الأحوال، قال مصرحا
بالمقصود معرفا أنه فى إنفاقه مختار فلا غرو أن يبسط لبعض دون بعض:
﴿ ينفق ﴾ و لما كان إنفاقه سبحانه تحقيقا للاختيار على أحوال متباينة بحيث
أنها تفوت الحصر، أشار إلى التعجيب [6] / من ذلك بالتعبير بأداة الاستفهام ٩٠ /
و إن قالوا: إنها فى هذا الموطن شرط، فقال: ﴿ كيف ﴾ أى كما
١٥ ﴿ يشآء ط ﴾ أى على أىّ حالة أراد دائما من تقتير و بسط و غير ذلك.

و لما كان قولهم هذا غاية فى العجب لأن كتابهم كافٍ فى تقبيحه
بل تقبيح ما هو دونه فى الفحش، فكيف و قد انضم إلى ذلك ما أنزل
فى القرآن من واضح البيان، قال سبحانه عاطفا على "و ترى كثيرا منهم"

(١ - ١) فى ظ: بلعنهم وغلهم (٢) من ظ، و فى الأصل: مضمنا (٣) سقط من
ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: ابلاغه (٦) فى ظ: التعجب.

مؤكدا لمضمون ما سبق من قوله "و من يرد الله فتنته فلن تملك [له - [1]] من الله شيئا" بأنه جعل سبب هذا القول منهم ما أتاهم من الهدى الأكمل فى هذا الكتاب المعجز على لسان هذا النبى الذى[2] هم[3] به أعرف منهم بأبنائهم: ﴿ و ليزيدن كثيرا منهم ﴾ أى[4] ممن أراد الله فتنته، ثم ذكر فاعل الزيادة [فقال -[5]]: ﴿ مآ انزل اليك ﴾ أى على ما ٥ له من النور و ما يدعو إليه من الخير ﴿من ربك﴾ أى المحسن إليك بكل ما ينفعك دنيا و أخرى ﴿طغيانا﴾ أى تجاوزا عظيما عن[6] الحد تمتلئ منه الأكوان فى كل إثم و شنأ[7]، و[8] ذلك بما جره إليهم داء الحسد، لأنهم كلما رأوه سبحانه قد[4] زاد إحسانه إليك طعنوا فى ذلك الإحسان، و هو - لما له من الكمال و علو الشأن - يكون الطعن فيه من أعظم ١٠ الدليل عليه و البرهان، فيكون أعدى العدوان ﴿ و كفرا ﴾ أى سترا لما ظهر لعقولهم من النور، و دعت إليه كتبهم من الخير، و هذا كما يؤذى الخفاش ضياء الصباح، و كلما قوى[9] الضياء زاد أذاه، و فى هذا إياس من توبتهم و تأكيد[10] لعداوتهم و زجر عن موالاتهم و مودتهم، أى إنهم لا يزدادون بحسن وعظك و جميل تلاوتك عليهم الآيات إلا شقاقا ١٥ ما وجدوا قوة، فان ضعفوا فنفاقا.

---

(١) زيد من ظ و القرآن الكريم (٢) فى ظ: الذين (٣) من ظ، و فى الأصل: هو (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) زيد بعده فى ظ: هذا (٧) فى ظ: شان (٨) زيد بعده فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها. (٩) فى ظ: ترقو (١٠) فى ظ: تاكيدا.

و لما كان الإخبار باجتماع كلمتهم على شقاوة الكفر ربما أحدث خوفا من كيدهم، نفى ذلك بقوله: ﴿و القينا﴾ أى بما لنا من العظمة الباهرة ﴿بينهم﴾ أى اليهود ﴿العداوة﴾ و لما كانت العداوة[1] - و هى أن يعدو بعضهم إلى أذى بعض - ربما زالت بزوال السبب، أفاد أنها ٥ لازمة لا تنفك بقوله: ﴿و البغضآء﴾ أى لأمور[2] باطنية وقعت فى قلوبهم وقوع الحجر الملقى من علو ﴿الى يوم القيٰمة﴾.

و لما كان ذلك مفيدا لوهنهم ترجمه بقوله: ﴿كلمآ اوقدوا﴾ على سبيل التكرار لأحد من الناس ﴿نارا للحرب﴾ أى باحكام أسبابها و تفتيح جميع أبوابها ﴿اطفآها﴾ أى خيّب قصدهم فى ذلك ﴿الله﴾ ١٠ أى الذى له جميع صفات الكمال . فلا تجدهم فى بلد من البلاد إلا فى الذل و تحت القهر، وأصل[3] استعارة النار لها ما فى كل منهما من التسلط و الغلبة و الحرارة فى الظاهر و الباطن، مع أن المحارب يوقد[4] النار فى موضع عال ليجتمع إليه[5] أنصاره، و لقد قام لعمرى دليل المشاهدة على صدق ذلك بغزوة قينقاع ثم النضير ثم قريظة، و القبائل الثلاث ١٥ بالمدينة لم يتناصروا [6]و لم ينصروا[6]، ثم غزوة[7] خيبر و أهل فدك و[8] وادى القرى و هم متقاربون و لم يتناصروا و لم ينصروا[8]، هذا فيما فى خاصتهم،

---

(١) زيد بعده فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) فى ظ: الامور (٣) من ظ، و فى الأصل: اصله (٤) فى ظ: موقد (٥) فى ظ: عليه. (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ: غزوا - كذا (٨) سقط من ظ .

و أما

و أما فى غير ذلك فقد ألبوّا الأحزاب و جمعوا القبائل و أتقنوا[1] فى أمرهم على زعمهم المكايد، ثم أطفأ الله نارهم حسا و معنى بالريح و الملائكة، و ألزمهم[2] خزيهم و عارهم و جعل الدائرة عليهم، و ساق جيش المنون على أيدى المؤمنين إليهم، و إلى ذلك و أمثاله من أذاهم الإشارة بقوله: ﴿ و يسعون ﴾ أى يوجدون مجتهدين / اجتهاد الساعى على سبيل ٥ ٩١/ا الاستمرار بما يوجدون من المعاصى من كتمان ما عندهم من الدليل على صحة الإسلام و غير ذلك من أنواع الأجرام ﴿ فى الارض ﴾ أى كل[3] ما قدروا عليه بالفعل و الباقى بالقوة[4].

و لما كان الإنسان لكونه[2] محل النقصان لا ينبغى أن يتحرك فضلا عن أن يمشى فضلا عن أن يسعى إلا بما يرضى الله، و حينئذ لا ينسب ١٠ الفعل إلا إلى الله لكونه آمرا به خالقا له، فكانت نسبة السعى إلى الإنسان دالة[5] على الفساد، صرح به فى قوله: ﴿ فسادا ﴾ أى للفساد أو ذوى فساد ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أن الذى له الكمال كله ﴿ لا يحب المفسدين ﴾ أى لا يفعل معهم فعل المحب، فلا ينصرلهم جيشا، و لا يعلى لهم كعبا[6]، ولا يصلح لهم شأنا، و بذلك توعدهم سبحانه فى التوراة أنهم إذا خالفوا أمره سلط ١٥ عليهم من عذابه بواسطة عباده و بغير واسطتهم ما يفوت الحصر - كما مضى ذلك قريبا[7] عما بين أيديهم من التوراة بنصه.

(١) فى ظ: ايقنوا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: كلها (٤) فى ظ: بالقوة - كذا (٥) من ظ، و فى الأصل: دالا (٦) فى ظ: كلمة (٧) فى ظ: تعريبا.

و لما أثبت بقوله "و ليزيدن" أنهم كانوا كفرة[1] قبل إتيان هذا الرسول عليه السلام، و كرر ما أعده[2] لهم من الخزى الدائم على[3] نحو ما أخبرهم به كتابهم، وعظهم و رجّاهم سبحانه استعطافا لهم لئلا ييأسوا من روح الله على عادة منه فى رحمتـــه لعباده و رأفته بهم بقوله تعالى عاطفا على ٥ ما تقديره: فلو أنهم كفوا عن هذه الجرائم العظائم لاضمحلت صغائرهم فلم تكن[4] لهم سيئات: ﴿و لو ان﴾ و لما كان الضلال من العالم أقبح، قال: ﴿أهل الكتٰب﴾ أى[5] الفريقين منهم.

و لما كان الإيمان أساس جميع الأعمال، قدمه إعلاما بأنه لا نجاة[6] لأحد إلا بتصديق محمد صلى الله عليه و سلم، هذا مع أنه حقيق باشتداد العناية ١٠ به[5] لمبالغتهم فى كتمان ما عندهم منه صلى الله عليه و سلم فقال: ﴿اٰمنوا﴾ أى بهذا النبى الكريم و ما أنزل إليه من هذا الهدى ﴿و اتقوا﴾ أى ما هددوا به فى كتابهم على ترك الإيمان به على حسب ما دعاهم إليه كتابهم كما فى قصة إسماعيل و غيرها إلى أن كان آخر ما فارقهم عليه موسى عليه السلام [7]فى آخر كتابهم التصريح بنبوته عليه السلام[7] و الإشارة إلى أن ١٥ اتباعه أحق من اتباعه فقال: جاء ربنا من سيناء، و شرق[8] من ساعير، و تبدّى من جبال فاران، فأضاف الرب إليهم، و جعل الإتيان من جبال فاران - التى هى مكة، لا نزاع لهم فى ذلك - تبديا و ظهورا أى لا خفاء

---

(١) فى ظ: كفيره (٢) فى ظ: اعد (٣) زيد بعده فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ: فلم يكن (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: يخلو - كذا (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ: سرق.

به بوجه ، و لا ظهور أتم منه ﴿ لكفّرنا ﴾ و أشار إلى [1]عظيم جرأتهم[1] بمظهر العظمة ﴿ عنهم سيّاتهم ﴾ أى التى ارتكبوها قبل مجيئه و هى[2] مما يسوء ، أى يشتد تنكر النفس [له - [3]] أو تكرّهها ، و أشار إلى سعة رحمته و أنها لا تضيق عن شىء أراده بمظهر العظمة فقال: ﴿ و لادخلْنهم ﴾ أى بعد الموت ﴿ جنّٰت النعيم ه ﴾ أى بدل ما هم فيه من هذا الشقاء ٥ الذى لا يدانيه شقاء .

و لما كان المعنى: ما فعلوا ذلك ، فألزمناهم الخزى فى الدنيا و العذاب الدائم فى الآخرة ، و كان هذا إجمالا لحالتهم الدنيوية و الآخروية ، و كان محط نظرهم الأمر الدنيوى ، رجع - بعد إرشادهم إلى إصـلاح الحالة الأخروية لأنها أهم فى نفسها - الى سبب قولهم تلك الكلمة الشنعاء[4] ١٠ و الداهية[5] القبيحة الصلعاء ، و هو تقتير[6] الرزق عليهم ، و بين أن السبب إنما هو من / أنفسهم فقال: ﴿ و لو انهم اقاموا التورٰىة ﴾ أى قبل إنزال / ٩٢ الإنجيل بالعمل بجميع ما دعت إليه من أصل و فرع و ثبات عليها و انتقال عنها ﴿ و الانجيل ﴾ أى بعد إنزاله كذلك ، و فى إقامته أقامة التوراة الداعية إليه ﴿ و مآ انزل اليهم من ربهم ﴾ أى المحسن إليهم من أسفار ١٥ الأنبياء المبشرة بعيسى و محمد عليهما الصلاة و السلام ، و من القرآن بعد إنزاله ، و فى إقامته إقامة جميع ذلك ، لأنه مبشر به و داع إليه ﴿ لاكلوا ﴾ أى لتيسر[7] لهم الرزق ، و عبر ب "من" لأن المراد بيان جهة المأكول

(١ - ١) فى ظ : جميع جرائمهم (٢) فى ظ : هو (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : الشنيعة (٥) زيد بعده فى ظ : الصلعاء (٦) فى ظ : تعبير (٧) من ظ ، و فى الأصل : ليسر .

لا الأكل ﴿من فوقهم﴾ .

و لما كان [ذلك - [1]] كناية عن عظم التوسعة ، قال موضحا له معبرا بالأحسن ليفهم غيره [2] بطريق الأولى: ﴿ و من تحت ارجلهم [4] ﴾ أي تيسرا واسعا جدا متصلا [3] لا يحصر ، أو يكون كناية عن بركات ٥ السماء و الأرض ، فبين ذلك أنه ما ضربهم بالذل و المسكنة إلا تصديقا [3] لما تقدم إليهم به فى التوراة ، قال مترجمها فى السفر الخامس - الدعاء و البركات: و إن أنتم سمعتم قول الله ربكم و حفظتم و عملتم بجميع الوصايا التى آمركم بها اليوم [4] ، يصيركم الرب فوق جميع الشعوب ، فتصيرون إلى هذا الدعاء ، يبارك لكل امرئ منكم فى القرية و الحقل ، يبارك [3] فى أولادكم ١٠ و أرضكم ، يبارك [3] لكم فى بهائمكم و ما يضع [5] فى أقطاع [6] بقركم و أحزاب [6] غنمكم ، و يبارك فيكم إذا دخلتم و يبارك فيكم إذا خرجتم ، و يدفع إليكم الله [4] أعداءكم أسارى ، يخرجون إليكم فى طريق واحد و يهربون منكم فى سبعة طرق ، يأمر الله ببركاته فى أهرائكم و فى جميع الأشياء التى تمدون أيديكم إليها ، و ينظر إليكم جميع شعوب الأرض و يعلمون أن ١٥ اسم الرب عليكم و قد وسمتم [7] به فيخافونكم ، و يزيدكم الرب خيرا و يبارك فى ثمار أرضكم ، يفتح الله ربكم أهراء السماء و يهبط المطر على أهله فى زمانه ، و تتسلطون على شعوب كثيرة و لا يتسلط عليكم أحد ، و يصيركم الرب رأسا و لا يصيركم ذنبا ، و تصيرون فوق و لا تصيرون

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : غير (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : يطلع (٦ - ٦) فى ظ : بعدكم و اعراب . (٧) فى ظ : وشمتم .

أسفل إذا عملتم[1] بجميع وصايا الله ربكم و لم تروغوا عنها يمنة و لا يسرة، و لا تتبعوا الشعوب و لا تعبدوا آلهتها، و إن أنتم لم تسمعوا قول الله ربكم و لم تحفظوا و لم تعملوا بجميع سننه و وصاياه التى آمركم[2] بها اليوم، ينزل بكم هذا اللعن الذى أقص[3] عليكم كله، و يدرككم العقاب، و تكونون ملعونين[4] فى القرية - إلى آخر اللعن الذى تقدم قريبا، و قال فى الثالث: إذا ٥ سلكتم بسنتى[5] و حفظتم وصاياى و عملتم[6] بها، أديم أمطاركم فى وقتها، و تبذل [7]الأرض لكم[7] غلاتها، و تبذل لكم الشجر ثمارها، و يدرك الدراس القطاف، [و القطاف - [8]] يدرك الزرع، و تأكلون خبزا و تشبعون و تسكنون أرضكم مطمئنين، و لا يكون من يخرجكم، و أصرف عن أرضكم السباع الضارية، و تطردون أعداءكم، الخمسة منكم يهزمون[9] مائة، و المائة ١٠ منكم يهزمون عشرة آلاف، وتقع أعداؤكم قتلى بين أيديكم فى الحرب، و أقبل إليكم و أكثركم و أديم مقدسى بينكم و لا أدبرعنكم، بل أكون [معكم - [10]] و أسير بينكم، و إن [لم - [10]] تطيعونى و تسمعوا قولى و لم تعملوا بهذه الوصايا و أبطلتم عهودى، أنا أيضا أصنع بكم مثل صنيعكم، و آمر بكم البلايا و البرص و البهق المقشر الذى لا يبرأ، و السل[11] الذى يطفئ البصر ١٥ و يهلك النفس، و يكون تعبكم فى الزرع باطلا، و ذلك لأن أعداءكم يأكلون ما تزرعون، و أنزل بكم غضبى، و يهزمكم أعداؤكم، و يتسلط

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : امر (٣) فى ظ : افصل (٤) فى ظ : ملعونون (٥) فى ظ : سبيلى (٦) فى ظ : علمتم (٧-٧) فى ظ : لكم الارض (٨) زيد من التوراة.
(٩) من ظ، و فى الأصل : يهزمه (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ : السبيل.

/ ٩٣ عليكم / شنآؤكم[1] ، و تنهزمون[2] من غير أن يهزمكم أحد ، و أصير السماء فوقكم مثل الحديد ، و الأرض تحتكم مثل النحاس ، و لا تغل لكم أرضكم غلاتها ، و لا تثمر الشجر ثمارها ، و أرسل عليكم السباع الضارية فتهلككم و تهلك بهائمكم ، و يستوحش الطرق منكم ، و أسلط عليكم الموت و أدفعكم إلى ٥ أعدائكم ، و تأكلون و لا تشبعون ، و تصيرون إلى ضيق حتى تأكلوا لحوم بناتكم ، و أخرب[3] منازلكم ، و أفرقكم بين الأمم ، و تخرب قراكم ، فحينئذ تهوى الأرض أسباتها ، و تسبت[4] كل أيام وحشتها ما لم تسبت[4] حيث[5] كنتم فيها عصاة لا تسبتون ، و الذين يبقون منكم ألقى فى قلوبهم فزعة ، و يطردهم[6] صوت ورقة تحرك ، و يهربون [7]من صوت الورقة كما ١٠ يهربون من السيف ، و يعنفون بإثمهم و يعاقبون[7] بإثم آبائهم ، و من بعد ذلك تنكسر قلوبهم الغلف .

و لما كان ما مضى من ذمهم ربما أفهم أنه لكلهم ، قال مستأنفا جوابا لمن يسأل عن ذلك : ﴿ منهم ﴾ أى أهل الكتاب ﴿ امة ﴾ أى جماعة هى جديرة بأن تقصد ﴿ مقتصدة ﴾ أى مجتهدة فى العدل لا غلو ١٥ و لا تقصير ، و هم الذين هداهم الله للاسلام بحسن تحريهم و اجتهادهم ﴿ و كثير منهم ﴾ أى بنى إسرائيل ﴿ سآء ما يعملون ﴾ أى ما أسوأ[8]

(١) جمع شانئ و فى الأصل : شناتكم ، و فى ظ : سياتكم ـ كذا (٢) فى ظ : تهزمون (٣) فى ظ : الحرب (٤) فى ظ : تسيب (٥) من ظ ، و فى الأصل : كنت (٦) فى ظ : يطرهم (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : البسوا ـ كذا .

فعلهم الذى هم [فيه - [1]] مستمرون على تجديده، ففيه معنى التعجيب، و التعبير بالعمل لأنهم يزعمون أنه لا يصدر منهم إلا عن علم، و هم الذين حرفوا الكلم عن مواضعه، و ارتكبوا العظائم فى عداوة الله و رسوله .

و لما أتم ذلك سبحانه و علم منه أن من أريدت[2] سعادته يؤمن ولا بد، و من أريدت شقاوته لا يؤمن أصلا، و من أقام ما أنزل عليه[3] ٥ سعد، و من كفر بشيء منه شقى، و كان ذلك ربما فتر عن الإبلاغ، قرن بقوله تعالى " يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر" قوله حاثا على الإبلاغ لإسعاد من أريد[4] للسعادة، وهم الأمة المقتصدة منهم و إن كانوا قليلا، و كذا إبلاغ [جميع - [1]] من[5] عداهم :

﴿ يآيها الرسول ﴾ أى [الذى - [1]] موضوع أمره البلاغ ﴿ بلغ ﴾ أى ١٠ أوصل إلى من أرسلت إليهم ﴿ مآ انزل اليك[6] ﴾ أى كله ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك بانزاله غير مراقب أحدا، و لا خائف شيئا، لتعلم ما لم تكن تعلم، و يهدى[7] على يدك من أراد الله هدايته، فيكون لك[8] مثل أجره .

و لما كان إبلاغ ما يخالف الأهواء من الشدة على النفوس بمكان لا يعلمه ١٥ إلا ذوو الهمم العالية و الأخلاق الزاكية، كان المقام شديد الاقتضاء لتأكيد الحث على الإبلاغ، فدل على ذلك بالاعتراض بين الحال و العامل[9] فيها،

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : اريد (٣) فى ظ : إليه (٤) فى ظ : يريد (٥) فى ظ : ما (٦) من ظ و القرآن الكريم، و فى الأصل : اليكم (٧) فى ظ : تهدى (٨) فى ظ : ذلك (٩) فى ظ : الحاصل .

بالتعبير بالفعل الدال على داعية [1]هي الردع[1] بأن قال: ﴿و ان لم تفعل﴾ أى و إن لم تبلغ جميع ذلك، أو إن لم تعمل به ﴿ فما بلغت رسالته[4] ﴾ لأن [من -[2]] المعلوم أن ' ما ' تقع[3] على كل جزء مما أنزل ، فلو ترك منه حرف واحد صدق نفى البلاغ لما أنزل ، و لأن بعضها ليس بأولى بالإبلاغ من بعض ، فمن أغفل شيئا منها فكأنه أغفل الكل ، كما أن من لم يؤمن [ببعضها لم يؤمن -[2]] بكلها ، لإدلاء[4] كل [5]منها بما[5] يدليه[6] الآخر ، فكانت لذلك فى حكم شيء واحد ، و المعنى : فلنجازينك[7] ، و لكنه كنى بالسبب عن المسبب إجلالا[8] له صلى الله عليه و سلم و إفادة لأن[9] المؤاخذة تقع[3] على الكل ، لأنه ينتفى بانتفاء الجزء .

١٠ و لما تقدم أنهم يسعرون الحروب ، و يسعون فى إيقاع أشد الكروب ، و كان ذلك[9] - و إن وعد سبحانه باخماده عند إيقاده - لا يمنع من تجويز أنه لا يخمد إلا بعد قتل ناس و جراح آخرين ، و كان /كأنه قيل: إذا بلغ ذلك و هو ينقّص أديانهم خيف عليه ، قال: ﴿و الله﴾ أى بلغ أنت و الحال أن الذى أمرك بذلك و[9] هو الملك الأعلى الذى لا كفوء له ﴿ يعصمك ﴾ أى يمنعك منعا تاما ﴿ من الناس[4] ﴾ أى من أن يقتلوك قبل إتمام البلاغ و ظهور الدين ، فلا مانع [10]من إبلاغ[10] شيء منها لأحد من الناس كائنا من كان .

/٩٤

(١-١) فى ظ : من الموقع (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : يقع (٤) فى ظ : الادلاء .
(٥-٥) فى ظ : منه انما (٦) من ظ ، و فى الأصل : يليه (٧) من ظ ، و فى الأصل : فلنجازينكم (٨) من ظ ، و فى الأصل : اجلا - كذا (٩) سقط من ظ .
(١٠-١٠) من ظ ، و فى الأصل : لابلاغ .

و لما آذن ضمان العصمة بالمخالفة المؤذنة بأن فيهم من لا ينفعه البلاغ فهو لا يؤمن ، فلا يزال يبغي الغوائل ، أقر على هذا الفهم بتعليل عدم الإيمان بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أي الذي لا أمر لغيره ﴿ لا يهدي القوم الكفرين ه ﴾ أي المطبوع على قلوبهم في علم الله مطابقة لقوله "و من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا" و يهدي المؤمنين في علمه[1] ٥ المشار إليهم[2] في قوله[2] "و يغفر لمن يشاء" و الحاصل أنه تبين[3] من الآية الإرشاد إلى أن لترك[4] البلاغ سببين : أحدهما خوف فوات النفس ، و الآخر خوف فوات ثمرة الدعاء ، فنفى الأول بضمان العصمة ، و الثاني بختام الآية ، أي ليس عليك إلا البلاغ ، فلا يحزنك من لا يقبل ، فليس إعراضه لقصور في إبلاغك و لا حظك ، بل لقصور[5] إدراكه و حظه ، ١٠ لأن الله ختم بكفره و ختم على قلبه لما علم من فساد طبعه ، و الله لا يهدي مثله ، و تلخيصه : بلغ ، فمن [أجابك ممن - [6]] أشير إليه - فيما سلف من غير الكثير الذين يزيدهم ما أنزل إليك عمى على عماهم و من الأمة المقتصدة و غيرهم - فهو حظه في الدنيا و الآخرة ، و من أبى فلا يحزنك أمره ، لأن الله هو الذي أراد ضلاله ، فالتقدير : بلغ ، فليس عليك إلا البلاغ ، ١٥ و إلى الله الهدى و الضلال ، إن الله لا يهدي القوم الكافرين و يهدي القوم المؤمنين ، أو[7] فاذا بلغت هدى بك[7] ربك من أراد إيمانه ، ليكتب لك مثل أجرهم ، و أضل من شاء كفرانه ، و لا يكون عليك[7] شيء من

(١) من ظ ، و في الأصل : علمهم (٢-٢) في ظ : بقوله (٣) من ظ ، و في الأصل : بين (٤) في ظ : الترك (٥) في ظ : القصور (٦) زيد من ظ (٧) سقط من ظ .

وزرهم[1] ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين ، و المعنى كما تقدم : يعصمك[2] من أن ينالوك بما يمنعك من الإبلاغ حتى يتم دينك و يظهر[3] على الدين كله كما وعدتك ، وعلى مثل هـذا دل كلام إمامنا الشافعي رحمه الله ، قال فى الجزء الثالث من الأم : و يقال - والله أعلم : إن أول ما أنزل عليه
٥ صلى الله عليه و سلم "اقرأ باسم ربك الذى خلق" ثم أنزل[4] عليه بعدها ما لم يؤمر[4] فيه بأن يدعو إليه المشركين ، فمرت لذلك مدة ، ثم يقال : أتاه جبريل عليه السلام عن الله عز و جل بأن يعلمهم نزول الوحى عليه و يدعوهم إلى الإيمان . فكبر ذلك عليه و خاف التكذيب و أن يتناول ، فنزل عليه[4] " يايها الرسول بلـغ ما انزل اليك من ربك و ان لم تفعل
١٠ فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس" : من قبلهم[5] أن[6] يقتلوك حتى تبلغ[6] ما أنزل إليك - انتهى[4] . و لقد وفى سبحانه بما ضمن و من أوفى منه وعدا و أصدق قيلا ! فلما أتم الدين و أرغم أنوف المشركين ، أنفذ فيه السم الذى تناوله[7] بخيبر قبل سنين فتوفاه[8] شهيدا كما أحياه سعيدا[9] ؛ روى الشيخان : البخارى فى الهبة ، و مسلم فى الطب ، و أبو داود فى الديات عن أنس بن
١٥ مالك رضى الله عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه و سلم بشاة مسمومة فأكل منها ، فجىء بها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فسألها عن ذلك فقالت : أردت لأقتلك ، فقال : ما كان الله

(١) فى ظ : و دهم (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : تظهر (٤-٤) سقط من ظ .
(٥) من ظ ، وفى الأصل : قتلهم ، و زيد قبله فى ظ : فقال يعصمك (٦-٦) فى ظ : يقتلون حتى يبلغ (٧) فى ظ : تناله (٨) من ظ ، وفى الأصل : فتوفا (٩) فى ظ : سعيد .

ليسلطك[1] على ذلك - أو قال: عليّ - [2] فقالوا: ألا تقتلها[2]؟ / قال: لا[3]، فما زالت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه و سلم . قال أبو داود: هي أخت مرحب اليهودي، قال الحافظ عبد العظيم المنذري في مختصر سنن أبي داود: و ذكر غيره أنها بنت أخي مرحب . أن اسمها زينب بنت الحارث، و ذكر الزهري أنها أسلمت، و لأبي داود و الدارمي - و هذا لفظه - عن أبي سلمة - و هو ابن عبد الرحمن بن عوف - قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الهدية و لا يقبل الصدقة، فأهدت [له - [4]] امرأة من يهود خيبر شاة مصلية فتناول منها، و تناول [منها - [5]] بشر بن البراء، ثم رفع النبي صلى الله عليه و سلم يده ثم قال: إن هذه تخبرني أنها مسمومة، فمات بشر بن البراء رضى الله عنه، فأرسل إليها النبي صلى الله عليه و سلم فقال[6]: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: إن كنت نبيا لم يضرك [شيء - [5]]، و إن [كنت - [4]] ملكا أرحت الناس منك، قال أبو داود: فأمر بها رسول الله صلى الله عليه و سلم فقتلت[7] . زاد الدارمي: فقال في مرضه: ما زالت[8] من الأكلة التي أكلت بخيبر، فهذا أوان[3] انقطاع أبهري - و هذا مرسل . قال البيهقي: و رويناه عن حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو[9]

٩٥ /

٥

١٠

١٥

(١) من ظ و سنن أبي داود و صحيح مسلم . و في الأصل: ليسلط (٢ - ٢) في ظ: قال لا تقتلها (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و سنن الدارمي - باب ما أكرم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم من كلام الموتى (٥) زيد من السنن . (٦) ليس في السنن (٧) من سنن أبي داود - كتاب الديات، و في الأصل و ظ: فقتلت (٨) في ظ: ما زالت (٩) في الأصل: عمر، و التصحيح من ظ و التهذيب: و هو محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي .

عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال البيهقي : [و - [1]] يحتمل أنه لم يقتلها في [2] الابتداء ، ثم لما مات بشر أمر [3] بقتلها . و قصة هذه الشاة عن أبي هريرة رواها البخاري في الجزية و المغازي و الطب ، و الدارمي في أول المسند بغير هذا السياق - كما مضى في البقرة في قوله تعالى " و قالوا
٥ لن تمسنا النار الا اياما معدودة [4] " و قد مضى في أول هذه السورة عند قوله " فاعف عنهم و اصفح ان الله يحب المحسنين " شيء منه .
و لأبي داود [5] و الدارمي عن ابن شهاب قال : كان جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه و سلم ، [6] فأخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم
١٠ الذراع فأكل منها ، و أكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم [6] : ارفعوا أيديكم ، و أرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى اليهودية فدعاها ، فقال لها [3] : أ سممت هذه الشاة ؟ قالت اليهودية : من أخبرك ؟ قال : أخبرتني هذه في يدي - للذراع ، قالت : نعم ، قال : فما أردت ؟ قالت : قلت : إن كان نبيا فلن يضره ، و إن لم يكن
١٥ نبيا استرحنا منه ، فعفا عنها [7] رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يعاقبها ، و توفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة ، و احتجم رسول الله صلى الله عليه و سلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة ، حجمه أبو هند

---

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : فمن (٣) سقط من ظ (٤) آية ٨٠ (٥) و اللفظ له .
(٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من سنن أبي داود - كتاب الديات ، و في الأصل و ظ : عنه .

بالقرن و الشفرة[١] ، و هو مولى لبنى بياضة من الأنصار . قال الدارمى : و هو من بنى ثمامة - [و هم - [٢]] حى من الأنصار ، قال المنذرى : و هذا منقطع ، الزهرى لم يسمع من جابر بن عبد الله ، و فى غزوة خيبر من تهذيب السيرة لابن هشام : فلما اطمأن[٣] رسول الله صلى الله عليه و سلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية و قد ٥ سألت : أىّ عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السم ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما / وضعتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه و سلم تناول الذراع ٩٦ / أ فلاك منها مضغة فلم يسغها[٤] ، و معه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأما بشر فأساغها ، و أما ١٠ رسول الله صلى الله عليه و سلم فلفظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم ، ثم دعاها[٥] فاعترفت ، فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومى ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكا استرحت منه ، و إن كان نبيا فسيخبر[٦] ، فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و مات بشر من أكلته التى أكل ، و ذكر موسى بن عقبة أن بشرا[٧] رضى الله عنه ١٥ لم يسغ[٨] لقمته [٩]حتى أساغ النبى صلى الله عليه و سلم لقمته[٩] و قال بعد

---

(١) فى ظ : السفرة (٢) زيد من مقدمة سنن الدارمى ، و زيد موضعه فى ظ : و هى (٣) من ظ و السيرة ٢ / ١٨٩ ، و فى الأصل : اطال - كذا (٤) فى ظ : فلم تسعها (٥) فى السيرة : دعا بها (٦) فى ظ : فيستخبر (٧) فى ظ : بشر (٨) من ظ ، وفى الأصل : لم يسوغ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أن أخبرهم النبي صلى الله عليه و سلم : و الذى أكرمك ! لقد وجدت ذلك في أكلتي [التي - [١]] أكلت ، فما منعني أن ألفظها إلا أني أعظمت أن أنغصك طعامك ، فلما أسغت ما في فيك لم أكن لأرغب بنفسي[٢] عن نفسك . و نقلتُ من خط شيخنا حافظ عصره أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر
٥ الكناني الشافعي[٣] ما نصه : و أخرج الحافظ أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزار في مسنده المشهور . و أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني في معجمه الكبير من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يأكل من هدية حتى يأمر صاحبها أن يأكل منها للشاة التي أهديت له بخيبر . قال شيخنا الحافظ
١٠ أبو الحسن الهيثمي : رجاله ثقات . قلت : و ذكر محمد بن إسحاق في السيرة الكبرى و كذلك الواقدي في المغازي - انتهى . و قال ابن إسحاق : و حدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد قال في مرضه الذى توفي[٤] فيه و دخلت عليه أم بشر بنت البراء بن معرور تعوده : يا أم بشر ! إن هذا الأوان[٥] وجدت انقطاع أبهري
١٥ من الأكلة التي أكلت[٣] مع أخيك بخيبر ، قال : فان كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه و سلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة . و لابن ماجه في الطب عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : لا يزال[٦] يصيبك [في - [٧]] كل عام وجع من الشاة المسمومة التي أكلت ، قال : ما أصابني

---

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : نفسي (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : مات . (٥) من ظ و سيرة ابن هشام ٢/١٨٩ ، وفي الأصل : لاوان (٦) من ظ و سنن ابن ماجه ، و في الأصل : لا يزل (٧) زيد من السنن .

شيء منها إلا و هو مكتوب علىّ و آدم في طينته . و للبخاري في آخر المغازي
عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يقول في
مرضه الذي مات فيه : يا عائشة ! ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت
بخيبر ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم . قال ابن فارس
في المجمل : الأبهر عرق مستبطن الصلب ، و القلب متصل به ، و هو قوله ٥
صلى الله عليه و سلم : هذا أوان قطعت أبهري ، و عبارة المحكم : عرق في
الظهر ، يقال : هو الوريد في العنق ، و بعضهم يجعله عرقا مستبطن الصلب
و قال ثابت بن عبد العزيز[1] في كتاب خلق الإنسان : و في الصلب الوتين ،
و هو عرق أبيض غليظ كأنه قصبة ، و في الصلب الأبهر و الأيض و هما
عرقان ، / و قال الزبيدي[2] في مختصر العين : و الأبهران عرقان مكتنفا الصلب ، ١٠ /٩٧
و قيل : هما الأكحلان . و قال الفيروزابادي في قاموسه : و الأبهر : الظهر
و عرق فيه و وريد العنق و الأكحل و الكلية ، و الوتين : عرق في القلب
إذا انقطع مات صاحبه . و قال ابن الفرات في الوفاة من السيرة من تاريخه :
قال الحربي : العرق[3] في الظهر يسمى الأبهر ، و في اليد الأكحل ، و في
العنق الوريد ، و في الفخذ النسا ، و في الساق الأبجل ، و في العين الشأن ، ١٥

---

(١) وهو المشهور بثابت بن أبي ثابت أبي محمد اللغوي ، واختلف في اسم أبيه فذكر في إنباه الرواة ١/٢٦٠ : واسم أبيه أبي ثابت سعيد ، وقيل : محمد ؛ وقال في التعليق عليه : زاد في إشارة التعيين « وقيل : عبد العزيز ، وهو الصحيح » (٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن مدحج الأندلسي ، واسم مختصره : الاستدراك على كتاب العين .
(٣) سقط من ظ .

و هو عرق واحد ، كله يسمى الجدول . و قال ابن كيسان أيضا : هو الوتين في القلب و الصافن . و قال الإمام أبو غالب ابن التياني[1] الأندلسي في كتابه الموعب : إسماعيل أبو حاتم : الأبهر عرق[2] في الظهر ، يقال : هو الوريد في العنق ، ثم[3] قال : و الأبهر عرق[2] مستبطن المتن[4] ؛ الأصمعي :
٥ و في الصلب الأبهر و هو عرق ؛ صاحب العين : الأبهران الأكحلان ، و يقال : هما عرقان مكتنفا الصلب من جانبيه[5] . و[3] قال صلى الله عليه و سلم : ما زالت أكلة خيبر تعادّني[6] كل عام فالآن حين قطعت أبهري - يعني عرقي ، و يقال : الأبهر عرق مستبطن الصلب ، و إذا انقطع فلا حياة بعده . و[3] هذا اللفظ الذي ذكره رواه البخاري و الطبراني
١٠ عن عائشة رضي الله عنها . و معنى تعادّني[6] : تناظرني و تخالفني ، من العديد بمعنى الند الذي هو المثل المضاد و المنافر ، أي إني كلما زدت في جسمي صحة[3] ، نقصته بما لها من الضر و الأذى .

و لما أمر سبحانه بالتبليغ [العام - [7]] ، أمره بنوع منه على وجه يؤكد ما ختمت به آية التبليغ من عدم الهداية لمن حتم بكفره[3] ،
١٥ و يبطل[8] - مع تأكيده - هذه الدعوى : قولهم : نحن أبناء الله[3] و أحباءه[9] ، فقال مرهبا لهم بعد ما تقدم من الترغيب في إقامته : ﴿قل يأهل الكتب﴾

---

(١) من إنباه الرواة ١/٢٥٩ . و في الأصل : التيالي ، و في ظ : البيالي - كذا ، و هو تمام بن غالب اللغوي (٢) في ظ : عناق (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : المتين (٥) في ظ : جانبه (٦) في ظ : تعادلني ، و في لسان العرب : تعاودني .
(٧) زيد من ظ (٨) في ظ : تبطل (٩) في ظ : احبا .

أي

أى من اليهود و النصارى ﴿ لستم على شیء ﴾ أى [1]سار أو[1] يعتد به من دنيا و لا آخرة ، لأنه لعدم نفعه لبطلانه لا يسمى شيئا أصلا ﴿ حتى تقيموا ﴾ أى بالعمل بالقلب و القالب ﴿ التورٰة و الانجيل ﴾ و ما[2] فيهما من[3] الإيمان بعيسى ثم بمحمد عليهما الصلاة و السلام بالإشارة إلى كل منهما بالخصوص بنحو ما تقدم فى [4]الإشراق من [4] ساعير ٥ و الظهور من فاران ، و[3] بالإشارة بالعموم إلى تصديق كل من أتى بالمعجز ، و صدق ما قبله من منهاج الرسل ﴿ و مآ انزل ﴾ .

و لما كان ما عندهم إنما أوتى إليهم بواسطة الأنبياء ، عداه بحرف الغاية فقال : ﴿ اليكم من ربكم[5] ﴾ أى المحسن إليكم بانزاله على ألسنة أنبيائكم من البشارة بهما ، و على لسان هذا النبى العربى[3] الكريم مما يصدق ١٠ ما قبله ، فانهم يعلمون ذلك و لكنهم يجحدونه .

و لما كان السياق لأن أكثرهم هالك ، صرح به دالا بالعطف على غير معطوف عليه أن التقدير : فليؤمنن به من أراد الله منهم ، فقال : ﴿ و ليزيدن كثيرا منهم ﴾ أى ما عندهم من الكفر بما فى كتابهم ﴿ مآ انزل اليك من ربك ﴾ المحسن إليك بانزاله ﴿ طغيانا ﴾ تجاوزا شديدا ١٥ للحد ﴿ و كفرا ج ﴾ أى سترا لما دل عليه العقل .

و لما كان صلى الله عليه و سلم شديد الشفقة على خلق الله ، سلاه فى ذلك بقوله : ﴿ فلا ﴾ أى فتسبب عن إعلام الله لك بذلك / قبل وقوعه / ٩٨ [ثم عن وقوعه[5]] كما أخبر أن تعلم أنه[3] بارادته و قدرته ، فقال[6] لك :

(١ - ١) فى ظ : ساو - كذا (٢) فى ظ : مما (٣) سقط من ظ (٤-٤) فى ظ : الاسراق ما (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : فيقال .

لا ﴿ تأس ﴾ أى تحزن ﴿ على القوم الكفرين ﴾ أى على فوات العريقين فى الكفر لأنهم لم يضروا إلا أنفسهم لأن ربك العليم القدير لو علم فيهم خيرا لأقبل بهم إليك، و الحاصل أنه ختم هذه الآية بمعلول الآية التى قبلها، [1]فكأنه قيل: بلغ[1]، فان الله هو الهادى المضل، فلا تحزن
٥ على من أدبر.

و لما كان ما مضى فى هذه السورة غالبا فى فضائح أهل الكتاب لا سيما اليهود و[2] بيان أنهم عضوا[3] على الكفر، و مردوا على الجحد، و تمرنوا على البهت، و عتوا عن أوامر الله، كان ذلك موجبا لأنه ربما حدث فى الخاطر أنه إن آمن منهم أحد ما يقبل[4]، أو لأن يقولوا هم:
١٠ ليس فى دعائنا حينئذ فائدة فلا تدعنا، أخبر أن الباب مفتوح[5] لهم و لغيرهم من جميع أهل الملل، و أنه ليس بين الإنسان و بين أن يكون من أهله إلا عدم الإخلاص، فاذا أخلص أذن فى دخوله [و - ٦] نودى بقبوله[7]، أو يقال - و هو أحسن: لما أخبر عن كثير منهم بالزيادة فى الكفر، رغب القسم الآخر على وجه يعم غيرهم، أو يقال: إنه لما طال
١٥ الكلام معهم. [كان - ٦] ربما ظن أن الأمر ترغيبا و ترهيبا و أمرا و نهيا خاص بهم، فوقع الإعلام بأنهم و غيرهم من جميع الفرق فى ذلك سواء، تشريفا لمقدار هذا النبى الكريم بعموم الدعوة و إحاطة الرسالة

(١ - ١) تكرر ما بين الرقمين فى ظ غير أن فى التكرار «كأنه» مكان «فكأنه» (٢) سقط من ظ (٣) فى الأصل: عسوا، و فى ظ: عضبوا - كذا (٤) فى ظ: لم يقبل (٥) من ظ. و فى الأصل: مفتوحا - كذا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: بقوله.

فقال سبحانه: ﴿ ان الذين ءامنوا ﴾ أي قالوا: آمنا ﴿ و الذين هادوا ﴾ أي اليهود ﴿ و الصبؤن ﴾ أي القائلون بالأوثان السماوية و الأصنام الأرضية ﴿ و النصرى ﴾ أي الذين يدعون اتباع المسيح عليه السلام .

و لما كان اليهود قد عبدوا الأصنام متقربين بها إلى النجوم في استنزال الروحانيات انهماكا في السحر الذي جاء نبيهم موسى عليه السلام ٥ بابطاله، و كان ذلك هو معنى دين الصابئة، فرّق بين فريق بني إسرائيل بهم مكتفيا بهم عن ذكر بقية المشركين لما مضى في البقرة؛ و لما سبق في هذه السورة من ذم اليهود بالنقض للميثاق و الكفر و اللعن و القسوة و تكرر الخيانة و إخفاء الكتاب و المسارعة في الكفر و النفاق و التخصيص بالكفر و الظلم و الفسق و غير ذلك من الطامات ما يسد[1] الأسماع، كان ١٠ قبول توبتهم جديرا بالإنكار، و كانوا هم ينكرون عنادا فلاح العرب من آمن منهم و من لم يؤمن، فاقتضى الحال كون الفريقين في حيز التأكيد، و لم يتقدم للصابئة ذكر هنا أصلا فأخرجوا منه تنبيها على أن المقام لا يقتضيه لهم، فابتدئ بذكرهم اعتراضا و دل على الخبر [عنهم بخبر -[2]] " إن[3] "، أو أنه لما كان المقام للترغيب في التوبة، و جعل هؤلاء مع شناعة حالهم ١٥ بظهور ضلالهم كمن لا إنكار لقبول توبته، كان غيرهم أولى بذلك، و لما كان حال النصارى مشتبها، جعلوا في حيز الاحتمال للعطف على اليهود[4] لما

(١) في ظ: سد (٢) زيد من ظ (٣) وأطال الكلام في توجيهه الآلوسي فراجع روح المعاني ٢/٣٥٥، وساق ابن حيان فيه ثلاثة أوجه فراجع البحر المحيط ٣/٥٣١.
(٤) زيدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في ظ فحذفناها.

تقدم من ذمهم، و على الصابئة لخفة حالهم بأنهم مع أن أصل دينهم صحيح لم يبلغ ذمهم السابق فى هذه السورة مبلغ ذم اليهود ﴿ من اٰمن ﴾ أى منهم مخلصا من قلبه[1]، و لعله ترك الجار إعراقا فى التعميم ﴿ بالله ﴾ أى الذى / له جميع الجلال و الإكرام ﴿ و اليوم الأخر ﴾ أى الذى يبعث ٩٩ /
٥ فيه العباد بأرواحهم و أشباحهم، و يبعث [من - [2]] ذكره على الزهادة[3] و ألحد فى العبادة، و [4]بالإيمان به يحصل كمال المعرفة بالله تعالى باعتقاد كمال قدرته[4] ﴿ و عمل صالحا ﴾ أى صدق إيمانه القلبى بالعمل بما [5]أمر به[5]، ليجمع بين فضيلتى العلم و العمل، و يتطابق الجنان مع الأركان ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ يعتد به فى دنيا و لا فى آخرة
١٠ ﴿ و لا هم ﴾ أى خاصة ﴿ يحزنون ﴾ أى على[6] شىء فات، لأنه لا يفوتهم شىء يؤسف عليه أصلا، و أما غيرهم فهم فى الحزن أبدا، و[7] فى الآية تكذيب لهم فى قولهم "ليس علينا فى الامين سبيل[8]" المشار إليه فى هذه السورة بنسبتهم إلى أكل السحت فى غير موضع، و فى نصوص التوراة الموجودة بين أظهرهم الآن أعظم ناصح[9] لهم فى ذلك
١٥ كما سبق فى أوائل البقرة، و قال فى السفر الرابع منها عند ذكر التيه[10] و وصاياهم إذ أدخلهم[11] الأرض المقدسة، و مكنهم فيها بأشياء

(١) فى ظ : قبله (٢) زيد و لا بد منه (٣) فى ظ : الزهاد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) فى ظ : امرته (٦) زيد بعده فى الأصل : كل، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) سقط من ظ (٨) سورة ٣ آية ٨٥ (٩) فى ظ : واضح (١٠) فى ظ : اليتهم - كذا (١١) فى ظ : دخلتم، و زيد بعده فيه : إلى .

منها

منها القربان : و إن سكن بينكم رجل غريب يقبل إلىّ أو بين أولادكم لأحقابكم و يقرب قربانا[1] لريح قتار الذبيحة للرب يفعل كما فعلتم أنتم، و لتكن السنة واحدة لكم و للذين يقبلون إلىّ و يسكنون بينكم سنة جارية لأحقابكم إلى الأبد، و الذين يقبلون إلىّ من الغرباء يكونون أمام الرب مثلكم، و لتكن[2] لكم سنة واحدة و حكومة واحدة لكم و للذين[3] يقبلون إلىّ ٥ و يسكنون معكم .

و لما كانت هذه البشارة - [الصادقة - [4]] من العزيز العليم الذى أهل الكتاب أعرف الناس به لمن آمن كائنا من كان - موجبة[5] للدخول فى الإيمان و التعجب ممن لم يسارع إليه ، و كان أكثر أهل الكتاب إنما يسارعون فى الكفر ، كان الحال مقتضيا لتذكر ما مضى من قوله تعالى ١٠ " و لقد اخذ الله ميثاق بنى اسراءيل و بعثنا منهم[6] اثنى عشر نقيبا " و زيادة العجب منهم مع ذلك، فأعاد سبحانه الإخبار به مؤكدا له تحقيقا لأمره و تفخيما لشأنه، و ساقه على وجه يرد دعوى البنوة و المحبة، ملتفتا مع التذكير بأول قصصهم[7] فى هذه السورة إلى أول السورة " اوفوا بالعقود " و عبر فى موضع الجلالة بنون العظمة، و جعل بدل النقباء الرسل فقال ١٥ مستأنفا : ﴿ لقد اخذنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ ميثاق بنىٓ اسرآءيل ﴾ أى على الإيمان بالله ثم بمن يأتى بالمعجز مصدقا لما عنده[8] بحيث يقوم

(١) فى ظ : قربا - كذا (٢) فى ظ : لكن (٣) زيد بعده فى ظ : من (٤) زيد من ظ (٥) فى الأصل و ظ : موجب - كذا (٦) من ظ و القرآن الكريم سورة ٥ آية ١٢ ، و فى الأصل : منكم (٧) فى ظ : قصصه (٨) فى ظ : عندهم .

الدليل على أنه من رسل[١] الله الذين تقدم أخذ العهد عليهم بالإيمان بهم[٢]، و دل على عظمة الرسل بقوله فى مظهر العظمة: ﴿و ارسلنآ اليهم رسلا[٤]﴾ أى لم نكتف[٣] بهذا العهد، بل[٢] لم نخلهم من بعد موسى من الرسل الذين يُرونهم الآيات و يجددون لهم أوامر الرب إلى زمن عيسى عليه السلام؛

٥ روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه ـ البخارى فى بنى إسرائيل[٤] و مسلم فى المغازى ـ أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: كانت بنو إسرائيل تسوسهم[٥] الأنبياء، كلما هلك نبى خلفه نبي، و إنه لا نبى بعدى، و سيكون خلفاء فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا؟ [٦]قال: فوا[٦] ببيعة الأول فالأول و أعطوهم حقهم، فان الله سائلهم عما استرعاهم - انتهى.

١٠ و مع ذلك فلم يخل لهم زمان طويل من الكفر [لا - [٧]] فى زمن موسى ولا فى زمن من بعده من الأنبياء عليهم السلام، حتى قتلوا كثيرا من الرسل [٨]و هو معنى قوله[٨] ـ جوابا لمن كأنه قال: ما فعلوا بالرسل -: ﴿كلما جآءهم رسول﴾ أى من أولئك الرسل أىّ رسول كان ﴿بما لا تهوىٰ انفسهم لا﴾ أى بشيء لا تحبه نفوسهم محبة تتساقط بها إليه، /١٠٠

١٥ خالفوه، فكأنه قيل: أىّ مخالفة؟ فقيل: ﴿فريقا﴾ أى من الرسل ﴿كذبوا﴾ أى كذبهم بنو إسرائيل من غير قتل، و دل على شدة بشاعة القتل و عظيم شناعته بالتعبير بالمضارع تصويرا للحال الماضية و تنبيها على أن هذا ديدنهم

(١) فى ظ: رسول (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: لم يكتف (٤) راجع كتاب الأنبياء (٥) فى ظ: يرسوسهم (٦ - ٦) من ظ و صحيح البخارى، و فى الأصل: قافوا - كذا (٧) زيد من ظ (٨ - ٨) تكرر ما بين الرقمين فى ظ بعد «ما فعلوا بالرسل».

و هو أشد من التكذيب فقال: ﴿ و فريقا يقتلون ﴾ أي مع التكذيب و ليدل على ما وقع منهم [١] في سم [١] النبي صلى الله عليه و سلم ، و قدم المفعول للدلالة على انحصار أمرهم في حال التكذيب و القتل ، فلا حظ لهم في تصديق مخالف [٢] لأهويتهم ﴿ و حسبوا ﴾ أي لقلة [٣] عقولهم مع مباشرتهم لهذه العظائم التي ليس بعدها شيء ﴿ الا تكون ﴾ أي ٥ توجد ﴿ فتنة ﴾ أي أنه [٤] لا يصيبهم بها عذاب في الدنيا و لا خزى في الأخرى ، بل استحقوا بأمرها . فلا تعجب أنت من جرأتهم في ادعائهم أنهم أبناء الله [٥] و أحباؤه ؛ و قرئ : تكون - بالرفع تنزيلا للحسبان منزلة [٦] العلم فتكون مخففة من الثقيلة [٧] التي للتحقيق [٧] ، و بالنصب كان الحسبان على بابه ، و " أن " على بابها خفيفة ناصبة [٨] للفعل ، لأن القاعدة - كما ذكر ١٠ الواحدي - أن [٩] الأفعال على ثلاثة أضرب : فعل للثبات و الاستقرار كالعلم و التيقن و البيان [١٠] ، تقع بعده الثقيلة دون الخفيفة ؛ و فعل للزلزلة و الاضطراب [١١] كالطمع و الخوف و الرجاء ، فلا يكون بعده إلا الخفيفة الناصبة للضارع ؛ و فعل يقع على وجهين كحسب : تارة تكون بمعنى

(١-١) في ظ : من سهم (٢) في ظ : تحليف - كذا (٣) في ظ : لخفة (٤) في ظ : انهم (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : بمنزلة (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ ، و في الأصل : فا نصبته ، و في روح المعاني ٢ / ٣٥٨ : و قرأ أبوعمرو وحمزة و الكسائي و يعقوب « ان لا تكون » بالرفع على أن " ان " هي المخففة من الثقيلة : و أصله : أنه لا تكون ، فخفف " أن " و حذف ضمير الشأن (٩) في ظ : لان (١٠) في ظ : الثبات (١١) من ظ ، و في الأصل : الاضراب .

طمع فتنصب[1]، و تارة بمعنى علم فترفع[2]؛ فان رفع هنا كان الحسبان
بمعنى العلم عندهم لقوة عنادهم، و إن نصب كان بمعنى الطمع لأنهم عالمون
بأن قتلهم لهم خطأ؛ فتنزل القراءتان على فريقين - والله أعلم، و أيضا
فقراءة الرفع تفيد تأكيد حسبانهم المفيد لعدم خوفهم بزيادة عماهم
٥ ﴿ فعموا ﴾ أي فتسبب عن إدلالهم إدلال الولد و المحبوب جهلا منهم
و حماقة بظنهم أنهم لا تنالهم فتنة أنهم وُجِد[3] عماهم العمى الذى لا عمى
فى الحقيقة سواه، و هو انطماس البصائر «فانها لا تعمى الابصار و لكن
تعمى القلوب التى فى الصدور» حتى فى زمن موسى عليه السلام ﴿ و صموا ﴾
أي بعده[4] و بعد يوشع عليهما السلام، لأن الصمم أضر من العمى، فصاروا
١٠ كمن لا يهتدى إلى سبيل أصلا، لأنه لا بصر له بعين و لا قلب و لا سمع
﴿ ثم تاب الله ﴾ أي الذى له الإحاطة بصفات الكمال ﴿ عليهم ﴾ أي
فرجعوا إلى الحق و تكرر لهم ذلك ﴿ ثم عموا ﴾ أي فى زمن المسيح
عليه السلام ﴿ و صموا ﴾ أي بعده[4].

و لما كان الإتيان بالضمير مفهما لأن ذلك عمهم كلهم، أعلم سبحانه
١٥ أن ذلك ليس كذلك بقوله: ﴿ كثير منهم ﴾ إلا أن سوقه للعبارة
هذا المساق يدل على أن من لم يكفر منهم كان مزلزلا[5] غير راسخ القدم
فى الهدى - و الله أعلم، و ربما دل عليه قوله: ﴿ و الله ﴾ أي المحيط بكل
شيء قدرة و علما ﴿ بصير بما يعملون ﴾ أي و إن دق و إن كانوا

(١) فى ظ: فينصب (٢) فى ظ: فرفع (٣) فى ظ: وجدوا (٤ - ٤) سقط ما بين
الرقمين من ظ (٥) فى ظ: متزلزلا.

يظنون

يظنون أنهم أسسوا[1] عملهم على علم، و قد مضى فى قوله "من لعنه الله و غضب عليه" ما يشهد لهذا من عبادتهم بعلا الصنم و غيره من الأصنام مرة بعد مرة.

/ و لما أخبر تعالى بفساد أعمالهم، دل على ذلك بقوله مستفتحا[2] /١٠١
مبينا من حال النصارى ما بين من حال اليهود، و مؤكدا لختم آية التبليغ ٥
بما ينقض دعواهم فى البنوة و المحبة: ﴿لقد كفر﴾ أى ستر ما دل عليه النقل و هدى إليه العقل ﴿الذين قالوآ ان الله﴾ أى على ما له من نعوت الجلال و الجمال ﴿هو المسيح﴾ فبين بصيغة فعيل - التى لا مانع من أن تكون للمفعول - بُعْدَه عما ادعوه فيه، ثم أوضح ذلك بقوله: ﴿ابن مريم﴾
إيضاحا لا خفاء معه. ١٠

و لما كانت دعوى الاتحاد الذى هو قول اليعقوبية أشد فى الكفر و أنفى للاله من دعوى التثليث الذى هو قول النسطورية و الملكية القائلين بالأقانيم، قدمها و بين تعالى أنهم خالفوا فيها أمر المسيح الذى ادعوا أنه[3] الإله فقال: ﴿و قال﴾ أى قالوا هذا الذى كفروا به و الحال أنه قال لهم ﴿المسيح﴾ [ضغطة عليهم و دعاء إلى ما هو الحق -[4]] ﴿يبنى اسرآءيل﴾ ١٥
أى الذى كان يتشرف بعبادة الله و تسميته بأنه عبده ﴿اعبدوا الله﴾ أى الملك الأعظم [الذى -[4]] كل شيء تحت قهره، فأمرهم بأداء الحق لأهله مذكرا لهم بعظمته، ثم ذكرهم بإحسانه و أنه و إياهم فى ذلك شرع

(١) من ظ، و فى الأصل: اسدوا - كذا (٢) من ظ، و فى الأصل: مستنتجا - كذا (٣) فى ظ: انفتح - كذا (٤) زيد من ظ.

وأحد ، فقال مقدما لما يتعلق به لأنه أهم لإنكارهم له ﴿ ربي و ربكم ﴾ فلم يطيعوا الإلـه الحق [1] و لا [1] الذي ادعوه إلها ، فلا أضل منهم و لا أسفه ؛ قال أبو حيان في النهر : و هذا الذي ذكره الله تعالى عنه هو [2] مذكور في إنجيلهم يقرؤنه و لا يعملون بـه ، و هو قول المسيح : يا معشر بني ٥ المعمودية - و في رواية : يا معشر الشعوب - قوموا بنا إلى أبي و أبيكم و إلى [3] إلهي و إلهكم و مخلصي و مخلصكم - انتهى . و قد أسلفت أنا في آل عمران و غيرها عن الإنجيل كثيرا [4] من شواهد ذلك ، و يأتي في هذه السورة و غيرها كثير منه .

و لما [5] أمرهم بما يفهم منه الإخلاص لله تعالى في العبادة لما ذكر ١٠ من جلاله و أن ما سواه مربوب ، و لأنه أغنى الأغنياء، فمن أشرك به شيئا لم يعتد [6] له [7] بعبادة ، علل [7] ذلك بقوله : ﴿ انه من يشرك ﴾ أي الآن أو [8] بعد الآن في زمن من الأزمان ﴿ بالله ﴾ أي الذي تفرد بالجلال في عبادة أو فيما هو مختص به من صفة أو فعل [9] ﴿ فقد حرم الله ﴾ أي الذي له الأمر كله فلا أمر لأحد معه ﴿ عليه الجنة ﴾ أي منعه من دخولها [10] ١٥ منعا عظيما متحتما .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد بعده في الأصل : الحق ، ولم تكن الزيادة في ظ و النهر فحذفناها - راجع البحر المحيط ٣/٥٣٤ (٣) سقط من النهر . (٤) في ظ : كثير (٥) من ظ ، وفي الأصل : ما (٦) في ظ : لم يعتقد (٧-٧) من ظ ، وفي الأصل : بعباد عله (٨) في ظ : اي (٩) في ظ : فعله (١٠) من ظ ، و في الأصل : دخول الجنة .

و لما كان المنع من دار السعداء [١]مفهما لكونه[١] فى دار الأشقياء، صرح به فقال: ﴿ و ماوٰىه ﴾ أى محل سكناه ﴿ النارُ ﴾ و لما جرت عادة الدنيا بأن[٢] من نزل به ضيم يسعى فى الخلاص منه بأنصاره و أعوانه، نفى ذلك سبحانه مظهرا للوصف المقتضى لشقائهم تعليلا و تعميما فقال: ﴿ و ما للظّٰلمين ﴾ أى لهم لظلمهم ﴿ من انصار ه ﴾ لا بفداء و لا بشفاعة و لا ٥ مقاهرة بمجاهرة و لا مساترة، لأن من وضع عمله فى غير موضعه فكان ماشيا فى الظلام، لا تمكنه[٣] أصلا مقاومة[٤] مَنْ هو فى أتم ضياء، و هذا على التهديد على الكفر فلا يصح أن يكون على مطلق المعصية و لو كانت كبيرة، فبطل قول المعتزلة.

و لما انقضى هذا النقض، و قدمه لأنه كما مضى أشد، أتبعه إبطال ١٠ دعوى التثليث بقوله مبدلا من تلك النتيجة نتيجة أخرى: ﴿ لقد كفر الذين قالوآ ﴾ بجرأة على الكلام المتناقض و عدم حياء / ﴿ ان الله ﴾ /١٠٢ أى على ما له من العظمة التى منها الغنى المطلق ﴿ ثالث ﴾ أى واحد ﴿ ثلٰثة م ﴾ أى كلهم آلهة[٥]، و أما القائل بأنه ثالث بالعلم فلا يكفر.

و لما أعلم بكفرهم، أشار إلى إبطاله كما أشار إلى إبطال الأول كما ١٥ سلف بما لا يخفى على أحد، تحقيقا لتلبسهم بمعنى الكفر الذى هو ستر ما هو ظاهر فقال: ﴿ و ما ﴾ و أغرق فى النفى كما هو الحق و اقتضاه المقام فقال: ﴿ من الٰه الآ الٰه واحدٌ ﴾ أى قالوا ذلك و الحال أنه لا يصح

(١-١) فى ظ: مغنيا للكون (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: لا يمكنه (٤) فى ظ: مقامه (٥) من ظ، و فى الأصل: اله.

و لا يتصور فى العقل أن يكون الإله متعددا لا تحقيقا و لا تقديرا بوجه من الوجوه، لا يكون إلا واحدا بكل اعتبار ، و هو الله تعالى لا غيره ، و قد بين عيسى عليه السلام فى الإنجيل الذى بين أظهرهم أنه[1] لا يصح أن يكون الإله إلا واحدا - بالمعتمد من أدلة ذلك عند محقق أهل الأصول وهو برهان ٥ التمانع المشار إليه فى كتابنا بقوله تعالى " لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا[2] " فقال مترجمهم فى إنجيل متى : حينئذ أتى إليه - أى عيسى عليه السلام - بأعمى أخرس[3] به شيطان ، فأبرأه حتى أنه تكلم و أبصر ، فبهت الجمع كلهم و قالوا : لعل هذا هو ابن داود ! فسمع الفريسيون فقالوا : هذا لا يخرج الشياطين إلا بباعل زبول رئيس الشياطين ، فلما علم مكرهم قال لهم : كل ١٠ مملكة تنقسم على ذاتها تخرب ، و كل مدينة أو بيت ينقسم لا يثبت[4] ، فان كان الشيطان يخرج الشيطان [5]فقد انقسم فكيف يقوم ملكه ؟ فان كنت أنا أخرج الشياطين[5] بباعل زبول فأبناؤكم بما[6] تخرجونهم ! من أجل هذا هم يكونون[7] عليكم ، و إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد قربت منكم ملكوت الله ، و كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت ١٥ القوى و يخطف متاعه إلا أن يربط القوى[8] أولا ، حينئذ ينهب بيته . و قال مرقس[9] : و أما [10]الكتبة الذين[10] أتوا من يروشليم فقالوا : إن بعل زبول معه ، و باركون [11] الشياطين يخرج الشياطين ؛ فدعاهم و قال لهم : كيف

---

(١) فى ظ : لانه (٢) سورة ٢١ آية ٢٢ (٣) من ظ ، و فى الأصل : اخر - كذا .
(٤) فى ظ : لا تثبت (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : بماذا (٧) فى ظ : يحكمون (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : قش (١٠-١٠) فى ظ : الكهنة الذى (١١) بمعنى الرئيس و الكبير ، و قد يأتى تفسيره بعد .

يقدر

يقدر شيطان أن يخرج شيطانا ! و كل مملكة تنقسم لا تثبت تلك المملكة ،
فاذا اختلف أهل البيت لا يثبت ذلك البيت ، و إن كان الشيطان الذى
يقاوم بقيته و ينقسم فلن يقدر أن يثبت ، لكن له انقضاء ، لا يقدر أحد
أن يدخل بيت[1] القوى و ينتهب بيته إلا أن يربطه[2] أولا ، و ينتهب
متاعه ، الحق أقول لكم ! [3]إن كل[3] شيء يغفر[4] لبنى الناس من الخطايا ٥
و التجديف الذى يجدفونه[5] ، و المجدفين على روح القدس ليس يغفر لهم
إلى الأبد ، بل يحل بهم العقاب الدائم ، لأنهم يقولون : إن معه روحا
نجسا . قال متى : من ليس معى فهو [3]علىّ ، و من لا يجمع معى فهو[3]
يفرق ، من أجل هذا أقول لكم : إن كل خطيئة و تجديف يترك للناس ،
و التجديف على روح[6] القدس لا يترك ، و[1] من يقل كلمة على ابن الإنسان ١٠
يترك[7] له ، و الذى يقول على روح القدس لا يترك له فى هذا الدهر
و لا فى الآتى ، إما[8] أن تصيروا الشجرة الجيدة و ثمرتها جيدة ، و إما
أن تصيروا الشجرة الرديئة و ثمرتها رديئة ، لأن من الثمرة تعرف الشجرة ،
يا أولاد الأفاعى ! كيف[9] تقدرون أن تتكلموا[9] بالصلاح و أنتم أشرار !
إنما يتكلم الفم من فضل ما فى القلب ، الرجل الصالح من كنزه الصالح يخرج ١٥
الصلاح ، و الرجل الشرير من كنزه الشرير يخرج الشر ، أقول لكم[1] : إن / ١٠٣
[كل - [10]] كلمة يتكلم بها الناس بطالة يعطون عنها جوابا فى يوم

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تربطه (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) زيد بعده فى ظ : لكم (٥) من ظ ، و فى الأصل : تجدفونه (٦) فى ظ : الروح .
(٧) فى الأصل و ظ : لا يترك ، و مبنى التصحيح نص الإنجيل (٨) فى ظ : الا .
(٩-٩) فى ظ : يقدرون أن يتكلموا (١٠) زيد من ظ .

الدين، لأنك من كلامك تبرّر، و من كلامك يحكم عليك . و فى إنجيل
لوقا : و فيما هو يتكلم إذ[1] رفعت امرأة من الجمع صوتها و قالت : طوبى
لبطن التى حملتك، و لثدى التى أرضعتك، فقال [لها - [2]] : مهلا ! طوبى
لمن يسمع كلام الله و يحفظه - انتهى . حينئذ[3] أجابه قوم من الكتبة
٥ و الفريسيين قائلين : نريد يا معلم أن ترينا آية، أجابهم و قال لهم :
الجيل الشرير الفاسق يطلب آية فلا يعطى آية إلا آية يونان النبى ؛ قال لوقا :
فكما[4] كان فى يونان آية لأهل نينوى ، كذلك يكون ابن الإنسان لهذا الجيل
آية - انتهى . رجال نينوى يقومون فى الحكم و يحاكمون هذا الجيل، لأنهم
تابوا بكرزة يونان - و قال لوقا : بانذار يونان - و هٰهنا أفضل من
١٠ يونان ، ملكة التيمن تقوم[5] فى الحكم مع هذا الجيل و تحاكمه ،
لأنها أتت من أقصى الأرض لتسمع من حكمة سليمان ، [6] و ههنا أفضل
من سليمان[6] ، إن الروح النجس إذا خرج من الإنسان يأتى أمكنة ليس
[فيها - [2]] ماء ، يطلب راحة فلا يجد ، فيقول حينئذ : أرجع إلى بيتى
الذى خرجت منه ، فيأتى فيجد المكان فارغا مكنوسا مزينا ، فيذهب
١٥ حينئذ و يأخذ معه سبعة أرواح أخر شرا منه و يأتى و يسكن هناك ،
فتصير آخرة ذلك الإنسان شرا[7] من أوليته[8] ، و هكذا يكون لهذا[9]
[الجيل - [2]] الشرير - انتهى . و التجديف هو الكفر بالنعم ، و يونان :

---

(١) فى الأصل : إذا ، و سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : صعيد - كذا .
(٤) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : فلما (٥) فى ظ : يقوم (٦ - ٦) سقط
من ظ (٧) زيد بعده فى ظ : منه (٨) فى الأصل وظ : اولته - كذا (٩) فى ظ :
هذا .

يونس عليه السلام ، و الكرزة - بينهـا لوقا بأنها الإنذار ، و التيمن : اليمن . و الأركون - بضم الهمزة و الكاف بينهما راء مهملة ساكنة : الكبير ، و يروشليم - بفتح التحتانية و ضم[1] المهملة ثم شين معجمة : بيت المقدس ، و باعل زبول[2] - بموحدة و عين مهملة و زاى و موحدة .

هذا الدليل على التوحيد و أن الشركة فى الإلهية لا تصح أصلا ، و أما ٥ الدليـل على عدم شركة كل من عيسى و أمه عليهما السلام بخصوصها فسيأتى تقريره بقوله تعالى "كانا يأكلـن الطعام" و المراد من ذلك كله أنه متى دخلت الشركة أنى النقص فعلا أو إمكانا[3] ، و من اعترته شائبة نقص لم يصح كونه إلها .

و لما أخبر أنهم كفروا ، و أشـار إلى نقض قولهم ، كان أنسب ١٠ الأشياء بعده[4] أن يعطف عليـه ترهيبهم ثم ترغيبهم فقال تعالى : ﴿و ان لم ينتهوا﴾ أى الكفرة بجميع أصنافهم[5] ﴿عما يقولون﴾ أى من هاتين المقالتين و ما داناهما[6] ﴿ليمسن﴾ أى مباشرة من غير حائل ﴿الذين كفروا﴾ أى داموا على الكفر ، و بشر سبحـانه بأنه يتوب على بعضهم بقوله : ﴿منهم عذاب اليم ﴾ . ١٥

و لما كان من شأن العاقل أنه لا يقدم على باطل ، فان وقع ذلك منه و شعر[7] بنوع ضرر يأتى بسببه بادر إلى الإقلاع عنه ، تسبب عن هذا الإنذار - بعد بيان العوار - الإنكارُ عليهم فى عدم المبادرة إلى التوبة إيضاحا

(١) من ظ ، وفى الأصل : بضم (٢) فى ظ : ذيلول (٣) فى ظ : مكانا (٤) من ظ ، وفى الأصل : بعد (٥) فى ظ : اوضاعهم (٦) فى ظ : دناهما (٧) فى ظ : شغف .

لأن معنى كفروا: داموا[1] عليه ، فقال : ﴿ افلا يتوبون ﴾ أى يرجعون بعد هذا الكفر الذى لا أوضح من بطلانه و لا أبين من فساده و الوعيد الشديد ﴿ الى الله ﴾ أى المتصف بكل وصف جميل ﴿ و يستغفرونه ﴾ أى يطلبون منه غفران ما أقدموا عليه من العار البين العوار ؛ و لما

٥ كان التقدير : فالله تواب حكيم ، عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ [2] و يجوز أن يكون التقدير : و الحال أن المستجمع لصفات الكمال أزلا و أبدا ﴿ غفور ﴾ أى بليغ المغفرة ، يمحو الذنوب فلا يعاقب عليها و لا يعاتب / ﴿ رحيم ﴾ أى[3] بالغ الإكرام لمن أقبل إليه . /١٠٤

و لما أبطل الكفر كله باثبات أفعاله من إرساله و إنزاله و غير ذلك

١٠ من كماله ، و أثبت التوحيد على وجه عام ، أتبع ذلك تخصيص ما كفر به المخاطبون بالإبطال ، فكان ذلك دليلا خاصا بعد دليل عام ، فقال تعالى على وجه الحصر فى الرسلية ردا على من يعتقد[4] فيه الإلهية واصفا له بصفتين لا يكونان إلا لمصنوع[5] مربوب : ﴿ ما المسيح ﴾ أى الممسوح بدهن القدس المطهر المولود لأمه[6] ﴿ ابن مريم الا رسول ج ﴾ و بين

١٥ أنه ما كان بدعا ممن كان قبله من إخوانه بقوله: ﴿ قد خلت من قبله الرسل ﴾ أى فما من خارقة له ، و[7] إلا و قد كان مثلها أو أعجب منها لمن قبله كآدم عليه السلام [7] فى خلقه من تراب ، و موسى عليه السلام[7] فى قلب العصى

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : اداموا (٢) زيد بعده فى ظ : أى (٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : افتعل ـ كذا (٥) فى ظ : المصنوع (٦) فى الأصل و ظ : لانه .
(٧-٧) تكرر ما بين الرقمين فى ظ .

حية تسعى - و نحو ذلك .

و لما كفروا بأمه أيضا عليهما السلام بين ما هو الحق في أمرها فقال: ﴿ و امه صديقة ط ﴾ أى بليغة الصدق فى نفسها و التصديق لما ينبغى أن يصدق ، فرتبتها تلى رتبة الأنبياء ، و لذلك تكون من أزواج نبينا صلى الله عليه و سلم فى الجنة . و هذه الآية من أدلة من قال : إن مريم ٥ عليها السلام لم تكن نبية ، فانه تعالى ذكر أشرف صفاتها فى معرض الرد على من قال بالهيتهما إشارة إلى بيان ما هو الحق فى اعتقاد ما لهما من أعلى الصفات ، و أنه من رفع واحدا منهما فوق ذلك فقد أطراه ، و من نقصه عنه فقد ازدراه ، فالقصد العدل[1] بين الإفراط و التفريط باعتقاد أن أعظم صفات عيسى عليه السلام الرسالة ، و أكمل صفات ١٠ أمه الصديقية .

و لما كان المقام مقام البيان عن نزولها عن رتبة الإلهية ، ذكر أبعد[2] الأوصاف منها فقال: ﴿ كانا يا كلن الطعام ط ﴾ و خص الأكل لأنه مع كونه ضعفا لازما ظاهرا هو أصل الحاجات المعترية للانسان، فهو تنبيه على غيره ، و[3] من الأمر الجلى أن الإله لاينبغى أن يدنو إلى جنابه عجز ١٥ أصلا ، و قد اشتمل قوله تعالى "و قال المسيح" و قوله " كانا يا كلن [الطعام -[4]] " على أشرف أحوال الإنسان و أخسها ، فأشرفها عبادة الله ، و أخسها الاشتغال عنها بالأكل الذى هو[3] مبدأ[5] الحاجات .

(١) فى ظ : العد (٢) فى ظ : بعد (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و القرآن الكريم (٥) فى ظ : تبدا - كذا.

و لما أوضح ما هو الحق فى أمرهما حتى ظهر كالشمس بُعدُهما عما ادعوه فيهما، أتبعه التعجب[١] من تمام قدرته على إظهار الآيات و على الإضلال بعد ذلك البيان فقال: ﴿ انظر كيف نبين لهم الأيت ﴾ أى نوضح أيضاحا شافيا العلامات التى من شأنها الهداية إلى الحق و المنع من
٥ الضلال؛ و لما كان[٢] العمى عن هذا البيان فى غاية البعد، أشار إليه بأداة التراخى فقال: ﴿ ثم انظر أنّى ﴾ أى كيف و من أين؛ و لما كان العجب قبولهم[٣] للصرف و تأثرهم به، لا كونه من صارف معين، بنى للمفعول قوله: ﴿ يؤفكون ۝ ﴾ أى يصرفون عن الحق و بيان الطريق صرفَ من لا نور له أصلا من[٢] أىّ صارف كان، فصرفهم[٤] فى غاية السفول، [٥]و بيان الآيات
١٠ فى غاية العلو[٥]، فبينهما بون عظيم.

و لما نفى عنهما الصلاحية لرتبة الإلهية للذات، أتبعها نفى ذلك من حيث الصفات، فقال منكرا مصرحا بالإعراض عنهم إشارة إلى أنهم ليسوا أهلا للاقبال عليهم: ﴿ قل ﴾ أى للنصارى أيها الرسول[٦] الأعظم ﴿ ا تعبدون ﴾ [٧]و نبه على أن كل شيء دونه، و أنهم اتخذوهم وسيلة إليه
١٥ بقوله: ﴿من دون الله[٧]﴾ / و نبه باثبات الاسم الأعظم[٢] على أن له جميع الكمال، و عبر عما عبدوه بأداة[٨] ما لا يعقل تنبيها على أنه سبحانه هو[٩] الذى

---

(١) فى ظ: التعجيب (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: قولهم (٤) فى ظ: يصرفهم.
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ: الرسل (٧ - ٧) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل. و سقط "من دون الله" من ظ، و زيد بعده فى الأصل: اى، ولم نكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٨) فى ظ: مناداة (٩) تقدم فى ظ على «سبحانه».

أفاض عليه[1] ما رفعه عن ذلك الحيز[2]، و لو شاء لسلبه عنه فقال: { ما لا يملك لكم ضرا } أى من نفسه فتخشوه { و لا نفعا[4] } أى فترجوه، ليكون لكم نوع عذر أو شبهة، و لا هو سميع يسمع كل ما يمكن سمعه بحيث[3] يغيث المضطر إذا استغاث به فى [أىّ - [4]] مكان كان، و لا عليم يعلم كل ما يمكن علمه بحيث يعطى على حسب ذلك، و كل ما يملك ٥ من ذلك فبتمليك الله[5] له كما ملككم من ذلك ما شاء.

و لما نفى عنه ما ذكر تصريحا و تلويحا، أثبته لنفسه المقدسة كذلك فقال: { و الله } أى و الحال أن الملك الذى له الأسماء الحسنى و الصفات العلى و الكمال كله { هو } أى خاصة { السميع العليم ه } و هو وحده الضار النافع، يسمع منكم هذا القول و يعلم هذا المعقد[6] ١٠ السيئ، و إنما قرن بالسميع العليم، دون البصير لإرادة التهديد لمن عبد غيره، لأن العبادة قول أو فعل، [7]و من الفعل[7] ما محله القلب و هو الاعتقاد، و لا يدرك بالبصر بل بالعلم، و الآية - كما ترى - من الاحتباك: دل بما أثبته لنفسه [على سبيل القصر - [4]] على نفيه فى الجملة الأولى عن غيره، و بما نفاه فى الجملة الأولى عن غيره على إثباته له - و الله الموفق. ١٥

و لما قامت الأدلة على بطلان قول اليهود ثم [على - [4]] بطلان مدعى النصارى، و لم يبق لأحد علة، أمره صلى الله عليه و سلم أن ينهى الفريقين عن الغلو بالباطل فى أمر عيسى عليه السلام: اليهود

(١) فى ظ: اليه (٢) فى ظ: الحير (٣) من ظ، وفى الأصل: بعيشه (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: العقد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

بإزاله عن[1] رتبته ، و النصارى برفعه عنها بقوله تعالى: ﴿قل يٰأهل الكتٰب﴾ أى عامة ﴿لا تغلوا﴾ أى تجاوزوا الحد علوا و لا نزولا ﴿فى دينكم﴾ .

و لما كان الغلو ربما أطلق على شدة الفحص عن الحقائق

٥ و استنباط الخفى من الأحكام و الدقائق من خبايا النصوص ، نفى ذلك بقوله : ﴿غير الحق﴾ و عرّفه ليفيد أن المبالغة فى الحق غير منهى عنها ، و إنما المنهى عنه تجاوز دائرة الحق بكمالها ، و لو نكر لكان من جاوز حقا إلى غيره واقعا فى النهى ، كمن جاوز الاجتهاد فى الصلاة النافلة إلى الجد فى العلم النافع ، و لو قيل : باطلا ، لأوهم أن المنهى عنه[2]

١٠ المبالغة فى الباطل ، لا أصله و مطلقه .

و لما نهاهم أن يضلوا بأنفسهم ، نهاهم أن يقلدوا فى ذلك غيرهم فقال : ﴿ولا تتبعوا﴾ أى فاعلين فعل من يجتهد فى ذلك ﴿اهوآء قوم﴾ أى هَوَوا مع ما لهم من القوة ، فكانوا أسفل سافلين ، و الهوى لا يستعمل إلا فى الشر ﴿قد ضلوا﴾ و لما كان ضلالهم غير مستغرق

١٥ للزمان الماضى . أدخل الجار فقال : ﴿من قبل﴾ أى من قبل زمانكم[3] هذا عن منهاج العقل فصبروا على ضلالهم و أنسوا بما تمادوا عليه فى[4] محالهم ﴿واضلوا﴾ أى لم يكفهم ضلالهم فى أنفسهم حتى أضلوا غيرهم ﴿كثيرا﴾ أى من الناس بتماديهم فى الباطل من التثليث و غيره حتى

---

(١) فى ظ : على (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : زمانهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : من .

ظ

ظن حقا ﴿ و ضلوا ﴾ أى بعد بعث النبي صلى الله عليه و سلم بمنابذة الشرع ﴿ عن سوآء ﴾ أى عدل ﴿ السبيل ﴾ أى الذى لا سبيل فى الحقيقة غيره، لأن الشرع هو الميزان[1] القسط و الحكم العدل، و هذا إشارة إلى أنهم [إن -[2]] لم ينتهوا كانوا على محض التقليد لأسلافهم الذين هم فى غاية البعد / عن النهج[3] و ترك الاهتداء بنور العلم[4]، و هذا ٥ /١٠٦ غاية فى التبكيت، فان تقليدهم لو كان فيما يشبه[5] الحق كان جهلا، فكيف و إنما هو تقليد فى هوى.

و لما نهاهم[6] عن ذلك و قبحه عليهم، علله محذرا منه بقوله تعالى بانيا[7] للفعول، لأن الفاعل معروف بقرينة[8] من هو على لسانهما: ﴿ لعن ﴾ و وصفهم بما نبه على علة لعنهم بقوله: ﴿ الذين كفروا ﴾ و صرح بنسبتهم ١٠ تعيينا لهم و تبكيتا[9] و تقريعا فقال: ﴿ من بنى اسرآءيل ﴾ و أكد هذا اللعن و فخمه بقوله: ﴿ على لسان داود ﴾ أى[10] الذى كان على شريعة موسى عليه السلام، و ذلك باعتدائهم فى السبت فصاروا قردة ﴿ و عيسى ابن مريم ﴾ أى الذى نسخ شرع موسى عليه السلام، بكفرهم بعد المائدة فمسخوا خنازير، لأنهم[10] خالفوا النبيين معا، فلا هم تعبدوا بما دعاهم إليه ١٥ داود عليه السلام من شرعهم الذى هم مدعون التمسك به، و عارفون

(١) زيد بعده فى ظ: ان (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: المنهج (٤) من ظ، و فى الأصل: المعلم (٥) من ظ. وفى الأصل: يشبهه (٦) من ظ، و فى الأصل: تهواهم (٧) فى ظ: بيانا له (٨) من ظ، و فى الأصل: لقرينه - كذا (٩) سقط من ظ (١٠ - ١٠) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «كما مضى».

بأن ما دعاهم إليه منه[1] حقا، و لا هم خرجوا عنه إلى ما أمروا بالخروج
إليه على لسان موسى عليه السلام فى بشارته به[1] متقيدين بطاعته، فلم تبق[2]
لهم علة من التقيد به و لا التقيد[3] بحق دعاهم إليه غيره، فعلم قطعا أنهم
مع الهوى كما مضى، [و - [4]] لم ينفعهم مع نسبتهم إلى [5]واحدة من[5]
٥ الشريعتين نسبتُهم إلى إسرائيل عليه السلام، فانه لا نسب لأحد عند الله
دون التقوى لا سيما فى يوم الفصل إذ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو إلا المتقين .

و لما أخبر بلعنهم[6] و أشار إلى تعليله بكفرهم، صرح بتعليله بقوله:
﴿ ذلك ﴾ أى اللعن التام ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما[1] ﴿ عصوا ﴾ أى
١٠ فعلوا فى ترك أحكام الله فعل العاصى على الله ﴿ و كانوا يعتدون ه ﴾ أى
كانت مجاوزة الحدود التى حدها الله لهم خلقا .

ذكر الإشارة إلى لعنهم فى الزبور و الإنجيل، قال فى المزمور
السابع و السبعين[7] من الزبور : أنصت[8] يا شعبى لوصاياى[9]، قربوا أسماعكم
إلى قول فمى، فانى أفتح بالأمثال فمى، و أنطق بالسرائر الأزلية التى
١٥ سمعناها و عرفناها و أخبرنا آباؤنا بها و لم يخفوها عن أبنائهم ليعرفوا الجيل
الآتى تسابيح[10] الرب و قوته و عجائبه التى صنعها، أقام شهادته فى يعقوب

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : فلم يبق (٣) فى ظ : التعبد (٤) زيدت الواو من
ظ (٥-٥) من ظ، وفى الأصل : اسرال-كذا (٦) فى ظ : تلعنهم (٧) و النص
الآتى إنما هو فى المزمور الثامن و السبعين فيما عندنا من نسخ الزبور (٨) من ظ،
و فى الأصل : انصب (٩) من ظ ، وفى الأصل : لوصاى (١٠) فى ظ : بتسابيح .

وجعل ناموسا فى إسرائيل كالذى أوصى آباءنا ليعلموا أبناءهم ، لكيما يخبر الجيل الآخر البنين الذين يولدون و يقومون ، و يعلمون أيضا بنيهم أن يجعلوا توكلهم على الله و لا ينسوا أعمال الرب، و يتبعوا [1]وصاياه لئلا يكونوا كآبائهم[1] الجيل المنحرف المخالف الخلف الذى لم يثق قلبه و لم يؤمن بالله المفرج عنه ، بنو إفرام الذين أوتروا و رفعوا[2] عن قسيهم و انهزموا فى يوم القتال ٥ لأنهم لم يحفظوا عهد الرب و لم يشاؤا أن يسيروا فى سبله ، و نسوا حسن[3] أعماله و صنائعه التى أظهرها[4] قدام آبائهم ، العجائب التى صنعها بأرض مصر فى[5] مزارع صاعان ، فلق البحر و أجازهم و أقام المياه كالزقاق ، هداهم[6] بالنهار فى الغمام و فى الليل أجمع بمصابيح [النار - [7]] ، فلق صخرة فى البرية و سقاهم منها كاللجج[8] العظيمة ، أخرج الماء من الحجر فجرت المياه كجرى ١٠ الأنهار ، و عاد الشعب أيضا فى الخطيئة ، و أسخطوا / العلى حيث لم يكن / ١٠٧ ماء[5] ، جربوا الله فى قلوبهم بمسألة الطعام لنفوسهم ، و قذفوا[9] على الله و قالوا : هل يقدر أن يصنع لنا مائدة فى البرية ، لأنه[10] ضرب الصخرة فجرت المياه و فاضت الأودية ، هل يستطيع أن يعطينا خبزا أو يعد مائدة لشعبه ، سمع الرب فغضب و اشتعلت النار فى يعقوب ، و صعد الرجزُ على إسرائيل ١٥ لأنهم لم يؤمنوا بالله ولا رجوا خلاصه ؛ فأمر السحاب من فوق

(١-١) فى ظ : وصاياهم ليكون - كذا (٢) فى ظ : ذحرا (٣) فى ظ : احسن .
(٤) زيد بعده فى ظ : الرب (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : عراهم .
(٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : كالحج - كذا (٩) فى الأصل : مدحوا ، و فى ظ : قدموا - كذا (١٠) فى ظ : لان .

و انفتحت أبواب السماء و أنزل لهم المن ليأكلوا، أعطاهم خبز السماء، أكله الإنسان، أرسل اليهم صيدا ليشبعوا، أهاج ريح التيمن[1] من السماء و أتى بقوة العاصف[2]، و أنزل اللحم مثل التراب و طير السماء ذات الأجنحة مثل رمل البحار، يسقطن فى محالهم حول خيامهم، فأكلوا و شبعوا جدا،
٥ أعطاهم شهوتهم و لم يحرمهم إرادتهم. فبينما الطعام فى أفواههم إذ غضب الله نزل عليهم فقتل فى كثرتهم و صرع[3] فى مختارى إسرائيل، و مع هذا كله أخطأوا[4] إليه أيضا و لم يؤمنوا بعجائبه، فنيت[5] بالباطل أيامهم، و تصرمت عاجلا سنوهم، فحين قتلهم رغبوا إلى الله و عادوا و ابتكروا إليه و ذكروا أن الله معينهم و أن الله العلى مخلصهم، احبوه بأفواههم
١٠ وكذبوه[6] بألسنتهم، و لم تخلص له قلوبهم و لم يؤمنوا بعهده، و هو رحيم رؤف، يغفر ذنوبهم و لا يهلكهم، و يرد كثرة سخطه عنهم و لا يبعث كل رجزه، و ذكر أنهم لحم و روح يذهب و لا يعود. مرارا كثيرة أسخطوه فى البرية و أغضبوه فى أرض ظامئة[7]، و عادوا [و -[8]] جربوا[9] الله و أسخطوا قدوس إسرائيل، و لم يذكروا يده فى يوم نجاهم[10] من
١٥ المضطهدين[11] - انتهى.

هذا بعض ما فى الزبور، و أما الإنجيل فطافح بذلك؛ منه ما فى

(١) فى ظ : اليمن (٢) فى ظ : العاطف (٣) من ظ و الزبور . و فى الأصل : صرح (٤) فى ظ : خطأوا (٥) فى ظ : فبلت (٦) من ظ ، و فى الأصل : كذبوهم. (٧) من ظ ، و فى الأصل: ظابئة (٨) زيدت الواو من ظ (٩) فى ظ : احربوا. (١٠) فى ظ : نحاهم (١١) فى ظ : المضطرين.

إنجيل متى ، قال : و انتقل يسوع من هناك و جاء إلى عبر[1] الجليل ، و صعد إلى الجبل و جلس هناك ، و جاء إليه جمع كبير معهم[2] خرس و عمى و عرج وعسم و آخرون كثيرون[3]، فخروا عند رجليه فأبرأهم ، و تعجب الجمع لأنهم نظروا الخرس يتكلمون و [4]الصم يسمعون[4] و العرج يمشون[5] و العمى يبصرون، و مجدوا إله إسرائيل ، و إن يسوع دعا تلاميذه و قال لهم: إنى أتحنن[6] ٥ على هذا الجمع ، لأن لهم معى[7] ثلاثة أيام[2] ههنا، و ليس عندهم ما يأكلون ، و لا أريد أطلقهم صياما لئلا يضيعوا فى الطريق ؛ قال مرقس : لأن منهم من جاء من بعيد - انتهى . قال له التلاميذ : من أين نجد[2] من خبز القمح فى البرية ما يشبع هذا الجمع ؟ فقال لهم يسوع : كم عندكم من الخبز ؟ فقالوا : سبعة أرغفة و يسير من السمك[8] ، فأمر الجمع أن يجلس على ١٠ الأرض و أخذ السبع خبزات و السمك[8] و بارك و كسر و أعطى تلاميذه ، و ناول[9] التلاميذ الجمع ، فأكل جميعهم و شبعوا و رفعوا فضلات الكسر سبع قفاف مملوءة ؛ و كان الذين[10] أكلوا نحو أربعة آلاف رجل [11]سوى النساء[11] و الصبيان ، و أطلق الجمع و صعد[12] السفينة [13]و جاء إلى تخوم مجدل - و قال مرقس : إلى نواحى مابونا[14] - و جاء الفريسيون ١٥

---

(١) فى ظ : غير (٢) سقط من ظ (٣) من الإنجيل ، وفى الأصل و ظ : كثير .
(٤-٤) فى الإنجيل: العسم يصحون (٥) فى ظ: يسعون (٦) فى ظ: اتحف - كذا.
(٧) فى ظ : مع (٨) من ظ ، و فى الأصل : سمك (٩) فى ظ : تناول (١٠) فى ظ : الذى (١١ - ١١) فى ظ : يسوى النسوان - كذا (١٢) فى ظ : صعدوا .
(١٣) العبارة من هنا إلى « و الزنادقة يجربونه » سقطت من ظ (١٤) فى الإنجيل : دلمانوثا .

و الزنادقة يجربونه و يسألونه أن يريهم آية من السماء، فأجابهم يسوع
قائلا : إذا كان المساء قلتم : / إن السماء صاحية - لاحمرارها ، و بالغداة ١٠٨ /
تقولون[1]: اليوم شتاء - لاحمرار جو السماء العبوس ، أيها المراؤن ! تعلمون
آية هذا الزمان ، الجيل الشرير الفاسق يطلب آية ، و لا يعطى إلا آية
٥ يونان النبي - و تركهم و مضى ؛ ثم جاء التلاميذ إلى العبر و نسوا أن يأخذوا
خبزا - قال مرقس : و لم يكن فى السفينة إلا رغيف واحد - و إن
يسوع قال لهم : انظروا و تحرزوا من خمير الفريسيين و الزنادقة - و قال
مرقس : و خمير هيرودس[2] - ففكروا قائلين : إنا[3] لم نجد خبزا ، فعلم يسوع
فقال لهم : لما ذا[4] تفكرون فى نفوسكم يا قليلى الأمانة ؟ إنكم ليس معكم
١٠ خبز ، أما تفهمون و[5] لاتذكرون الخمس خبزات لخمسة آلاف و كم سلا[6]
أخذتم ؟ [7]و السبع خبزات لأربعة آلاف ، و كم قفة أخذتم[7] ؟ لما ذا لا تفهمون ؟
لأنى لم أقل لكم من أجل الخبز ، حينئذ فهموا أنه[8] لم يقل لهم أن
يتحرزوا من خمير الخبز ، لكن من تعليم الزنادقة و الفريسيين ، و[6] قال
لوقا : تحرزوا[9] لأنفسكم من خمير الفريسيين الذى هو الرياء[10] ، لأنه ليس
١٥ خفى إلا سيظهر ، و لا مكتوم إلا سيعلم ، الذى تقولونه[11] فى الظلام سيسمع
فى النور ، و الذى وعيتموه فى الآذان سوف ينادى به على السطوح ،

---

(١) فى ظ : يقولون (٢) من ظ ، و فى الأصل : هيروس - كذا (٣) فى ظ : إنما (٤) فى ظ : فما ذا (٥) من الإنجيل ، وفى الأصل وظ : او (٦) سقط من ظ . (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : انهم (٩) فى ظ : تحزوا (١٠) فى ظ : الزنا (١١) فى ظ : يقولونه .

أقول لكم: "يا أحبائي لا تخافوا ممن يقتل الجسد، وبعد ذلك ليس له أن يفعل أكثر، خافوا ممن[1] إذا قتل[2] له سلطان أن يلقى في نار جهنم - وسيأتي بقية الإشارة إلى لعنهم[3] في سورة الصف إن شاء الله تعالى، والعسم[4] جمع أعسم[5] - بمهملتين، وهو من[6] في يده أو قدمه اعوجاج، أو يده يابسة. ٥

ولما علل تعالى لعنهم بعصيانهم وغلوهم[7] في الباطل، بينه مخصصا[8] للعلماء منهم بزيادة تهديد، لأنهم مع كونهم على المنكر لا ينهون غيرهم عنه، مع أنهم أجدر[9] من غيرهم بالنهي، فصاروا على منكرين شديدي[10] الشناعة، وسكوتهم عن النهي مغو[11] لأهل الفساد ومغر لهم ولغيرهم على الدخول فيه[6] والاستكبار منه فقال تعالى: ﴿كانوا لا يتناهون﴾ أي لا ينهى بعضهم بعضا، وبين ١٠ إغراقهم في عدم المبالاة بالتنكير في سياق النفي فقال: ﴿عن منكر﴾.

[ولما كان الفعل ما كان من الأعمال عن داهية من الفاعل سواء كان عن علم أو لا، عبر به إشارة إلى أن لهم في المناكر غرام من غلبته الشهوة، ولم يبق لهم نوع علم، فقال: ﴿فعلوه﴾ - [12]]؛ ولما كان من طبع الإنسان النهي عن كل ما خالفه طبعا أو اعتقادا، لا سيما إن تأيد ١٥ بالشرع، فكان لا يكف[13] عن ذلك إلا بتدريب النفس[14] عليه لغرض[15]

---

(١) في ظ: من (٢) في ظ: قيل (٣) في ظ: الفهم (٤) في ظ: القسيم (٥) في ظ: قسم (٦) سقط من ظ (٧) في ظ: علوتهم (٨) في ظ: مخلصا (٩) في ظ: احذر (١٠) من ظ، وفي الأصل: شدى - كذا (١١) في ظ: مغلو (١٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (١٣) في ظ: لا يكلف (١٤) في ظ: التنفس (١٥) في ظ: بعض.

فاسد أداه إليه، أكد مقسما[1] معبرا بالفعل الذى يعبر به عما قد لا يصحبه علم و لا يكون إلا عن داهية عظيمة فقال: ﴿ لبئس ما كانوا ﴾ أى[2] جبلة و طبعا ﴿ يفعلون ٥ ﴾ إشارة إلى أنهم لما تكررت فضائحهم [و تواترت قبائحهم - [3]] صاروا إلى حيز ما لا يتأتى منه العلم .

٥ و لما أخبر بإقرارهم على المناكر، دل[4] على ذلك بأمر ظاهر منهم لازم ثابت دائم مقوض لبنيان[5] دينهم، فقال موجها بالخطاب[6] لأصدق الناس فراسة و أوفرهم علما و أثبتهم توسما و فهما: ﴿ ترى كثيرا منهم ﴾ أى [من - [3]] أهل الكتاب ؛ و لما كان الإنسان لا ينحاز إلى حزب الشيطان إلا بمنازعة الفطرة[7] الأولى السليمة ، أشار إلى ذلك بالتفعل فقال:

١٠٩/١٠٠ ﴿ يتولون ﴾ أى يتبعون بغاية جهدهم ﴿ الذين كفروا ﴾ أى المشركين مجتهدين فى ذلك مواظبين عليه، و ليس أحد منهم ينهاهم عن ذلك و لا يقبحه عليهم، مع شهادتهم عليهم بالضلال هم و أسلافهم[8] إلى أن جاء هذا النبى الذى كانوا له فى غاية الانتظار و به فى نهاية الاستبشار ، و كانوا يدعون الإيمان به[7] ثم خالفوه ، فمنهم من استمر على المخالفة ظاهرا و باطنا ،

١٥ و منهم من ادعى أنه تابع و استمر على المخالفة باطنا ، فكانت[9] موالاته للشركين دليلا على كذب دعواه و مظهرة[10] لما أضمره من المخالفة و أخفاه .

و لما كان ذلك منهم ميلا مع الهوى بغير دليل أصلا قال:

---

(١) فى ظ : مقتسما (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : المناكرة . (٥) فى ظ : ليلتان (٦) فى ظ : الخطاب (٧) من ظ ، و فى الأصل : الفطر . (٨) من ظ ، و فى الأصل : اسافلهم (٩) فى ظ : فكأنه (١٠) فى ظ : مظهر .

لبئس

﴿ لبئس ما قدمت ﴾ أي تقديم[1] النزل للضيف ﴿ لهم انفسهم ﴾ أي التي من شأنها الميل مع الهوي، ثم بين المخصوص بالذم - وهو ما قدمتُ - بقوله : ﴿ إن سخط الله ﴾ أي وقع سخطه بجميع ما له من العظمة ﴿ عليهم ﴾ و لما كان من وقع السخط عليه يمكن أن يزول [عنه -[2]]، قال مبينا أن مجرد وقوعه جدير بكل هلاك : ﴿ و في العذاب ﴾ أي الكامل من ٥ الأدنى في الدنيا و الأكبر في الآخرة ﴿ هم خلدون ﴾ .

و لما كان هذا دليلا على كفرهم، دل عليه بقوله : ﴿ و لو ﴾ أي فعلوا ذلك مع دعواهم الإيمان و الحال أنهم لو ﴿ كانوا ﴾ أي كلهم ﴿ يؤمنون ﴾ أي يوجد منهم إيمان ﴿ بالله ﴾ أي الملك الأعلى الذي له الإحاطة بكل شيء ﴿ و النبي ﴾ أي الذي له الوصلة التامة بالله، و لذا ١٠ أتبعه قوله : ﴿ و مآ انزل اليه ﴾ أي من عند الله أعم من القرآن و غيره إيمانا خالصا من غير نفاق ﴿ ما اتخذوهم ﴾ أي المشركين مجتهدين في ذلك ﴿ اوليآء ﴾ لأن مخالفة الاعتقاد تمنع الوداد، [3]فمن كان منهم[3] باقيا على يهوديته ظاهرا و باطنا ، فالألف في « النبي » لكشف سريرته للعهد، أي النبي الذي ينتظرونه و يقولون : إنه غير محمد صلى الله عليه و سلم . ١٥ أو[4] للحقيقة ، أي لو كانوا يؤمنون بهذه الحقيقة - أي حقيقة النبوة - ما والوهم ، فإنه لم يأت نبي إلا بتكفير المشركين - كما أشار إلى ذلك صلى الله عليه و سلم بقوله « الأنبياء أولاد[5] علات ، أمهاتهم شتى و دينهم واحد »

(١) في ظ : تقدم (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) في ظ : فمنهم من كان (٤) في ظ : اى (٥) من ظ ، و في الأصل : اولات - كذا .

كما سيأتى قريبا فى حديث أبى هريرة، يعنى - و الله أعلم - أن شرائعهم و إن اختلفت فى الفروع فهى متفقة فى الأصل و هو التوحيد؛ و[1] من كان منهم قد أظهر الإيمان فالمراد بالنبى فى إظهار زيغه و ميله و حيفه محمد صلى الله عليه و سلم، لأنه نهى عن موالاة المشركين، بل عن متاركتهم،
٥ و لم يرض إلا بمقارعتهم و معاركتهم.

و لما[2] أفهمت الشرطية عدم إيمانهم، استثنى منها منبها بوضع الفسق[3] موضع عدم الإيمان [4]على أنه[4] الحامل عليه فقال: ﴿و لكن كثيرا منهم فسقون﴾ أى متمكنون فى خلق المروق من دوائر الطاعات.

و لما دل كالشمس ميلهم إلى المشركين دون المؤمنين على أنهم فى
١٠ غاية العداوة لهم، صرح تعالى / بذلك على طريق الاستنتاج[5]، فقال دالا على رسوخهم فى الفسق: ﴿لتجدن اشد الناس[6]﴾ أى كلهم ﴿عداوة للذين ءامنوا﴾ أى أظهروا الإقرار بالإيمان فكيف بالراسخين فيه ﴿اليهود﴾ قدمهم لأنهم أشد الفريقين لأنه لا أقبح من ضال على علم ﴿و الذين اشركوا﴾ لما جمعهم من الاستهانة بالأنبياء[7] هؤلاء جهلا و أولئك عنادا
١٥ و بغيا، فعرف أن من صدق فى إيمانه لا يواليهم بقلبه و لا بلسانه، و أنهم ما اجتمعوا على الموالاة إلا لاجتماعهم فى أشدية[8] العداوة لمن

(١) زيد بعده فى ظ: منهم (٢) زيد بعده فى الأصل: افهم ذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) فى ظ: بالفسق (٤-٤) فى ظ: عليه (٥) فى ظ: الاستفتاح. (٦) زيد بعده فى الأصل: عداوة، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) فى ظ بين مالاثبت - كذا (٨) فى ظ: ابتدائه.

آمن ، فهذه الآية تعليل لما قبلها ، كأنه قيل: هب أنهم لا يؤمنون بالله و النبي ، و ذلك لا يقتضي موادة المشركين فلِمَ[1] والوهم حينئذ ؟ فقيل: لأن الفريقين اجتمعوا في أشدية العداوة للذين آمنوا .

و لما أخبر تعالى بأبعد الناس مودة لهم ، أخبر بضدهم فقال[2]: ﴿ و لتجدن اقربهم ﴾ أي الناس ﴿ مودة للذين امنوا ﴾ أي أوجدوا[3] ٥ الإيمان بالقلب و اللسان ﴿ الذين قالوا ﴾ [و - [4]] في التوريك[5] على قولهم إشارة إلى أنهم ما كانوا على حقيقة النصرانية ﴿ انا نصرى ﴾ أي لقلة اهتمامهم بالدنيا بمجرد قولهم ذلك و لو لم يكونوا عريقين[6] في الدين و إقبالهم على علم الباطن ، و لذلك علله بقوله : ﴿ ذلك بان منهم قسيسين ﴾ أي مقبلين على العلم ، من القس ، و هو ملا مة الشيء و تتبعه ﴿ و رهبانا ﴾ ١٠ أي في غاية التخلي من الدنيا ؛ و لما كان التخلي منها موجبا للبعد من الحسد ، و هو سبب المجانبة التكبر[7] قال : ﴿ و انهم لا يستكبرون ﴾ أي لا يطلبون الرفعة على غيرهم و[2] لا يوجدونها .

و لما كان ذلك علة في الظاهر و معلولا في الباطن لرقة[8] القلب قال :

---

(١) في ظ : فلما (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : وجدوا (٤) زيدت الواو من ظ : (٥) من ظ - بمعنى الحمل ، و في الأصل : التوزية ، و في البحر المحيط ٤ / ٤ : و في قوله تعالى « الذين قالوا انا نصرى » إشارة إلى أنهم ليسوا متمسكين بحقيقة النصرانية بل ذلك قول منهم و زعم (٦) في ظ : غريقين (٧) في ظ : الكفر .
(٨) في ظ : لوقد .

﴿ و اذا سمعوا ﴾ أى أتباع[1] النصرانية ﴿ مآ انزل الى الرسول ﴾ أى الذى ثبتت رسالته بالمعجز، فكان من شأنه أن يبلغ ما أنزل إليه للناس ﴿ ترىٓ اعينهم ﴾ و لما كان البكاء سببا لامتلاء العين بالدمع و كان الامتلاء سببا للفيض الذى حقيقته السيلان بعد الامتلاء، عبر بالمسبب
٥ عن السبب فقال: ﴿ تفيض من الدمع ﴾ أصله: يفيض دمعها ثم تفيض هى دمعا[2]، فهو من أنواع التميز، ثم علل الفيض بقوله: ﴿ مما عرفوا من الحق ج ﴾ أى و ليس لهم غرض دنيوى يمنعهم عن قبوله، ثم بين حالهم فى مقالهم بقوله: ﴿ يقولون ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا ﴿ اٰمنا ﴾ أى بما سمعنا ﴿ فاكتبنا ﴾.

١٠ و لما كان من شأن الشاهد إحضار القلب و إلقاء [السمع - ٣] و القيام التام بما يتلى عليه و يندب إليه قال: ﴿ مع الشٰهدين ﴾ أى أمة محمد صلى الله عليه و سلم الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة، فان تقويتنا على ذلك ليست إلا إليك ﴿ و ما ﴾ أى و يقولون: ما، أى أىّ[4] شىء حصل أو يحصل ﴿ لنا ﴾ حال كوننا ﴿ لا نؤمن[5] بالله ﴾ أى الذى
١٥ لا كفوء له و لا خير إلا منه ﴿ و ما ﴾ أى و بما ﴿ جآءنا من الحق لا ﴾ أى الأمر الثابت الذى مهما عرض على الواقع / طابقه الواقع سواء كان حالا أو ماضيا أو آتيا. /١١١

و لما كانوا يهضمون أنفسهم، عبروا بالطمع الذى لا نظر معه لعمل

(١) فى ظ: اتبعوا (٢) فى ظ: دمعها (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ.
(٥) من ظ، و فى الأصل: الا نومن.

فقالوا

فقالوا: ﴿ و نطمع ان يدخلنا ربنا ﴾ أى بمجرد إحسانه، لا بعمل منا، و لجريهم فى هذا المضمار عبروا بمع[1] دون "فى"[2] فى قولهم: ﴿ مع القوم الصّٰلحين ﴾ هضما لأنفسهم و تعظيما لرتبة الصلاح.

و لما ذكر قولهم الدال على حسن اعتقادهم و جميل استعدادهم، ذكر جزاءهم عليه فقال: ﴿ فاثابهم الله ﴾ أى الذى له جميع صفات ٥ الكمال ﴿ بما قالوا ﴾ أى جعل ثوابهم على هذا القول المستند إلى خلوص النية الناشئ عن[3] حسن الطوية ﴿ جنّٰت تجرى ﴾ و لما كان[4] الماء لو[5] استغرق المكان[5] أفسد، أثبت الجار فقال: ﴿ من تحتها الانهٰر ﴾ و لما كانت اللذة لا تكمل[6] إلا بالدوام قال: ﴿ خٰلدين فيها ﴾.

و لما كان التقدير: لإحسانهم، طرد الأمر فى غيرهم فقال: ﴿ و ذلك ﴾ ١٠ أى الجزاء العظيم ﴿ جزآء المحسنين ﴾ أى كلهم، و اختلفوا فى هذه الواقعة بعد اتفاقهم على أنها فى النجاشى و أصحابه، و ذلك مبسوط فى شرحى لنظمى للسيرة النبوية، فمن ذلك أنه لما قدم جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه [7]من مهاجرة الحبشة مع أصحابه رضى الله عنهم قدم معهم سبعون رجلا بعثهم النجاشى رضى الله عنه[7] وعن الجميع وفدا[8] إلى رسول الله ١٥

(١) من ظ، و فى الأصل: مع (٢) فى النسختين: من - كذا، و فى البحر ٤/٨: و "مع" على بابها من المعية، و قيل: بمعنى فى (٣) من ظ، و فى الأصل: على ٤) العبارة من هنا إلى "تحتها الانهر" ساقطة من ظ (٥ - ٥) فى الأصل: استعرف كان - كذا (٦) من ظ، و فى الأصل: لاتعمل (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ: وفد.

صلى الله عليه و سلم، [عليهم -[1]] ثياب الصوف، اثنان و ستون من الحبشة ، و ثمانية من أهل الشام، و هم بحيرا الراهب و أبرهة و إدريس و أشرف و ثمامة[2] و قثم[3] و دريد و أيمن ، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم سورة يٰسٓ إلى آخرها، فبكوا[4] حين سمعوا القرآن و آمنوا و قالوا:
٥ ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى! فأنزل الله فيهم هذه الآية[5] "[6] لتجدن اشد الناس عداوة للذين اٰمنوا[6] اليهود و الذين اشركوا و لتجدن اقربهم مودة للذين اٰمنوا" - إلى آخرها ، ذكر ذلك[6] الواحدى فى أسباب النزول بغير سند، ثم أسند عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى[6] " ذلك بان منهم قسيسين و رهبانا" قال[7] : بعث النجاشى إلى رسول الله صلى الله عليه
١٠ و سلم من خيار[8] أصحابه ثلاثين[9] رجلا ، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم يٰسٓ فبكوا، فنزلت فيهم هذه الآية.[6] و إذا نظرت مكاتبات النبى صلى الله عليه و سلم للملوك ازددت بصيرة فى صدق هذه الآية[6]، فانه ما كاتب[10] نصرانيا إلا آمن، أو كان لينا و لو لم يسلم كهرقل[11] و المقوقس و هوذة[12] ابن على و غيرهم، و غايتهم أنهم ضنوا[13] بملكهم ، و أما غير النصارى
١٥ فانهم كانو على غاية الفظاظة ككسرى فانه مزق كتابه صلى الله عليه و سلم و لم يجز رسوله بشيء، و أما اليهود فكانوا جيران الأنصار و مواليهم

(١) زيد من ظ و البحر المحيط ٤ / ٣ (٢) من البحر ، و فى الأصل و ظ : تمام (٣) فى ظ : قيم (٤) فى ظ : فيكون (٥) فى ظ : الآيات (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ : قاله (٨) فى ظ : اخبار (٩) من ظ ، و فى الأصل : ثلاثون (١٠) فى ظ : كانت (١١) فى ظ : كبرقل - كذا (١٢) من تاج العروس ، و فى الأصل : هودة (١٣) فى ظ : حبسوا .

و أحبابهم[١]، و مع ذلك فأحوالهم [٢] فى العداوة[٢] غاية، كما هو واضح فى السير، مبين جدا فى شرحى لنظمى للسيرة، و كان السر فى ذلك - مع ما تقدم من باعث الزهد - أنه لما كان عيسى عليه السلام أقرب الأنبياء زمنا من زمن النبى صلى الله عليه و سلم / كان المنتمون إليه و لو كانوا كفرة / ١١٢ أقرب الأمم مودة لاتباع النبى صلى الله عليه و سلم، [٣]و إلى ذلك يشير ٥ ما رواه الشيخان فى الفضائل عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم[٣] قال: أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الدنيا و الآخرة، الأنبياء أولاد[٤] علات - و فى رواية: أبناء، و فى رواية[٥]: إخوة لعلات[٦] - أمهاتهم شتى و دينهم واحد، و ليس بينى و بينه - و فى رواية: و ليس بينى و بين عيسى - نبى. و فى رواية لمسلم: أنا أولى الناس بعيسى ابن ١٠ مريم فى الأولى و الآخرة، قالوا: كيف يا رسول الله! قال: الأنبياء إخوة من علات[٧]، أمهاتهم شتى و دينهم واحد، فليس بيننا نبى.

و لما ذكر سبحانه تعالى جزاء المطيعين المبادرين إلى الإذعان ترغيبا، ذكر جزاء من[٨] لم يفعل فعلهم ترهيبا فقال: ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما أوضحته له عقولهم من الدلالة على صحة ما دعتهم إليه الرسل ١٥ ﴿ و كذبوا ﴾ أى عنادا ﴿ بآيٰتنا ﴾ أى بالعلامات المضافة لعظمها إلينا ﴿ اولٓئك ﴾ أى البعداء من الرحمة ﴿ اصحٰب الجحيم ۚ ﴾ أى الذين لا ينفكون[٩]

---

(١) سقط من ظ (٢-٢) فى ظ: بالعداوة (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) فى ظ: اولات (٥) زيد بعده فى ظ: ابناء (٦) فى ظ: العلات (٧) زيدت الواو بعده فى صحيح مسلم (٨) فى ظ: لمن (٩) فى ظ: لا يتفكرون.

عنها ، لا غيرهم من العصاة المؤمنين و إن كثرت كبائرهم .

و لما مدح سبحانه الرهبان ، و كان ذلك داعيا إلى الترهب[1] ، و كانت الرهبانية حسنة[2] بالذات قبيحة بالعرض ، شريفة فى [3]المبدأ دنية[3] فى المآل ، فانها مبنية على الشدة و الاجتهاد فى الطاعات و التورع عن أكثر المباحات ، ٥ و الإنسان مبنى على الضعف مطبوع على النقائص ، فيدعوه طبعه و يساعده ضعفه إلى عدم الوفاء بما عاقد عليه ، و يسرع بما له من صفة العجلة إليه ، فيقع فى الخيانة كما قال تعالى " فما رعوها حق رعايتها[4] " عقب ذلك بالنهى عنها فى هذا الدين و الإخبار [عنه[5] -] بأنه بناه على التوسط رحمة منه لأهله و لطفا بهم تشريفا لنبيهم صلى الله عليه و سلم ، و نهاهم عن الإفراط فيه ١٠ و التفريط فقال تعالى : ﴿ يٰٓأيها الذين اٰمنوا ﴾ أى وجد منهم الإقرار بذلك ﴿ لا تحرموا ﴾ أى تمنعوا أنفسكم بنذر أو يمين أو غيرهما تصديقا لما أقررتم به ، و رغبهم فى امتثال أمره بأن جعله موافقا لطباعهم ملائما لشهواتهم فقال : ﴿ طيبٰت مآ ﴾ أى المطيبات و هى اللذائذ التى[6] ﴿ احل الله ﴾ و ذكرُ هذا الاسم الأعظم مرغبٌ فى ذلك ، فان الإقبال ١٥ على المنحة يكون على مقدار المعطى ، و أكد ذلك بقوله : ﴿ لكم ﴾ أى و أما هو سبحانه فهو منزه عن الأغراض ، لا ضر[7] يلحقه و لا نفع ، لأن له الغنى المطلق[6] .

و لما أطلق لهم ذلك ، حثهم على الاقتصاد ، و حذرهم من مجاوزة الحد

---

(١) فى ظ : الترغيب (٢) فى ظ : حسنت (٣ - ٣) فى ظ : المدانية - كذا .
(٤) سورة ٥٧ آية ٢٧ (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : ضرر .

إفراطا

إفراطا و تفريطا فقال: ﴿ و لا تعتدوا[1] ﴾ فدل بصيغة الافتعال على أن الفطرة الأولى مبنية على العدل، فعدولها عنه لا يكون إلا بتكلف، ثم علل ذلك بقوله مؤكدا لاستبعاد[2] أن ينهى عن الإمعان فى العبادة: ﴿ ان الله ﴾ أى و هو الملك / الأعظم ﴿ لا يحب المعتدين ﴾ أى / ١١٣
لا يفعل فعل المحب من الإكرام للفرطين فى الورع بحيث يحرمون ما ٥ أحللت، و لا للفرطين فيه الذين يحللون ما حرمت، أى يفعلون فعل المحرم من المنع و فعل المحل من التناول، و ما ذكر من سبب نزول الآية واضح فى ذلك؛ روى الواحدى فى أسباب النزول بسنده[3] عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا أتى[4] رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال[5]: [يا رسول الله -[6]]! إنى إذا أكلت من هذا اللحم انتشرت إلى النساء[7] و إنى ١٠ حرمت علىّ اللحم، فنزلت "لا تحرموا طيبت مآ احل الله لكم" و نزلت "وكلوا مما رزقكم الله" - الآية. و أخرجه الترمذى فى التفسير من جامعه و قال: حسن غريب، و رواه [8]خالد الحذاء[8] عن عكرمة مرسلا. و قال الواحدى: و تبعه عليه البغوى: قال المفسرون: جلس رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكر الناس و وصف القيامة و لم يزدهم على التخويف فرقّ الناس و بكوا، ١٥ فاجتمع عشرة من الصحابة رضى الله عنهم فى بيت عثمان بن مظعون

(١) فى ظ: لا (٢) فى الأصل: للاستبعاد، و فى ظ: الاستبعاد (٣) من ظ، و فى الأصل: بسند (٤) زيد فى ظ: الى، و ليست الزيادة فى رواية الترمذى (٥) سقط من ظ (٦) زيد من جامع الترمذى (٧) زيد بعده فى الجامع: و أخذتنى شهوتى. (٨ - ٨) فى ظ: لخالد الحذاعى - كذا.

الجمحى ، و هم أبو بكر الصديق و على بن أبى طالب و عبد الله بن مسعود و عبد الله بن عمرو[1] و أبو ذر الغفارى و سالم مولى أبى حذيفة و المقداد ابن الأسود و سلمان الفارسى و معقل بن مقرن ، و اتفقوا على أن يصوموا النهار و يقوموا الليل و لا يناموا على الفرش و لا يأكلوا اللحم و لا الودك[2] ٥ و لا يقربوا النساء و الطيب [3]و يلبسوا المسوح و يرفضوا[3] الدنيا [4]و يسيحوا فى الأرض[4] و يترهبوا و يجبّوا[5] المذاكير ؛ فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال لهم : ألم أنبأ[6] أنكم اتفقتم على كذا و كذا؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! و ما أردنا[7] إلا الخير ، فقال : إنى لم أومر[8] بذلك ، إن لأنفسكم عليكم حقا ، فصوموا و أفطروا . [4]و قوموا و ناموا ، فانى أقوم ١٠ و أنام ، و أصوم و أفطر[4] ، و آكل[9] اللحم و الدسم ، و من رغب عن سنتى فليس منى ؛ ثم جمع الناس فخطبهم فقال : ما بال أقوام حرموا النساء و الطعام و الطيب و النوم و شهوات الدنيا ! أما[10] ! إنى لست آمركم أن تكونوا قسيسين و رهبانا ، فانه ليس فى دينى ترك اللحم[11] و النساء و لا اتخاذ الصوامع ، و إن سياحة أمتى الصوم ، و رهبانيتهم[12] الجهاد ، و[11] اعبدوا الله

(١) فى ظ : عمر ، وما فى الأصل هو الصواب كما و رد فى بعض الأحاديث : أراد رجال منهم عثمان بن مظعون و عبد الله بن عمرو أن يتبتّلوا (٢) هو الدسم من اللحم والشحم (٣-٣) فى ظ : لبس المنسوج و ترفضوا - كذا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) أى يقطعوا (٦) من ظ ، و فى الأصل : الم انباه (٧) فى ظ : ما اردت (٨) من ظ ، و فى الأصل : لم آمر (٩) فى ظ : كلوا (١٠) فى ظ : اوما (١١) سقط من ظ (١٢) فى ظ : رهبانيتها .

و لا تشركوا به شيئا و حجوا و اعتمروا و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و صوموا رمضان ، فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد ، شددوا فشدد الله عليهم ، فأولئك بقاياهم فى الديارات و الصوامع ، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1] ، فقالوا : يا رسول الله ! فكيف نصنع بأيماننا التى [2]حلفنا عليها[2] ؟ و كانوا حلفوا على ما عليه اتفقوا ، فأنزل الله عز و جل قوله تعالى ٥ "لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم" - الآية[1] ، و لا تعارض بين الخبرين لإمكان الجمع بأن يكون الرجل [لما -[3]] سمع تذكير النبى صلى الله عليه و سلم سأل[4] ، و لو لم يجمع صح أن يكون كل منهما سببا ، فالشىء الواحد / قد يكون له أسباب جمة ، بعضها أقرب من بعض ، فمن الأحاديث الواردة ١١٤ / فى ذلك ما روى البغوى بسنده من طريق ابن المبارك فى كتاب الزهد ١٠ عن سعد بن مسعود أن عثمان بن مظعون رضى الله عنه أتى النبى صلى الله عليه و سلم فقال : ائذن [لنا -[5]] [6]فى الاختصاء[6] ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ليس منا من خصى و لا اختصى ، إن خصاء[7] أمتى الصيام ، فقال : يا رسول الله ! ائذن لنا فى السياحة ، فقال : إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله . فقال : يا رسول الله ! ائذن لنا فى ١٥ الترهب[8] ، فقال : إن ترهب أمتى الجلوس فى المساجد انتظارا لصلاة .

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الآيات (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ و كتاب الزهد - رقم الحديث ٨٤٥ . (٦-٦) فى كتاب الزهد : بالاختصاء (٧) فى ظ : خصى ، و فى كتاب الزهد : إخصاء (٨) فى ظ : الرهب .

و للشيخين و الترمذي و النسائي و الدارمي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه [1]أيضا قال: أراد عثمان بن مظعون[1] [أن -[2]] يتبتل فنهاه رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لو أذن له - و في رواية: و لو أجاز له - التبتل لاختصينا[3]. و للدارمي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه [1]أيضا
٥ قال: لما كان من أمر عثمان بن مظعون رضي الله عنه[1] الذي كان من[4] ترك النساء بعث إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا عثمان! إني لم أومر بالرهبانية، أرغبت عن سنتي؟ قال: لا يا رسول الله! قال: إن من سنتي أن أصلي و أنام[5] و أصوم و أطعم و أنكح و أطلق، فمن رغب عن سنتي فليس مني، يا عثمان! إن لأهلك عليك حقا، و لعينك عليك
١٠ حقا، قال سعد: فوالله لقد كان أجمع رجال من المؤمنين[6] على أن[7] رسول الله صلى الله عليه و سلم إن هو أقر عثمان على ما هو عليه [أن -[8]] نختصي فنتبتل. و قال شيخنا [1]ابن حجر[1] في تخريج أحاديث الكشاف: و روى الطبراني من طريق ابن جريج عن مجاهد قال: أراد رجال منهم عثمان بن مظعون و عبد الله بن عمرو أن يتبتلوا و يخصوا أنفسهم ويلبسوا
١٥ المسوح[9]. و من طريق ابن جريج عن عكرمة أن عثمان بن مظعون و على

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من صحيح مسلم - النكاح (٣) من ظ و الصحيح. و في الأصل: اختصينا (٤) من مسند الدارمي - كتاب النكاح، و في الأصل و ظ: من (٥) زيد بعده في ظ: و اصلي. و ليست الزيادة في الدارمي (٦) في الدارمي: المسلمين (٧) سقط من ظ (٨) زيد من الدارمي. (٩) سيقت هذه الرواية في الدر المنثور للسيوطي و زيد فيه: فنزلت: "يأيها الذين ءامنوا لا تحرموا طيبٰت ما احل الله لكم" - و الآية التي بعدها.

ابن

ابن أبى طالب و ابن مسعود و المقداد بن الأسود و سالما[1] مولى أبى حذيفة[2] فى [3]جماعة رضى الله عنهم[3] تبتلوا فجلسوا فى البيوت، [و اعتزلوا النساء -[4]] و لبسوا المسوح، و حرموا طيبات الطعام و اللباس[5]، و هموا بالاختصاء، و أجمعوا[6] لقيام الليل و صيام النهار، فنزلت " يآيها الذين امنوا لا تحرموا طيبت ما احل الله لكم" - الآية، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه ٥ و سلم فقال: إن لأنفسكم عليكم حقا[7]، فصوموا و أفطروا و صلوا و ناموا، فليس منا من ترك سنتنا[8]. و للترمذى عن سمرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم نهى عن التبتل[9]. و قرأ قتادة "و لقد ارسلنا رسلا من قبلك و جعلنا لهم ازواجا و ذرية[10]". و للنسائى عن عائشة رضى الله عنها نحوه و أشار إليه الترمذى، و للطبرانى فى الأوسط عن أنس بن مالك ١٠ رضى الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم / يأمر بالباءة / ١١٥ و ينهى عن التبتل نهيا شديدا [11]و يقول[11]: تزوجوا الودود الولود، فانى مكاثر بكم الأمم[12] يوم القيامة. و منها ما روى الشيخان عن عبد الله

(١) فى ظ: سالم (٢) فى ظ: حديجة - كذا (٣ - ٣) موضعه فى الدر المنثور: و قدامة (٤) زيد من ظ و الدر المنثور (٥) زيد فى الدر المنثور: إلا ما يأكل و يلبس السياحة من بنى إسرائيل (٦) من الدر المنثور، وفى الأصل وظ: اجتمعوا. (٧) زيد فى الدر المنثور: ولأعينكم حقا و إن لأهلكم حقا (٨) زيد فى الدر المنثور: فقالوا! اللهم صدقنا و اتبعنا ما أنزلت مع الرسول (٩) زيد فى الجامع بعده: و زاد زيد بن أخزم فى حديثه (١٠) سورة ١٣ آية ٣٨ (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٢) من ظ، و فى الأصل: الانبياء.

رضى الله عنه أنه قال : كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و ليس
لنا شيء - و فى رواية : نساء ، و فى رواية : كنا [١] و نحن [١] شباب - فقلنا :
يا رسول الله ! ألا نستخصى [٢] ؟ فنهانا عن ذلك ، ثم رخص لنا أن ننكح
المرأة بالثوب ، ثم قرأ علينا عبد الله [٣] : " يٰايها الذين اٰمنوا لاتحرموا طيبٰت
٥ ما احل الله لكم " - الآية . و منها ما روى البخارى و غيره عن
أبي هريرة رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ! إنى رجل شاب [٤] ،
و إنى أخاف على نفسى العنت و لا أجد ما أتزوج به النساء - قال
النسائى [٥] : [٦] أ فأختصى [٦] - فسكت عنى ، ثم قلت مثل ذلك [١] فسكت عنى ،
ثم قلت مثل ذلك [١] [فسكت عنى ، ثم قلت مثل ذلك - [٧]] فقال النبى
١٠ صلى الله عليه و سلم : يا أبا هريرة ! جف القلم بما أنت لاق ، فاختص [٨] على
ذلك أو ذر - و قال النسائى : أو دع . و منها ما روى الشيخان و غيرهما
عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء [٩] ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج
النبى صلى الله عليه و سلم و رضى الله عنهن يسألون عن عبادة النبى
صلى الله عليه و سلم - [١] و فى رواية مسلم و النسائى أن نفرا من أصحاب النبى
١٥ صلى الله عليه و سلم [١] سألوا أزواج النبى صلى الله عليه و سلم عن عمله

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : الانختصى (٣) سقط من صحيح البخارى و ثبت فى صحيح مسلم (٤) من ظ و صحيح البخارى ، و فى الأصل : شباب (٥) سقط من ظ (٦-٦) من سنن النسائى ، و فى الأصل وظ : فاختصى ، و ليست هذه الزيادة فى صحيح البخارى (٧) زيد من صحيح البخارى (٨) فى ظ : فاختصى .

فى السر - فلما أخبروا كأنهم تقالّوها[1] فقالوا : و أين نحن من النبى صلى الله عليه و سلم ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر ، فقال أحدهم : أما أنا فانى أصلى الليل أبدا ، و قال آخر : أنا أصوم الدهر[2] و لا أفطر ، و قال آخر : و أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ؛ و فى رواية : و قال بعضهم لا آكل اللحم ، و قال بعضهم : لا أنام على فراش ؛ فبلغ ٥ ذلك النبى صلى الله عليه و سلم فحمد الله و أثنى عليه و قال : ما بال أقوام قالوا كذا و كذا ! و[3] فى رواية : فجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا و كذا ! أما[3] و الله إنى[2] لأخشاكم لله و أتقاكم له ! لكنى أصوم و أفطر و أصلى[4] و أرقد و أتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى . و المبهمون[5] فى الحديث - قال شيخنا فى مقدمة ١٠ شرحه للبخارى - هم ابن مسعود و أبو هريرة و عثمان بن مظعون ، و سيأتى مفرقا ما يشير إلى ذلك ، يعنى ما قدمته أنا ، قال : و قيل : هم[6] سعد[7] ابن أبى وقاص و عثمان بن[3] مظعون و على بن أبى طالب ، و فى مصنف عبد الرزاق من طريق سعيد بن[3] المسيب أن منهم عليا و عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهم ، و قال شيخنا فى تخريج أحاديث الكشاف : ١٥ إن [هذا - [7]] أصلُ ما رواه الواحدى عن المفسرين . و للشيخين و الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، و ما أمرتكم به[2] فافعلوا منه ما استطعتم ، فانما

---

(١) أى عدوها قليلة (٢) سقط من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) تقدم فى ظ على « أصوم و أفطر » (٥) فى ظ : الفهمون (٦) فى ظ : انهم .
(٧) زيد من ظ .

/١١٦ أهلك الذين[1] من قبلكم كثرة[2] سؤالهم و اختلافهم على[3] أنبيائهم، [4]و فى رواية: ذرونى ما تركتكم، فانما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم و اختلافهم على أنبيائهم[4]، و لأبى داود عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم.

٥ و للامام أحمد فى المسند عن أنس[5] رضى الله عنه و الحاكم فى علوم الحديث فى [فن - [6]] الغريب - و هذا لفظه - عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، و لا تبغض[7] عبادة [الله - [6]] إليك، فان المنبتّ لا أرضا قطع [8]و لا ظهرا أبقى[8]. المتين[9]: الصلب الشديد، و الإيغال: المبالغة، و المنبتّ - ١٠ بنون و موحدة و فوقانية مشددة هو الذى [10]انقطع ظهره[10]، و روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال إن الدين يسر[11]، و لن يشادّ[12] الدين [أحد -[13]] إلا غلبه، فسددوا و قاربوا و أبشروا؛ و فى بعض الروايات: و[14] القصد القصد تبلغوا. و لمسلم و ابن ماجه - و هذا لفظه - عن حنظلة الكاتب التميمى الأسيدى[14][15] رضى الله عنه قال: كنا

---

(١) فى ظ: الذى (٢) تكرر فى الأصل (٣) فى ظ «و» (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) وقع فى ظ: ابن عباس - خطأ (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: لا ينقص - كذا (٨ - ٨) فى ظ: و لا اظهر لا نهى - كذا (٩) زيد بعده فى ظ: الشديد (١٠ - ١٠) فى ظ: يقطع ظهر (١١) من صحيح البخارى - كتاب الإيمان، و فى الأصل: يسير، و فى ظ: يشرون - كذا (١٢) فى ظ: لم يشادد (١٣) زيد من الصحيح (١٤) سقط من ظ (١٥) وقع فى ظ: الاسدى.

عند

عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكرنا الجنة و النار حتى كانا رأى
العين[1]، فقمت إلى أهلى [و ولدى -[2]] فضحكت و لعبت[3]، [قال -[2]] :
فذكرت الذى كنا[4] فيه، فخرجت فلقيت [5]أبا بكر رضى الله عنه فقلت[5] :
نافقت نافقت ! فقال أبو بكر : إنا لنفعله، فذهب حنظلة فذكره للنبى
صلى الله عليه و سلم فقال : يا حنظلة ! لو كنتم كما تكونون عندى لصافحتكم ٥
الملائكة على فرشكم أو على طرقكم، يا حنظلة ! ساعة و ساعة . و لفظ مسلم من
طرق [6]جمعت متفرقها[6] عن حنظلة - و كان من كتاب النبى صلى الله عليه
و سلم - قال : لقينى أبو بكر رضى الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟
قلت : نافق حنظلة ! قال : سبحان الله ! ما تقول[7]؟ قلت : نكون[8] عند رسول الله
صلى الله عليه و سلم يذكرنا بالنار و الجنة كانا رأى عين، فاذا خرجنا من ١٠
عند رسول الله صلى الله عليه و سلم عافسنا[9] الأزواج و الأولاد و الضيعات،
نسينا كثيرا، قال أبو بكر رضى الله عنه : [فو الله -[10]] إنا لنلقى مثل
هذا، فانطلقت أنا و أبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه و سلم،
قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و ما
ذاك ؟ قلت : يا رسول الله ! نكون عندك تذكرنا بالنار و الجنة كانا رأى[11] ١٥

---

(١) من ظ وسنن ابن ماجه - كتاب الزهد، و فى الأصل : عين (٢) زيد من السنن .
(٣) فى ظ : لعنت - كذا (٤) من ظ و السنن، و فى الأصل : كان (٥ - ٥) سقط
ما بين الرقمين من ظ (٦ - ٦) فى ظ : جمعة متفرقة (٧) فى ظ : يقول (٨) فى
ظ : يكون (٩) أى حاولنا و مارسنا و اشتغلنا (١٠) زيد من ظ و الصحيح
لمسلم - كتاب التوبة (١١) تكرر فى الأصل .

عين ، فاذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج و الأولاد و الضيعات ، نسينا كثيرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و الذى نفسى بيده ! [أن - [1]] لو تدومون على ما تكونون عندى [2] و فى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم و فى طرقكم، ولكن [يا حنظلة - [3]] ساعة و ساعة - ٥ ثلاث مرات. و فى رواية : قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فوعظنا فذكرنا النار - و فى رواية : الجنة و النار - ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان و لاعبت المرأة ، فخرجت فلقيت [أبا بكر فذكرت ذلك له فقال : و أنا قد فعلت مثل ما تذكر ، فلقينا - [3]] رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فقلت : يا رسول الله ! / نافق حنظلة ! فقال : مه ؟ فحدثته بالحديث ، فقال ١١٧ / ١٠ أبو بكر : و أنا قد فعلت مثل ما فعل ، فقال : يا حنظلة ! ساعة و ساعة [4] ، فلو كانت تكون [5] قلوبكم كما تكون [5] عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم فى الطرق. و من هنا تبين لك مناسبة أول المجادلة لآخر الحديد التى كاع [6] فى معرفتها الأفاضل ، وكع [7] عن تطلبها [8] لغموضها الأكابر [9] الأماثل ، و سيأتى إن شاء الله تعالى بيان ذلك و إيضاح ما فيه من لطيف ١٥ المسالك ، و من هذه الآية وقع الالتفات إلى قوله تعالى " احلت لكم بهيمة الانعام" و قوله تعالى " قل احل لكم الطيبت " و ما [10] أحسن تصديرها

---

(١) زيد من ظ و الصحيح لمسلم - كتاب التوبة (٢) العبارة من هنا إلى « ثلاث مرات » ساقطة من ظ (٣) زيد من الصحيح (٤) سقط من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) أى هاب و جبن (٧) أى ضعف (٨) فى ظ : طلبها (٩) فى ظ : اكابر (١٠) فى ظ : من .

بيايها الذين أمنوا - كما صدر أول السورة به ، و قد مضى بيان[1] جميع ما مضى فى الوفاء بالعقود ، فكان كأنه تعالى قال : أوفوا بالعقود ، فلا تتهاونوا بها فتنقضوها ، و لا تبالغوا فيها فتكونوا معتدين فتضعفوا ، فانه لن يشادّ الدين أحد إلا غلبه ؛ بل سددوا و قاربوا ، و القصد القصد تبلغوا ، و قال ابن الزبير بعد قوله " و من الذين قالوا انا نصٰرى اخذنا ميثاقهم " : ٥ ثم فصل للمؤمنين أفعال الفريقين - أى اليهود و النصارى - ليتبين[2] لهم فيما نقضوا ، ثم بين تفاوتهم فى البعد عن الاستجابة فقال تعالى " لتجدن اشد الناس عداوة[3] " - الآية . ثم نصح عباده و بين لهم أبوابا منها دخول الامتحان ، و هى سبب فى كل الابتلاء ، فقال " لا تحرموا طيبت ما احل الله لكم و لا تعتدوا " فانكم إن فعلتم ذلك كنتم شارعين لأنفسكم و[3] ظالمين - ١٠ انتهى . و " ما احل " شامل لكل ما كانوا أرادوا أن يتورعوا عنه من المآكل و الملابس و المناكح و النوم و غير ذلك .

و لما كان الحال لما ألزموا به أنفسهم مقتضيا للتأكيد ، أمر بالأكل بعد أن نهى عن الترك ليجتمع[4] على إباحة ذلك الأمرُ و النهىُ فقال : ﴿ و كلوا ﴾ و رغبهم فيه بقوله : ﴿ مما رزقكم الله ﴾ أى الملك الأعظم ١٥ الذى لا يرد عطاؤه ؛

و لما كان الرزق يقع على الحرام ، قيده [5]بعد القيد بالتبعيض[5] بقوله : ﴿ حلٰلا ﴾ و لما كان سبحانه قد جعل الرزق شهيا ، وصفه

(١) زيد بعده فى الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) فى ظ : ليبين كذا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : ليحتم (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .

امتنانا[1] و ترغيبا فقال: ﴿ طيبا ص ﴾ و يجوز أن يكون قيدا محذرا[2] مما فيه شبهة تنبيها على الورع ، و يكون معنى طيبه تيقن حله ، فيكون بحيث تتوفر الدواعي على تناوله [ديناً توفرّها على تناولٍ - [3]] ما هو نهاية في اللذة شهوة و طبعا، وأن يكون مخرجا لما تعافه النفس مما أخذ في الفساد
٥ من الأطعمة لئلا يضر ، قال ابن المبارك : الحلال ما أخذ من جهته ، و الطيب ما غذّى و نمىّ ، فأما الطين و الجوامد و ما لا يغذى فمكروه إلا على جهة التداوي ، و أن يكون مخرجا لما فوق سد الرمق في حالة الضرورة ، و لهذا و أمثاله قال : ﴿ و اتقوا الله ﴾ أي الملك[4] الذي له الجلال و الإكرام من أن تحلوا حراما أو تحرموا حلالا ، ثم وصفه بما يوجب رعي عهوده
١٠ و الوقوف عند حدوده فقال / : ﴿ الذيٓ انتم به مؤمنون ه ﴾ أي ثابتون /١١٨ على الإيمان به ، فان هذا الوصف يقتضي رعي العهود ، و خص سبحانه الأكل ، و المراد جميع ما نهى عن تحريمه من الطيبات ، لأنه سبب لغيره من المتمتعات[5] ، فلما نزلت - كما نقل البغوي و غيره عن ابن عباس رضي الله عنهما - [هذه الآية - [3]] قالوا : يا رسول الله ! و كيف نصنع بأيماننا
١٥ التي حلفنا عليها ؟ وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه - كما تقدم ، فأنزل الله تعالى: ﴿ لا يؤاخذكم الله ﴾ أي على ما له من تمام الجلال ﴿ باللغو ﴾ و هو ما يسبق إليه اللفظ من غير قصد[6] ﴿ فيٓ ايمانكم ﴾ على أني لم أعتمد على

---

(١) من ظ ، و في الأصل : امتنا (٢) في ظ : محذر - كذا (٣) زيد من ظ .
(٤) سقط من ظ (٥) في ظ : الممتنعات - كذا (٦) هو عند الشافعي ، و هو المروي عن أبي جعفر و أبي عبد الله وعائشة رضي الله تعالى عنهم - كما في روح المعاني ٢ / ٣٧٠ .

سبب

سبب النزول فى المناسبة إلا لدخوله فى المعنى ، لا لكونه سببا ، فانه ليس
كل سبب يدخل فى المناسبة - كما بينته فى أول غزوة أحد فى آل عمران ،
و إنما كان السبب هنا داخلا فى مناسبة النظم ، لأن تحريم ما أحل يكون
تارة بنذر و تارة بيمين ، و النذر فى المباح - و هو مسألتنا ـ لا ينعقد
و كفارته[1] كفارة [يمين -[2]] ، فحينئذ لم تدع الحاجة إلا إلى التعريف ٥
بالأيمان و أحكامها ، فقسمها سبحانه إلى قسمين : مقصود [3]و غير مقصود[3]،
[فأما غير المقصود - ٢] فلا اعتبار به ، و أما المقصود فقسمان : حلف على
ماض ، و حلف على آت ، فأما الحلف على الماضى فهو اليمين الغموس التى
لا كفارة لها عند بعض العلماء ، و سيأتى فى آية الوصية ، و أما الحلف
على[4] الآتى - و هو الذى يمكن التحريم به - فذكر حكمه هنا بقوله تعالى : ١٠
﴿ و لكن يؤاخذكم ﴾ .

و لما كان مطلق الحلف الذى منه اللغو يطلق عليه عقد لليمين ، أعلم
أن المؤاخذة إنما هى بتعمد القلب ، و هو المراد بالكسب فى الآية الأخرى ،
فعبر بالتفعيل فى قراءة الجماعة ، و المفاعلة على قراءة ابن عامر[5] تنبيها على
أن ذلك هو المراد من قراءة حمزة و الكسائى[6] بالتخفيف [فقال -[2]] ١٥
﴿ بما عقدتم الايمان[4] ﴾ أى بسبب توثيقها و توكيدها و إحكامها بالجمع

---

(١) و فى روح المعانى : و تعقيد الأيمان شامل للغموس عند الشافعية و فيه كفارة عندهم (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ.
(٥) من روح المعانى ١ / ٣٧١ ، و فى الأصل : ابن عمر - كذا ، و العبارة من « و المفاعلة » إلى هنا ساقطة من ظ (٦) زيد فى روح المعانى : و ابن عياش عن عاصم.

بين اللسان و القلب، سواء كان على [1]أدنى الوجوه[1] كما تشير[2] إليه قراءة التخفيف، أو على أعلاها كما تشير إليه قراءة التشديد، فلا يحل لكم الحنث فيها إلا بالكفارة بخلاف اللغو فانه باللسان فقط، فلا عقد فيه فضلا عن تعقيد، و 'ما' مصدرية.

٥ و لما أثبت المؤاخذة سبب عنها قوله: ﴿ فكفارته ﴾ أى الأمر الذى يستر[3] النكث[4] والحنث عن هذا التعقيد، و يزيل أثره بحيث تصيرون[5] كأنكم ما حلفتم ﴿ اطعام عشرة مسٰكين ﴾ أى[6] أحرار[7] مساكين، لكل مسكين ربع صاع، و هو مد من طعام، و هو رطل و ثلث ﴿ من اوسط ما[8] ﴾ كان عادة لكم أنكم ﴿ تطعمون اهليكم ﴾ أى[6] من أعدله فى الجودة و القدر

١٠ كمية[9] و كيفية، فهو مد جيد من غالب القوت، سواء كان من الحنطة أو من[6] التمر أو غيرهما.

و لما بدأ بأقل ما يكفى تخفيفا و رحمة، عطف على الإطعام ترقيا قوله: ﴿ او كسوتهم ﴾ أى بثوب[10] يغطى العورة من قميص أو إزار أو غيرهما مما يطلق[11] عليه اسم الكسوة ﴿ او تحرير ﴾ أى إعتاق ﴿ رقبة ﴾

١٥ أى مؤمنة سليمة عما يخل بالعمل - كما تقدم / فى كفارة القتل - حملا لمطلق الكفارات على ذلك المقيد، و لأن النبى صلى الله عليه و سلم ما استأذنه أحد فى إعتاق رقبة فى كفارة إلا اختبر إيمانها، هذا ما على المكلف على

/١١٩

(١ - ١) فى ظ: دنى الوجه - كذا (٢) فى ظ: اشير (٣) من ظ، وفى الأصل: يشير (٤) فى ظ: العبث كذا (٥) فى ظ: يصيرون (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: حرام (٨) زيد بعده فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها. (٩) فى ظ: و الكمية (١٠) فى ظ: ثوب (١١) فى ظ: ينطق.

سبيل التخيير من غير تعيين ، و التعيين إليه إذا كان واجدا للثلاثة أو لأحدها[١] ، و الإتيان بأحدها[٢] مبرئ من العهدة ، لأن كل واحد من الثلاثة بعينه أخص من أحدها[٣] على الإبهام ، و الإتيان بالخاص يستلزم الإتيان بالعام ﴿ فمن لم يجد ﴾ أى واحدا منها فاضلا عن قوته و قوت[٤] من تلزمه[٥] مؤنته ﴿ فصيام ﴾ أى فالكفارة صيام ﴿ ثلثة ايام ﴾ و لو متفرقة . ٥

و لما تم ذلك ، أكده فى النفوس و قرره بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العدل الحسن [الذى - [٦]] ذكر ﴿ كفارة ايمانكم ﴾ أى المعقدة ﴿ اذا حلفتم ﴾ و أردتم نكثها[٧] سواء كان ذلك قبل الحنث أو بعده .

و لما كان التقدير : فافعلوا ما قدرتم عليه [منه ، عطف عليه - [٨]] لئلا تمتهن[٩] الأيمان لسهولة الكفارة قوله : ﴿ و احفظوا ايمانكم ﴾ أى ١٠ فلا تحلفوا ما وجدتم إلى ذلك سبيلا ، و لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ، فانه سبحانه عظيم ، و من أكثر الحلف وقع فى المحذور و لا بد ، و إذا حلفتم فلا تحنثوا دون تكفير ، و يجوز للمكفر الجمع بين هذه الخصال كلها و استشكل ، و حله بما قال الشيخ سعد الدين التفتازانى فى التلويح فى بحث « أو » : و المشهور فى الفرق بين التخيير و الإباحة أنه يمتنع فى التخيير ١٥ الجمع[٧] و لا يمتنع فى الإباحة ، لكن الفرق ههنا أنه لا يجب فى الإباحة الإتيان بواحد و فى التخيير يجب ، و حينئذ إن كان الأصل فيه الحظر و ثبت

---

(١) فى ظ : لاحدهما (٢) فى ظ : باحدهما (٣) فى ظ : احدهما (٤) زيد بعده فى ظ : عياله (٥) فى ظ : تلتزمه (٦) من ظ ، و موضعه فى الأصل بياض (٧) سقط من ظ (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ : لئلا يمتهن .

الجواز بعارض الأمر - كما إذا قال : بع من عبيدى هذا أو ذاك - يمتنع الجمع و يجب الاقتصار على الواحد . لأنه المأمور به ، و إن كان الأصل [فيه - [1]] الإباحة و وجب بالأمر واحد - كما فى خصال الكفارة - يجوز الجمع بحكم الإباحة الأصلية ، و هذا يسمى التخيير على سبيل ٥ الإباحة - انتهى .

و لما اشتملت هذه الآيات من البيان على ما يدهش الإنسان كان كأنه قيل : هل يبين كل ما يحتاج إليه هكذا ؟ فنبه من هذه الغفلة بقوله : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا البيان العظيم الشأن ﴿ يبين الله ﴾ [أى - [2]] على ما له من العظمة ﴿ لكم ءايٰته ﴾ أى أعلام [3] شريعته و أحكامه [4] على ١٠ ما لها من العلو باضافتها إليه [5] .

و لما اشتمل ما تقدم من الأحكام و الحِكَم و التنبيه و الإرشاد و الإخبار بما فيها من الاعتبار على نِعَم جسيمة و سنن جليلة عظيمة ، [ناسب - [2]] ختمُها بالشكر المُرْبى لها فى قوله على سبيل التعليل المؤذن بقطعها إن لم توجد العلة : ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ أى يحصل منكم الشكر بحفظ جميع ١٥ الحدود الآمرة و الناهية .

و لما تم بيان حال المأكل و [5] كان داعية إلى المشرب ، احتيج إلى بيانه ، [6] فبين تعالى [6] المحرم منه . فعلم أن ما عداه مأذون فى التمتع به ،

---

(١) زيد من ظ و التلويح - مبحث « أو » (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : اعلا - كذا (٤) فى ظ : ايمانه (٥) سقط من ظ (٦-٦) فى ظ : فتبين تعليل - كذا .

و ذلك محاذٍ فى تحريم شىء مقترن باللازم[1] بعد [2]إحلال آخر لما فى أول السورة من تحريم الميتة و ما ذكر معها بعد[2] إحلال بهيمة الأنعام و ما معها، فقال تعالى مذكرا لهم بما أقروا بـه من الإيمـان الذى معناه الإذعان: ﴿ يٰأيها الذين اٰمنوآ ﴾ أى أقرو به . و نبههم / على ما يريد العدو بهم من / ١٢٠
الشر بقوله تعالى : ﴿ انما الخمر ﴾ وهى[3] كل ما أسكر سواء فيه قليله و كثيره[4]، ٥
و أضاف إليها ما واخاها فى الضرر دينا و دنيا و فى كونه سببا للخصام و كثرة اللغط المقتضى للحلف و الإقسام تأكيدا لتحريم الخمر بالتنبيه على أن الـكل من أفعال الجاهلية ، فلا فرق بين شاربها و الذابح على النصب و المعتمد على الآزلام فقال: ﴿ و الميسر ﴾ أى الذى تقدم ذكره فى البقرة ﴿ و الانصاب و الازلام ﴾ المتقدم[5] أيضا[4] ذكرُهما أولَ السورة، ١٠
و الزلم: القدح لا ريش له - قاله البخارى ؛ وحكمة ترتيبها [هكذا -[6]] أنه لما كانت الخمر غاية فى الحمل على إتلاف المال، قرن بها ما يليها فى ذلك و هو[7] القمار ، و لما كان الميسر مفسدة المال ، قرن به[4] مفسدة الدين و هى الأنصاب ، و لما كان تعظيم الأنصاب شركا جليا إن عبدت ، و خفيا إن ذبح عليها دون عبادة ، قرن بها نوعا من الشرك الخفى و[4] هو الاستقسام ١٥
بالآزلام ؛ ثم أمر باجتناب الـكل إشارة و عبارة على أتم وجه فقال: ﴿ رجس ﴾ أى قذر أهل لأن يبعد عنه بـكل اعتبار حتى عن ذكره سواء كان عينـا أو معنى ، و سواء كانت الرجسية فى الحس أو[8] المعنى،

(١) من ظ ، و فى الأصل : بالالزام (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : هو (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : المعتمد (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : هى .
(٨) فى ظ « و » .

و وحد الخبر للنص على الخمر و الإعلام بأن أخبار الثلاثة حذفت و قدرت ، لأنها[1] [2]أهل لأن[2] يقال فى كل واحد منها على حدتها كذلك ، و لا يكفى [عنها - [3]] خبر واحد على سبيل الجمع؛ ثم زاد فى التنفير عنها تأكيدا لرجسيتها بقوله : ﴿ من عمل الشيطن ﴾ أى المحترق البعيد ، ثم صرح بما
٥ اقتضاه السياق من الاجتناب فقال : ﴿ فاجتنبوه ﴾ أى تعمدوا أن تكونوا عنه فى جانب آخر غير جانبه ، و أفرد[4] لما تقدم من الحِكَم ، ثم علل بما يفهم أنه لا فوز بشىء من المطالب مع مباشرتها فقال : ﴿ لعلكم تفلحون ہ ﴾ أى تظفرون بجميع مطالبكم ، روى البخارى فى التفسير عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لقد حرمت الخمر و ما بالمدينة منها شىء ، و فى رواية : نزل
١٠ تحريم الخمر و إن بالمدينة يومئذ لخمسة أشربة ما فيها شراب العنب ، و فى رواية عنه : سمعت عمر على منبر النبى صلى الله عليه و سلم يقول : أما بعد أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر و هى من خمسة : من العنب - و فى رواية : من الزبيب - و التمر و العسل و الحنطة و الشعير ، و الخمر ما خامر[5] العقل . و عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : ما كان لنا خمر غير فضيخكم[6]
١٥ هذا[7] ، [8]و إنى[8] لقائم أسقى أبا طلحة و فلانا و فلانا إذ[9] جاء رجل فقال[10] :

(١) فى ظ : لان (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : اسئل ان - كذا (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : افر (٥) فى ظ : جامن - كذا (٦) فى ظ : تضحكم - كذا ، والفضيخ شراب يتخذ من البسر وحده (٧) زيد بعده فى صحيح البخارى : الذى تسمونه الفضيخ (٨-٨) فى الصحيح : فانى (٩) فى ظ : اذا (١٠) زيد بعده فى الصحيح : وهل بلغكم الخبر ؟ فقالوا : و ما ذاك ؟ قال .

حرمت الخمر ، قالوا : أهرق هـــذه القلال يا أنس ! فما سألوا عنها و لا راجعوها بعد خبر الرجل ؛ و[1] في رواية عنه : حرمت علينا الخمر حين حرمت و ما نجد خمر الأعناب إلا قليلا ، و عامة [2]خمرنا البسر[2] و التمر . قال الأصبهاني : و ذلك بعد غزوة الأحزاب بأيام .

و لما كانت حكمة النهي عن الأنصاب و الأزلام قد تقدمت في ٥ أول السورة ، و هي أنها فسق ، اقتصر على بيان علة النهي عن الخمر و الميسر إعلاما بأنهما المقصودان بالذات ، و إن كان الآخرَين ما ضما[3] إلا لتأكيد تحريم هذين ـ كما تقدم ، لأن المخاطب أهل الإيمان ، و قد كانوا مجتنبين لذينك ، فقال مؤكدا لأن الإقلاع عما حصل التمادي في المرون عليه يحتاج[4] إلى مثل ذلك : ﴿ انما يريد الشيطن ﴾ أي بتزيين الشرب و القمار لكم ١٠ ﴿ ان يوقع بينكم العداوة ﴾ .

و لما كانت العداوة قد / تزول أسبابها ، ذكر ما ينشأ عنها مما إذا[1] / ١٢١ استحكم تعسر[5] أو تعذر زواله ، فقال : ﴿ و البغضاء في الخمر و الميسر ﴾ أي تعاطيهما [لأن الخمر تزيل العقل ، فيزول المانع من إظهار الكامن من الضغائن و المناقشة و المحاسدة ، فربما أدى ذلك إلى حروب طويلة ١٥ و أمور مهولة ، و الميسر يذهب المال فيوجب ذلك الاحنة على من سلبه ماله و نغص عليه أحواله ـ[6]] .

و لما ذكر ضررهما في الدنيا ، ذكر ضررهما في الدين فقال :

---

(١) سقط من ظ (٢-٢) في ظ : خمر بالبسر ـ كذا (٣) في ظ : هما (٤) في ظ : محتاج (٥) في ظ : بعسر (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

﴿ و يصدكم عن ذكر الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا إله [لكم - [1]] غيره و لا كفوء له ، و كرر الجار تأكيدا [2] للأمر و تغليظا [2] فى التحذير فقال : ﴿ و عن الصلوٰة ج ﴾ أما فى الخمر فواضح ، و أما فى الميسر فلأن الفائز [3] ينسى ببطر [3] الغلبة ، و الخائب [4] مغمور بهمّه ، و أعظم التهديدَ

٥ بالاستفهام و الجملة الاسمية الدالة على الثبات بعد التأكيد بالحصر و الضم إلى فعل الجاهلية و بيان الحِكَم الداعية إلى الترك و الشرور [5] المنفرة عن الفعل فقال : ﴿ فهل انتم منتهون ۝ ﴾ أى قبل أن يقع بكم ما لا تطيقون .

و لما كان ذلك مألوفا لهم محبوبا عندهم ، و كان ترك المألوف أمرّ من ضرب السيوف ، أكد دعوتهم إلى اجتنابه محذرا من المخالفة بقوله

١٠ عاطفا على ما تقديره : فانتهوا [6] : ﴿ و اطيعوا الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا شريك له و لا أمر لأحد سواه ، أى [6] فيما أمركم [7] به من اجتناب ذلك ، و أكد الأمر باعادة العامل فقال : ﴿ و اطيعوا الرسول ﴾ أى الكامل فى الرسلية فى ذلك ، و زاد فى التخويف بقوله : ﴿ و احذروا ج ﴾ أى من المخالفة ، ثم بلغ الغاية [فى ذلك - [1]] بقوله [8] : ﴿ فان توليتم ﴾ أى

١٥ بالإقبال على شيء من ذلك ، و أشار بصيغة التفعل إلى أن ذلك إنما يعمل بمعالجة من النفس للفطرة الأولى ، و عظم الشأن فى ابتداء الجزاء [9] بالتنبيه

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢-٢) فى ظ : لامر و تعظيما (٣ - ٣) فى الأصل : ننس سطر، و فى ظ : ننسى سطر - كذا (٤) فى الأصل : الجانب ، و فى ظ : الجانت - كذا (٥) فى ظ : النشرو - كذا (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : امرهم (٨) فى ظ : لقولك - كذا (٩) فى ظ : الخبر .

بالأمر

بالأمر بالعلم فقال: ﴿ فاعلموا ﴾ أنكم لم تضروا إلا أنفسكم، لأن الحجة قد قامت عليكم، و لم يبق على الرسول شيء[1] لأنكم علمتم ﴿ انما على رسولنا ﴾ أى البالغ فى العظمة مقدارا يجل عن الوصف باضافته إلينا ﴿ البلٰغ المبين ۞ ﴾ أى البين فى نفسه الموضح لكل من سمعه ما يراد منه لا غيره، فمن خالف فلينظر ما يأتيه من البلاء من قِبَلنا، و هذا ناظر إلى قوله " بلغ ٥ مآ انزل اليك من ربك " فكأنه قيل: ما عليه إلا ما تقدم من إلزامنا [2]له به[2] من البلاغ، فمن[3] اختار لنفسه المخالفة كفر، و الله لا يهدى[4] من كان مختارا لنفسه الكفر.

و لما كانوا قد سألوا عند نزول الآية عما من شأن الأنفس الصالحة الناظرة للورع المتحرك[5] للسؤال عنه، و هو من مات منهم و هو يفعلهما، ١٠ قال جوابا لذلك السؤال: ﴿ ليس على الذين اٰمنوا و عملوا ﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿ الصٰلحٰت جناح ﴾ فبين سبحانه أن هذا السؤال غير وارد لأنهم لم يكونوا منعوا منهما، و كانوا مؤمنين عاملين للصالحات متقين[6] لما يسخط الرب من المحرمات، و قد بين ذلك النبى صلى الله عليه و سلم فيما رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: حرمت الخمر ثلاث ١٥ مرات: قدم[1] رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة و هم يشربون الخمر و يأكلون الميسر، فسألوا رسول الله صلى الله عليه و سلم [7]عن ذلك[7]،

---

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ: فما (٤) فى ظ: لا يحب (٥) فى ظ: لاتحرك (٦) فى ظ: معينين (٧-٧) فى المسند ٢/٣٥١: عنهما.

فأنزل الله تعالى [على نبيه صلى الله عليه و سلم - [1]] " يسئلونك عن الخمر و الميسر " - الآية ، فقال الناس : لم يحرم [2] علينا ، إنما قال : [3] إن فيهما إثما [3] ، و كانوا يشربون الخمر حتى [إذا - [1]] كان يوم [4] من الأيام صلى رجل من المهاجرين المغرب فخلط فى قراءته ، فأنزل الله تعالى " يأيها الذين ءامنوا ٥ لا تقربوا الصلوٰة و انتم سكارى " فكانوا يشربونها حتى يأتى أحدهم الصلاة و هو مفيق ، فنزلت " يأيها الذين ءامنوا انما الخمر و الميسر [5] و الانصاب و الازلام [5] " - الآية ، فقالوا : انتهينا يا رب ! / و قال الناس : يا رسول الله ! ناس قتلوا فى سبيل الله أو [6] ماتوا على فرشهم كانوا يشربون الخمر و يأكلون الميسر و قد جعله الله رجسا من عمل الشيطان ! فأنزل الله " ليس على الذين ١٠ ءامنوا و عملوا الصٰلحٰت جناح " - الآية ، فقال النبي صلى الله عليه و سلم : لو حرمت عليهم لتركوها كما تركتم [7] . و لا يضر كونه من رواية أبى معشر و هو ضعيف لأنه موافق لقواعد الدين ، و روى الشيخان عن أنس رضى الله عنه قال : كنت ساقى [8] القوم يوم حرمت الخمر فى بيت أبى طلحة رضى الله عنه و ما شرابهم إلا الفضيخ : [9] البسر و التمر ، و إذا مناد ينادى : ألا ! إن ١٥ الخمر قد حرمت [10] ، فقال [لى - [11]] أبو طلحة رضى الله عنه : اخرج فاهرقها ،

١٢٢ /

(١) زيد من المسند (٢) فى ظ : لم تحرم ، و فى المسند : ما حرم (٣ - ٣) فى المسند : فيهما اثم كبير (٤) من ظ و المسند ، و فى الأصل : يوما (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من المسند ، و فى الأصل و ظ « و » (٧) و سيقت هذه الرواية فيما عندنا من نسخة المسند باختلاف ألفاظ و زيادة شيء على ما هنا .
(٨) من ظ و صحيح مسلم - الأشربة ، و اللفظ له (٩) من ظ و الصحيح ، و فى الأصل : الفضخ - كذا (١٠) زيد فى الصحيح قال : فجرت فى سكك المدينة .
(١١) زيد من الصحيح .

فهرقتها[١] ، فقال بعض القوم : قد قتل [٢]فلان و فلان[٢] و هى فى بطونهم؟ فأنزل الله تعالى "ليس على الذين اٰمنوا و عملوا الصٰلحٰت جناح" - الآية ، على أنه لو لم يرد هذا السببُ كانت المناسبة حاصلة ، و ذلك أنه تعالى لما أباح الطيب من المأكل و حرم الخبيث من المشرب ، نفى الجناح عمن يأكل ما أذن فيه أو يشرب[٣] عدا ما حرمه . فأتى بعبارة تعم المأكل و المشرب ٥ فقال : ﴿ فيما طعموٓا ﴾ أى مأكلا كان أو مشربا ، و شرط ذلك عليهم بالتقوى ليخرج المحرمات فقال: ﴿ اذا ما اتقوا ﴾ أى أوقعوا جميع التقوى التى تطلب منهم فلم يطعموا محرما .

و لما بدأ بالتقوى و هى خوف الله الحامل على البعد عن المحرمات ، ذكر أساسها الذى لا تقبل[٤] الا به فقال : ﴿ و اٰمنوا ﴾ و لما ذكر الإقرار ١٠ باللسان[٥] ، ذكر مصداقه فقال : ﴿ و عملوا ﴾ أى بما أداهم إليه اجتهادهم بالعلم [٦]لا اتفاقا[٦] ﴿ الصٰلحٰت ثم اتقوا ﴾ أى فاجتنبوا ما جدد عليهم تحريمه ﴿ و اٰمنوا ﴾ أى بأنه من عند الله ، و أن الله له أن يمحو ما يشاء و يثبت ما يشاء ، و هكذا كلما تكرر تحريم شىء كانوا يلابسونه .

و لما كان قد نفى الجناح أصلا و رأسا[٧] ، شرط الإحسان فقال : ١٥ ﴿ ثم اتقوا و احسنوا ﴾ أى لازموا التقوى إلى أن أوصلتهم[٨] إلى مقام المراقبة ، و هى الغنى عن رؤية غير الله ، فأفهم ذلك أن [٩]من لم يبلغ[٩]

---

(١) فى ظ : فوقها (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى ظ : ما .
(٤) فى ظ : لا يقبل (٥) فى ظ : بالإيمان - كذا (٦ - ٦) فى ظ : لا تفاق .
(٧) فى ظ : لها - كذا (٨) من ظ ، و فى الأصل : وصلتم (٩ - ٩) فى ظ : لم تبلغ .

[رتبة - [1]] الإحسان لا يمتنع أن يكون عليه جناح مع التقوى و الإيمان، يكفر عنه بالبلايا و المصائب حتى ينال ما قدر له بما لم يبلغه عمله من درجات الجنان ، و بما يدل[2] على نفاسة التقوى و عزتها أنه سبحانه لما[3] شرطها فى هذا العموم ، حث عليها عند ذكر المأكل بالخصوص - ٥ كما مضى فقال " و اتقوا الله الذى انتم به مؤمنون "، و هذا فى غاية الحث على التورع فى المأكل و المشرب و إشارة إلى أنه لا يوصل إلى مقام الإحسان إلا [4]به - و الله[4] الموفق ؛ و لما كان التقدير : فان الله يحب المتقين المؤمنين، عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ يحب المحسنين ؏ ﴾ .

١٠ و لما ذكر ما حرم من الطعام فى كل حال ، و كان الصيد مما حرم فى بعض الأوقات ، و كان من أمثل مطعوماتهم ، و كان قد ذكر لهم بعض أحكامه عقب قوله " احلت لكم بهيمة الانعام " " و احل[5] لكم الطيبٰت " أخذ هنا فى ذكر شيء[6] من أحكامه، و ابتدأها - لأنهم خافوا على من مات منهم على شرب[7] الخمر قبل تحريمها[8] بأنه يبتليهم لتميز الورع منهم ١٥ من غيره - بالصيد فى الحال التى حرمه عليهم فيها كما ابتلى[9] إسرائيل فى السبت ، فكان ذلك سببا لجعلهم[10] قردة ، و منّ سبحانه على الصحابة من هذه الأمة بالعصمة عند بلواهم بيانا لفضلهم على من سواهم ، / فقال تعالى مناديا لهم ١٢٣ /

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : يدلك (٣) فى ظ : كما (٤-٤) فى ظ : بالله (٥) فى ظ : احلت (٦) فى ظ : شيئا (٧) فى ظ : شراب (٨) من ظ ، وفى الأصل: تحريمه. (٩) فى ظ : بنى (١٠) تكرر فى الأصل .

بما

بما يكفّهم[١] ذكره[٢] عن المخالفة : ﴿ يٰٓأيها الذين ءامنوا ﴾ أى أوقعوا الإيمان و لو على أدنى وجوهه ، فعم بذلك العالى و الدانى ﴿ ليبلونكم الله ﴾ أى يعاملكم معاملة المختبر فى قبولكم تحريم الخمر و غيره المحيط بكل شىء قدرة و علما ، و ذكر الاسم الأعظم إشارة بالتذكير بما له من الجلال إلى أن له أن يفعل ما يشاء ، و أشار إلى تحقير البلوى تسكينا ٥ للنفوس بقوله[٣] : ﴿ بشىء من الصيد ﴾ أى الصيد فى البر فى[٤] الإحرام، و هو ملتفت إلى قوله " هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله " [و شارح لما ذكر أول السورة فى قوله " غير محلى الصيد و انتم حرم -[٥]] الآية، و ما[٦] ذكر بعد المحرمات من قوله " فكلوا مما امسكن عليكم " ، و وصف المبتلى به بوصف هو من أعلام النبوة فقال : ﴿ تناله ايديكم ﴾ أى إن[٣] ١٠ أردتم أخذه سالما ﴿ و رماحكم ﴾ إن أردتم قتله ، ثم ذكر المراد من ذلك و هو إقامة الحجة على ما يتعارفه العباد بينهم فقال : ﴿ ليعلم الله ﴾ أى و هو الغنى عن ذلك بما له من صفات الكمال التى لا خفاء بها عند أحد يعلم هذا الاسم الأعظم ﴿ من يخافه بالغيب ﴾ أى بما حجب به من[٣] هذه الحياة الدنيا التى حجبتهم عن أن يعرفوه حق معرفته سبحانه، ١٥ و المعنى أنه يخرج بالامتحان ما كان من أفعال العباد فى عالم الغيب إلى عالم الشهادة ، فيصير تعلق العلم بـه تعلقا شهوديا كما[٧] كان تعلقا غيبيا [لتقوم -[٥]] بذلك [٨]الحجة على الفاعل[٨] فى مجارى عاداتهم[٩]، و يزداد من

---

(١) فى ظ : يكفيهم (٢) من ظ ، وفى الأصل : ذكر (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ « و » (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : مما (٧) من ظ ، و فى الأصل : لما (٨ - ٨) فى ظ : على الفاعل الحجة (٩) فى ظ : عاداتكم .

له اطلاع على اللوح المحفوظ من الملائكة إيمانا و يقينا و عرفانا ، و قد حقق سبحانه معنى هذه الآية فابتلاهم بذلك عام الحديبية حتى كان يغشاهم الصيد فى رحالهم و يمكنهم أخذه بأيديهم .

و لما كان هذا زاجرا فى العادة [1]عن التعرض[1] لما وقعت البلوى ٥ به و حاسما للطمع فيه بمن[2] اتسم بما جعل محط النداء من الإيمان ، سبب عنه قوله : ﴿ فمن اعتدى ﴾ أى كلف نفسه مجاوزة[3] الحد فى التعرض له ؛ و لما كان سبحانه يقبل التوبة عن عباده ، خص الوعيد بمن استغرق الزمان بالاعتداء فأسقط الجار لذلك فقال : ﴿ بعد ذلك ﴾ أى الزجر العظيم ﴿ فله عذاب اليم ۝ ﴾ بما التذ من تعرضه إليه لما عرف ١٠ بالميل[4] إلى هذا أنه [إلى ما -[5]] هو أشهى منه كالخمر و ما معها أميل .

و لما أخبرهم بالابتلاء صرح لهم بما لوح إليه بذكر المخافة من تحريم التعرض لما ابتلاهم به[6] ، فقال منوها بالوصف الناهى عن الاعتداء : ﴿ يآيها الذين آمنوا ﴾ و ذكر القتل الذى هو أعم من الذبح إشارة إلى أن الصيد - لما عنده من النفرة المانعة من التمكن من ذبحه - يحبس بأى وجه ١٥ كان من أنواع القتل فقال : ﴿ لا تقتلوا الصيد ﴾ أى لا تصطادوا[7] ما يحل أكله من الوحش ، و أما غير المأكول فيحل قتله ، فانه لاحظ للنفس فى قتله إلا الإراحة من أذاه المراد بالفسق فى قوله صلى الله عليه و سلم : خمس فى الدواب فواسق ، لاجناح على من قتلها فى حل و لا حرم - و ذكر منهن السبع العادى ، فدل الحكم برفع الجناح عقب الوصف بالفسق

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : ممن (٣) فى ظ : مجاوز (٤) فى ظ : بالمثل (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : لا تصادوا .

على أنه علة الإباحة ، و لا معنى لفسقها إلا أذاها ﴿ و انتم حرم ﴾ أى محرمون أو[1] فى الحرم .

و لما كان سبحانه [عالما - [2]] بأنه لا بد أن يوافق موافق[3] تبعا لأمره و يخالف مخالف موافقة لمراده ، شرع لمن خالف كفارة تخفيفا منه على هذه الأمة و رفعا لما كان على من [4] كان من قبلها[4] من الآصار ، ٥ فقال عاطفا على ما تقديره : فمن انتهى فله عند ربه أجر عظيم : / ﴿ و من قتله منكم متعمدا ﴾ أى قاصدا للصيد ذاكرا للاحرام إن كان محرما ، ١٢٤ / و الحرم إن كان فيه عالما بالتحريم .

و لما كان هذا الفعل العمد موجبا للاثم و الجزاء ، و متى اختل وصف منه كان خطأ موجبا للجزاء فقط ، و كان سبحانه قد عفا عن الصحابة ١٠ رضى الله عنهم العمد الذى كان سببا لنزول الآية كما فى آخرها ،[5] لم يذكره[5] و اقتصر على ذكر الجزاء فقال : ﴿ فجزآء ﴾ أى فمكافأة ﴿ مثل ما قتل ﴾ أى أقرب الأشياء به شبها فى الصورة[6] لا النوع[6] ، و وصف الجزاء بقوله : ﴿ من النعم ﴾ لما قتله[7] عليه ، [8] أى عليه[8] أن يكافئ ما قتله بمثله ، و هو من إضافة المصدر إلى الفاعل ، هذا على قراءة الجماعة باضافة « جزاء » إلى ١٥ « مثل » ، و أما على قراءة الكوفيين و يعقوب بتنوين « جزاء » و رفع « مثل » فالأمر واضح .

---

(١) من ظ ، وفى الأصل : أى (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤-٤) فى ظ : قبلها (٥-٥) فى ظ : لو بذكره (٦-٦) من ظ ، وفى الأصل : كالنوع (٧) من ظ ، و فى الأصل : قتل (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و لما كان كأنه قيل : بما[1] تعرف المماثلة ؟ قال : ﴿ يحكم به ﴾ أى بالجزاء ؛ و لما كانت وجوه المشابهة بين الصيد و بين النعم كثيرة ، احتاج ذلك إلى زيادة التأمل فقال : ﴿ ذوا عدل منكم[2] ﴾ أى المسلمين ، و عن الشافعى أن الذى له[3] مثل ضربان : ما حكمت فيه الصحابة ، و ما لم تحكم[4] ٥ فيه ، فما حكمت فيه لا يعدل إلى غيره لأنه قد حكم به عدلان فدخل تحت الآية ، و هم أولى من غيرهم لأنهم شاهدوا التنزيل و حضروا التأويل ؛ و ما لم يحكموا به يرجع فيه إلى اجتهاد عدلين ، فينظر إلى الأجناس الثلاثة[5] من الأنعام ، [6]فكل ما[6] كان أقرب شبها به يوجبانه ؛ فان كان القتل خطأ جاز أن يكون [الفاعل - [7]] أحد الحكمين ، و إن كان عمدا فلا ، ١٠ لأنه يفسق به .

و لما كان هذا المثل يساق إلى مكة المشرفة على وجه الإكرام و النسك [8]رفقا بمساكينها ، قال[8] مبينا الحاله من الضمير فى "به" : ﴿ هديا ﴾ و لما كان الهدى هو ما تقدم تفسيره ، صرح به فقال : ﴿ بٰلغ الكعبة ﴾ أى الحرم المنسوب إليها ، و إنما صرح بها زيادة فى التعظيم و إعلاما بأنها هى ١٥ المقصودة بالذات بالزيارة و العمارة لقيام ما يأتى ذكره ، تذبح الهدى بمكة المشرفة و يتصدق به على مساكين الحرم[3] ، و الإضافة لفظية لأن الوصف

---

(١) فى ظ : بم (٢) تأخر فى ظ عن « الضمير فى به » (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : لم يحكم (٥) من ظ و البحر المحيط ٣/٤ ، و فى الأصل : الثلاث (٦-٦) من ظ و البحر ، و فى الأصل : فما (٧) زيد من ظ (٨-٨) فى ظ : فقال بمساكنها - كذا .

بشبه

بشبه « يبلغ » فلذا وصف بها النكرة .

و لما كان سبحانه رحيما بهذه الأمة ، خيرها بين ذلك و بين ما بعد فقال[1]: ﴿او﴾ عليه ﴿ كفارة ﴾ هى ﴿طعام مسٰكين ﴾ فى الحرم بمقدار قيمة الهدى ، لكل مسكين مد ﴿ او عدل ذلك ﴾ أى قيمة المثل ﴿ صياما ﴾ فى أىّ موضع تيسر له ، عن[1] كل مد يوم ، فأوِ للتخيير لأنه الأصل فيها ، ٥ و القول بأنها للترتيب يحتاج إلى دليل .

و لما كان الأمر مفروضا فى المتعمد قال معلقا بالجزاء ، أى فعليه أن يجازى بما ينقص المال أو يؤلم الجسم ﴿ ليذوق وبال ﴾ أى ثقل[2] ﴿ امره[4] ﴾ و سوء عاقبته ليحترز[3] عن مثل ما وقع فيه ؛ و لما كان هذا الجزاء محكوما به فى دار العمل التى لا يطلع أهلها بمجرد عقولهم فيها على ١٠ غيب ، و لا يعرفون عاقبة أمر إلا تخرصا ، طرد الحكم فى غير المتعمد[4] لئلا يدعى المتعمد أنه مخطئ ، كل ذلك حمى لحرمة الدين و صونا لحرمة الشرع و حفظا لجانبه / و رعاية لشأنه ، و لما كان قد مضى منهم قبل نزولها /١٢٥ من هذا النوع أشياء ، كانوا كأنهم قالوا : فكيف نصنع بما أسلفنا ؟ قال جوابا : ﴿ عفا الله ﴾ أى الغنى عن كل شىء الذى له الإحاطة بجميع ١٥ صفات الكمال ﴿ عما سلف[4] ﴾ [5]أى تعمده[5] ، أى لكم من ذلك ، فمن

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : يقل - كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : ليحرز.
(٤) فى ظ : المعتمد ، و العبارة من بعده الى « المتعمد » الآتى ساقطة منه .
(٥ - ٥) من ظ ، و فى الأصل : الى تعمدها ، و هو متخلل فى الأصل بين « عما » و « سلف »

حفظ نفسه بعد هذا فاز ﴿ ومن عاد ﴾ إلى تعمد شيء من ذلك ولو قل؛ ولما كان المبتدأ متضمنا معنى الشرط، قرن الخبر بالفاء إعلاما بالسببية[1] فقال: ﴿ فينتقم الله ﴾ أي الذي له الأمر كله ﴿ منه ﴾ أي بسبب عوده بما يستحقه من الانتقام.

٥ ولما كان فاعل ذلك متهكا لحرمة الإحرام والحرم[2]، وكان التقدير: فالله قادر عليه، عطف على ذلك ما اقتضاه المقام من الإتيان بالاسم الأعظم ووصف العزة فقال: ﴿ والله ﴾ أي الملك [الأعلى -[3]] الذي لا تداني[4] عظمته عظمة ﴿ عزيز ﴾ لا يغلب[5] ﴿ ذو انتقام ﴾ ممن خالف أمره.

١٠ ولما كان هذا عاما في كل صيد، بين أنه خاص بصيد البر فقال: ﴿ أحل لكم صيد البحر ﴾ أي اصطياده، أي[2] الذي مبناه غالبا على الحاجة، والمراد [به -[3]] جميع المياه من الأنهار والبرك وغيرها ﴿ وطعامه ﴾ أي مصيده[6] طريا وقديدا ولو كان طافيا قذفه البحر، وهو الحيتان بأنواعها وكل ما لا يعيش في البر، [7]وما أكل مثله في البر[7].

١٥ ولما أحل ذلك ذكر علته فقال: ﴿ متاعا لكم ﴾ أي إذا كنتم مسافرين أو مقيمين ﴿ وللسيارة ﴾ أي يتزودونه إلى حيث أرادوا من البر أو البحر، وفي تحليل صيد البحر حالَ الابتلاء من النعمة على هذه الأمة ما يبين فضلها على من كان قبلها ممن جعل صيد البحر له محنة يوم الابتلاء -

---

(١) في ظ: بالسنة - كذا (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) في ظ: لا يداني. (٥) في ظ: لا يغالب (٦) في ظ: مصيدته (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

و لله الحمد، و الظاهر أن المراد بصيد البحر الفعل، لأن ثَمَّ أمرين: الاصطياد و الأكل، و المراد بيان حكمها، فكأنه[1] أحل اصطياد حيوان البحر، و أحل طعام البحر مطلقا ما اصطادوه و ما لم يصطادوه[2]، سواء كانوا مسافرين أو مقيمين، و ذلك لأنه لما[3] قدّم تحريم اصطياد ما في البر بقوله " لا تقتلوا الصيد و انتم حرم " أتبعه بيان [إحلال اصطياد مصيد البحر في حال تحريم ٥ ذلك، ثم أتبعه بيان - [4]] حرمة مصيد البر بقوله: ﴿و حرم عليكم صيد البر﴾ أى اصطياده و أكل[5] ما صيد منه لكم، و هو ما لا عيش[6] له[3] إلا فيه، و ما يعيش فيه [7]و في البحر[7]، [8]فان صِيْدَ للحلال[8] حل للمحرم أكله، فانه غير منسوب إليه اصطياده بالفعل و لا بالقوة ﴿ ما دمتم حرما [4] ﴾ لأن مبنى أمره غالبا في الاصطياد و الأكل مما صيد على الترف و الرفاهية، ١٠ و قد تقدم أيضا حرمة اصطياد مصيد البر و حرمة الأكل مما صيد منه، و تكرر ذلك بتكرر الإحرام في آية " غير محلى [7]الصيد " و آية " لا تقتلوا الصيد[7] و انتم حرم " فلا يعارضه مفهوم " ما دمتم حرما[3] "، و عبر بذلك ليكون نصا في الحرمة في كل جزء من أجزاء وقتِ الإحرام إلى تمام التحلل - و الله أعلم، و لا يسقط الجزاء بالخطأ و الجهل كسائر محظورات ١٥ الإحرام .

و لما كان الاصطياد بحشر الصيد إلى حيث يعجز عن الخلاص

---

(١) في ظ : فكأنها (٢) زيدت الواو بعده في ظ (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ (٥) في ظ : كل (٦) في ظ : لا يعش (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٨-٨) تكرر ما بين الرقمين في الأصل .

منه، و كانت حالة الإحرام أشبه شيء بحالة الحشر فى التجرد عن المخيط
و الإعراض عن الدنيا و تمتعاتها، ختم/ الآية بقوله عطفا على ما تقديره: ١٢٦ /
فلا تأكلوا [١]شيئا منه[١] فى حال إحرامكم: ﴿و اتقوا الله﴾ أى الذى له الأمر
كله فى ذلك و فى غيره[٢] من الاصطياد و غيره ﴿ الذىٓ اليه تحشرون ﴾
٥ ليكون العرض عليه نصبَ أعينكم فتكونوا مواظبين على طاعته محترزين
عن معصيته.

و لما كان الإحرام و تحريم الصيد فيه إنما هو لقصد تعظيم الكعبة،
بين تعالى حكمة ذلك و[٣] أنه كما جعل الحرم و الإحرام سببا لأمن الوحش
و الطير جعله سببا لأمن الناس و سببا لحصول السعادة[٥]دنيا و أخرى، فقال
١٠ مستأنفا بيانا لحكمة المنع فى أول السورة من استحلال[٤] من يقصدها
للزيارة: ﴿ جعل الله ﴾ أى بما له من العظمة و كمال الحكمة و نفوذ الكلمة
﴿ الكعبة ﴾ و عبر عنها بذلك لأنها مأخوذة من الكعب الذى به قيام
الإنسان و قوامه، و بيّنها مادحا بقوله: ﴿ البيت الحرام ﴾ أى الممنوع من
كل جبار دائما الذى تقدم فى أول السورة أنى منعتكم من استحلال من
١٥ يؤمّه ﴿ قيٰما للناس ﴾ أى فى أمر معاشهم و معادهم لأنها لهم كالعماد
الذى يقوم به البيت، فيأمن به الخائف و يقوى فيه الضعيف و يقصده
التجار و الحجاج[٢] و العمّار فهو عماد الدين و الدنيا.

و لما ذكر ما به القوام من المكان، أتبعه ذلك من الزمان فقال:
﴿و الشهر الحرام﴾ أى الذى يفعل[٢] فيه الحج و غيره [٥]يأمن فيه[٥] الخائف[٥]

(١ - ١) فى ظ: منه شيئا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: كما (٤) فى ظ: استخلاص (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.

و لما ذكر ما به القوام[1] من المكان و الزمان، أتبعه[2] [3]ما به[3] قوام الفقراء من شعائره فقال: ﴿والهدى﴾ ثم أتبعه أعزّه و أخصه فقال: ﴿والقلآئد[4]﴾ أي و الهدى العزيز الذى يقلد فيذبح و يقسم على الفقراء، و فى الآية التفات إلى [3]ما فى[3] أول السورة من قوله "يآيها الذين اٰمنوا لا تحلوا شعآئر الله [3]و لا الشهر الحرام[3]" - الآية، فقوانينُها أن من قصدها فى شهر الحرام ٥ لم يتعرض له أحد و لوكان قتل ابنه[4]، و من قصدها فى غيره و معه هدى قلده أو لم يقلده أو لم يكن معه هدى و قلد نفسه من لَحَاء[5] شجر الحرم[6] لم يعرِض له أحد [3]حتى أن بعضهم يلقى الهدى و هو مضطر فلا يعرض له[3] و لو مات جوعا، و سواء فى ذلك صاحبه و غيره لأن[7] الله تعالى أوقع فى قلوبهم تعظيمها، لأنه تعالى جبل العرب على الشجاعة ليفتح ١٠ بهم البلاد شرقا و غربا ليظهر عموم رسالة نبيهم صلى الله عليه و سلم، فلزم من ذلك شدة حرصهم على القتل و الغارات، و علم أن ذلك إن دام بهم شغلَهم عن تحصيل ما يحتاجون إليه لعيشهم، فأدى إلى فنائهم، فجعل بيته المكرم و ما كان من أسبابه أمانا يكون به قوام معاشهم [3]و معايشهم[3]، فكان ذلك برهانا ظاهرا على أن الإلٰه عالم بجميع المعلومات ١٥ و أن له الحكمة البالغة.

---

(١) تكرر فى الأصل (٢) العبارة من «أتبعه ذلك» إلى هنا تكررت فى ظ مع سقوط الألفاظ التى نبهنا عليها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ: ابيه (٥) من ظ، و فى الأصل: لحـا - كذا (٦) من ظ، و فى الأصل: الحرام؛ و زيدت الواو بعده فى ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: ان.

و لما أخبر بعلة التعظيم لما أمر بتعظيمه من نظم أمور الناس ، ذكر علة[1] ذلك الجعل فقال: ﴿ ذلك ﴾ أى الجعل العظيم الذى تم[2] أمره عـلى ما أراد جاعله[3] سبحانه ﴿ لتعلمو̃ا ﴾ أى بهذا التدبير المحكم[4] ﴿ ان الله ﴾ أى[2] الذى له الكمال كله الذى جعل ذلك ﴿ يعلم ما فى السمٰوٰت ﴾

٥ فلذلك رتبها ترتيبا فصلت به الأيام و الليالى ، فكانت من ذلك الشهور و الأعوام، و فصّل من ذلك ما فصل للقيام / المذكور ﴿ و ما فى الارض ﴾ ١٢٧ /

فلذلك جعل فيها ما قامت به مصالح الناس وكف فيه أشدهم و أفتكهم عن أضعفهم و آمن فيه الطير و الوحش ، فيؤدى ذلك من له عقل رصين و فكر متين إلى أن يعلم أن فاعل ذلك من العظمة و نفوذ الكلمة بحيث

١٠ يستحق الإخلاص فى العبادة و أن يمتثل أمره فى إحلال ما أحل من الطعام و تحريم ما حرم من الشراب و غير ذلك .

و لما ذكر هذا العلم العظيم ، ذكر ما هو أعم منه فقال: ﴿ و ان ﴾ أى و لتعلموا[5] أن ﴿ الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما الذى فعل ذلك قم له ﴿ بكل شىء عليم ۝ ﴾ و إلا لما أثبت جميع مقتضيات ذلك

١٥ و نفى جميع موانعه حتى كان ، و لقد اتخذ العرب - كما فى السيرة الهشامية[6] و غيرها - طواغيت ، و هى بيوت [7]جعل لها[7] سدنة و حجابا و هدايا أكثروا منها ، و عظمت كل قبيلة ما عندها أشد تعظيم[8] و طافوا به فلم يبلغ

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : عليه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : عاجله (٤) من ظ ، و فى الأصل : الحكمة - كذا (٥) فى ظ : ليعلموا (٦) فى ظ : الهاشمية (٧ - ٧) فى ظ : جعلها بها - كذا (٨) فى ظ : تعظيما .

شىء[1] منها ما بلغ أمر الكعبة المشرفة و لا قارب ، ليحصل العلم بأنه سبحانه لا شىء مثله و لا شريك له .

و لما أنتج هذا كله أنه على كل شىء قدير لأنه بكل شىء عليم ، وكانت هذه الآية - كما تقدم - ناظرةً إلى أول السورة من آية " لا تحلوا شعائر الله " و ما بعدها أتم نظر ، ذكر[2] سبحانه ما اكتنف آية " حرمت ٥ عليكم الميتة "[3] من الوعيد الذى ختم به ما قبلها و الوعد الذى ختمت هى به فى هذه الآية على ترتيبه ، سائقا له مساق النتيجة و الثمرة لما قبله ، بيانا لأن من ارتكب شيئا من هذه المنهيات كان حظه ، فقال محذرا و مبشرا لأن الإيمان لايتم إلا بهما : ﴿ اعلموا ان الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها الذى نهاه عنها ﴿ شديد العقاب ﴾ فليكن عباده على حذر منه ، و أن ١٠ من أوقعه فى شىء منها القدر ، ثم فتح له التوفيقُ بابَ الحذر ، فكفر فيما فيه كفارة و تاب ، كان مخاطبا بقوله : ﴿ و ان ﴾ أى و اعلموا أن ﴿ الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام مع كونـــه شديد العقاب ﴿ غفور رحيم ﴾ يقبل عليه و يمحو زلله و يكرمه ، فكان اكتناف أسباب الرجاء سابقا للانذار و لاحقا معلما بأن رحمته سبقت[4] غضبه و أن ١٥ العقاب إنما هو لإتمام رحمته ، قال ابن الزبير : ثم قال : "جعل الله الكعبة"[5] - الآية[6] ، فنبه على سوء العاقبة فى منع البحث على التعليل و طلب الوقوف على ما لعله مما استأثر الله بعلمه ، و من هذا الباب أتى على بنى إسرائيل فى[7]

(١) فى ظ : شيئا (٢) فى ظ : ذلك (٣) فى ظ : الآية (٤) فى ظ : غلبت (٥) زيد بعده فى ظ : البيت الحرام (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : من .

[أمر - [1]] البقرة وغير ذلك؛ وجعل هذا التنبيه إيماء، ثم أعقبه بما يفسره "يايها الذين امنوا لا تسئلوا عن اشياء" - الآية، ووعظهم[2] بحال غيرهم في هذا، وأنهم سألوا فأعطوا ثم امتحنوا، وقد كان التسليم أولى لهم، فقال تعالى "قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كفرين" ثم عرّف عباده أنهم إذا استقاموا فلن يضرهم خذلان غيرهم "يايها الذين امنوا عليكم انفسكم" - انتهى.

٥

ولما رغب سبحانه ورهب، علم أنه المجازي وحده، فأنتج ذلك أنه ليس إلى غيره إلا ما كلفه به، فأنتج ذلك ولا بد قوله: ﴿ما على الرسول﴾ أي الذي من شأنه الإبلاغ ﴿الا البلغ﴾ أي بأنه يحل لكم الطعام وغيره ويحرم عليكم الخمر وغيرها، وليس عليه أن يعلم ما تضمرون وما تظهرون ليحاسبكم عليه[3] ﴿والله﴾ أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما ﴿يعلم ما تبدون﴾ أي تجددون إبداءه على الاستمرار ﴿وما تكتمون ه﴾ من إيمان وكفر وعصيان وطاعة وتعمد لقتل الصيد وغيره ومحبة للخمر وغيرها وتعمق في الدين بتحريم الحلال من الطعام والشراب وغيره إفراطا وتفريطا، لأنه الذي خلقكم وقدّر ذلك فيكم في أوقاته؛ فيجازيكم على ما في نفس الأمر، من عصى أخذه بشديد العقاب، ومن أطاعه منحه حسن الثواب؛ وأما الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يحكم إلا بما يعلمه مما تبدونه ما لم أكشف له الباطن وآمره فيه بأمري[4]، وهذه أيضا ناظرة إلى قوله تعالى

/١٢٨

١٠

١٥

(1) زيد من ظ (2) من ظ، وفي الأصل: وعظ (3) سقط من ظ (4) في ظ: بأمر.

بلغ

" بلغ ما انزل اليك من ربك " :

و لما سلب سبحانه العلم عن كل أحد و أثبته لنفسه الشريفة، أنتج ذلك أنه[1] لا أمر لغيره و لا نهي ولا إثبات و لا نفي ، فأخذ سبحانه يبين حكمة ما مضى من الأوامر في إحلال الطعام و غيره من الاصطياد و الأكل من الصيد و غيره و الزواجر عن الخمر و غيرها بأن الأشياء منها طيب و خبيث ، ٥ و أن الطيب و إن قل خير من الخبيث و إن كثر ، و لا يميز هذا من ذاك إلا[2] الخلاق العليم ، فربما ارتكب الإنسان طريقة شرعها لنفسه ظانًا أنها حسنة فجرته إلى السيئة و هو لا يشعر فيهلك ، كالرهبانية التي كانوا عزموا عليها و الخمر التي دعا شغفهم[3] بها إلى الإنزال فيها مرة بعد أخرى إلى أن أكد فيها هنا أشد تأكيد ، و حذر فيها أبلغ تحذير ، فقال ١٠ تعالى صارفا الخطاب إلى أشرف الورى صلى الله عليه و سلم إشارة إلى أنه لا ينهض بمعرفة هذا من الخلق غيره : ﴿ قل لا يستوى الخبيث ﴾ أي من المطعومات و الطاعمين ﴿ و الطيب ﴾ أي كذلك ، فان ما يتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان من جهة الخبث .

و لما كان الخبيث من الذوات و المعاني أكثر في الظاهر و أيسر ١٥ قال : ﴿ و لو اعجبك كثرة الخبيث ﴾ و الخبيث و الطيب منه جسماني و منه روحاني ، و أخبثهما الروحاني و أخبثه الشرك ، و أطيب[4] الطيب الروحاني و أطيبه معرفة الله و طاعته ، و ما يكون للجسم من طيب أو خبث[5]

(١) في ظ : لانه (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : شغفهم (٤) في ظ : اطيبه (٥) من ظ ، و في الأصل : خبيث .

ظاهرٌ لكل أحد ، فما خالطه نجاسة صار مستقذرا لأرباب الطباع السليمة ، و ما خالط الأرواحَ من الجهل صار مستقذرا عند الأرواح الكاملة المقدسة ، و ما خالطه من الأرواح معرفةُ الله فواظب على خدمته أشرق بأنوار المعارف الإلهية و ابتهج بالقرب من الأرواح المقدسة الطاهرة ، و كما ٥ أن الخبيث و الطيب[١] لا يستويان فى العالم الروحانى [كذلك لا يستويان فى العالم الجسمانى -[٢]] ، و التفاوت بينهما فى العالم الروحانى أشد ، لأن مضرة خبث الجسمانى[٣] قليلة ، و منفعة[٣] طيبه يسيرة ، و أما خبث[٤] الروحانى فمضرته عظيمة دائمة ، و طيب الروحانى منفعته جليلة [دائمة -[٥]] ، و هى القرب من الله و الانخراط فى زمرة السعداء ، و أدلّ دليل على إرادة ١٠ العصاة و المطيعين قوله : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى اجعلوا بينكم و بين ما يسخط الملك الأعظم الذى له صفات الكمال من الحرام وقايةً من الحلال / لتكونوا[٦] من قسم الطيب ، فانه لا مقرب إلى الله مثلُ الانتهاء عما حرم - ١٢٩ / كما تقدم الإشارة بقوله " ثم اتقوا و احسنوا " و يزيد المعنى[٧] وضوحا قولُه : ﴿ يٰأولى الالباب ﴾ أى العقول الخالصة من شوائب النفس ١٥ فتؤثروا الطيب و إن قل فى الحس لكثرته فى المعنى على الخبيث و إن كثر فى الحس لنقصه فى المعنى ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ أى لتكونوا على رجاء من أن تفوزوا بجميع المطالب ، و حينئذ ظهر كالشمس مناسبة[٧] تعقيبها

(١) من ظ ، و فى الأصل : الطيب و الخبيث (٢) زيد كى تستقيم العبارة . (٣ - ٣) من ظ ، و فى الأصل : فى قلبه و بمنافعه (٤) من ظ ، و فى الأصل : خبيث (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : ليكونوا (٧) سقط من ظ .

بقوله على طريق الاستئناف و الاستنتاج : ﴿ يٰـٓأيها الذين ءامنوا ﴾ أى أعطوا من أنفسهم[1] العهد على الإيمان الذى معناه قبول جميع ما جاء به مَنْ وقع به الإيمان ﴿ لا تسئلوا عن اشيآء ﴾ و ذلك لأنهم إذا كانوا على خطر فيما يسرعون و فيما به ينتفعون من المآكل و المشارب و غيرها من الأقوال و الأفعال فهم مثله فيما عنه يسألون سواء سألوا شرعه أو لا ، ٥ لأنه ربما أجابهم من لا يضره شيء إلى ما فيه ضررهم مما سألوه ، فانهم لا يحسنون[2] التفرقة بين الخبيث و الطيب كما فعل بأهل السبت حيث أبوا الجمعة[3] و سألوه ، فاشتد اعتناقها حينئذ بقوله " ان الله يحكم ما يريد " و بقوله " ما على الرسول الا البلٰغ " فكان كأنه قيل : فما بلغكم اياه فخذوه بقبول و حسن انقياد ، و ما لا فلا تسألوا عنه ، و سببُ نزولها ـ كما[4] فى الصحيحين ١٠ عن أنس رضى الله عنه ـ أنهم سألوا النبى صلى الله عليه و سلم حتى أحفوه[5] بالمسألة[6] ، فغضب فصعد المنبر فقال[4] : لا تسألونى اليوم عن شيء إلا بينته لكم ـ و شرع يكرر ذلك ، و إذ [جاء ـ[7]] رجل كان إذا لاحى[8] الرجال يدعى لغير أبيه فقال : يا رسول الله ! من أبى ؟ قال : [أبوك ـ[9]] حذافة ، ثم أنشأ عمر رضى الله عنه فقال : رضينا بالله ربا و بالإسلام دينا و بمحمد ١٥

(١) من ظ ، و فى الأصل : نفوسهم (٢) فى ظ : لا يحسبون (٣) فى ظ : الجماعة .
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ و صحيح البخارى ـ كتاب الفتن و صحيح مسلم ـ الفضائل (٦) من الصحيحين ، و فى الأصل وظ : المسألة (٧) زيد من ظ ، و فى الصحيحين : فأنشأ ـ مكان : و إذ جاء (٨) من الصحيحين ، و فى الأصل : لابى ، و فى ظ : لاح ـ كذا (٩) زيد من الصحيحين .

رسولا ، نعوذ بالله من [سوء - ١] الفتن . و فى آخره : فنزلت " يايها الذين
امنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم " و للبخارى فى التفسير عن
أنس أيضا قال : خطب رسول الله صلى الله عليه و سلم خطبة ما سمعت
مثلها قط ، قال : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا ، فغطى
٥ أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم وجوههم ، لهم حنين ، فقال رجل :
من أبى ؟ قال : فلان ، فنزلت " لا تسئلوا عن اشياء " - الآية . و للبخارى
أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان قوم يسألون رسول الله
صلى الله عليه و سلم استهزاء فيقول الرجل : من أبى ؟ و يقول الرجل
تضل ناقته : أين ناقتى ؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية " يايها الذين امنوا
١٠ لا تسئلوا عن اشياء " حتى فرغ من الآية كلها ، و لابن ماجه مختصرا
و [٢] للحافظ أبى [٢] القاسم ابن عساكر فى الموافقات فيما أفاده المحب الطبرى [٣]
فى مناقب العشرة و أبى يعلى فى مسنده مطولا عن أنس رضى الله عنه
قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو غضبان و نحن
نرى أن معه جبرئيل عليه السلام حتى صعد المنبر - و فى رواية : فخطب
١٥ الناس - [فقال - ٤] : سلونى ! فوالله لا تسألونى عن شيء اليوم إلا أخبرتكم
- و فى رواية : أنبأتكم به - فما رأيت يوما كان أكثر باكيا منه ، فقال رجل :
يا رسول الله - و فى رواية : فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله - إنا كنا

---

(١) زيد من الصحيحين (٢-٢) فى ظ : لحافظ و ابو (٣) هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر محب الدين الطبرى ، من مؤلفاته : الرياض النضرة فى فضائل العشرة (٤) زيد من ظ .

حديث عهد بجاهلية ، من أبى ؟ قال : أبوك حذافة - لأبيه / الذى كان / ١٣٠
يدعى له - و فى رواية : أبوك حذافة الذى تدعى له - فقام إليه آخر فقال :
يا رسول [الله - [1]] ! أفى الجنة أنا أم فى النار؟ [2] فقال: فى النار [2] ، فقام إليه
آخر فقال: يا رسول الله ! أعلينا الحج كل عام ؟ - و فى رواية : فى كل عام -
فقال: لو قلت : نعم ، لوجبت ، و لو وجبت لم تقوموا بها ، و لو لم تقوموا بها ٥
عذبتم ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: رضينا [3] بالله ربا و بالإسلام
دينا و بمحمد صلى الله عليه و سلم نبيا - و فى رواية : رسولا - لا تفضحنا [4]
بسرائرنا - و فى رواية : فقام إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال :
يا رسول الله ! إنا كنا حديث عهد بجاهلية فلا تبد علينا سرائرنا ، [5] أ تفضحنا [5]
بسرائرنا - اعف عنا عفا الله عنك [6] ، فسرى عنه ، ثم التفت إلى الحائط ١٠
فذكر بمثل الجنة و النار [7] . و للامام أحمد و مسلم و النسائى و الدارقطنى
و الطبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: [2] خطب - و فى رواية [2] :
خطبنا - رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا أيها الناس ! إن الله
[قد - [8]] فرض عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل - و فى رواية النسائى :
فقال الأقرع بن [9] حابس التميمى - : أ [10] كل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى ١٥
قالها ثلاثا ، فقال: من السائل ؟ فقال : فلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه
و سلم : و الذى نفسى بيده ! لو قلت : نعم ، لوجبت ، [11] ثم إذا [11] لا تسمعون
و لا تطيعون ، و لكن حجة واحدة - و فى رواية الدارقطنى و الطبرى :

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : رضيت (٤) فى ظ : فلا تفضحنا (٥-٥) من ظ ، وفى الأصل: تفضحنا (٦) فى ظ : عنه (٧) زيد بعده فى ظ : فيه (٨) زيد من ظ و سنن النسائى - المناسك ، و مسند الإمام أحمد ٢/٥٠٨ (٩) فى ظ « و » (١٠) سقط من ظ (١١ - ١١) فى ظ : اذن .

و لو وجبت ما أطقتموها ، و لو لم تطيقوها - و فى رواية الطبرى : و لو تركتموه - لكفرتم ، فأنزل الله تعالى " يٰايها الذين اٰمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم[1] " ثم قال : ذرونى ما تركتكم[2] ، فانما هلك من كان قبلكم بكثرة[4] سؤالهم و اختلافهم على أنبيائهم ، فاذا أمرتكم بشيء فأتوا[3]
٥ منه ما استطعتم ، و إذا نهيتكم عن شيء فدعوه - و[4] فى رواية[4] : فاجتنبوه . و هذا الحديث له ألفاظ كثيرة من طرق شتى استوفيتها فى كتابى « الاطلاع على حجة الوداع » و لا تعارض بين هذه الأخبار و لو تعذر ردها إلى شيء واحد لما تقدم عند قوله تعالى " لا تحرموا طيبٰت ما احل الله لكم " من أن الأمر الواحد قد تعدد أسبابه ، بل و كل ما ذكر من أسباب
١٠ تلك و ما أشبهه كقوله تعالى " الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم و اقيموا الصلوٰة و اٰتوا الزكوٰة فلما كتب عليهم القتال " - الآية ، يصلح أن يكون سببا لهذه ، و روى الدارقطنى فى آخر الرضاع من سننه عن أبى ثعلبة الخشنى و فى آخر الصيد عن أبى الدرداء رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ،
١٥ و حرم حرمات فلا تنتهكوها ، و حد[1] حدودا فلا تعتدوها ، و سكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها ؛ و قال أبو الدرداء : فلا تكلفوها[5] ، رحمة من ربكم فاقبلوها . و أخرج حديث أبى الدرداء أيضا[6] الطبرانى .

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تركتم (٣) من المسند ، و فى الأصل و ظ : فايتوا - كذا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : فلا تتكلفوها .
(٦) زيدت الواو بعده فى ظ .

و لما كان الإنسان[١] قاصرا عن[٢] علم ما غاب ، فكان زجره عن الكشف عما يسوءه زجرا[٣] له عن كل ما يتوقع أن يسوءه ، قال تعالى: ﴿ ان تبد ﴾ أى تظهر[٤] ﴿ لكم ﴾ باظهار عالم الغيب لها ﴿ تسؤكم ع ﴾ و لما كان ربما وقع فى وهم متعنت أن هذا الزجر إنما هو لقصد راحة المسؤل عن السؤال[٥] خوفا من عواقبه . قال : ﴿ و ان تسئلوا عنها ﴾ أى تلك الأشياء ٥ التى تتوقع[٦] مساءتكم عند إبدائها ﴿ حين ينزل القرأن ﴾ أى / و الملك / ١٣١ حاضر ﴿ تبد لكم ط ﴾ و لما كان ربما قال: فما له لا يبديها سئل عنها أم لا ؟ قال : ﴿ عفا الله ﴾ بما له من الغنى المطلق و العظمة الباهرة و جميع صفات الكمال ﴿ عنها ط ﴾ أى سترها فلم يبدها لكم رحمة منه لكم و إراحة عما يسوءكم و يثقل عليكم فى دين أو دنيا ؛ و لما كانت صفاته سبحانه أزلية ، ١٠ لا تتوقف[٧] لواحدة منها على غيرها ، وضع الظاهر موضع المضمر لئلا يختص بما قبله فقال [٨]نادبا من[٨] وقع منه ذنب إلى التوبة : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له [٩]مع صفة الكمال[٩] صفة الإكرام ﴿ غفور ﴾ أزلا و أبدا يمحو الزلات عينا و أثرا و يعقبها بالإكرام على عادة الحكماء ﴿ حليم ه ﴾ أى لا يعجل على العاصى بالعقوبة . ١٥

و لما نهى عن السؤال عنها ليتعرف حالها ، علل ذلك بأن غيرهم عرف أشياء و طلب أن يعطاها ، إما بأن سأل غيره ذلك ، و إما بأن شرعها

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : على (٣) فى ظ : زاجرا (٤) فى ظ : يظهر (٥) من ظ ، و فى الأصل : السول (٦) من ظ ، و فى الأصل : يتوقع (٧) فى ظ : لا توقف . (٨ - ٨) فى ظ : باديا قبل - كذا (٩ - ٩) فى ظ : موضع .

و سأل غيره أن يوافقه عليها و هو قاطع بأنها غاية فى الحسن فكانت سبب
شقائه فقال : ﴿ قد سألها ﴾ يعنى أمثالها ، و لم يقل : سأل عنها ، إشارة إلى
ما أبديته ﴿ قوم ﴾ أى[1] أولوا عزم و بأس و قيام فى الأمور .

و لما كان وجود القوم فضلا عن سؤالهم لم يستغرق زمان القبل ،
٥ أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ و لما كان الشيء إذا جاء عن مسألة جديرا[2]
بالقبول لا سيما إذا كان من ملك فكيف إذا كان من ملك الملوك ،
فكان رده فى غاية البعد ، [3]عبر عن استبعاده بأداة البعد[3] فى قوله :
﴿ ثم اصبحوا بها ﴾ أى عقب إتيانهم[4] إياها سواء من غير مهلة ﴿ كفرين ﴾
أى ثابتين فى الكفر ، و هذا زجر بليغ لأن يعودوا لمثل ما أرادوا
١٠ من تحريم ما أحل لهم ميلا إلى الرهبانية و التعمق فى الدين المنهى عنه
بقوله " لا تحرموا طيبت ما احل الله لكم " .

و لما فرغ من زجرهم عن أن يشرعوا لأنفسهم أو يسألوه عن أن
يشرع لهم و أن يسألوا عن رحمهم بابتدائهم بهذا الشرع عن شيء من
الأشياء اعتمادا على أنه ما ابتدأ بذلك إلا و هو غير مخف عنهم شيئا[1] ينفعهم
١٥ و لا[1] مبد لهم شيئا[1] يضرهم لأنه بكل شيء عليم - كما تقدم التنبيه على ذلك ،
قال معللا [بختام - [5]] الآية التى قبلها : ﴿ ما جعل الله ﴾ أى الذى له
صفات الكمال فلا يشرع شيئا إلا و هو على[6] غاية الحكمة ، و أغرق[7]

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : جدير (٣-٣) سقط ما بين الرقمين
من ظ (٤) فى ظ : انبيائهم - كذا (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : فى (٧) زيدت
الواو بعده فى ظ .

فى

في النفي بقوله: ﴿من بحيرة﴾ و أكد النفي بإعادة النافي فقال: ﴿ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام[1]﴾ دالا بذلك على [أن-[2]] الإنسان قد يقع في شرعه لنفسه [3]على الخبيث[3] دون الطيب، و ذلك لأن الكفار شرعوا لأنفسهم هذا وظنوا أنه من محاسن الأعمال، فاذا هو مما [4]لا يعبأ[4] الله به بل ومما يعذب عليه، لكونه أوقعهم فيما كانوا معترفين بأنه أقبح القبائح ٥ وهو الكذب، بل في أقبح أنواعه وهو الكذب على ملك الملوك، [ثم-[2]] صار لهم دينا[5]، و صاروا أرسخ الناس فيه وهو عين الكفر، وهم معترفون بأنه ما شرعه إلا عمرو بن لحي [3]و هو[3] أول من غير دين إبراهيم - كما رواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: إن عمرا أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان و بحر البحيرة و سيب ١٠ السوائب و وصل الوصيلة و حمى الحامي. و رواه عبد بن حميد في مسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه / و في آخره: و كان عمرو بن لحي أول ١٣٢ / من حمل العرب على عبادة الأصنام[6]، و رواه البخاري في المناقب من صحيحه و مسلم في صفة النار[7] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه[8] ١٥ في النار، و كان أول من سيب السوائب. قال ابن هشام في السيرة:

---

(١) زيد بعده في ظ: الآية (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤-٤) في ظ: يبعث (٥) من ظ، و في الأصل: دنيا (٦) في ظ: الاوثان.
(٧) في ظ: الكفار (٨) من صحيحي البخاري و مسلم - بمعنى الأمعاء، و في الأصل و ظ: قضبة - كذا.

و البحيرة عندهم الناقة تشق أذنها فلا يركب ظهرها و لا يجز وبرها و لا يشرب لبنها إلا ضيف أو[1] يتصدق به و تهمل[2] لآلهتهم . و روى البخارى فى المناقب و مسلم فى صفة النار عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة التى يمنع درها للطواغيت و لا يحلبها أحد من الناس، و السائبة التى كانوا ٥ يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء . و كذا رواه البخارى أيضا فى التفسير و قال: و الوصيلة الناقة البكر تبكر فى أول نتاج الإبل ثم تثنى بعد بأنثى، و كانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما[3] بالأخرى ليس بينهما ذكر . و قال البرهان السفاقسى[4] فى إعرابه : قال أبو عبيد[5] : و هى الناقة إذا نتجت خمسة أبطن، فى الآخر[6] ذكر، شقوا[7] أذنها و خلوا ١٠ سبيلها لا تركب و لا تحلب - و قيل غير ذلك، و قال أبو حيان فى النهر: قال ابن عباس: السائبة هى التى تسيب للأصنام أى تعتق، و كان الرجل يسيب من ماله شيئا فيجيء به إلى[8] السدنة و هم[8] خدم آلهتهم فيطعمون من لبنها للسبيل، و الوصيلة - قال ابن عباس - إنها الشاة تنتج سبعة أبطن، فان كان السابع أنثى لم تنتفع[9] النساء منها بشيء إلا أن تموت ١٥ فيأكلها الرجال و النساء، و إن كان ذكرا[10] ذبحوه و أكلوه [جميعا -[11]]،

---

(١) من السيرة . و فى الأصل و ظ « و » (٢) فى ظ : يهمك (٣) من صحيح البخارى، و فى الأصل و ظ : احدهما - كذا (٤) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المالكى برهان الدين، من مؤلفاته : إعراب القرآن (٥) و نسب هذا القول فى البحر المحيط ٤/٢٨ إلى أبى عبيدة (٦) فى البحر: آخرها (٧) من ظ و البحر، و فى الأصل : شققوا (٨-٨) فى ظ : سرية وهى - كذا (٩) من النهر - راجع البحر المحيط ٤/٣٣ ، و فى الأصل و ظ : لم ينتفع (١٠) فى ظ : ذكر (١١) زيد من النهر .

وإن كان ذكرا وأنثى قالوا[1]: وصلت أخاها[2]، فتترك مع أخيها [فلا تذبح - [3]]، ومنافعها للرجال دون النساء، فاذا[4] ماتت اشترك[5] الرجال والنساء فيها. وقال ابن هشام[6]: والحامى الفحل إذا نتج له[7] عشر إناث[8] متتابعات ليس بينهن ذكر، حمى ظهره فلم يركب [ظهره - [9]] ولم يجز وبره وخلى فى إبله يضرب فيها لا ينتفع منه[7] بغير ذلك. ٥ وقال السفاقسى: قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم - واختاره أبو عبيدة والزجاج -: هو الفحل ينتج من صلبه[10] عشرة أبطن[7] فيقولون: [قد - [11]] حمى ظهره، فيسيبونه لأصنامهم فلا يحمل عليه شىء.

ولما كانوا قد حرموا هذه الأشياء، وكان التحريم والتحليل من خواص الإله، وكان لا إله إلا الله، كان حكمهم عليها بالحرمة نسبة لذلك ١٠ إلى الله سبحانه كذبا، فقال تعالى بعد أن نفى أن يكون جعل[7] شيئا من ذلك: ﴿ ولكن الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دل عليه[12] عقلهم من أن الله ما جعل هذا، لأنهم لا وصول لهم إليه سبحانه وعز شأنه، فلذلك قال: ﴿ يفترون ﴾ أى يتعمدون بجعل هذه الأشياء من تحريم وتحليل ﴿ على الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ الكذب ﴾ فيحرمون ما لم يحرمه[13] ١٥

(١) فى ظ: قال (٢) من ظ والنهر، وفى الأصل: اخا (٣) زيد من ظ والنهر. (٤) فى النهر: فمتى (٥) من ظ والنهر، وفى الأصل: اشتر - كذا (٦) ونسب ابن هشام هذا القول الى ابن إسحاق (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: ناقة (٩) زيد من السيرة (١٠) من البحر ٤/٢٩ حيث سيق هذا القول، وفى الأصل وظ: صلبة (١١) زيد من ظ والبحر (١٢) من ظ، وفى الأصل: عليهم (١٣) زيد بعده فى ظ: الله.

و يحللون ما لم يحلله[1] ﴿ و اكثرهم ﴾ أى هؤلاء الذين جعلوا هذه الأشياء ﴿ لا يعقلون ﴾ أى لا يتجدد لهم عقل، وهم الذين ما توا على كفرهم .

/١٣٣ [ثم - [2]] لما حرموا هذه الأشياء اضطروا إلى تحليل / الميتة فحرموا الطيب و أحلوا الخبيث، و لما اتخذوه دينا و اعتقدوه شرعا و مضى عليه

٥ أسلافهم، دعتهم الحظوظ و الأنفة من نسبة آبائهم إلى الضلال و الشهادة عليهم بالسفه إلى الإصرار عليه و عدم الرجوع عنه بعد انكشاف قباحته و بيان شناعته[3] حتى أفنى أكثرهم السيف و وطأتهم[4] الدواهي، فوطأت أكتافهم و ذلت[5] أعناقهم و أكنافهم، فقال تعالى دالا على ختام الآية التى قبله[6] من عدم عقلهم : ﴿ و اذا قيل لهم[7] ﴾ أى من أىّ قائل كان

١٠ و لو أنه ربهم، بما ثبت من كلامهم[8] بالعجز عنه أنه كلامه[9] ﴿ تعالوا ﴾ أى ارفعوا أنفسكم عن هذا الحضيض السافل ﴿ الى مآ انزل الله[7] ﴾ أى الذى لا أعظم منه، و قد ثبت أنه أنزله بعجزكم عنه ﴿ و الى الرسول ﴾ أى الذى من شأنه لكونه سبحانه أرسله أن يبلغكم[10] ما يحبه لكم و يرضاه ﴿ قالوا حسبنا ﴾ أى يكفينا ﴿ ما وجدنا عليه ابآءنا ﴾ .

١٥ و لما كانوا عالمين بأنه ليس فى[11] آبائهم عالم، و أنه من تأمل أدنى تأمل عرف أن الجاهل لا يهتدى إلى شيء، قال منكرا عليهم موبخا لهم[7] :

---

(١) فى ظ : لم يحرمه (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : بشاعته (٤) فى ظ : وطنهم. (٥) فى ظ : ذلت (٦) من ظ ، و فى الأصل : قبل (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : كلامه (٩) فى ظ : كلامهم - كذا (١٠) فى ظ : يبلغه (١١) من ظ ، و فى الأصل : من .

او لو

﴿ اولو ﴾ أى[1] يكفيهم ذلك [2]إذا قالوا ذلك[2] ولو ﴿ كان اٰبآؤهم لا يعلمون شيئا ﴾
أى من الأشياء حق علمه لكونهم لم يأخذوه عن الله بطريق من الطرق
الواصلة[3] إليه ، و لما كان من لا يعلم قد يشعر بجهله فيتعلم فيهتدى فيصير
أهلا للاقتداء به ، و قد لا يشعر لكونه جهله مركبا فلا يجوز الاقتداء
به ، بين أنهم من أهل هذا القسم فقال : ﴿ و لا يهتدون ﴾ أى لا يطلبون ٥
الهداية فلا توجد هدايتهم إلى صواب ، لأن من لا يعلم لا[4] صواب له ،
لأنه ليس للهدى آلة سوى العلم ، و أدل دليل على عدم هدايتهم أنهم
ضيعوا الطيب من أموالهم فاضطرهم ذلك إلى أكل الخبيث من الميتة ،
و أغضبوا بذلك خالقهم فدخلوا النار ، فلا أقبح مما يختاره لنفسه المطبوع
على الكدر ، و لا أحسن مما يشرعه له رب البشر ، و هذه الآية ناظرة إلى ١٠
قوله تعالى فى سورة النساء " ان يدعون من دونه الا اناثا و ان يدعون
الا شيطٰنا مريدا - إلى قوله : و لأمرنهم فليبتكن اٰذان الانعام[5] "
فالتفت حينئذ إلى قوله " رجس من عمل الشيطٰن " أىّ التفات .

و لما كان المانع لهم من قبول الهدى كون ذلك تسفيها لآبائهم ،
فيعود ضررا عليهم يُسبَّون[6] به على زعمهم ، أعلم الله المؤمنين أن مخالفة ١٥
الغير فى قبول[7] الهدى لا تضرهم أصلا ، بأن عقب آية الإنكار عليهم فى
التقيد بآبائهم لمتابعتهم لهم فى الكفر بقوله : ﴿ يٰٓايها الذين اٰمنوا ﴾ أى
عاهدوا ربهم و رسوله[8] على الإيمان ﴿ عليكم انفسكم ﴾ أى الزموا هدايتها

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : الوصية (٤) فى ظ : الا (٥) آية ١١٩ (٦) فى ظ : يسنون (٧) فى ظ : مقابلة (٨) فى ظ : رسولهم .

و إصلاحها ، و لما كان كأنه قيل : إنا ننسب[1] بآبائنا و ننسب إليهم ، فربما ضرتنا[2] نسبتنا إليهم عند الله كما جوز أكثم بن الجون الخزاعي أن يضره شبه عمرو بن لحي به[3] حتى سأل النبي صلى الله عليه و سلم عن ذلك فقال : [4]لا ، إنك[4] مؤمن و هو كافر - كما في أوائل السيرة[5] الهشامية[6] عن أبي هريرة
٥ رضي الله عنه ، وكان ذلك ربما وقف بأحد منهم عن الإسلام قال : ﴿ لا يضركم [7]من ضل[7] ﴾ [أي - [8]] من المخالفين بكفر أو غيره بنسبتكم إليه و لا بقول الكفار : إنكم سفهتم آباءكم ، و لا بغير ذلك من وجوه / الضرر ، و حقق هدايتهم بشارة لهم بأداة التحقيق فقال مفهما لوجود /١٣٤
الضرر عند فقد الهداية[9] : ﴿ اذا اهتديتم ﴾ أي بالإقبال على ما أنزل الله
١٠ وعلى الرسول [حتى - [8]] تصيروا علماء و تعملوا[10] بعلمكم فتخالفوا من ضل ، فان كان موجودا فبالاجتهاد في أمره بالمعروف و نهيه عن المنكر بحسب الطاقة ، فان لم يستطع رده انتظر به يوم الجمع الأكبر و الهول الأعظم ، و إن كان مفقودا فبمخالفته في ذلك الضلال و إن كان أقرب الأقرباء و أولى الأحباء ، و إلا كان الباقي[11] أسفه من الماضي ، و قد كان
١٥ لعمري أحدهم لا يتبع أباه[12] إذا كان سفيها في أمر دنياه عاجزا عن

(١) في ظ : نسب (٢) في ظ : ضربتنا (٣) سقط من ظ (٤-٤) في ظ : لانك . (٥) من ظ ، و في الأصل : السورة (٦) في ظ : الهاشمية (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) زيد من ظ (٩) زيد بعده في ظ : فقال (١٠) من ظ ، و في الأصل : تعلموا (١١) زيد بعده في ظ : في (١٢) زيدت الواو بعده في الأصل ، و لم تكن في ظ فحذفناها .

تحصيلها و لا يتحاشى عن مخالفته فى طريقته بل يعد الكدح فى تحصيلها و التعمق فى اقتناصها و حسن السعي فى تثميرها[1] و لطف الحيلة فى توسيعها من معالى الأخلاق و إصالة الرأى و جودة النظر على أن ذلك ظل زائل و عرض تافه، فكيف لا يخالفه [2]فيما به[2] سعادته الأبدية و حياته الباقية و يأخذ بالحزم فى ذلك و يشمر ذيله فى أمره و يسهر ليله فى إعمال الفكر ٥ و ترتيب النظر فيما أمره الله بالنظر فيه حتى يظهر له الحق فيتبعه، و ينهتك لديه الباطل فيجتنبه، ما ذاك[3] إلا لمجرد الهوى، و قد كان الحزم العمل[4] بالحكمة التى كشفها النبى صلى الله عليه و سلم بقوله فيما رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه عن شداد بن أوس رضى الله عنه « الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت، و العاجز من أتبع نفسه هواها و تمنى على الله الأمانى[5] » ١٠ و روى مسلم و النسائى و ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : المؤمن القوى خير و أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، و فى كل خير احرص على ما ينفعك، و استعن بالله و لا تعجز، و إن أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت كان كذا و كذا - و قال ابن ماجه : و لا تقل : لو أنى فعلت كذا و كذا - فان « لو » تفتح عمل ١٥ الشيطان، و فى بعض طرق الحديث : و لكن قل : قدر الله و ما شاء فعل يعنى : و الله أعلم اعمل عمل الحزمة فأوسع النظر حتى لا تترك أمرا يحتمل[6] أن[5] ينفعك و لا يضرك إلا[7] أخذت به، و لا تدع أمرا يحتمل أن يضرك

(١) فى ظ : غير - كذا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : دل (٤) فى ظ : للعمل (٥) سقط من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل : يتحمل (٧) فى ظ : إذا.

و لا ينفعك إلا تجتنبه ، فانك إن فعلت ذلك و غلبك القضاء و القدر لم تجد فى وسعك أمرا تقول[1] : لو أنى فعلته أو[2] تركته ، و لكنك تقول: قدر الله و ما شاء[3] فعل، بخلاف ما إذا لم تنعم[4] النظر و عملت عمل العجزة فانك حتما[5] تقول : لو أنى فعلت كذا وكذا، لأن الشيطان يفتح لك تلك الأبواب التى[6] نظر فيها الحازم، فيكثر لك من 'لو' لأنها مفتاح عمله ، و ليس فى الآية ما يتعلق به من يتهاون[7] فى الأمر بالمعروف كما يفعله كثير من البطلة ؛ روى أحمد فى المسند عن [أبى - [8]] عامر الأشعرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال له فى أمر رآه: يا أبا عامر ! ألا[9] غيرت ؟ فتلا هذه الآية " يأيها الذين آمنوا عليكم انفسكم [10]لا يضركم من ضل اذا اهتديتم[10] " ، فغضب رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال: أين ذهبتم ؟ إنما هى لا يضركم من ضل من الكفار / اذا اهتديتم ، و روى أحمد و أصحاب السنن الأربعة و الحارث[11] و أحمد بن منيع و أبو يعلى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال : يا أيها الناس ! إنكم[12] تقرؤن هذه الآية و تضعونها على غير مواضعها[13] ، و إنى[12] سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : إن الناس إذا رأوا منكرا[14] فلم يغيروه يوشك أن

١٣٥ /

(١) فى ظ : يقول (٢) فى ظ : ان (٣) زيد فى ظ : الله (٤) فى ظ : تمعن - وهو مرادف لما فى الأصل (٥) فى ظ : حيثما (٦) فى ظ : الذى (٧) فى ظ : تهاون . (٨) زيد من ظ و التهذيب ، واسم أبى عامر عبد الله بن هانئ ، و قيل : ابن وهب (٩) فى ظ : لا (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) هو ابن أبى أسامة محدث له مسند - راجع تذكرة الحفاظ ومعجم المؤلفين (١٢) فى ظ : انما (١٣) وفى رواية أحمد : ما وضعها الله ، و فى رواية له : موضعها (١٤) فى ظ : منكر .

يعمهم

يعمهم [1]الله بعقابه[1] . قال البغوى : و فى رواية : لتأمرن بالمعروف و لتنهون[2] عن المنكر أو ليستعملن[3] الله عليكم شراركم فليسومونكم[4] سوء العذاب ، ثم ليدعون الله خياركم فلا يستجاب لكم - و الله الموفق .

و لما حكم [الله - [5]] تعالى - و هو الحكم العدل - أنه لا ضرر عليهم من غيرهم بشرط هداهم ، و كان الكفار يعيرونهم[6] ، قال مؤكدا لما أخبر به ٥ و مقررا[7] لمعناه : ﴿ الى الله ﴾ أى[8] الملك الأعظم الذى لا شريك له ، لا إلى غيره ﴿ مرجعكم ﴾ أى[8] أنتم ، من يعيركم[9] و يهددكم و غيرهم من جميع الخلائق ﴿ جميعا فينبئكم ﴾ أى يخبركم إخبارا عظيما مستوفى مستقصى ﴿ بما كنتم تعملون ۝ ﴾ أى تعمدا جبلة و طبعا ، و يجازى كل أحد [10]بما عمل[10] على حسب ما عمل ، و لا يؤاخذ أحدا بما عمل غيره و لا بما أخطأ ١٠ فيه أو تاب منه ، و ليس المرجع و لا شىء منه إلى الكفار و لا معبوداتهم و لا غيرهم حتى تخشوا شيئا من غائلتهم[11] فى شىء من الضرر .

و لما خاطب سبحانه أهل ذلك الزمان بأنه نصب المصالح العامة كالبيت الحرام و الشهر الحرام ، و أشار بآية البحيرة و ما بعدها إلى أن أسلافهم لا وفّروا عليهم مالهم و لا نصحوا لهم فى دينهم ، و ختم ذلك ١٥ بقهره للعباد بالموت و كشف الأسرار يوم العرض بالحساب على النقير و القطمير و الجليل و الحقير ؛ عقب ذلك بآية الوصية إرشادا منه سبحانه

(١-١) فى ظ : بعذابه (٢) من ظ ، و فى الأصل : لتنهن (٣) فى ظ : لتستعملن . (٤) فى ظ : فيسومونكم (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : يغيرونهم (٧) فى ظ : مقويا (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : يغيركم (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) فى ظ : قاتلتهم .

إلى ما يكشف سريرة[1] من خان فيها علما منه سبحانه أن الوفاء في مثل ذلك يقل و حثا لهم على أن يفعلوا ما أمر سبحانه به[2] لينصحوا لمن خلفوه بتوفير المال و يقتدى بهم فيما ختم به الآية من التقوى و السماع و البعد من الفسق و النزاع، فقال تعالى مناديا لهم بما عقدوا به العهد بينهم و بينه
٥ من الإقرار بالإيمان: ﴿ يٰأيها الذين اٰمنوا ﴾ أي أخبروا عن أنفسهم بذلك ﴿ شهادة بينكم ﴾[3] هو كناية عن التنازع و التشاجر لأن الشهود إنما يحتاج[4] إليهم[5] عند ذلك، و سبب نزول الآية قد ذكره المفسرون و ذكره الشافعي في الأم فقال: أخبرني أبو سعيد[6] معاذ بن موسى الجعفري عن [بكير - [7]] بن معروف عن مقاتل [بن حيان - [7]] قال[8]: أخذت هذا
١٠ [التفسير - [9]] عن مجاهد و الحسن و الضحاك[10] أن رجلين نصرانيين من أهل دارين أحدهما تميمي و الآخر يماني، صحبهما[11] مولى لقريش في تجارة فركبوا البحر، و مع القرشي مال معلوم [12] قد علمه أولياؤه من بين آنية[13] و بز [و رقة - [9]] فرض القرشي فجعل وصيته إلى الداريين

---

(١) في ظ: ستره (٢) سقط من ظ (٣) زيد في ظ: اى (٤) في ظ: نحتاج.
(٥) من ظ، وفي الأصل: الفهم (٦) من تفسير الطبري ١١/١٩١ و سنن البيهقي ١٠/١٦٥ حيث سيقت هذه الرواية، وفي الأصل وظ: أبو سعد، وترجم له في تعجيل المنفعة فقط و لم يصرح بكنيته ولا نسبته (٧) زيد من ظ والطبري و السنن (٨) زيد في الطبري و السنن: بكير قال مقاتل (٩) زيد من الطبري والسنن (١٠) زيد في الطبري و السنن: في قول الله "اثنان ذوا عدل منكم".
(١١) من ظ و السنن، و في الأصل: صحبها، و في الطبري: صاحبها (١٢) ومن هنا أحال البيهقي لفظ هذه الرواية على التي قبلها من طريق إسماعيل بن قتيبة عن أبي خالد يزيد بن صالح عن بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان (١٣) في ظ: ابية - كذا.

فمات ، و قبض الداريان المال[1] فدفعاه[2] إلى أولياء الميت[3] ، فأنكر القوم قلة المال فقالوا للداريين : إن صاحبنا قد خرج معه[4] بمال[5] أكثر مما أتيتمونا به ، فهل باع شيئاً أو اشترى شيئا فوضع فيه ؟ أو هل طال مرضه فأنفق على نفسه ؟ قالا[6] : لا ، قالوا : "فانكما خنتمانا[7] ، فقبضوا / المال ، /١٣٦ و رفعوا أمرهما إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم . فأنزل الله عز وجل ٥ " يٰايها الذين اٰمنوا شهادة بينكم " فلما نزلت[8] أمر النبي صلى الله عليه و سلم ، فقاما بعد الصلاة ، فحلفا بالله رب السماوات : ما ترك مولاكم[9] من المال إلا ما[10] أتيناكم به ، فلما حلفا خلى سبيلهما ، ثم إنهم وجدوا بعد ذلك إناء من آنية الميت فأخذوا الداريين فقالا : اشتريناه منه في حياته ، فكُذِّبا و كُلِّفا البينة فلم يقدرا عليها ، فرفعوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ١٠ فأنزل الله عز و جل " فان عثر " - يعني إلى آخرها ؛ ثم ذكر وقت الشهادة و سببها فقال : ﴿ اذا حضر ﴾ و قدم المفعول تهويلا[11] - كما ذكر في النساء - لأن الآية نزلت لحفظ ماله فكان أهم ، فقال : ﴿ احدكم الموت ﴾ أي أخذته أسبابه الموجبة لظنه .

---

(١) زيد في الطبري : و الوصية (٢) من ظ و الطبري و السنن ، و في الأصل : فدفعوه (٣) زيد في الطبري و السنن : و جاءا ببعض ماله (٤) سقط من ظ .
(٥) من الطبري و السنن ، و في الأصل : مال ، و في ظ : بماله (٦) في ظ : قالوا .
(٧-٧) من الطبري ، و في الأصل : فانكم خنتمانا ، و في ظ : فانكم خنتيمونا ، و في السنن : انكما قد خنتما لنا (٨) زيد في الطبري و السنن : ان يحبسا من بعد الصلاة .
(٩) من ظ و الطبري و السنن ، و في الأصل : مولى (١٠) في ظ : بما (١١) في ظ : تهولا .

و لما كان الإيصاء إذ ذاك أمرا متعارفا، عرف فقال معلقا بشهادة كما علق به "اذا" أو مبدلا من "اذا" لأن الزمنين[1] واحد: ﴿حين الوصية﴾ [أي -[2]] إن أوصى ، ثم أخبر عن المبتدأ فقال : ﴿ اثنن ﴾ أي شهادة بينكم في ذلك الحين شهادة اثنين ﴿ ذوا عدل منكم ﴾ أي من
٥ قبيلتكم العارفين بأحوالكم ﴿ او اخرن ﴾ أي ذوا عدل ﴿ من غيركم ﴾ أي إن لم تجدوا قريبين يضبطان أمر الوصية من كل ما للوصى و عليه ، و قيل: بل هما الوصيان أنفسهما احتياطا بجعل الوصى اثنين ، و قيل : آخران من غير أهل دينكم، و هو خاص بهذا الأمر الواقع في السفر للضرورة لا في غيره و لا في غير السفر؛ ثم شرط هذه الشهادة بقوله[3] :
١٠ ﴿ ان انتم ضربتم ﴾ أي بالأرجل ﴿ في الارض ﴾ أي بالسفر ، كأن الضرب بالأرجل لا يسمى ضربا إلا فيه لأنه موضع الجد و الاجتهاد ﴿ فاصابتكم ﴾ و أشار إلى أن الإنسان هدف لسهام الحدثان بتخصيصه بقوله : ﴿ مصيبة الموت ﴾ أي أصابت الموصى المصيبةُ التي لا مفرّ[4] منها و لا مندوحة عنها .

١٥ و لما كان قد استشعر من التفصيل في أمر الشهود[5] مخالفة لبقية الشهادات ، فكان في معرض السؤال عن الشهود : ما ذا يفعل بهم ؟ قال مستأنفا : ﴿ تحبسونهما ﴾ أي تدعونهما إليكم و تمنعونهما من التصرف لأنفسهما لإقامة ما تحملاه من هذه الواقعة و أدائه ؛ و لما كان المراد إقامة اليمين

(١) في ظ : الذميين (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : لا مفرها.
(٥) من ظ ، و في الأصل : الشهودة .

و لو

و لو فى أيسر زمن ، لا استغراق زمن البعد بالحبس ، أدخل الجار فقال :
﴿ من بعد الصلوٰة ﴾ أى التى هى أعظم الصلوات ؛ فكانت بحيث
إذا أطلقت معرفة انصرفت إليها و هى الوسطى و هى العصر ، ثم ذكر
الغرض من حبسهما فقال : ﴿ فيقسمٰن بالله ﴾ أى الملك الذى له تمام
القدرة و كمال العلم ، و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن اليمين إنما تكون[1] ٥
إذا كانا من غيرنا ، فان كانا مسلمين فلا يمين ، و عن غيره : إن كان
الشاهدان على حقيقتهما فقد نسخ تحليفهما ، و إن كان الوصيين فلا ؛
/ ثم شرط لهذا الحلف شرطا فقال اعتراضا بين القسم و المقسم عليه : / ١٣٧
﴿ ان ارتبتم ﴾ أى وقع بكم شك فيما أخبرا به عن الواقعة ؛ ثم ذكر
المقسم عليه [بقوله -[2]] : ﴿ لا نشترى بـه ﴾ أى هذا الذى ذكرناه ١٠
﴿ ثمنا ﴾ أى لم نذكره ليحصل لنا به[3] عرض دنيوى و إن كان فى نهاية
الجلالة ، و ليس قصدنا به[3] إلا إقامة الحق ﴿ و لو كان ﴾ أى الوصى الذى
أقسمنا لأجله تبرئة له ﴿ ذا قربى ﴾ أى لنا ، أى إن هذا[3] الذى فعلناه
من التحرى عادتنا التى أطعنا فيها " كونوا قوّمين بالقسط شهداء لله " - الآية ،
لا أنه فعلنا فى هذه الواقعة فقط ﴿ و لا نكتم شهادة الله ﴾ أى هذا ١٥
الذى ذكرناه[4] لم نبدل فيه لما[3] أمر الله [به -[2]] من حفظ الشهادة
و تعظيمها ، و لم نكتم شيئا وقع به الإشهاد ، و لا نكتم فيما يستقبل شيئا
نشهد به لأجل الملك الأعظم المطلع على السرائر كما هو مطلع على الظواهر ؛
ثم علل ذلك بما لقنهم إياه ليكون آخر كلامهم ، كل ذلك تغليظا[5] و تنبيها

---

(١) فى ظ : يكونه (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : ذكرنا (٥) فى ظ : تعظيما .

على أن ذلك ليس كغيره من الايمان ، فقال تذكيرا لهم و تحذيرا من التغيير :
﴿ انا اذاً ﴾ أى إذا فعلنا شيئا من التبديل أو الكتم ﴿ لمن الأثمين ه فان ﴾
و لما كان المراد مجرد الاطلاع بنى للمفعول قوله : ﴿ عثر ﴾ أى اطلع
مطلع بقصد أو بغير قصد؛ قال البغوى : و أصله الوقوع على الشيء أى من
٥ عثرة الرجل ﴿ علىٓ انهما ﴾ أى الشاهدين إن أريد بهما الحقيقة أو الوصيين[1]
﴿ استحقآ اثما ﴾ أى بسبب شيء خانا فيه من أمر الشهادة ﴿ فاٰخرٰن ﴾
أى من الرجال الأقرباء للميت ﴿ يقومٰن مقامهما ﴾ أى ليفعلا حيث اشتدت
الريبة من الإقسام عند مطلق الريبة ما فعلا ﴿ من الذين استحق ﴾ أى
طلب وقوع الحق بشهادة من شهد ﴿ عليهم ﴾ هذا [2]على قراءة الجماعة ،
١٠ و[2] على قراءة حفص بالبناء للفاعل، المعنى[3] : وجد وقوع الحق عليهم ،
و هم أهل الميت و عشيرته .

و لما كان كأنه قيل : ما منزلة هذين الآخرين من الميت ؟ فقيل[4] :
هما ﴿ الاولٰين ﴾ أى الأحقان بالشهادة الأقربان إليه العارفان بتواطن
أمره ، و على قراءة أبى بكر و حمزة بالجمع ، كأنه قيل : هما من الأولين
١٥ أى فى الذكر و هم أهل الميت ، فهو نعت للذين استحق ﴿ فيقسمٰن ﴾ أى
هذان الآخران ﴿ بالله ﴾ أى [الملك ـ[5]] الذى لا يقسم إلا به لما له
من كمال العلم و شمول القدرة ﴿ لشهادتنا ﴾ أى بما يخالف شهادة الحاضرين
للواقعة ﴿ احق من شهادتهما ﴾ أى أثبت ، فان تلك إنما ثباتها فى الظاهر ،
و شهادتنا ثابتة فى نفس الأمر و ساعدها الظاهر بما عثر عليه من الريبة

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الوصية . (٢-٢) تكرر فى الأصل (٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : فقال (٥) زيد من ظ .

﴿ و ما اعتدينآ ﴾ أي تعمدنا في يميننا مجاوزةَ الحق ﴿ انآ اذآ ﴾ أي إذا وقع منا اعتداء ﴿ لمن الظلمين ﴾ أي الواضعين الشيء[1] في غير موضعه كمن يمشي في الظلام، و هذا إشارة إلى أنهم على بصيرة و نور مما شهدوا به، و ذلك أنه لما وجد الإناء الذي فقده[2] أهل الميت و حلف الداريان بسببه أنهما ما خانا طالبوهما، فقالا: كنا اشتريناه منه، فقالوا: ٥ ألم نقل لكما: هل باع صاحبنا شيئا؟ فقلتما: لا، / فقالا: لم يكن ١٣٨ / عندنا بينة فكرهنا أن نقر [لكم -[3]]، فرفعوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأمر فقام اثنان من أقارب الميت فحلفا على الإناء، فدفعه النبي صلى الله عليه و سلم إليهما، لأن الوصيين ادعيا على الميت البيع فصار اليمين في جانب الورثة لأنهم أنكروا، و سمى أيمان الفريقين شهادة كما ١٠ سميت أيمان المتلاعنين شهادة - نبه على ذلك الشافعي، و كان [ذلك -[3]] لما[4] في البابين من مزيد التأكيد.

و لما تم هذا [على هذا -[3]] الوجه الغريب، بين[5] سبحانه سره فقال: ﴿ ذلك ﴾ أي الأمر المحكم المرتب هذا[6] الترتيب بالأيمان و غيرها ﴿ ادنى ﴾ أي أقرب ﴿ ان ﴾ أي إلى أن ﴿ يأتوا ﴾ أي الذين شهدوا أولا ١٥ ﴿ بالشهادة ﴾ أي الواقعة في نفس الأمر ﴿ على وجهها ﴾ من غير أدنى ميل بسبب أن يخافوا من الحنث عند الله بعد هذا التغليظ ﴿ او يخافوا ﴾ إن لم يمنعهم الخوف من الله ﴿ ان ترد ﴾ أي تثنى و تعاد

(١) في ظ: للشيء (٢) من ظ، و في الأصل: فقد (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و في الأصل: كما (٥) سقط من ظ (٦) في ظ: على.

﴿ ايمان ﴾ أى من الورثة ﴿ بعد ايمانهم ﴾ للعثور على ريبة فيصيروا بافتضاحهم مثلا للناس ، قال الشافعى : و ليس فى[1] هذا رد اليمين ، فما كانت يمين الداريين على ما ادعى الورثة من الخيانة ، و يمين ورثة الميت على ما[1] ادعى الداريان مما وجد فى أيديهما و أقرا أنه مال الميت و أنه
٥ صار لهما من قبله ، فلم تقبل دعواهما بلا بينة ، فأحلف وارثاه ، قال : و إذا كان هذا كما وصفت فليست الآية ناسخة و لا منسوخة لأمر الله باشهاد ذوى عدل و من نرضى[2] من الشهداء ، هذا ما اقتضى إيلاؤها لما قبلها ، و قد نزعها إلى مجموع هذه السورة مَنازِع منها ما تقدم من ذكر القتل الذى هو من أنواع الموت عند قصة بنى آدم و ما بعدها ،
١٠ ثم تعقيب ذلك بالجهاد الذى هو من أسباب الموت ، و قوله تعالى " و كتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس " - الآية ، ثم ذكره[3] أيضا فى قوله تعالى " يجاهدون فى سبيل الله و لا يخافون لومة لائم " و قد جرت السنة الإلهية بذكر الوصية عقب مثل ذلك فى البقرة ، و لم يذكر عقب واحدة من الآيات المذكورة لزيادتها على آية البقرة بمنازع منها الحلف ، فناسب
١٥ كونها بعد آية الأيمان ، و منها تغليظ الحلف و الخروج به عما يشاكله من القسم على المال بكونه فى زمان مخصوص بعد عبادة مخصوصة ، فناسب ذكرها بعد تغليظ أمر الصيد فى حال مخصوص[4] و هو الإحرام و الخروج به عن أشكاله من الأحوال و بعد تغليظ جزائه و الخروج به عن أشكاله من الكفارات و تغليظ أمر المكان المخصوص و هو الكعبة و الخروج

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : يرضى (٣) فى ظ : ذكر (٤) فى ظ : مخصوصة .

بها

بها عن أشكالها من البيوت ، وكذا تغليظ الزمان المخصوص و هو الشهر الحرام و الخروج به عن أشكاله من الأزمنة ، وكل ذلك لقيام أمر الناس و إصلاح أحوالهم ، و هكذا آية الوصية و ما خرج من أحكامها عن أشكاله كله[1] لقيام الأمور / على السداد و إصلاح المعاش و المعاد ، و هي / ١٣٩ ملتفتة إلى أول السورة إذ هي من أعظم العهود ، و الوفاء بها من أصعب ٥ الوفاء ، و[1] إلى قوله تعالى " و تعاونوا على البر و التقوى " و إلى قوله تعالى[1] " كونوا قوّمين لله شهداء بالقسط " انظر إلى ختمها بقوله " ان[2] الله خبير بما تعملون " و إلى كون[3] هذه في سياق الإعلام بأن الله عالم بالخفيات ، و قوله - عطفا على ما تقديره : فالزموا ما أمرتكم به و أرشدتكم إليه تفلحوا : ﴿ و اتقوا الله ﴾ أي ذا[4] الجلال [5]و الإكرام[5] إلى آخرها - ملتفت إلى ١٠ قوله " و ميثاقه الذي واثقكم به " - الآية ، أي خافوا الله[1] خوفا عظيما يحملكم على أن تجعلوا بينكم و بين سخطه وقاية لئلا تحلفوا كاذبين أو تخونوا أدنى خيانة ﴿ و اسمعوا[1] ﴾ أي الموعظة[6] سمع إجابة و قبول [7]ذاكرين لقولكم[7] " سمعنا و اطعنا " فان الله يهدي المتمسكين بالميثاق ﴿ و الله ﴾ أي الذي له [الكمال كله و - [8]] تمام الحكمة و كمال العزة و السطوة ١٥ ﴿ لا يهدي القوم ﴾ أي لا يخلق[9] الهداية في قلوب الذين لهم قدرة على

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و القرآن الكريم سورة ٥ آية ٨ ، و في الأصل « و » (٣) من ظ ، و في الأصل : كونه (٤) في ظ : ذي (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) في ظ : المواعظ (٧-٧) من ظ ، و في الأصل : ذاكر لقوله. (٨) زيد من ظ (٩) من ظ ، و في الأصل : لا يخلفوا .

ما يحاولونه ﴿الفسقين ع﴾ أى الذين هم خارجون، أى من عادتهم ذلك على وجه الرسوخ، فهم أبدا غير متقيدين بقيد ولا منضبطين بدائرة عقد ولا عهد.

ولما كان فيها إقامة الشهود و[1] حبسهم عن مقاصدهم حتى يفرغوا
٥ من هذه الواقعة المبحوث فيها عن خفايا متعلقة بالموت والتغليظ بالتحليف بعد صلاة العصر، وكانت ساعة يجتمع فيها الناس وفريقا الملائكة المتعاقبين فينا ليلا ونهارا [مع -[2]] أنها ساعة الأصيل المؤذنة[3] بهجوم الليل وتقوّض النهار حتى كأنه لم يكن ورجوع الناس إلى منازلهم وتركهم لمعايشهم، وكانت عادته سبحانه بأنه يذكر أنواعا من الشرائع والتكاليف،
١٠ ثم يتبعها إما بالإلهيات وإما بشرح أحوال الأنبياء وإما بشرح أحوال القيامة، ليصير ذلك[4] مؤكدا لما تقدم من التكاليف، ولا ينتقل من فن إلى آخر إلا بغاية الإحكام فى الربط، عقبها تعالى بقوله: ﴿يوم يجمع الله[5]﴾ أى الملك الأعظم الذى له الإحاطه الكاملة ﴿الرسل﴾ أى الذين أرسلهم إلى عباده بأوامره ونواهيه إشارة إلى تذكر انصرام هذه الدار وسرعة
١٥ هجوم ذلك بمشاهدة هذه الأحوال المؤذنة به وبأنه يومٌ يقوم فيه الأشهاد، ويجتمع فيه العباد، ويفتضح فيه[4] أهل الفساد - إلى غير ذلك من الإشارات لأرباب البصائر والقلوب، والظاهر أن "يوم" ظرف للمضاف المحذوف الدال عليه الكلام، فان من المعلوم أنك إذا قلت: خف من

---

(١) من ظ، وفى الأصل: او (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: المودية (٤) سقط من ظ (٥) زيد بعده فى الأصل: الرسل، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.

فلان، فان[1] المعنى: خَفْ من عقابه و نحو ذلك، فيكون المراد هنا: و اتقوا غضب الله الواقع في ذلك اليوم، أي اجعلوا بينكم و بين سطواته في ذلك اليوم وقايةً، أو يكون المعنى: اذكروا / هذه الواقعة و هذا الوقت الذى يجمع فيه الشهود و يحبس المعترف و الجحود يوم الجمع الأكبر بين يدى الله تعالى[1] ليسألهم عن العباد و يسأل العباد عنهم ٥ ﴿ فيقول ﴾ أى للرسل تشريعا لهم و بيانا لفضلهم و تشريفا للمحق من أممهم و تبكيتا للمبطل و توبيخا للمُفْرِط منهم و المفرِّط.

/ ١٤٠

و لما كان مما لا يخفى أصلا أنهم أجيبوا، و لا يقع فيه نزاع و لا يتعلق بالسؤال عنه غرض، تجاوز السؤال إلى الاستفهام من نوع الإجابة فقال: ﴿ ما ذآ اجبتم ﴾ أى أيّ إجابة أجابكم من أرسلتم[2] إليهم؟ إجابة طاعة ١٠ أو[3] إجابة معصية.

و لما كان المقصود من قولهم بيان الناجي من غيره، و كانت الشهادة فى تلك الدار لا تنفع إلا فيما وافق فيه الإضمارُ[4] الإظهارَ، فكانت شهادتهم لا تنفع المشهود له بحسن الإجابة إلا أن يطابق[5] ما قاله بلسانه اعتقادَه بقلبه ﴿ قالوا ﴾ نافين لعلمهم أصلا و رأسا إذا كان موقوفا ١٥ على شرط هو من[6] علم ما غاب و لا علم لهم به ﴿ لا علم لنا ﴾ أى على الحقيقة لأنا لا نعلم إلا ما شهدناه، و ما غاب عنا أكثر، و إذا كان الغائب قد يكون مخالفا للمشهود، فما شهد [ليس -[7]] بعلم، لأنه غير مطابق

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: ارسلتكم (٣) فى ظ «و» (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) فى ظ: طابق (٦) من ظ، و فى الأصل: فى (٧) زيد من ظ.

للواقع ، و لهذا عللوا بقولهم: ﴿انك انت﴾ أي وحدك ﴿علام الغيوب ﴾ أي كلها ، تعلمها علما تاما فكيف بما[1] غاب عنا من أحوال قومنا ! فكيف بالشهادة ! فكيف بما شهدنا من ذلك ! و هذا في موضع قولهم: [2]أنت أعلم[2] ، لكن هذا أحسن أدبا ، فانهم محوا أنفسهم من ديوان العلم ٥ بالكلية ، لأن كل علم يتلاشى إذا نسب إلى علمه و يضمحل مهما[3] قرن بصفته أو اسمه .

و لما كان سؤاله سبحانه للرسل [2]عن الإجابة متضمنا لتبكيت المبطلين و توبيخهم ، وكان أشد الأمم افتقارا[2] إلى التوبيخ أهل الكتاب ، لأن تمردهم تعدى[4] إلى رتبة الجلال بما وصفوه سبحانه به[5] من اتخاذ ١٠ الصاحبة و الولد ، و من ادعاء[6] الإلهية لعيسى عليه السلام لما أظهر من الخوارق التي دعا[7] بها إلى الله مع اقترانها بما يدل على عبوديته و رسالته لئلا يهتضم حقه أو يُغلى[8] فيه ، مع مشاركتهم لغيرهم في أذى الرسل عليهم السلام بالتكذيب و غيره ، و كان في الآية السالفة ذكر الآباء و ما آثروا للأبناء[9] ، ذكر أمر عيسى عليه السلام بقوله مبدلا من قوله ١٥ "يوم يجمع [الله -[10]]" معبرا بالماضي تذكيرا بما[11] لذلك اليوم من تحتم[12] الوقوع ، و تصويرا لعظيم تحققه ، و تنبيها على أنه لقوة قربه كأنه

---

(١) في ظ : مما (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) في الأصل : منهما ، و في ظ : منها (٤) في ظ : توديه - كذا (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : ادعى . (٧) في ظ : دعوا (٨) في ظ : يعلى (٩) في ظ : للانبياء (١٠) زيد من ظ و القرآن الكريم (١١) من ظ ، و في الأصل : لما (١٢) في ظ : تحتم .

قد وقع و مضى: ﴿ اذ قال الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ﴿ يٰعيسى ﴾ ثم بينه بما هو الحق من نسبه فقال[1]: ﴿ ابن مريم ﴾ .

و لما كان ذلك يوم الجمع الأكبر و الإحاطة بجميع الخلائق و أحوالهم فى[2] حركاتهم و سكناتهم، و كان الحمد هو الإحاطة بأوصاف الكمال، / أمره بذكر حمده سبحانه على نعمته عنده فقال: ﴿ اذكر نعمتى عليك ﴾ ٥ / ١٤١ أى فى خاصة نفسك، و ذكر ما يدل للعاقل على أنه عبد مربوب فقال: ﴿ و على والدتك ﴾ إلى آخره مشيرا إلى أنه أوجده من غير أب فأراحه مما يجب للآباء من الحقوق و ما[3] يورثون أبناءهم من اقتداء أو اهتداء و إقامة بحقوق أمه، فأقدره - و هو فى المهد - على الشهادة لها بالبراءة و الحصانة و العفاف[4]، وكل نعمة أنعمها سبحانه عليه صلى الله عليه و سلم ١٠ فهى نعمة على أمه دينا و دنيا.

و لما ذكّر سبحانه هذه الأمة المدعوة من العرب و أهل الكتاب و غيرهم بنعمه عليهم فى أول السورة بقوله "اذكروا نعمة الله عليكم و ميثاقه[5]"، "و اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم[6]"، وكانت هذه الآيات من عند "لا تحرموا طيّبت ما احل الله لكم" كلها فى النعم، أخبرهم ١٥ أنه يذكّر عيسى عليه السلام بنعمه فى يوم الجمع إشارة إلى أنهم إن لم يذكروا نعمه فى هذه الدار دار العمل بالشكر، ذكروها حين يذكّرهم بها فى ذلك اليوم قسرا[7] بالكفر، و [8]يا لها[8] فضيحةً فى ذلك الجمع

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: من (٣) فى ظ: مما (٤) فى ظ: العفافة (٥) آية ٧ (٦) آية ١١ (٧) فى ظ: قرا - كذا (٨ - ٨) فى ظ: بانها.

الأكبر و الموقف الأهول! و ليتبصّر أهل الكتاب فيرجعوا عن كفرهم[١] بعيسى عليه السلام: اليهودُ بالتقصير في أمره، و النصارى بالغلو في شأنه و قدره .

و لما كان أعظم الأمور التنزيه، بدأ به كما فعل بنفسه الشريفة في ٥ كلمة الدخول إلى الإسلام، و لما كان أعظم ذلك تنزيهه أمّه عليها السلام و تصحيح ما خرق لها من العادة في ولادته، وكان أحكم ما يكون ذلك بتقوية روحه حتى يكون كلامه طفلا ككلامه كهلا، قدمه فقال معلقا باذكر قارنا بكل نعمة ما يدل على عبوديته و رسالته، ليخزى من غلا [في أمره - [٢]] أو قصّر في وصفه و قدره[٣]: ﴿ اذ ايدتك ﴾ أي قويتك ١٠ تقوية عظيمة ﴿ بروح القدس قف ﴾ أي الطهر الذي يحيي القلوب و يطهرها من أوضار الآثام، و منه جبرئيل عليه السلام، فكان[٤] له منه[٥] في الصغر حظ لم يكن لغيره ؛ قال الحرالي : و هو يد بسط لروح الله في القلوب بما يحييها الله به من روح أمره إرجاعا إليه في هذه الدار قبل إرجاع روح الحياة بيد القبض من عزرائيل عليه السلام، [ثم - [٢]] استأنف ١٥ تفسير[٥] هذا التأييد فقال: ﴿ تكلم الناس ﴾ أي من أردت من عاليهم و سافلهم ﴿ في المهد ﴾ أي[٥] بما[٦] برأ الله به أمك[٧] و أظهر به كرامتك و فضلك .

و لما ذكر هذا الفضل العظيم . أتبعه خارقا آخر، و هو إحياؤه

(١) من ظ ، و في الأصل : كفر (٢) زيد من ظ (٣) من ظ . و في الأصل : قدرته (٤) في ظ : وكان (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : عما (٧) من ظ ، و في الأصل : امه .

نفسه و حفظه جسده أكثر من ألف سنة لم يدركه الهرم ، فانه رفع شابا و ينزل على ما رفع عليه و يبقى حتى يصير كهلا ، و تسوية كلامه في المهد بكلامه في حال[1] بلوغ الأشد و كمال العقل خرقا لما جرت به العوائد فقال : ﴿ و كهلا ج ﴾ و لما ذكر هذه الخارقة ، أتبعها روح العلم الرباني فقال : ﴿ و اذ علمتك الكتب ﴾ : أي الخط الذي هو مبدأ العلم و تلقيح ٥ لروح الفهم ﴿ و الحكمة ﴾ أي الفهم لحقائق[2] الأشياء و العمل بما يدعو إليه العلم ﴿ و التورىة ﴾ أي المنزلة على موسى[3] عليه السلام ﴿ و الانجيل ج ﴾ أي المنزل عليك .

و لما ذكر تأييده بروح /الروح . أتبعه تأييده بإفاضة الروح على جسد[4] ١٤٢/ لا أصل له فيها فقال : ﴿ و اذ تخلق من الطين ﴾ أي هذا الجنس ١٠ ﴿ كهيئة الطير باذني ﴾ ثم سبب عن ذلك قوله[5] : ﴿ فتنفخ فيها ﴾ أي في الصورة المهيأة ﴿ فتكون ﴾ أي تلك الصورة التي هيأتها[6] ﴿ طيرا باذني ﴾ ثم بإفاضة روح ما على بعض جسد ، إما ابتداء في الأكمه[7] كما في الذي قبله ، و إما إعادة[7] كما في الحادث العمى و البرص بقوله : ﴿ و تبرئ الاكمه و الابرص ﴾ . ١٥

و لما كان من أعظم ما يراد بالسياق توبيخ من كفر [به - [8]] كرر قوله : ﴿ باذني ج ﴾ ثم برد روح كامل إلى جسدها بقوله :

(١) في ظ : حالة (٢) من ظ ، و في الأصل : لحائق (٣) من ظ ، و في الأصل : عيسى (٤) من ظ ، و في الأصل : جسده (٥) في ظ : بقوله (٦) من ظ ، و في الأصل : هياها (٧-٧) تكرر ما بين الرقمين في الأصل (٨) زيد من ظ .

﴿ و اذ تخرج الموتىٰ ﴾ أي[1] من القبور فعلا أو قوة حتى يكونوا كما كانوا من سكان البيوت ﴿ باذني[4] ﴾ ثم بعصمة روحه[2] ممن أراد قتله بقوله : ﴿ و اذ كففت بني اسرآءيل عنك ﴾ أي اليهود لما هموا بقتالك ؛ و لما كان ذلك ربما أوهم نقصا استحلوا قصده به ، بين أنه[1] قصد[3]
٥ ذلك كعادة الناس مع الرسل و الأكابر من أتباعهم تسلية لهذا النبي الكريم و التابعين له باحسان فقال : ﴿ اذ جئتهم بالبيّنٰت ﴾ أي كلها ، بعضها بالفعل و الباقي بالقوة لدلالة ما وجد عليه من الآيات الدالة على رسالتك الموجبة لتعظيمك ﴿ فقال الذين كفروا ﴾ أي غطوا تلك البينات عنادا ﴿ منهم ان ﴾ أي ما[4] ﴿ هٰذآ الا سحر مبين ﴾ ثم بتأييده
١٠ بالأنصار الذين أحيي[5] أرواحهم بالإيمان و أجسادهم باختراع[6] المأكل الذي من شأنه في العادة حفظ الروح ، وذلك في قصة المائدة و غيرها فقال : ﴿ و اذ اوحيت ﴾ أي بالهام باطنا و بايصال[7] الأوامر على لسانك ظاهرا ﴿ الى الحواريّن ﴾ أي الأنصار ﴿ ان اٰمنوا بي و برسولي ج ﴾ أي الذي أمرته بالإبلاغ [8]يعني إبلاغ[8] الناس ما آمرهم به ، ثم استأنف
١٥ مبينا لسرعة إجابتهم لجعله محببا[9] إليهم مطاعا فيهم بقوله : ﴿ قالوآ اٰمنا ﴾ .
و لما كان الإيمان باطنا فلا بد في إثباته من دليل ظاهر ، و كان

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده في الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها.
(٣) من ظ ، في الأصل : بصد - كذا (٤) في ظ : عما (٥) في ظ : اخفى .
(٦) من ظ ، و في الأصل : بالاختراع (٧) في ظ : ايصال (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) في ظ : محببا .

في

فی سیاق عــدّ النعم و الطواعیة لوحی الملك الأعظم دلوا علیه بتمام الانقیاد، ناسب المقام زیادة التأکید باثبات النون الثالثة فی قولهم: ﴿و اشهد باننا﴾ بخلاف آل عمران ﴿مسلمون ٥﴾ أی منقادون أتم انقیاد، فلا اختیار لنا إلا ما تأمرنا بـه، و انظر ما أنسب إعادة "اذ" عند التذکیر بروح کامل حسـا أو معنی و حذفها عند الناقص، فأثبتها عند ٥ التأیید بها فی أصل الخلق و فی الکمال الموجب للحیاة الأبدیة و فی تعلیم الکتاب و ما بعده المفیض لحیاة الأبد علی کل من تخلّق بأخلاقه و فی خلق الطیر و هو ظاهر و هکذا إلی الآخر.

ذکرُ شیء مما عزی إلیه من الحکمة فی الإنجیل: قال متی: و کان یسوع یطوف المدن و القری و یعلم فی مجامعهم و یکرز ببشارة الملکوت ١٠ و یشفی کل الأمراض و الأوجاع، ثم قال: فلما سمع / یوحنا فی السجن /١٤٣ بأعمال المسیح أرسل إلیه اثنین من تلامیذه قائلا: أنت هو الآتی أم نترجی[1] آخر؟ قال لوقا: و فی تلك الساعة أبرأ کثیرا من الأمراض و الأوجاع و الأرواح الشریرة و وهب النظر لعمیان کثیرین[2]، فأجاب یسوع و قال لهما[3]: إذهبا و أعلما یوحنا بما رأیتما و سمعتما، العمیان ١٥ یبصرون و العرج یمشون [و البرص -[4]] یتطهرون و الصم یسمعون

(١) من ظ، و فی الأصل: نترعی - کذا (٢) من إنجیل لوقا، و فی الأصل: کثیر، و العبارة من هنا مع هذا اللفظ إلی « أعلما یوحنا » ساقطة من ظ.
(٣) زید بعده فی الأصل: و قال، و لم تکن الزیادة فی الإنجیل فحذفناها (٤) زید من ظ و الإنجیل.

و الموتى يقومون و المساكين يبشرون[1]. فطوبى لمن لا يشك فيّ! فلما ذهب تلميذا[2] يوحنا بدأ يسوع يقول للجمع من أجل يوحنا: لما ذا خرجتم إلى البرية تنظرون - قال لوقا: قصبة تحركها[3] [4]الريح - أم[4] لما ذا خرجتم تنظرون؟ إنسانا لابسا لباسا ناعما؟ إن[5] اللباس الناعم يكون في بيوت الملوك، و قال لوقا: فان[6] الذين عليهم لباس المجد و التنعم[7] هم في بيوت الملوك - انتهى. لكن لما ذا خرجتم تنظرون؟ نبيا؟ نعم، أقول لكم: إنه أفضل من هذا الذى كتب من أجله: هو ذا أنا مرسل ملكي أمام وجهك ليسهل طريقك قدامك، الحق أقول لكم! إنه لم يقم في[8] مواليد النساء أعظم من يوحنا المعمد[9]، و الصغير في ملكوت السماء أعظم منه، و جميع الشعب الذى سمع و العشارون شكروا الله حيث اعتمدوا من معمودية يوحنا، فأما[10] الفريسيون و الكتاب فعلموا أنهم رفضوا[11] أمر الله لهم إذ لم يعتمدوا منه؛ قال متى: ثم قال: من له أذنان سامعتان فليسمع! بماذا أشبه هذا الجيل؟ يشبه صبيانا جلوسا في الأسواق، يصيحون إلى أصحابهم قائلين: زمّرنا لكم فلم ترقصوا، و نحنا لكم فلم تبكوا، جاء يوحنا لا يأكل و لا يشرب، فقالوا: معه جنون؛ جاء ابن الإنسان

---

(١) من الإنجيل، و في الأصل: يوسرون، و في ظ: يوثرون - كذا (٢) في ظ: تلميذ (٣) من ظ، و في الأصل: يحركها (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) في ظ: فان (٦) في ظ: إن (٧) من الإنجيل، و في الأصل: النعم، و في ظ: نعيم (٨) سقط من ظ (٩) في ظ: العهد، و في الإنجيل: المعمدان، و سيأتي تفسيره (١٠) من ظ، و في الأصل: قال (١١) في ظ: فرضوا.

يأكل و يشرب ، فقالوا : هذا إنسان أكول شرّيب خليل العشارين و[1] الخطأة ، فتبررت[1] الحكمة من بنيها ، حينئذ بدأ يعيّر المدن التى كان فيها أكثر قواته ، لأنهم لم يتوبوا ، و يقول[2] : الويل لك يا كورزين ! و الويل لك يا بيت صيدا ! لأن[3] القوات اللاتى [4]كنّ فيكما[4] قديما لو كنّ فى صور و صيدا لتابوا بالمسوح و الرماد ، لكن أقول لكم : إن لصور و صيدا ٥ راحة فى يوم الدين أكثر منكن ، و أنت يا كفرنا حوم لو ارتفعت إلى السماء ستهبطين إلى الجحيم ، لأنه لو كان فى سدوم هذه[5] القوات التى كانت فيك إذن لثبتت إلى اليوم ، و أقول لكم أيضا : إن أرض سدوم تجد راحة يوم الدين أكثر منك . ثم قال : و انتقل يسوع من هناك و دخل إلى مجمعهم و إذا رجل هناك يده يابسة - و قال لوقا : يده ١٠ اليمنى يابسة - فسألوه قائلين : هل يحل أن يشفى فى السبت ؟ فقال لهم : أىّ إنسان منكم يكون له خروف ، يسقط فى حفرة فى السبت ، و لا يمسكه و يقيمه ؟ فبكم أحزى الإنسان أفضل من الخروف ، فاذنْ جيد هو فعل الخير فى السبت ؛ و قال لوقا : فقال للرجل / اليابس[6] اليد : /١٤٤ قم فى الوسط ، فقام ، و قال لهم يسوع : أسألكم[7] : ما ذا[8] يحل أن ١٥ يعمل فى السبت ؟ خير أم شر ؟ نفس تخلص أم تهلك ؟ فسكتوا ، قال متى : [حينئذ - [9]] قال للانسان : امدد يدك ، فمدها فصحت

(١-١) فى ظ : الخطاب فبرب - كذا (٢) فى ظ : يقولوا (٣) فى ظ : لا ان . (٤-٤) فى ظ : فينا (٥) فى ظ : هذا (٦) تكرر فى الأصل (٧) من ظ ، و فى الأصل : يسئلكم (٨) فى ظ : ما (٩) زيد من ظ

مثل الآخرى، فخرج الفريسيون - قال مرقس: مع أصحاب هيرودس - متوامرين فى إهلاكه، فعلم يسوع و انتقل من هناك و تبعه جمع كثير، فشفى جميعهم، و أمرهم أن لا يظهروا ذلك لكى يتم ما قيل فى أشعيا النبي القائل: ها هو ذا[1] فتاى الذى هويت، و حبيبى الذى به سررت، ٥ أضع روحى عليه و يخبر الأمم بالحكم، لا يمارى و لا يصيح و لا يسمع أحد[2] صوته فى الشوارع، [3]قصبة مرضوضة[3] لا تكسر، و سراج [4]مطفطف لا يطفأ[4] حتى يخرج الحكم [5]فى الغلبة[5]. و على اسمه تتكل الأمم؛ ثم قال: و فى ذلك اليوم خرج يسوع من البيت و جلس جانب البحر، فاجتمع إليه جمع كبير حتى أنه صعد إلى السفينة و جلس، ١٠ و كان الجمع كله قياما على الشط، و كلمهم بأمثال كثيرة قائلا: ها هو ذا خرج الزارع ليزرع، و فيما هو يزرع سقط البعض على[6] الطريق، فأتى الطير و أكله - و قال لوقا: فديس و أكله طائر السماء - و بعض سقط على الصخرة حيث لم يكن له أرض كثيرة، و للوقت شرق إذ ليس له عمق أرض. و لما أشرقت الشمس احترق، [7]و حيث[7] ١٥ لم يكن له أصل يبس، و بعض سقط فى الشوك [8]فطلع الشوك[8] و خنقه؛ و قال [مرقس -[9]] : فخنقه بعلوه عليه فلم يأت بثمرة[10]؛

---

(١) فى ظ: هوذا (٢) فى ظ: احدا (٣-٣) فى ظ: قصيبه مرصوصه - كذا. (٤-٤) فى ظ: متعلق لا يطفى، و تفسير «مطفطف» سيأتى (٥-٥) فى ظ: بالغلبة (٦) فى ظ: عن (٧-٧) فى ظ: لحيث (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ: ثمره.

و قال متى: و بعض سقط فى الأرض الجيدة فأعطى ثمره، للواحد مائة و للآخر ستين و للآخر[1] ثلاثين - قال لوقا: فلما قال هذا نادى : من له أذنان سامعتان فليسمع - فتقدم إليه تلاميذه و قالوا له: لماذا تكلمهم بالأمثال؟ فأجابهم و قال: أنتم أعطيتم معرفة سرائر ملكوت السماوات - و قال لوقا: فقال لهم[2] : لكم أعطى علم سرائر ملكوت الله - و أولئك لم يعطوا، ٥ و من كان له يعطى و يزاد، و من ليس له فالذى له يؤخذ منه - و قال لوقا: و الذى ليس له ينزع منه الذى يظن أنه له - فلهذا أكلمهم بالأمثال، لأنهم[3] يبصرون فلا يبصرون، و يسمعون فلا يسمعون و لا يفهمون، لكى تتم فيهم نبوة أشعيا القائل: سمعا يسمعون فلا يفهمون، و نظرا ينظرون فلا يبصرون، لقد غلظ قلب هذا الشعب، و ثقلت آذانهم عن ١٠ السماع، و غمضوا أعينهم لكيلا يبصروا بعيونهم و لا يسمعوا بآذانهم و يفهموا بقلوبهم و يرجعوا فأشفيهم، فأما أنتم فطوبى لعيونكم! لأنها تنظر، و لآذانكم! لأنها تسمع[4]؛ و قال [لوقا -[5]]: و مثل الزرع هذا هو كلام الله؛ و قال متى: كل من يسمع كلام الملكوت و لا يفهم يأتى الشرير فيخطف ما يزرع فى قلبه، هذا الذى زرع على الطريق، و الذى زرع ١٥ على الصخرة هو الذى يسمع الكلام و للوقت يقبله[6] بفرح، و ليس له[4] فيه أصل، لكن فى زمان / يسير، إذا حدث[7] ضيق أو طرد فللوقت يشك[4] - / ١٤٥

(١) فى ظ : و الآخر (٢) فى ظ : له (٣) فى ظ : لانه (٤) سقط من ظ.
(٥) زدناه بناء على أن الجملة الآتية هى فى إنجيل لوقا فقط (٦) فى ظ : تقبله.
(٧) فى ظ : حصل.

و قال مرقس: بسبب[1] الكلمة فيشكون للوقت؛ و قال لوقا: و هم إنما يؤمنون إلى زمان التجربة، و في زمان التجربة يشكون - و الذي يزرع في الشوك فهو الذي يسمع الكلام فيخنق الكلام فيه؛ و قال لوقا[2]: فتغلب[3] عليهم هموم هذا الدهر و طلب الغنى؛ و قال مرقس: و محبة الغنى و سائر ٥ الشهوات التي يسلكونها، فتخنق الكلمة فلا تثمر[4] فيهم؛ و قال متى: فيكون بغير ثمرة، و الذي زرع في الأرض الجيدة هو الذي يسمع الكلام و يتفهم و يعطي ثمره؛ و قال لوقا: و أما الذي وقع في الأرض الصالحة فهم الذين يسمعون الكلمة بقلب جيد فيحفظونها[5] و يثمرون بالصبر؛ قال متى: للواحد مائة و للآخر ستين و للآخر ثلاثين. وضرب ١٠ لهم مثلا آخر قائلا: يشبه ملكوت السماوات إنسانا زرع زرعا جيدا في حقله[6]، فلما نام الناس جاء عدوه فزرع زوانا في وسط القمح و مضى، فلما نبت القمح ظهر الزوان، فجاء [7]عبيد رب[7] البيت[8] فقالوا له: يا سيد! أليس زرعا جيدا زرعت في حقلك[9]! فمن أين صار فيه زوان؟ فقال لهم: عدو فعل هذا، فقال عبيده: تريد[10] أن نذهب فنجمعه؟ فقال لهم: ١٥ لا، لئلا تنقلع معه الحنطة، دعوهما ينبتان جميعا إلى زمان الحصاد،

---

(١) وقع في الأصل و ظ: نسيت - كذا. و مبنى التصحيح نص الإنجيل (٢) وقع في الأصل و ظ: مرقس، و التصحيح نظرا إلى نص الإنجيل (٣) في ظ: فيغلب. (٤) في ظ: فلا يسمر - كذا (٥) من ظ و الإنجيل، و في الأصل: فيخطفونها. (٦) في ظ: خلقه (٧-٧) في ظ: عبد ربه - كذا (٨) من الإنجيل، و في الأصل: النبت، و في ظ: الرب (٩) في ظ: خلقك (١٠) في ظ: يريد.

[و - ١] أقول للحصادين: أولا اجمعوا الزوان فشدوه حزما ليحرق، فأما القمح فاجمعوه إلى أهرائي . وضرب لهم مثلا آخر قائلا: يشبه ملكوت السماوات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله، لأنها أصغر الزراريع كلها - وقال مرقس : وهي أصغر الحبوب التي على الأرض - فاذا طالت صارت أكبر من جميع [٢]البقول وتصير[٢] شجرة ٥ - وقال مرقس : وصنعت أغصانا عظاما ؛ وقال لوقا : فنمت وصارت شجرة عظيمة - حتى أن طائر السماء[٣] يستظل تحت أغصانها. وكلمهم بمثل آخر وقال لهم : يشبه ملكوت السماوات خميرا أخذته امرأة وعجنته في ثلاثة أكيال دقيق فاختمر الجميع ؛ وقال مرقس : وكان يقول لهم : هل يوقد سراج فيوضع تحت مكيال أو سرير ، لكن على منارة ؛ وقال لوقا: ١٠ ليس أحد يوقد سراجا فيغطيه ، ولا يجعله تحت سرير ، لكن يضعه على منارة فيرى نوره كل من يدخل ؛ قال مرقس : كذلك ليس خفي إلا سيظهر ، ولا مكتوم إلا سيعلن ؛ وقال لوقا : سراج الجسد العين ، فاذا كانت عينك بسيطة فجسدك كله [٤]نير ، وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله[٤] يكون مظلما ، احرص أن لا يكون النور الذي فيك ظلاما ، فان كان ١٥ جسدك كله نيرا وليس فيه جزء مظلم فانه يكون كاملا نيرا ، كما أن السراج ينير لك[٥] بلمع ضيائه ؛ وقال مرقس: من له أذنان سامعتان [٤]فليسمع ، وقال لهم: انظروا ما ذا تسمعون ، فبالكيل الذي / تكيلون ١٤٦ / يكال لكم - وتزادون أيها السامعون[٤] لأن الذي له يعطى[٥] ومن ليس

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) في ظ : القبول ويصير (٣) من ظ والإنجيل، وفي الأصل : الزمان - كذا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من ظ .

عنده فالذى عنده يؤخذ منه ، و قال : يشبه ملكوت الله إنسانا يلقى زرعه على الأرض و ينام ، و يقوم ليلا و نهارا و الزرع ينمو و يطول و هو لا يعلم ، أولا أعشب و بعد ذلك سَنْبَلَ ، ثم يمتلئ السنبل حتى إذا انتهت الثمرة حينئذ يضع المنجل[1] إذ قد دنا الحصاد ؛ قال متى : هذا كله قاله
٥ يسوع للجموع ليتم ما قيل فى النبى القائل : أفتح فاى بالأمثال و أنطق[2] بالخفيات من قبل أساس العالم . حينئذ ترك الجمع و جاء إلى البيت فجاء إليه تلاميذه و قالوا : فسر لنا مثل زوال الحقل ، أجاب : الذى زرع الزرع الجيد هو ابن الإنسان ، و الحقل هو العالم ، و الزرع الجيد هو بنو الملكوت ، و الزوان هو[3] بنو[4] الشر ، و العدو الذى زرعه[5] هو الشيطان ، و الحصاد هو
١٠ منتهى الدهر ، و الحصادون هم الملائكة ، فكما أنهم يجمعون الزوان أولا ، و بالنار يحرق ، هكذا يكون منتهى هذا الدهر ، يرسل ملائكته و يجمعون من مملكته كل الشوك و فاعلى الإثم ، فيلقونهم فى أتون النار ، هناك يكون البكاء و صرير الأسنان ، حينئذ يضيء الصديقون مثل الشمس فى ملكوت أبيهم ، من له أذنان سامعتان فليسمع . و يشبه ملكوت السماوات
١٥ كنزا مُخفىً فى حقل وجده إنسان[6] فخبأه ، و من فرحه مضى و باع كل شيء و اشترى ذلك الحقل . و أيضا يشبه ملكوت السماوات إنسانا تاجرا يطلب الجوهر الفاخر الحسن . فوجد درة [7]كثيرة الثمن[7] فمضى و باع

---

(١) فى ظ : النخل (٢) فى ظ : انطلق (٣) من ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : هم .
(٤) فى ظ : ابن (٥) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : زرعهم (٦) فى ظ : انسانا .
(٧-٧) فى ظ : كبيرة .

كل

كل ماله و اشتراها ، و أيضا يشبه ملكوت السماوات شبكة[1] ألقيت فى البحر فجمعت من كل جنس ، فلما امتلأت أطلعوها إلى الشط فجلسوا و جمعوا الخيار فى الأوعية ، و الردىء رموه خارجا ، هكذا يكون فى انقضاء هذا الزمان ، تخرج الملائكة و يميزون الأشرار من وسط الصديقين ، و يلقونهم فى أتون النار ، هناك يكون البكاء و صرير ٥ الأسنان[2] . فلما أكمل يسوع هذه الأمثال انتقل من هناك و جاء إلى بلدته و كان[3] يعلّم فى مجامعهم حتى أنهم بهتوا و قالوا : من أين له هذه الحكمة و القوة ! و قال مرقس : من أين له هذا التعليم و هذه الحكمة التى أعطيها و القوات التى تكون على يديه _ انتهى . أليس هذا ابن[4] النجار ؟ و قال لوقا : و كان جميعهم يشهدون له و يتعجبون من[5] كلام النعمة[5] الذى ١٠ كان يخرج من فمه ، و كانوا يقولون : أليس هذا ابن يوسف ؟ انتهى . أليس أمه تسمى مريم و إخوته يعقوب و يوسا و سمعان و يهودا ؟ أليس هو و أخواته[6] عندنا جميعا ؟ فمن أين له هذا كله ؟ و كانوا يشكون فيه ، فان يسوع قال لهم : لا يهان نبى إلا فى بلدته و بيته ؛ و قال مرقس : ليس[7] يهان نبى إلا فى بلدته و عند أنسابه و بيته ؛ و قال لوقا : فقال لهم : ١٥ لعلكم[8] تقولون لى هذا المثل : أيها الطبيب[9] ! اشف نفسك ، / و الذى سمعنا / ١٤٧

---

(١) فى ظ : سمكة (٢) فى ظ : الانسان (٣) فى ظ : يكون (٤) من ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : من (٥-٥) فى ظ : كلامه _ كذا (٦) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : اخوته (٧) فى ظ : ا ليس (٨) من ظ ، و فى الأصل : لعسكم ، و فى الإنجيل : على كل حال (٩) من ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : المتطبب .

أنك صنعته[1] فى كفرناحوم افعله[2] أيضا ههنا فى مدينتك ، فقال لهم : الحق أقول لكم ، [إنه لا يقبل نبى فى مدينته ، الحق أقول لكم - [3]] ، إن الأرامل كثيرة كنّ فى[4] إسرائيل فى أيام إليا إذ أغلقت السماء ثلاث سنين و ستة أشهر ، و صار جوع عظيم فى الأرض كلها ، و لم يرسل ٥ إليا إلى واحدة منهن إلا أرملة فى[5] صارفة[6] صيدا ، و برص كثيرون[7] كانوا فى إسرائيل على عهد اليشع النبى و لم يطهر واحد منهم إلا نعمان الشامى ، فامتلأ جميعهم غضبا عند ما سمعوا هـذا و أخرجوه خارج المدينة ، و جاءوا به[5] إلى أعلى الجبل الذى كانت مدينتهم مبنية عليه ليطرحوه إلى أسفل ، فأما هو فجاز وسطهم و مضى ، و نزل إلى كفرناحوم[8] ١٠ مدينة فى الجليل[9] ، و كان يعلمهم فى السبت و بهتوا من تعليمه لأن كلامه كان بسلطان . و[5] قال فى موضع آخر : و جاء إليه ناس من الفريسيين و قالوا له : اخرج فاذهب من ههنا فان هيرودس يريد ليقتلك[10] ، فقال لهم : امضوا[5] و قولوا لهذا الثعلب : إنى هو ذا[11] أخرج الشياطين و أتم الشفاء اليوم و غدا و فى اليوم الثالث أكمل ، و ينبغى أن أقيم

(١) من ظ ، و فى الأصل : ضيعته (٢) فى ظ : فعله (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) زيد فى ظ : بنى (٥) سقط من ظ (٦) من الإنجيل ، و فى الأصل : صار فيه ، و فى ظ : فيه - كذا (٧) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : كثير . (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى الإنجيل لحذفناها (٩) فى ظ : الجبل (١٠) من ظ ، و فى الأصل : بقتلك (١١) فى ظ : هو اذ - كذا .

اليوم و غدا ، و فى اليوم الآتى[1] أذهب ، لأنه ليس يهلك نبى[2] خارجا عن يروشليم ، أيا يروشليم![3] أيا يروشليم[3]! يا قاتلة الأنبياء و راجمة المرسلين إليها! كم من مرة أردت أن أجمع بنيك مثل الدجاجة التى تجمع فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا[4]، هو ذا أترك بيتكم خرابا، فسمع هيرودس رئيس الربع بجميع ما كان فتحير ، لأن كثيرا كانوا يقولون : إن يوحنا ٥ قام من الأموات ، و آخرون يقولون : إن إليا ظهر ، و آخرون يقولون : نبى من الأولين [قام - [5]] ، فقال هيرودس : أنا قطعت رأس يوحنا ، فمن هو الذى نسمع عنه هذا ، و طلب أن يبصره؛ و فى إنجيل متى : و فى ذلك الزمان سمع هيرودس رئيس الربع خبر يسوع فقال لغلمانه : هذا هو يوحنا المعمدان ، و هو قام من الأموات من أجل هذه القوات التى ١٠ يعمل بها . قوله : المعمد ، من أعمده - إذا غسله فى ماء المعمودية ، قوله : تبررت ، أى صارت برية بالنسبة إليهم ، قوله : يعيّر[6] المدن ، أى يذكر ما أوجب لها العار ، قوله : القوات جمع قوة و هى المعجزات هنا ، قوله : الذى هويت ، يعنى أحببت حبا شديدا ، و لفظ الهوى الظاهر أنه يفهم نقصا فلا يحل فى شرعنا إطلاقه على الله تعالى[7]، قوله : مطفطف ، أى مملوء إلى ١٥ رأسه ، لا يزال كذلك ، قوله : شرق - و زن : فرح ، أى ضعف ، من :

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الأولى - كذا (٢) فى ظ : ابن (٣ - ٣) فى ظ : انما يروح و سيلمة - كذا (٤) من الإنجيل ، و فى الأصل : فلم يردوا ، و فى ظ : فلم يريدوا (٥) زيد من الإنجيل (٦) فى ظ : البعير - كذا (٧) زيد بعده فى ظ : الى .

شرق بريقه ، و شرقت الشمس - إذا ضعف ضوؤها ، قوله : أتون [و - [1]] هو وزن تنور و قد يخفف : أخدود [2]الجيار و الجصاص[2] ، قوله : بسيطة ، أى على الفطرة الأولى ، قوله : يروشليم - بتحتانية و مهملة و شين معجمة : بيت المقدس ، قوله : ملكوت أبيهم ، تقدم ما فيه غير مرة .

٥ و لما كان من المقصود بذكر معجزات عيسى عليه السلام تنبيه الكافر ليؤمن ، و المؤمن ليزداد إيمانا ، و تسلية النبي صلى الله عليه و سلم وتوبيخ اليهود المدعين[3] أنهم أبناء و أحباء - إلى غير ذلك مما[4] أراد الله ، قرعت به /١٤٨ / الأسماع[5] ، و لم يتعلق بما يجيب به يوم القيامة عند أمره بذلك غرض فطوى ، و لما كان أجلّ المقاصد تأديب هذه الأمة لنبيها عليه السلام لتجلّه ١٠ عن أن تبدأه[6] بسؤال أو تقترح عليه شيئا فى حال من الأحوال ، ذكّرهم شأن الحواريين فى اقتراحهم بعد ما تقدم من امتداحهم بعدّهم فى عداد أولى الوحى و مبادرتهم[7] إلى الإيمان امتثالا للأمر ثم إلى الإشهاد على سبيل التأكيد بتمام الانقياد و سلب الاختيار ، فقال معلقا بـ " قالوا امنا " مقربا لزمن تعنتهم من زمن إيمانهم ، مذكرا لهذه الأمة بحفظها على الطاعة ، و مبكتا ١٥ لبنى إسرائيل بكثرة تقلبهم و عدم تماسكهم إبعادا لهم عن درجة المحبة فضلا عن البنوة ، و هذه القصة قبل قصة الإيحاء إليهم فتكون[8] " اذ " هذه

(١) زيدت الواو من ظ (٢-٢) من القاموس ، و فى الأصل : الحار و الحصاد ، و فى ظ : الخيار و الحصاد - كذا (٣) فى ظ : المدعنين - كذا (٤) فى ظ : ما . (٥) فى ظ : الاسماء (٦) فى ظ : يبدوه (٧) من ظ ، و فى الأصل : مبادرته (٨) من ظ ، و فى الأصل : فيكون .

ظرفا لتلك، فيكون الإيحاء إليهم بالأمر[١] بالإيمان في وقت سؤالهم هذه بعد ابتدائه[٢]، و يكون فائدته حفظهم من أن يسألوا آية أخرى كما سألوا هذه بعد ما رأوا[٣] منه صلى الله عليه و سلم من الآيات: ﴿اذ قال﴾ و أعاد وصفهم و لم يضمره تنصيصا عليهم لبُعد ما يذكر من حالهم هذا من حالهم[٤] الأول فقال: ﴿الحواريون﴾ و ذكر أنهم نادوه باسمه و اسم أمه ٥ فقالوا[٥]: ﴿يٰعيسى ابن مريم﴾ ولم يقولوا: يا رسول الله و لا يا روح الله، و نحو هذا من التبجيل [٦]أو التعظيم[٦] ﴿هل يستطيع ربك﴾ بالياء مسندا إلى الرب [٦]و بالتاء الفوقانية مسندا إلى عيسى عليه السلام و نصب الرب[٦]، و معناهما واحد يرجع إلى التهييج و الإلهاب[٧] بسبب الاجتهاد في الدعاء بحيث تحصل الإجابة، و تكون هذه[٨] العبارة أيضا للتلطف ١٠ كما يقول الإنسان لمن يعظمه: هل تقدر أن تذهب معي إلى كذا؟ و هو يعلم أنه قادر، و لكنه يكنى بذلك عن أن السائل يحب ذلك و لا يريد المشقة على[٩] المسؤل ﴿ان ينزل﴾ أي الرب المحسن إليك ﴿علينا مآئدة﴾ و هي الطعام، و يقال أيضا: الخوان إذا كان عليه الطعام[١٠]، و الخوان شيء يوضع عليه الطعام للأكل، هو في العموم ١٥ بمنزلة السفرة لما يوضع فيه طعام المسافر بالخصوص، و هي من ماده -

(١) من ظ، و في الاصل: الأمر (٢) من ظ، و في الأصل: بطيه - كذا.
(٣) في ظ: اراد (٤) في ظ: حاله (٥) من ظ، و في الأصل: فقال.
(٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) في ظ: الاهاب (٨) في ظ: بهذه.
(٩) في ظ: الى (١٠) سقط من ظ.

إذا [1]أعطاه و أطعمه[1].

و لما كان هذا ظاهرا فى أنها سماوية ، صرحوا به احترازا عما عوّدهم به صلى الله عليــه و سلم من أنه يدعو بالقليل [2]من الطعام[2] فيبارك فيه فيمده الله فيكفى [فيه -[3]] القيام[4] من الناس فقالوا : ﴿ من السمآء[ط] ﴾

٥ أى لا صنع للآدميين فيها لنختص بها عمن تقدمنا من الأمم .

و لما كان المقصود من هذا وعظنا و إرشادنا إلى أن لا نسأل نبينا صلى الله عليه و سلم شيئا[5] ، اكتفاء بما رحمنا به ربنا[5] الذى رحمنا بابتدائنا بارساله إلينا لإيصالنا إليه سبحانه ، و تخويفا من أن نكون مثل من[6]

/١٤٩ / مضى من المقترحين الذين كان اقتراحهم سببَ هلاكهم ؛ دل على ذلك

١٠ بالنزوع من أسلوب الخطاب إلى الغيبة فقال مستأنفا إرشادا إلى السؤال من جوابهم[7] : ﴿ قال ﴾ و لم يقل : فقلت ﴿ اتقوا الله ﴾ أى اجعلوا بينكم و بين غضب الملك الأعظم الذى له الكمال وقاية تمنعكم عن الاجتراء[8] على الاقتراح ﴿ ان كنتم مؤمنين ۝ ﴾ أى بأنه قادر و أنى رسوله ، فلا تفعلوا فعل من وقف إيمانه على رؤية ما[9] يقترح

١٥ من الآيات .

و لما كانت المعجزات إنما تُطلب لإيمان من لم يكن آمن ، و كان فى هذا الجواب أتم زجر لهم ، تشوف السامع إلى جوابهم فقيل :

(١ - ١) فى ظ : اطعمه و اعطاه (٢ - ٢) فى ظ : بالطعام (٣) زيد من ظ .
(٤) فى ظ : السام ـ كذا (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : ما (٧) فى ظ : جوابه.
(٨) فى ظ : الاخيراء ـ كذا (٩) من ظ ، و فى الأصل : من .

لم ينتهوا بل ﴿ قالوا[1] ﴾ إنا لا نريدها لأجل إزالة شك عندنا بل ﴿ نريد ﴾ بمجموع أمور : ﴿ ان ناكل منها ﴾ فانا جياع ؛ و لما كان التقدير : فتحصل[1] لنا بركتها ، عطف عليه : ﴿ و تطمئن قلوبنا ﴾ أى بضم ما رأينا منها إلى ما سبق من معجزاتك من غير سؤالنا فيه ﴿ و نعلم ﴾ أى بعين اليقين و حقه ﴿ ان قد صدقتنا ﴾ أى فى كل ما أخبرتنا به ﴿ و نكون عليها ﴾ ٥ و أشاروا[2] إلى عمومها بالتبعيض فقالوا[1] : ﴿ من الشهدين ﴾ أى شهادة رؤية مستعلية عليها بأنها وقعت ، لا شهادة إيمان بأنها جائزة الوقوع ﴿ قال عيسى ﴾ و نسبه زيادة فى التصريح به تحقيقا لأنه لا أب له و تسفيها[3] لمن أطراه أو وضع من قدره فقال : ﴿ ابن مريم اللهم ﴾ فافتتح دعاءه بالاسم الأعظم ثم بوصف الإحسان فقال : ﴿ ربنآ ﴾ أى أيها المحسن ١٠ إلينا ﴿ انزل علينا ﴾ و قدم المقصود فقال : ﴿ مآئدة ﴾ و حقق موضع الإنزال بقوله : ﴿ من السمآء ﴾ ثم[4] وصفها بما تكون[5] به بالغة العجب عالية الرتب[6] فقال : ﴿ تكون ﴾ أى هى أو يوم نزولها ﴿ لنا عيدا ﴾ و أصل العيد كل يوم فيه جمع ، ثم قيد بالسرور ، فالمعنى : نعود[7] إليها مرة بعد مرة سرورا[8] بها ، و لعل منها ما[9] يأتى من البركات حين ترد له ١٥ عليه السلام - كما فى الأحاديث الصادقة ، و يؤيد ذلك قوله مبدلا من "لنا" : ﴿ لاولنا و اخرنا ﴾ .

---

(١) فى ظ : فيحصل (٢) فى ظ : اشار (٣) فى ظ : تسفيه (٤) سقط من ظ .
(٥) فى ظ : يكون (٦) فى ظ : الترتيب (٧) فى ظ : يعود (٨) فى ظ : سرور .
(٩) فى ظ : كما .

و لما ذكر الأمر الدنيوى ، أتبعه الأمر الدينى فقال : ﴿ و اٰية منك ج ﴾ أى علامة على صدق ﴿ و ارزقنا ﴾ أى رزقا مطلقـا غير مقيد بها[1] ؛ و لما كان التقدير : فأنت خير المسؤلين ، عطف عليه قوله : ﴿ و انت خير الرّٰزقين ﴾ أى فانك تغنى من تعطيه و تزيده[2] عما يؤمله و يرتجيه ٥ بما لا ينقص شيئا مما عندك ، و لا تطلب منه شيئا غير أن ينفع نفسه بما قويته عليه من طاعتك بذلك الرزق ﴿ قال الله ﴾ أى الملك المحيـط علما و قدرة .

و لما كان ظاهر سؤالهم من[3] الاستفهام عن الاستطاعة للاضطراب[4] و إن كان للالهاب ، أكد[1] الجواب فقال : ﴿ انى منزلها عليكم ج ﴾ أى ١٠ الآن بقدرتى الخاصة بى ﴿ فمن يكفر بعد ﴾ أى بعد إنزالها ﴿ منكم ﴾ وهذا السياق مشعر بأنه يحصل[5] / منهم كفر ، و قد وجد ذلك حتى فى /١٥٠ الحواريين على ما يقال فى يهودا الإسخريوطى أحـدهم الذى دل عـلى عيسى عليه السلام ، فألقى شبهه عليه ، و لهذا[6] خصه بهذا العذاب فقال : ﴿ فانى اعذبه ﴾ أى على سبيل البتّ و القطع ﴿ عذابا لا اعذبه ﴾ أى ١٥ مثله أبدا فيما يأتى من الزمان ﴿ احداً من العٰلمين ع ﴾ و فى هذا أتم زاجر لهذه الأمة عن اقتراح الآيات ، و فى ذكر قصة المائدة فى هذه السورة التى افتتحت باحلال المآكل و اختتمت بها أعظم تناسب ، و فى ذلك كله إشارة إلى تذكير هذه الأمة بما أنعم عليها بما أعطى نبيها من المعجزات و منّ عليها به[7] من حسن الاتباع ، و تحذير من كفران هذه النعم

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تزيد (٣) فى ظ : فى (٤) من ظ ، و فى الأصل : الاضطراب (٥) تكرر فى الأصل (٦) فى ظ : لذلك (٧) فى ظ : بها .

المعدة[1] عليهم، و قد اختلف المفسرون فى حقيقة هذه المائدة
و فى أحوالها؛ قال أبو حيان: و أحسن ما يقال فيه ما خرجه[2] الترمذى
فى أبواب التفسير عن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال: قال رسول الله
صلى الله عليه و سلم: أنزلت المائدة من السماء خبزا و لحما، و أمروا أن
لا يدخروا لغد و لا يخونوا، فخانوا و ادخروا [3]و رفعوا[3] لغد، فمسخوا[4] ٥
قردة و خنازير - انتهى. قلت: ثم[5] صحح الترمذى وقفه على عمار و قال:
لا نعلم[6] للحديث المرفوع أصلا، غير أن ذلك لا يضره لكونه لا يقال
من قبل الرأى، و لا أعلم[6] أحدا ذكر عمارا فيمن أخذ عن أهل
الكتاب، فهو مرفوع حكما، و هذا الخبر يؤكد[7] أن الخبر فى الآية
على بابه، فيدفع قول من قال: إنها لم تنزل، لأنهم لما سمعوا الشرط ١٠
قالوا: لا حاجة لنا بها، لأن خبره تعالى لا يخلف و لا يبدل القول لديه،
و هذا الرزق الذى من السماء قد وقع مثله لآحاد الأمة؛ روى البيهقى
فى أواخر الدلائل عن أبى هريرة قال: كانت امرأة من دوس يقال لها
أم شريك أسلمت فى رمضان، فأقبلت تطلب[8] من يصحبها إلى رسول الله
صلى الله عليه و سلم، فلقيت رجلا من اليهود فقال: ما لك يا أم شريك؟ ١٥
قالت[9]: أطلب رجلا يصحبنى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال:

---

(١) فى ظ: المعدودة (٢) فى ظ: اخرجه (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) من ظ و جامع الترمذى - أبواب التفسير، و فى الأصل: مسخوا.
(٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: لا يعلم (٧) فى ظ: موكد (٨) من ظ والدلائل،
و فى الأصل: نطلب (٩) فى ظ: فقالت.

فتعالى فأنا[1] أصحبك، قالت: فانتظرنى حتى أملأ سقائى ماء، قال: معى ماء[2] [3] ما لا تريدين[3] ماء، فانطلقت معهم فساروا يومهم حتى أمسوا، فنزل اليهودى و وضع سفرته فتعشى و قال: يا أم شريك! تعالى إلى العشاء! فقالت: اسقنى من الماء فانى عطشى، و لا أستطيع أن[4] آكل حتى ٥ أشرب، فقال لها: لا أسقيك حتى تهودى[5]! فقالت: لا جزاك الله خيرا! غربتنى و منعتنى [أن -[6]] أحمل ماء، فقال: لا و الله لا[4] أسقيك منه قطرة حتى تهودى، فقالت: لا و الله لا أتهود أبدا بعد إذ هدانى الله للاسلام؛ فأقبلت إلى بعيرها فعقلته[7] و وضعت رأسها على ركبته فنامت، قالت: فما أيقظنى إلا برد دلو[8] قد وقع[9] على جبينى[9]، فرفعت/ رأسى ١٥١ / ١٠ فنظرت إلى ماء أشد بياضا من اللبن و أحلى من العسل، فشربت حتى رويت، ثم نضحت على سقائى حتى ابتل ثم ملأته، ثم رفع بين يدى و أنا أنظر حتى توارى عنى فى السماء، فلما أصبحت جاء اليهودى فقال: يا أم شريك! قلت: و الله قد سقانى الله، قال: من أين أنزل عليك؟ من السماء؟ قلت: نعم، و الله لقد أنزل الله على من السماء ثم رفع

(١) فى ظ: و أنا، و فى الدلائل: انا - راجع « باب فيما ظهر من الكرامات على أم شريك» (٢) ليس فى ظ والدلائل، و موجود فى رواية البيهقى فى الخصائص الكبرى (٣ - ٣) فى الدلائل: لا ترددين، و فى الأصل: مالا نريد من، و فى ظ: لا نريد من - كذا (٤) سقط من ظ (٥) زيد بعده فى الأصل: معى، و لم تكن الزيادة فى ظ و الدلائل فحذفناها (٦) زيد من الدلائل (٧) فى ظ: فعلقته (٨) زيدت الواو بعده فى الدلائل (٩ - ٩) من الدلائل، و فى الأصل و ظ: فى جنبى.

بين يدي حتى توارى عني في السماء، ثم أقبلت حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصت عليه القصة، فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها نفسها فقالت: يا رسول الله! لست أرضى نفسي لك ولكن بضعي لك فزوجني من شئت، فزوجها زيدا وأمر لها بثلاثين صاعا وقال: كلوا ولا تكيلوا، وكان معها عكة سمن هدية لرسول الله صلى الله ٥ عليه وسلم فقالت لجارية لها: بلغي[1] هذه العكة رسول[2] الله صلى الله عليه وسلم، قولي: أم شريك تقرئك السلام، وقولي: هذه عكة سمن أهديناها لك، فانطلقت بها الجارية [إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم -[3]] فأخذوها ففرغوها، وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: علقوها ولا توكوها، فعلقوها في مكانها، فدخلت أم شريك فنظرت إليها مملوءة سمنا، فقالت: ١٠ يا فلانة[4]! أليس أمرتك أن[5] تنطلقي بهذه العكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم! فقالت: قد والله انطلقت بها كما قلت، ثم أقبلت بها أضربها[6] ما يقطر منها شيء ولكنه قال: علقوها ولا توكوها، فعلقتها في مكانها، وقد [7]أوكتها أم شريك حين رأتها[7] مملوءة فأكلوا منها حتى فنيت، ثم كالوا الشعير فوجدوه ثلاثين صاعا لم ينقص منه شيء، قال: وروى ١٥

(١) من الدلائل، وفي الأصل: تاتي، وفي ظ: بلغي - كذا (٢) من ظ والدلائل، وفي الأصل: لرسول (٣) زيد من الدلائل (٤) من ظ والدلائل، وفي الأصل: فلانل - كذا (٥) سقط من ظ (٦) في الخصائص ٢/٥٣: أصوبها (٧-٧) من الدلائل، وفي الأصل وظ: اوكاها شريك حين رآها - كذا.

ذلك من وجه آخر ، و لحديثه[١] شاهد صحيح عن جابر رضي الله عنه .
و روى باسناده عن أبي عمران الجونى أن أم أيمن هاجرت من مكة إلى
المدينة و ليس معها زاد ، فلما كانت عند الروحاء و ذلك عند غيوبة الشمس
عطشت عطشا شديدا ، قالت : فسمعت هفيفا[٢] شديدا فوق رأسي ، فرفعت
٥ رأسي فاذا دلو مدلى من السماء برشاء أبيض ، فتناولته بيدي حتى استمسكت
به[٣] ، قالت : فشربت منه حتى رويت ، قالت : فلقد أصوم [بعد تلك
الشربة -[٤]] في اليوم الحار الشديد الحر ثم أطوف في الشمس كي أظمأ
فما ظمئت بعد تلك الشربة . قال[٣] : و في الجهاد عن البخاري عن أبي هريرة
قال : بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم عشرة رهـــط سرية عينا ،
١٠ و أمّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم[٥] بن عمر بن الخطاب
رضي الله عنهم - فذكر الحديث حتى قال : فابتاع خبيبا - يعني ابن عدي
الأنصاري - بنو الحارث[٦] بن عامر / [٧]بن نوفل بن عبد مناف ، و كان خبيب /١٥٢
قد قتل الحارث بن عامر[٧] يوم بدر ، فلبث خبيب عندهم أسيرا ، فأخبرني[٨]
عبيد الله بن عياض[٩] أن ابنة الحارث[١٠] قالت : و الله ما رأيت أسيرا قط

(١) في ظ : لحديث في (٢) في الدلائل : حفيفا - و المعنى واحد (٣) سقط من ظ (٤) زيد من الدلائل (٥) زيد في ظ : ابن ثابت الأنصاري (٦) العبارة من هنا إلى « ابنة الحارث » ساقطة من ظ (٧-٧) تكرر في الأصل ، و ما ورد التكرار في صحيح البخاري (٨) بين سطري الصحيح : قائله الزهري (٩) من الصحيح ، و في الأصل : عاص - كذا (١٠) وقع هنا اختصار ، و راجع لمزيد التفصيل صحيح البخاري - باب « هل يستأسر الرجل » من كتاب الجهاد .

خيرا

خيرا من خبيب ، و الله لقد وجدته يوما يأكل من قطف عنب فى يده
و إنه لموثق فى الحديد و ما بمكة من ثمر[1] ، وكانت تقول : انه لرزق[2]
من الله[3] رزق خبيبا - الحديث . و من الأمر الجلى أن عيسى عليه السلام
بعد أمر الله تعالى له بذكر هـذه النعم يقوم فى ذلك الجمع فيذكرها
و يذكر المقصود من التذكير بها ، و هو الثناء على المنعم بها بما يليق بجلاله ، ٥
فيحمد ربه تعالى بمحامد تليق بذلك المقام فى ذلك الجمع ، فمن أنسب
الأمور حينئذ سؤاله - و هو المحيط علما بمكنونات الضمائر و خفيات
السرائر إثر[4] التهديد لمن يكفر - عما كفر به النصارى ، فلذلك قال تعالى
عاطفا على قوله "اذ قال الله يٰعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك[4]" :
﴿و اذ قال الله﴾ [5]أى بما له من صفات الجلال و الجمال مشيرا إلى ما له ١٠
من علو الرتبة بأداة النداء[5] : ﴿ يٰعيسى ابن مريم ﴾ و ذلك تحقيقا لأنه
عمل بمقتضى النعمة [5]و تبكيتا[5] لمن ضل فيه من النصارى و إنكارا
عليهم ﴿ ءانت قلت للناس ﴾ أى الذين أرسلت إليهم من بنى إسرائيل ،
و كأنه عبر بذلك لزيادة التوبيخ لهم[4] ، لكونهم[6] اعتقدوا ذلك و فيهم
الكتاب ، فكأنه لا ناس[7] غيرهم ﴿ اتخذونى ﴾ أى كلفوا أنفسكم خلاف ١٥
ما تعتقدونه[8] بالفطرة الأولى [9]فى الله بأن[9] تأخذونى ﴿ و امى الٰهين ﴾ .

---

(١) من الصحيح ، و فى الأصل و ظ : تمر (٢) من الصحيح ، و فى الأصل و ظ : رزق (٣) زيد بعده فى ظ : ما (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : بكونهم (٧) فى ظ : ياس - كذا (٨) فى الأصل و ظ : تعتقده - كذا (٩ - ٩) فى ظ : بالله ان .

و لما كانت عبادة غير الله - و لو كانت على سبيل الشرك - مبطلة لعبادة الله ، لأنه سبحانه أغنى الأغنياء ، و لا يرضى الشرك إلا فقير ، قال : ﴿ من دون الله ﴾ أي الملك الأعلى الذي لا كفوء له ، فيكون المعنى : اتخذوا[1] تألهنا سلما تتوصلون[2] به إلى الله ، و يجوز أن يكون ٥ المعنى[3] على المغايرة ، و لا دخل حينئذ للشاركة .

و لما كان من المعلوم لنا في غير موضع أنه لم يقل ذلك ، صرح به هنا توبيخا لمن أطراه ، و تأكيدا لما عندنا من العلم ، و تبجيلا له صلى الله عليه و سلم بما يبدي من الجواب ، و تفضيلا[4] بالإعلام بأنه لم يحد[5] عن طريق الصواب ، بل بذل الجهد في الوفاء بالعهد ، و تقريعا لمن قال ١٠ ذلك عنه و هو يدعي حبه و اتباعه عليه السلام و تخجيلا لهم ، فلما تشوفت لجوابه الأسماع و أصغت له الآذان ، و كان في ذكره من[3] الحكم ما تقدمت الإشارة إليه ، ذكره سبحانه قائلا : ﴿ قال ﴾ مفتتحا بالتنزيه ﴿ سبحنك ﴾ أي لك التنزه الأعظم عن كل شائبة نقص ، و دل[6] بالمضارع على أن هذا القول لا يزال ممنوعا منه فقال : ﴿ ما يكون لي ﴾ ١٥ أي ما ينبغي و لا يصح أصلا ﴿ ان أقول ﴾ أي في وقت من الأوقات ﴿ ما ليس لي ﴾ و أغرق في النفي كما هو حق المقام فقال : ﴿ بحق ﴾ .

و لما بادر عليه السلام إعظاما للمقام إلى الإشارة إلى نفي ما سئل

---

(١) من ظ ، و في الأصل : اتخذو (٢) في ظ : يتوسلون (٣) سقط من ظ .
(٤) في ظ : تفصيلا (٥) من ظ ، و في الأصل : لم يحده (٦) من ظ ، و في الأصل : ذكر .

عنه ، أتبعه [1]ما يدل[1] على أنه كان يكفى فى الجواب عنه : أنت أعلم ، و إنما أجاب بما تقدم إشارة إلى أن هذا القول تكاد السماوات يتفطرن منه و مبادرة[2] إلى تبكيت من ادّعاه له ، فقال دالا على أنه لم يقنع بما[3] تضمن أعظم المدح لأن المقام للخضوع : ﴿ ان كنت قلته ﴾ أى مطلقا للناس أو حدثت به نفسى ﴿ فقد علمته ﴾ و هو مبالغة فى الأدب ٥ و إظهار الذلة و تفويض الأمر كله إلى رب العزة ؛ ثم علل الإخبار بعلمه بما هو من خواص الإله فقال : ﴿ تعلم[4] ﴾ و لما كانت النفس يعبر بها عن الذات ، و كان القول يطلق على النفس ، فاذا انتفى انتفى[5] اللسانى ، قال : ﴿ ما فى نفسى ﴾ أى و إن اجتهدت فى إخفائه ، فانه خالقك ، و ما أنا له إلا آلة و وعاء ، فكيف به إن كنت أظهرته . ١٠

و لما[6] اثبت له سبحانه ذلك ، نفاه عن نفسه توبيخا لمن ادعى له الإلهية فقال مشاكلة : ﴿ و لا اعلم ما فى نفسك ﴾ أى ما أخفيته عنى من الأشياء ؛ ثم علل الأمرين كليهما بقوله : ﴿ انك انت ﴾ أى وحدك لا شريك لك ﴿ علام الغيوب ﴾ .

و لما نفى عن نفسه ما يستحق النفى و دل عليه ، أثبت ما قاله لهم ١٥ على وجه مصرح بنفى غيره ليكون ما نسب إليه من دعوى الإلهية منفيا مرتين : إشارة و عبارة ، فقال معبرا عن الأمر بالقول مطابقة للسؤال ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : مبادر (٣) فى ظ : ما (٤) زيد بعده فى الأصل : ما فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها . (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : ما .

و فسر بالأمر بيانا لأن كل ما قاله من مباح أو غيره دائر على الأمر من[1] حيث الاعتقاد بمعنى أن المخاطب بما قاله الرسول مأمور بأن يعتقد فيه [2] أنه بتلك المنزلة، لا يجوز أن يعتقد فيه[2] أنه فوقها و لا دونها، يعبد[3] الله تعالى بذلك: ﴿ما قلت لهم﴾ أي ما أمرتهم بشيء[4] من الأشياء ٥ ﴿الا مآ امرتنى بهٓ﴾ ثم فسره دالا بشأن المراد بالقول الأمر بالتعبير فى تفسيره بحرف التفسير بقوله: ﴿ان اعبدوا﴾ أي ما أمرتهم إلا بعبادة[5] ﴿الله﴾ أي الذى لم يستجمع نعوت الجلال و الجمال أحد غيره؛ ثم أشار إلى أنه كما يستحق العبادة لذاته يستحقها لنعمه[6] فقال: ﴿ربى و ربكم ج﴾ أي أنا و أنتم فى عبوديته سواء، و هذا الحصر يصح ١٠ أن يكون للقلب على أن 'دون' بمعنى 'غير'، و للافراد على أنها بمعنى سفول المنزلة، و هو من بدائع الأمثلة.

و لما فهم صلى الله عليه و سلم من هذا السؤال أن أتباعه غلوا فى شأنه، فنزه الله سبحانه و عز شأنه من ذلك و أخبره بما أمر الناس به فى حقه سبحانه من الحق، اعتذر عن نفسه بما يؤكد ما مضى نفيا و إثباتا ١٥ فقال: ﴿و كنت عليهم﴾ أي خاصة / لا على غيرهم. /١٥٤

و لما كان سبحانه قد أرسله شاهدا، زاد فى الطاعة فى ذلك إلى أن بلغ جهده كاخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، فقال معبرا

---

(١) سقط من ظ. (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ: فعبد.
(٤) فى ظ: شيئا (٥) من ظ، و فى الأصل: بالعبادة (٦) فى ظ: النعمة.

بصيغة

بصيغة المبالغة: ﴿شهيدا﴾ أي بالغ الشهادة، لا أرى فيهم منكرا إلا اجتهدت في إزالته ﴿ما دمت فيهم ج﴾ وأشار إلى الثناء على الله بقوله: ﴿فلما توفيتني﴾ أي رفعتني إلى السماء كامل الذات والمعنى مع بذلهم جهدهم في قتلي ﴿كنت انت﴾ أي وحدك ﴿الرقيب﴾ أي الحفيظ القدير[1] ﴿عليهم ط﴾ لا يغيب عليك شيء من أحوالهم. وقد ٥ منعتهم [أنت -[2]] أن يقولوا شيئا غير ما أمرتهم أنا به من عبادتك بما نصبت لهم من الأدلة وأنزلت[3] عليهم على لساني من البينات ﴿وانت على كل شيء﴾ أي منهم ومن غيرهم حيوان وجماد ﴿شهيد ﴾ أي مطلع غاية الاطلاع، لا يغيب عنك شيء منه سواء كان في عالم الغيب أو[4] الشهادة، فان[5] كانوا قالوا ذلك فأنت تعلمه دوني، لأني لما ١٠ بعدت عنهم في المسافة انقطع علمي عن أحوالهم.

ولما كان هذا الذي[6] سلف كله سؤالا وجوابا وإخبارا حمد[7] الله تعالى وثناء عليه بما [هو - [2]] أهله بالتنزيه له والاعتراف بحقه والشهادة له بعلم الخفايا والقدرة والحكمة وغير ذلك من صفات الجلال والجمال، وكان هذا السؤال يفهم إرادة التعذيب للسؤل عنهم مشيرا ١٥ إلى الشفاعة فيهم على وجه الحمد لله سبحانه وتعالى والثناء الجميل عليه[6] لأن العذاب ولو للطيع عدل، والعفو عن المعاصي بأي ذنب كان فضل

(١) في ظ: الرقيب (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: انت (٤) في ظ «و» (٥) في ظ: قال ان - كذا (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، وفي الأصل: جد - كذا.

مطلقا، و غفران الشرك ليس ممتنعا بالذات، قال[1] : ﴿ ان تعذبهم ﴾ أى القائلين بهذا[2] القول ﴿ فانهم عبادك ج ﴾ أى فأنت جدير بأن ترحمهم ولا اعتراض عليك فى عذابهم لأن كل حكمك[3] عدل ﴿ و ان تغفر لهم ﴾ أى تمح ذنوبهم عينا و أثرا ﴿ فانك انت ﴾ أى خاصة أنت[1] ﴿ العزيز ﴾ فلا أحد يعترض ٥ عليك ، لا ينسبك إلى وهن ﴿ الحكيم ه ﴾ فلا تفعل شيئا إلا فى أعلى درج الإحكام ، لا قدرة لأحد على تعقيبه و لا الاعتراض على شىء منه .

و لما انقضى جوابه عليه الصلاة و السلام على هذا الوجه الجليل ، تشوف السامع إلى جواب الله له[1] ، فقال تعالى مشيرا إلى كون جوابه حقا و مضمونه صدقا ، منبها على مدحه حاثا على ما بنيت عليه السورة ١٠ من الوفاء بالعقود : ﴿ قال الله ﴾ أى الملك المحيط بالجلال و الإكرام جوابا لكلامه ﴿ هذا ﴾ أى مجموع يوم القيامة ؛ و لما كان ظهور الجزاء النافع هو المقصود قال : ﴿ يوم ﴾ هذا على قراءة الجماعة بالرفع ، و قراءة[4] نافع ١٥٥ / / بالنصب غير منون أيضا لإضافته إلى متمكن بمعنى : هـذا الذى [5]ذكر واقع[5] ؛ أو قال الله هذا الذى تقدم يوم ﴿ ينفع الصدقين ﴾ أى العريقين ١٥ فى هذا الوصف نفعا لا يضرهم معه شىء ﴿ صدقهم ط ﴾ أى الذى كان لهم فى الدنيا وصفا ثابتا ، لحداهم على الوفاء بما عاهدوا عليه ، فكأنه قيل : ينفعهم بأىّ شىء ؟ فقال : ﴿ لهم جنت ﴾ أى هى من رىّ الأرض الذى يستلزم زكاء الشجر و طيب الثمر بحيث ﴿ تجرى ﴾ و لما كان تفرق المياه فى

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لهذا (٣) فى ظ : حكمة (٤) فى ظ : قرأ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .

الأراضى أبهج ، بعّض فقال: ﴿من تحتها الانهر﴾ و لما كان مثل هذا
لا يريح إلا إذا دام قال: ﴿خلدين فيهآ﴾ و أكد معنى ذلك بقوله:
﴿ابدا ط﴾ .

و لما كان ذلك لا يتم إلا برضى المالك قال: ﴿رضى الله﴾ أى الذى
له صفات الكمال ﴿عنهم﴾ أى بجميع ما له من الصفات ، و هو كناية ٥
عن أنه أثابهم بما يكون من الراضى ثوابا متنوعا بتنوع ما له من جميع
صفات الكمال و الجمال[1]، و لما كان ذلك لا يكمل[2] و يبسط و يجمل إلا برضاهم
قال: ﴿و رضوا عنه ط﴾ يعنى أنه لم يدع لهم شهوة إلا أنالهم إياها ، و قال
ابن الزبير بعد ما أسلفته عنه: فلما طلب تعالى المؤمنين بالوفاء فيما نقض به
غيرهم ، و ذكّرهم ببعض ما وقع فيه النقض و ما أعقب ذلك فاعله ، ١٠
و أعلمهم بثمرة التزام التسليم و الامتثال ، أراهم جل و تعالى ثمرة الوفاء
و عاقبته ، فقال تعالى " و اذ قال الله يٰعيسى ابن مريم ءانت قلت للناس -
إلى قوله - هذا يوم ينفع الصٰدقين "- إلى آخرها . فيحصل من جملتها
الأمر بالوفاء فيما تقدمها و حالُ من حاد و نقض ، و عاقبة من وفى ، و أنهم
الصادقون ، و قد أمرنا أن نكون معهم " يٰايها الذين ءامنوا اتقوا الله ١٥
و كونوا مع الصٰدقين[3] " - انتهى .

و لما كان سبحانه قد أمرهم أول السورة بالوفاء شكرا على ما أحل لهم
فى دنياهم ، ثم أخبر أنه زادِ الشاكرين منهم و رقاهم إلى أن أباحهم[4] أجلّ

---

(١) من ظ ، و فى الأصل: الجلال (٢) فى ظ: لا يمهل (٣) سورة ٩ آية ١١٩ .
(٤) فى ظ: اباهم .

النفائس فى أخرام، و وصف سبحانه هذا الذى أباحه لهم الى أن بلغ فى وصفه ما لا مزيد عليه، أخذ يغبطهم بـه فقال: ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى لا غيره ﴿ الفوز العظيم ۝ ﴾.

و لما كان هذا الذى[1] أباحه لهم و أباحهم إياه لا يكون إلا بأسباب ٥ لا تسعها العقول، و لا تكتنه[2] بفروع[3] و لا أصول، علل[4] إعطاءه إياه و سهولته لديه بقوله مشيرا إلى أن كل ما ادعيت فيه الإلٰهية مما تقدم فى هذه السورة و غيرها بعيد عن ذلك، لأنه ملكه و فى ملكه و تحت قهره: ﴿ لله ﴾ أى الملك الذى لا تكتنه[5] عظمته و لا تضعف قدرته، لا لغيره ﴿ ملك السمٰوٰت ﴾ بدأ بها لأنها[6] أشرف و أكبر[7]، و آياتها ١٠ أدل و أكثر ﴿ و الارض ﴾ [على اتساعهما و عظمهما -[8]] و تباعد ما بينهما ﴿ و ما فيهن ﴾ أى من جوهر و عرض،

و لما كان ذلك أنهى ما نعلمه[9]، عمم بقوله: ﴿ و هو على كل شىء ﴾ أى من ذلك و غيره من كل ما يريد ﴿ قدير ۝ ﴾ فلذلك هو يحكم ما يريد لأنه هو الإلٰه وحده، و هو قادر على إسعاد من شاء و إشقاء من شاء، ١٥ و إحلال ما شاء و تحريم ما شاء، و الحكم بما يريد و نفع الصادقين الموفين[10] بالعقود الثابتين على العهود، لأن له ملك هذه العوالم و ما فيها مما ادعى فيه الإلٰهية من عيسى و غيره، و الكل بالنسبة إليه أموات،

(١) سقط من ظ (٢) أى لا يبلغ كنهها، و فى ظ: لا نكتبه - كذا (٣) من ظ، و فى الأصل: فروع (٤) فى ظ: عنى - كذا (٥) فى ظ: لا يثنه (٦) فى ظ: لأنه. (٧) فى ظ: اكثر (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ: يعلم (١٠) فى ظ: بالموتين - كذا

بل

بل موات جديرون بأن يعبر عنهم بـ "ما" لا بـ 'من'، فمن يستحق معه شيئا و من يملك معه ضرا أو نفعا ! و قد انطبق[1] آخر السورة على[2] أولها - كما ترى - [أيّ - [3]] انطباق، و اتسقت جميع آياتها أخذا بعضها بحجز بعض أيّ اتساق ؛ فسبحان من أنزل هذا القرآن على أعظم /١٥٦ البيان ! مخجلا لمن أباه من الأمم، معجزا لأصحاب السيف[4] و القلم، ٥ و الله [سبحانه و تعالى - [3]] أعلم[5].

(١) في ظ : اطبق (٢) تكرر في الأصل (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و في الأصل : السبت (٥) زيد في ظ : بالصواب.

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء السادس من تفسير « نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور » للشيخ العلامة برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله يوم الجمعة السابع و العشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٩٣ ﻫ = ٢٩ / يونيو سنة ١٩٧٣ م تحت مراقبة الأديب الأريب و الحسيب اللبيب صاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير الدائرة و عميدها - أبقاه الله لخدمة العلم و الدين !

و قد عنى بتصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة رفيق الفاضل محمد عمران الأعظمى العمرى (الحامل شهادة أفضل العلماء من جامعة مدراس) حفظه الله !

و اعتنى بتنقيحه خادم العلم و العلماء راقم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه !

و يليه الجزء السابع إن شاء الله تعالى أوله « سورة الانعام » .

و فى الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ! و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد
السيد محمد حبيب الله القادرى الرشيد
(كامل الجامعة النظامية)
صدر المصححين بدائرة المعارف العثمانية